العدالة الإلهية

حياة لا موت ... مغفرة لا عقوبة!

بحث إنجيلي آبائي لاهوتي في موقف الله من الشر والموت وهدف الفداء والكفارة والخلاص بين اللاهوت الشرقي والغربي.



بحث ودراسة:

د. هانى مينا ميخائيل

أغنسطس (أي قارئ)

بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية

مراجعة وتقديم:

نيافة الأنبا أثناسيوس

مطران بني سويف - المتنيح



من تقديم الأنبا أثناسيوس للكتاب :

- ❖ إطلعت على هذا البحث الكبير ... البحث متسع وشامل وعن موضوع هام جداً ويوفي بدرجة جيدة جداً.
- ❖ البحث يدل على الجهد الكبير والإيمان القلبى بما ورد فيه من حجج وأفكار.
- ❖ وهكذا لا نرفض كل ما يخالفنا في الرأى، بل نقبل الآراء لأنه قد إنقضى عصر الحرومات لكل من يخالف رأينا.
- ❖ إنى مغتبط باطلاعي على هذا البحث المبارك والمدقق، وكأن شريطاً سريعاً عرض أمامي أموراً كثيرة مركزة كثيراً ما أنساها.
- ❖ الله يبارك في الباحث وينميه في المعرفة.

(أثناسيوس مطران بنى سويف ١٩٩٨/٧/٩)

إقرأ في هذا البحث حواراً بين اللاهوت الشرقي والغربي :

يعلّم آباء الأرثوذكسية، عبر العشرين قرناً، كما علّم الكتاب المقدس عن معنى الموت الروحى الأبدي، الذي تجلبه الخطية، أى الإنفصال عن الله في جهنم الأبدية : "ليس الموت من صنع الله ... ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (حكمة ١ :١٢، ٢ :٢٤)، وأن "الخطية إذا كملت لهى التى[تنتج موتاً" (يع ١ :٥-١٦)، ولكن "الموت آخر عدو، يبطل" (١كو ١٥ :٢٦).

وأما تجسد وموت الرب وقيامته فهدفه، كما قال الروح القدس بفم بولس الرسول : "لكى يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أى إبليس" ويحرر الإنسان حياً (عب ٢ :١٤). فالكفارة والفداء للطبيعة البشرية هما في إتحاد هذه الطبيعة المائتة بنار طبيعة اللاهوت الحى، التى قتلت خطيانا والموت الذي تنتجه، عندما داس الرب الموت بالموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية بقيامته، وسكنى الروح القدس فيهم. فكفارة دم المسيح هى، إنجلياً، في "تطهير" الطبيعة البشرية من الموت (عب ٩ : ١٣-٢٦) بالتجسد والقيامة معاً.

أما اللاهوت الغربي، منذ العصور الوسطى، فيعلّم أن الموت الذى تجلبه الخطية هو قصاص عادل منزّل من الإرادة والتدبير الإلهى، لكى يدفع الخاطئ ثمن الخطية!! أما موت الرب على الصليب ، عند اللاهوت الغربي، فهو كفارة وفداء لأن موت الصليب كان "عقوبة بدل عقوبة"، منزّلة من الآب على الإبن لكى بذلك "يستوفى العدل الإلهى حقه، الذي أهدرته الخطية، وليهدأ الغضب الإلهي" كما قال مارتن لوثر، بتحقيق الموت!!!

فأى منهج تتبع؟!

العدالة الإلهية

حياة لا موت ... مغفرة لا عقوبة!

بحث إنجيلي، آبائي، لاهوتي
في
موقف الله من الشر والموت
وهدف الفداء والكفارة والخلاص
بين اللاهوت الشرقي والغربي.

تقديم

المتنيح الأنبا أثناسيوس
مطران بني سويف

بحث ودراسة
د. هـانى مينا ميخائـيل
أغنسطس (أي قـارئ)

بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية
ودارس بمعهد الدراسات المسيحية الأرثوذكسية
جامعة كامبريدچ انجلترا

اسم الكتاب : **العدالة الإلهية**
حياة لا موت .. مغفرة لا عقوبة!
المؤلف : د. هاني مينا ميخائيل
تجهيزات فنية : چى. سى. سنتر - ميدان سفير - مصر الجديدة
ت ٢٦٣٣٨١٣٧ - ٢٦٣٥٨٧٩٧
رقم الإيداع : ١٩٩٦/٣٧٤٥
الترقيم الدولى: ISBN : 977-19-0430-2
الطبعة الأولى : ٢٠٠٩ م

© **جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف**

موقع كتاب العدالة الإلهية **Divine Justice website.**

www.copticorthodox-divinejustice.com

ويوجد به:
١ _ الكتاب بأكمله **PDF-Files** للقراءة والتنـزيل والإهداء
٢ _ **روابط محاضرات الفيديو** عن الكتاب بالعربية والإنجليزية:
٣ ساعات بالعربية : ١٧ فيديو كليب x ١٠ دقائق كل جزء.
ساعتين بالإنجليزية : ١٢ فيديو كليب x ١٠ دقائق كل جزء.

وهذه كلها موجودة أيضاً على موقع:

www.youtube.com
" Orthodox Divine Justice "

٣ _ **روابط محاضرات صوتية** (Audio) لمدة ٤ ساعات بالعربية. مدة كل محاضرة ساعة واحدة، و ا حوار عن مواضيع أخرى.
٤ _ **ملخص باللغة الإنجليزية** لأفكار الكتاب (٤٣ صفحة) بعنوان .**The Atonement** ومعه أيضاً ملخص فى صفحة واحدة للمقارنة بين اللاهوت الشرقى والغربى، وبعض مقالات أخرى ستتم إضافتها مع الوقت. وسوف تتم إضافة محاضرات أخرى بالفيديو مستقبلا عن مواضيع أخرى، بمشيئة الرب.
٥ _ يمكنكم تسجيل **آراء وتعليقات وأسئلة** فى الجزء المخصص لذلك، أو على موقع الـ **youtube** وسوف تصلكم الإجابة. **لنصنع حوارا لمجد الله محب البشر.**



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مُحتَوياتُ الكِتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

التقـــديم

بقلم المتنيح / الأنبا أثناسيوس
مطران بني سويف

تعليق على بحث «العدالة الإلهية ـ حياة لا موت.. مغفرة لا عقوبة»
للدكتور هاني مينا

مقدمة:

١ ـ اطلعت على هذا البحث الكبير؛ كما على:

Don’t create god in the image of man

٢ ـ البحث متسع وشامل وعن موضوع هام جد ، ويوفي هدفه بدرجة جيدة جد . ويدل على الجهد الكبير والإيمان القلبي بما ورد فيه من حجج وأفكار.

٣ ـ لم أصحح أي أخطاء نحوية لأن هذا ليس المطلوب مني. وهي أخطاء قليلة لا تخفي المعاني المقصودة.

٤ ـ في المقدمة «لماذا كتبت هذه الدراسة» جاء أن الاتصال الحديث بين فكر كنائسنا (يقصد غير الخلقيدونية) والغرب جاء نتيجة أعمال معينة، ذكر فيها أسماء كتب وأسماء أشخاص وفي رأيي أنه كان الأفضل عدم ذكرها بصراحة لأ ا منذ البداية تضع البحث والباحث ضمن خط ومدرسة محددة مما قد يعوق القراءة المحايدة.

٥ ـ تضع بعض الكتابات الكنائس غير الخلقيدونية الأرثوذكسية والخلقيدونية في مجموعة واحدة. وهذا صحيح في الأصل، وإن كانت الكنائس الخلقيدونية البيزنطية لم تستعمل تعبير الأرثوذكسية لنفسها إلا في القرن العاشر وتنكره الآن علينا، وإن كانت حدة البعض في هذا الموقف قد هدأت كثير . وكان اتفاقنا في مجلس الكنائس العالمي على تسميتهم Chalcedonian Orthodox، ونحن Non - Chalcedonean Orthodox Churches. ولا أعلم التعبيرات المستعملة حالي . ومن المهم أن يذكر أن الفكر في أصله واحد والروح واحدة. بل أن بعض اللاهوتيين اليونانيين المحدثين بدأوا يجاهرون بأن التعاليم الأرثوذكسية الثابتة عندهم باعتبارها تعاليمهم، نشأت أولاً في الاسكندرية.

على أن هناك بعض خلافات يمكن اعتبارها منهجية أكثر منها موضوعية، منها:

أ ـ في خلفية فكرنا النظرة الوحدوية للأمور بينما في خلفية فكر م النظرة التحليلية فنحن لم تنشأ عندنا مشكلة طبيعتين في الرب المتجسد، ولا انفصالية الأقانيم وكنا سعداء باستعمال اللفظ السرياني «أقنوم» ومعناه كيان entity وليس person. هذا المعني الأصلي للكلمة الذي يقابله Nomos = قانون في اليونانية بخلاف hypostatis = شخص، وليت المفاهيم الأصلية لكلمة أقنوم ونوموس ظلت حية لجنبت الكنيسة كثير من المتاعب. هذا على أي حال رأيي الشخصي، لأني ألاحظ في كتابا م ما يلقي عليها ظلال التحليل وما يقرب من الانفصال بين الأقانيم في اللاهوت، أو الطبيعتين في التجسد.

ب ـ فكرة الحب بين الأقانيم التي ينادون ا والتي دخلت في بعض كتبنا. تختلف كثير عن الوحدة الأصلية. فالحب يجذب ويربط، (ولنقل أيض) ويوحد. ولكن هذا يعني قوة تقرب بين اثنين. ومهما قيل في آيات مثل «الحب الذي أحببتني به قبل إنشاء العالم» فهي اللغة البشرية في تصوير أمور إلهية كالغضب والندم والرضا التي تقال عن الله. والآية لا يمكن أن تعني أن الآب والابن تبادلا واتحدا بالمحبة!! إلي آخره ما تجره فكرة المحبة علينا.

جـ ـ الأفراط في موضوع الرموز. كل شيء عندهم يرمز لأمور! مقبول. ولكن المعاني الأولي للآيات روحية تطبيقية عملية. وهي في كنيستنا تجعل المؤمن دائماً في شركة مباشرة مع الله وقديسيه.

ويتفرع من هذا استعمال كلمة أيقونة في اللغة العربية. فهي كلمة الصورة الروحية وليتنا في بعض الأحيان نستعمل «صورة» بدلاً منها. فإذا قلنا أن صورة القديس فلان فإنها تختلف عن أيقونة هذا القديس. لأن الأيقونة صورة مدشنة قد تظهر منها معجزات أما الصورة فهي إيضاحية. وهم يستعملون أيقونة بالمعني العميق دائماً في تعاليمهم. فإذا خرج الكاهن من الهيكل إلي الشعب حاملاً البشارة فهو أيقونة خروج المسيح إلي العالم. وإذا كسب التلاميذ إنساناً للإيمان فهم أيقونة الرب حين دعا التلاميذ لكي يتبعوه. استعمال كثير، يجعل الفعل المسيحي بعيداً عن غالبية الشعب. لأن هدف التجسد خلاص النفس. وهذا ما نجده في الفكر القبطي الذي يربط المؤمن في شركة مباشرة. وإن كنت لا أنكر أن عدم فهم المؤمنين للطقوس يبعدهم أيضاً عن الاندماج المباشر الواعي.

د ـ كثرة استعمالهم لعبارة القديس أثناسيوس عن تأله الإنسان Theosis بينما هو استعملها بمعني اندماج الرب في الطبيعة البشرية ورد البشرية إلي البنوية، وليس التأله بالمعني الحرفي. فالإنسان لا يصير إلهاً حقيقة.

ثم بالتوسع في الدراسة عن الأيديولوچيات الأخري، نجد أن الديانات الآسيوية تقوم على ارتفاع الإنسان إلي الألوهية كما حدث في بوذا، وبراهماڤير. ثم هذا الفكر أيضاً يدخل في نظرية الغنوسية. أي إن الإنسان يخلص بالمعرفة. فالمعرفة ترفعه عن الخطية... إلي غير ذلك.

المسيح يسترد الإنسان إلي وضعه. والكتاب المقدس كتاب قيام الله بإصلاح البشرية التي خلقها بنفخته، يصلحها بطبيعته. وقد خلقه ابناً وليس إلهاً. ويسترد إلي ذلك، مع الفهم المدقق للتعبيرات البشرية.

٦ ـ في البحث نغمة قاسية بعض الشيء على أغسطينس وأنسلم. إن نظريتهم

تروق لبعض الناس ضمن الحجج الإيمانية. وهنا أحاول أن أري بعض جوانب للفعل الخلاصي كالجوهرة التي تبرق في عدة زوايا.

أ ـ نظرة قانونية عقابية Penal Judgment. أي أن الله يعاقب الإنسان بعدالة، والمسيح يوفي هذا الحق بصلبه.

ب ـ نظرة قانونية تعويضية. أي أن الجريمة يتغير حجمها حسب قيمة المعتدي عليه. فالجريمة ـ الخطيئة ـ ضد الله فيكون التعويض مساوٍ لله Penal compensation. ومثلها أن الخطيئة من البشرية كلها فيكون الفداء مساوٍ للبشرية كلها.

جـ ـ نظرة التفاعل بين الطهر الكامل للطبيعة الإلهية والعبودية للخطيئة في الطبيعة البشرية. **وهذا هو المقصود المعقول أن الرب يسوع** لم **يمت ليدفع دين ، بل ليخلص الإنسان من داخله محافظ على عقله وحريته وكرامته.** هو الباحث عن الخروف الضال حتى حمله على كتفه. الإنسان من الله، والله خلقه على صورته فمتي سقط يتقدم الأصل لينقذ الشبيه مقدس إياه بكرامة باث فيه قوة النصرة والحياة الأبدية التي فقدها.

د ـ نظرة تخليص النفس والجسد. فكما أن الإنسان غلبته الخطيئة نفس وجسد كان لابد أن تتقدس النفس والجسد بطبيعة إنسانية كاملة نفس وجسد ، اتحدت بطبيعة حية لا تقوي عليها الخطيئة، متحملة آلام المخاض بأعادة ولادة البشرية.

هـ ـ نظرة التزام الله طبيعي بحكم محبته للخير وبحكم أن الإنسان تفرع منه، فكان عليه أن ينقذه كما تمتد اليد لتدفع عن الجسم شر أو لتخلصه من شر وقع فيه.

و ـ ضرورة إنعاش وتصحيح مسار المواهب الطبيعية كالعقل والحس والنية والأرادة من أن تكون كلها متجهة للشر، تتقدس وتتجه للخير.

وهكذا لا نرفض كل من يخالفنا الرأي بل نقبل الآراء، لأنه قد

أنقضى عصر الحروم لكل من يخالف رأينا. هذا مع اتفاقي مع النظرة الشرقية والقبطية بالذات ليس عن تعصب انتمائي بل عن اقتناع بأ ا أكرم النظرات للذات الإلهية ولكيان الإنسان.

٧ ـ هناك تعليقات على هوامش الصفحات، أرجو الاطلاع عليها. غير أني أعرض لما ورد في ص ١٨٨ تحت عنوان «خلاصة تعليم الآباء الشرقيين» أن الفداء يقضي على الموت ومحدودية الإنسان.... و ذا (بالتنقية بالفداء) ينمو الإنسان جديد «نحو التشبه بالله، الوجود المطلق». نحن لا نتشبه بالله في وجوده المطلق وإنما في نموذج حياته الأرضية. لأنه عاش طفلاً وفتي وعاملاً وراعي لوالدته ومجاملاً في المناسبات وغيرها نموذج لنا في حياتنا.

أني مغتبط باطلاعي على هذا البحث المبارك والمدقق، وكان شريط سريع عرض أمامي أمور كثيرة مركزة كثير ما أنساها. الله يبارك الباحث وينميه في معرفته.

التوقيع
أثناسيوس
مطران بني سويف
١٩٩٨/٧/٩

مطرانية بني سويف والبهنسا للأقباط الأرثوذكس
ص.ب : ٣٠ ☎ ٣٢٢٠٢٥

التاريخ ٩/٧/١٩٩٨
٢/١١/١٧١٤
رقم ______
عدد المرفقات ١ ص

/ / ١٩
/ / ١٩

تعليق على بحث " العدالة الإلهية - حياة لا موت .. مغفرة لا عقوبة " للدكتور هاني مينا

مقدمة

١- اطلعت على هذا البحث الكبير ، كما على Don't create God in the image of man

٢- و ورقة A Comparison between Eastern Orthodox Theology versus Western Medieval Theology ، وكذلك على مذكرة " من كتابات القديس مار أفرام السرياني أسقف نصيبين (الآرامي) من آباء القرن الرابع الميلادي عن الجحيم الأول والجحيم الثاني ؛ وكذا ورقة عن " أقوال أخرى لآباء الكنيسة عن جهنم والعذاب الأبدي . وفيما يلي بعض التعليقات .

I ١- البحث يحوي غالبية ما جاء في المذكرات الثلاث الأخرى . وليس لي تعليق خاص على المذكرات الثلاث سوى على ما ورد في البند ١١ من الجحيم الأول عن ديودور أسقف ترسيس إذ قال " الجزاء الحسن محفوظ لمن أحبوا الخير .... ولكن العذاب للأشرار ليست بلا نهاية .... يعتبرون الألم لمدة محدودة ، ولكنهم (بعدها) سوف ينعمون في الخلود للأبد .

ليس مقبولا أن نقيم اعتقادا على غير ما ورد في الكتاب المقدس . وعقائدنا تقوم على ما تقوله أجزاء الكتاب متكاملة . فلا نأخذ معتقدا من بعض آيات تتكلم عن جانب من قضية متغافلين غيرها يكمل الصورة . فالكلام عن العذاب المؤقت ليس من مفاد الكتاب المقدس .

٢- البحث متسع وشامل وعن موضوع هام جدا ، ويوفي هدفه بدرجة جيدة جدا . ويدل على الجهد الكبير والاستيعاب العلمي بما ورد فيه من حجج وأفكار .

٣- لم أصحح أي أخطاء نحوية لأن هذا ليس المطلوب مني . وهي أخطاء قليلة لا تخفي المعاني المقصودة .

II ٤- في المقدمة "لماذا كتبت هذه الدراسة" جاء أن الاتصال الحديث بين فكر كنائسنا (تقصد غير الخلقيدونية) والغرب قد جاء نتيجة أعمال معينة ، ذكر فيها أسماء كتب وأسماء أشخاص وفي رأيي أنه كان الأفضل عدم ذكرها بصراحة لأنها منذ البداية تضع البحث والباحث ضمن خط ومدرسة محددة مما قد يعوق القراءة المحايدة .

مطرانية بني سويف والبهنسا للأقباط الأرثوذكس
ص.ب : ٣٠ ☎ ٣٢٢٠٢٥

١٩ / /
١٩ / /
رقم ______ عدد المرفقات ______ ص

٥- تضع بعض الكتابات الكنائس غير الخلقيدونية الأرثوذكسية والخلقيدونية في مجموعة واحدة. وهذا صحيح في الأصل، وإن كانت الكنائس الخلقيدونية البيزنطية لم تستعمل تعبير الأرثوذكسية لنفسها إلا في القرن العاشر وتنكره الآن علينا، وإن كانت حدة البعض في هذا الموقف قد هدأت كثيرا. وكان اتفاقنا في مجلس الكنائس العالمي على تسميتهم Chalcedonian Orthodox، ونحن Non-Chalcedonean Orthodox Churches. ولا أعلم التعبيرات المستعملة حاليا.

ويعجبني أن نتذكر أن الفكر في أصله واحد والروح واحدة. بل إن بعض اللاهوتيين اليونانيين المحدثين بدأوا يجاهرون بأن التعاليم ~~السكندرية~~ الأرثوذكسية الثابتة عندنا باعتبارها تعاليمهم، نشأت أولا في الإسكندرية.

على أن هناك بعض خلافات يمكن اعتبارها منهجية أكثر منها موضوعية، مثل:

أ- في خلفية فكرنا النظرة الوحدوية للأمور بينما في خلفية فكرهم النظرة التحليلية فنحن لم تنشأ عندنا مشكلة طبيعتين في الرب المتجسد. ولا انفصالية الأقانيم ولكنا سعداء باستعمال اللفظ السرياني "أقنوم" ومعناه كيان entity وليس person. هذا المعنى الأصلي للكلمة الذي يقابله Nomos = قانون في اليونانية بخلاف hypostatis = شخص، وليت المفاهيم الأصلية لكلمة أقنوم و نوموس ظلت حية لجنبت الكنيسة كثيرا من المتاعب. هذا على أني لأني ألاحظ في كتاباتهم ما يلقي عليها ظلال التحليل حول رأيي الشخصي. وما يقرب من الانفصال بين الأقانيم، أو في الوحدة الطبيعتين في التجسد.

ب- فكرة الحب بين الأقانيم التي ينادون بها والتي دخلت في بعض كتبنا. تختلف كثيرا عن الوحدة الأصلية. فالحب يجذب ويربط، (ولنقل أيضا) ويوحد. ولكن هذا يعني قوة تقرب بين اثنين. ومهما قيل في آيات مثل "الحب الذي أحببتني به قبل إنشاء العالم" فهي اللغة البشرية في تصوير أمور إلهية كالغضب والندم والرضا التي تقال عن الله. والكنيسة لا يمكن أن تعني أن الآب والابن تبادلا واتحدا بالمحبة!! إلى آخره ما تجره فكرة المحبة علينا.

ⲡⲓⲙⲏⲧⲣⲟⲡⲟⲗⲓⲥ ⲛⲉⲙ ⲡⲁϩⲉⲛⲁⲥⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲁ̀ⲡⲓⲥⲧⲩⲗⲓⲟⲥ ⲛ̀ⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
مطرانية بني سويف والبهنسا للأقباط الأرثوذكس
ص.ب : ٣٠ ☎ ٣٢٢٠٢٥

/ / ١٩ صح
/ / ١٩ صح

رقم ــــــ عدد المرفقات ــــــ

هـ - الإفراط في موضوع الرموز. كل شيء عندهم له ~~بعد~~ يرمز للأمور! مقبول.
ولكن المعاني الأولى للكلمات روحية تطبيقية عملية. ونحن في كنيستنا نجعل المؤمن دائماً
في شركة مباشرة مع الله وقديسيه.

وتتفرع من هذا استعمال كلمة أيقونة في اللغة العربية. فهي كلمة الصورة الروحية
ولكننا في بعض الأحيان نستعمل "صورة" بدلاً منها. فإذا قلنا أن صورة القديس
فلان فإنها تختلف عن أيقونة هذا القديس. لأن الأيقونة صورة مدهشة
قد تظهر منها معجزات أما الصورة فهي إيضاحية. وهم يستعملون أيقونة بالمعنى
العميق جداً دائماً في تعاليمهم. فإذا خرج الكاهن من الهيكل إلى الشعب حاملاً الإصحاح
فهو إيقونة خروج المسيح إلى العالم. وإذا ~~[illegible]~~ أرسل التلاميذ أناساً للإيمان فهم
استعمال كثير، يجعل ~~[illegible]~~ الفعل السري
أيقونة الرب حين دعا التلاميذ لكي يتبعوه. وهذا ما نجده في
لا بعيدة عن غالبية الشعب. لأن هدف التجسد خلاص النفس. وإن كنت لا أنكر أن
الفكر القبطي الذي يربط المؤمن في شركة مباشرة.
عدم فهم ~~[illegible]~~ المؤمنين للطقوس ~~[illegible]~~ يبعدهم أيضاً عن الاندماج المباشر ~~[illegible]~~ الواعي.
د - كثرة استعمالهم لعبارة القديس أثناسيوس عن تأله الإنسان Theosis
بينما هو استعملها بمعنى اندماج الرب في الطبيعة البشرية ~~[illegible]~~ ورد البشرية
إلى البنوية، وليس التأله بالمعنى الحرفي. فالإنسان لا يصير إلهاً حقيقية.
ثم بالتوسع في الدراسة عن الثيولوجيات الأخرى، نجد أن الديانات الآسيوية
تقوم على ارتفاع الإنسان إلى الألوهية كما حدث في بوذا، وبراهما ثيه. ثم هذا الفكر
أيضاً يدخل في نظرية الغنوسية. أي أن الإنسان يخلص بالمعرفة. فالمعرفة ترفعه عن
الخطية... إلى غير ذلك.
المسيح يسترد الإنسان إلى وضعه. والكتاب المقدس كتاب ~~[illegible]~~ قيام الله بإصلاح
البشرية التي خلقها بنفسه، بصلاح طبيعته. وقد خلقها ابناً وليس إلهاً. ويسترد
إلى ذلك، مع الفهم المدقق للتعبيرات البشرية. ✠

٦- في البحث عن نظرية قاسية يصل الشرق على أغسطين وأنسلم. إن نظرية
تروق لبعض الناس ضمن الحجج الإيمانية. ~~[illegible]~~ وهنا أحاول أن أري بعض
جوانب للفعل الخلاصي كالجوهرة التي تبرق في عدة زوايا.

أ- نظرة قانونية عقابية Penal Judgment. أي أن الله يعاقب
~~هـ- نظرة قانونية~~ الإنسان لعدالته، والمسيح يوفي هذا الحد بصلبه

ب- نظرة قانونية تعويضية. أي أن الجريمة تتغير بحسب الـ قيمة المعتدى
عليه. ~~Penal substitution~~. فالجريمة - الخطيئة - ضد الله فيكون التعويض
مساويًا لله. Penal compensation. ومثلما أن الخطيئة من البشرية
~~جـ- نظرة تعويضية~~ كلها فيكون الفداء مساويًا للبشرية كلها.

جـ- نظرة التفاعل بين الطهر الكامل للطبيعة الإلهية والعبودية للخطية في الطبيعة
البشرية. وهذا هو التصور المعقول أن الرب يسوع لم يمت ليدفع دينًا،
بل لتخليص الإنسان من داخله ~~[illegible]~~ محافظًا على عقله وحريته وكرامته. هو الباحث
عن الخروف الضال حتى حمله على كتفه. الإنسان من الله، والله خلقه على صورته
فمتى سقط يتقدم الأصيل لينقذ الشبيه مقدسًا إياه بكرامة باثًا فيه قوة النصرة
والحياة الأبدية التي فقدها.

د- نظرة تخليص النفس والجسد. فكما أن الإنسان غلبته الخطية نفسًا وجسدًا
كان لابد أن تتقدس النفس والجسد بطبيعة إنسانية كاملة نفسًا وجسدًا، اتحدت
بطبيعة حية لا تقدر عليها الخطية. متحملة آلام المخاصم بإعادة ولادة البشرية.

هـ- نظرة التزام الله طبيعيًا بحكم محبته للخير، وبحكم أن الإنسان تفرع منه، فكان
عليه أن ينقذه كما تمتد اليد لتدفع عن الجسم شرًا أو لتخلصه من شر وقع فيه.

و- ضرورة إنقاذه وتصحيح مسار المواهب الطبيعية كالعقل والحس والنية والإرادة
من أن تكون كلها متجهة للشر، تتقدس وتتجه للخير.

وهكذا لا نرفض كل ما يخالفنا الرأي، بل نتقبل الآراء، لأنه قد انقضى

ⲡⲓⲙⲏⲧⲣⲟⲡⲟⲗⲓⲧⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲁⲛⲓⲥⲟⲧⲉⲓϥ ⲛⲉⲙ ⲡⲁϩⲛⲁⲥⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲁⲩⲧⲓⲡⲧⲓⲟⲥ ⲛ̀ⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
مطرانية بني سويف والبهنسا للأقباط الأرثوذكس
ص.ب : ٣٠ ☎ : ٣٢٢٠٢٥

رقم ___ / / ١٩ م ___ عدد المرفقات ___
/ / ١٩ ه

عصر الحروب لكل من يخالف رأينا . هذا مع اتفاقي مع النظرة الشرقية والقبطية بالذات ليس عن تعصب انتمائي بل عن اقتناع بأنها أكرم النظرات للذات الإلهية ولكيان الإنسان

٧ . هناك تعليقات على هوامش الصفحات ، أرجو الاطلاع عليها . غير أني أعرض لما ورد في ص ١٨٨ تحت عنوان "خلاصة تعليم الآباء الشرقيين" أن الفداء تغلب على الموت ومحدودية الإنسان ... وبهذا (بالتنقية بالفداء) ينمو الإنسان جديداً نحو التشبه بالله ، الوجود المطلق". نحن لا نتشبه بالله في وجوده المطلق وإنما في نموذج حياته الأرضية . لأنه عاش طفلاً وفتى وعاملاً وراعيا لوالدته ومجاملاً في المناسبات وغيرها نموذجاً لنا في حياتنا .

إني مغتبط بالاطلاع على هذا البحث المبارك والمدقق ، وكان شريطا سريعا عرض أمامي أموراً كثيرة مركزة كثيراً ما أنساها . الله يبارك الباحث وينميه في معرفته

١٧١٤/١١/٢ ١٩٩٨/٧/٩

Ⲁⲑⲁⲛⲁⲥⲓⲟⲥ
مطران بني سويف

المقدمة

ـ لماذا كتبت هذه الدراسة؟

ـ العدالة الإلهية:

حياة لا موت ومغفرة لا عقوبة

بقلم الأب چورچ فلوروفسكى

ـ تمهيد : الله ولغة البشر

لماذا كتبت هذه الدراسة؟

نحن نؤمن بأن الرب يسوع المسيح هو جوهر وخلاصة كل ما يقال بإسم المسيحية. فالمسيحية هي المسيح يسوع حيًا بذاته، وبالكنيسة التي هي يديه ورجليه، بل جسده كله، على الأرض وفي السماء.

الرب يسوع المسيح هو المعنى والمفسر لمن يريد أن يجيب عن سؤال من هو الله؟ ومن هو الإنسان؟ وما هو الكون وهدف وجوده؟ ما هي الحياة والقيامة والخلود؟. لقد قال القديس باسيليوس الكبير إن ذلك الإسم «يسوع المسيح» هو ملخص الإيمان كله!! فهو إعتراف به كإبن الله وكإبن للآب وهو من مُسح بالروح القدس. فالإسم يضم الآب والروح ويعلن ألوهية الرب، أي يضم أسماء أقانيم الثالوث فيه.

نحن إذن نكتب عن المسيح في تراثنا الشرقي الأرثوذكسي، وهو أيضًا وثيق الصلة بالتراث الغربي الكاثوليكي والبروتستانتي، لأننا **جميعًا كمسيحيين لدينا قانون إيمان واحد،** وكنا في يوم من الأيام كنيسة واحدة قبل إنقسام القرن الخامس، ثم إنقسام القرن الحادي عشر فإنقسام القرن السادس عشر. كان إنقسام القرن الخامس حول طبيعة المسيح Christology في مجمع خلقيدونية ٤٥١م. وكان إنقسام القرن الحادي عشر بين القسطنطينية وروما. ثم جاء القرن السادس عشر فكان الإنقسام بين روما الكاثوليكية وحركات الإصلاح البروتستانتى.

ومع ذلك ظل جوهر الإيمان المسيحي واحدًا كما عبر عنه قانون الإيمان النيقاوي (٣٢٥- ٣٨١م)، وكما ساد في كل الكنائس؛ حتى الإضافة الأخيرة الخاصة بإنبثاق الروح «من الآب **والإبن**» "Filioqe" ظلت معروفة في ضمائر الكنائس الغربية على أ ا ليست إضافة أصلية وأ ا تمثل لاهوت الغرب وليس لاهوت الكنيسة الجامعة.

وهكذا نريد العودة إلى تراثنا الشرقي، وهو نداء بدأ منذ أكثر من نصف قرن

بواسطة المهاجرين من الروس الأرثوذكس الذين تركوا بلادهم إلى الغرب عقب أكبر حركة إضطهاد للمسيحية في العصر الحديث تحت نظام الثورة الشيوعية، والتي يفوق عدد ضحاياها عدد ضحايا كل ما نعرفه في تاريخ الحروب!

وبدأت كتابات هؤلاء المهاجرين تظهر باللغات الأوروبية الفرنسية والإنجليزية. وأسس هؤلاء مراكز للأرثوذكسية في الغرب في باريس ونيويورك وأكسفورد وغيرها. وبدأت هذه الكتب تصل إلينا في مصر مع حركة البعثات الدراسية إلى جامعات أوربا وأمريكا، ومع إنفتاح الكنائس الشرقية على ما جاءت به الحركة المسكونية نفسها ممثلة في مجلس الكنائس العالمي وسكرتارية الوحدة المسيحية في روما. وخرج الشرق من عزلته الثقافية والروحية إبتداء من الخمسينيات من القرن ٢٠، ووصلت مجموعات آباء الكنيسة بالإنجليزية والفرنسية إلى مصر. ثم **بدأت حركة الترجمة إلى العربية** وظهر عمق وجمال التراث الأرثوذكسي الروحي بظهور أول طبعة من كتاب « حياة الصلاة الأرثوذكسية » ، والتي فتحت الأعين والقلوب على كنوز التراث الآبائي الأرثوذكسي، بكل ما يحمله من عمق للإختبار المسيحي الحي، والذي كنا إنما نستشعره من خلال الليتورچيات، التي أبقت لنا البعض منه، عندما غاب منه الكثير في الترجمات التي حفظت في اللغات الأوروبية، والتي كانت قد نقلته عن أصوله اليونانية الأولى!!

ولم يتوقف تيار العودة إلى التراث بل تدفق إلى الشرق عندما بدأت نهضة روحية أرثوذكسية في لبنان، وهي **حركة الشبيبة الأرثوذكسية،** وكانت قد سبقتها بعدة سنوات قليلة حركة نهضة **قوية** في **مدارس الأحد** في الكنيسة القبطية، وكان رائدها الأستاذ حبيب جرجس.

ولم يكن غريبًا ميلاد نهضة أرثوذكسية في مصر ولبنان في وقت واحد تقريبًا. فقد كانت كنائس الشرق واقعة تحت ضغط روحي وفكري، عندما جاءت الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية بهدف ضم كنائس الشرق إليها. وقد إصطدمت هذه الإرساليات بقادة هذه الكنائس ونشأ حوار عنيف في بعض الأحيان. ولم يكن غريبًا أن تقوم الإرساليات بنشر كتب دفاعية تهاجم الأرثوذكسية والكاثوليكية. ولم يكن غريبًا أن تقوم مكتبة النيل ثم مطبوعات الأخوة وغيرهم بنفس العمل.

وكان من الضروري الرد على هذا الهجوم. ودون أن يدري الذين هاجموا التراث الشرقي أ م يدفعون كنائس الشرق إلى اكتشاف تراثها، لأن الذين هاجموا الأرثوذكسية إعتمدوا على التاريخ القديم وكتب الآباء! وكان ضروريًا أيضًا العودة إلى كتب الآباء لفحص دعاوي المهاجمين!! لذلك ظهرت كتب عربية للتاريخ الكنسي في مصر : للقمص منسي يوحنا، الأنبا إيسيذورس، تاريخ البطاركة..... الخ. وظهرت بداية ترجمات الآباء. ثم رأينا «مجلة النور» ومجلة «مدارس الأحد» تنشر ترجمات ومقالات مترجمة عن الفرنسية والإنجليزية والروسية.

وهكذا إزدادت الإتصالات الثقافية والروحية والتقارب الكنسي بكل ما نتمناه، وهو أن نقرأ مؤلفات الآباء. وبإزدياد عدد من يقرأون اللغات الأوروبية بات من الصعب أن تبقي معرفتنا بالتراث الأرثوذكسي محصورة فيما صدر بالعربية في مصر ولبنان فقط. لذلك لم يكن غريبًا أن نري في بعض اجتماعات الشباب في القاهرة والإسكندرية، أن كتب الآباء ومجلدات أقوالهم أصبحت تستعار وتقرأ وتترجم.

هذه الدراسة هي جزء من حركة إسترداد التراث وإكتشاف الفرق بين **روح الشرق الأرثوذكسية وروح الغرب، وهي مستوحاة من دراسات أرثوذكسية** صدرت منذ أكثر من ربع قرن بلغات أوربية مثل اليونانية، والفرنسية، والإنجليزية. هذه الدراسات ليست غريبة عن الذين عاشوا في بلاد المهجر، وقد قرأها الكثيرون ممن تعلموا اللغات الأوربية بحكم المهنة أو بحكم ظروف المهجر والصلات الروحية والثقافية. وقد كان المتنيح الأنبا بيمن أبي الروحي، والذي ولدني بالحق في المسيح، هو الذي قدم لي ولكثيرين، مطبوعات النور الأرثوذكسية، وكتابات المطران چورچ خضر، مطران جبل لبنان الأرثوذكسي، والمفكر والمربي الأستاذ كوستي بندلى. وكان الأنبا بيمين أيضًا هو المشجع الرئيسي لقرائتي لكتب معهد سانت ڤلاديمير الأرثوذكسي (نيويورك). بل وكنت قد ترجمت له عدة مقالات في الستينيات، ومنذ ذلك الحين بدأت أكتشف كنوز التراث الأرثوذكسي وأعشقه عشقًا. ثم باركني الله بمرضي، بجلطة في القلب، قلت بسببها قدرتي على الخروج في الأمسيات والإجازات، فزرعت أوتاد خيمتي في كتب التراث الأرثوذكسي، بعد أن إكتشفت فيها متعة وسعادة وصحة تفوق ما كان عندي قبل مرضي منذ

عام (١٩٨٩). وإكتشفت أيضًا ما قصده الرب بقوله أن «كل كاتب متعلم يخرج من كـ ه جددً وعتقاء ».

فالجديد في **فكر الآباء هو** جمال **تفسيرهم** لم**عاملات الله، حتى ما قد يبدو منه القسوة أحيانًا!!** والعتيق في فكرهم وأقوالهم كينابيع شهد لا تنضب، وكخمر معتقة مفيقة ألهمها الروح القدس « القديم الأيام » و « المحيي ».

وسرعان ما تعرفت على اللاهوتيين الأرثوذكس دارسي الآباء أمثال الأب چورچ فلوروڤسكي (عميد كلية سانت ڤلاديمير) والأب رومانيدس، والأب مايندورف، والأسقف كاليستوس وير، والأستاذ كارميريس. ومن الجيل الجديد كريستوس يناراس وچون سيزيولاس، وقبل هؤلاء الأب ڤلاديمير لوسكي وپول إفدوكيموف، والأب ستانيلوى.

ومن مصر تعرفت على الأستاذ حبيب جرجس، وقداسة البابا شنودَه الثالث، والقمص متى المسكين، والأب بيشوي كامل، والأب تادرس ملطي، ممن إهتموا بتراث الآباء؛ ثم الأستاذ وليم سليمان قلادة، الذي قدم لنا كتاب دسقولية الرسل والدكتور نصحي عبد الشهيد وأخوته في مركز الدراسات الآبائية.

وأنا هنا لا أحاول مراجعة تاريخ حركة النهضة الأرثوذكسية، فهذا ليس هدف هذه الدراسة، وإنما أردت أن أذكر بعض ممن قدموني للتراث الآبائي الأرثوذكسي، وقدموه إلي في جماله وعمقه.

حقيقة الفرق بين الشرق والغرب :

كانت مقالات ودراسات الأب الكسندر شيمان، الأرثوذكسي، «من أجل حياة العالم» ثم « لاهوت الليتورچية»، وهي من الدراسات الأرثوذكسية التي صدرت في الستينيات هي بداية هذا البحث. وقد حظي كتاب من « أجل حياة العالم » ، وهو عن الإفخارستيا، بمكان مرموق لدي الكاثوليك والبروتستانت، لأنه أجاب عن سؤال هام: **لمن قدم الآب إبنه؟**

وجاء الجواب من الممارسة الكنسية، أي من الليتورچية. قدم الآب إبنه إلى العالم،

ذلك **لأن الخليقة هي التي « تحتاج »** إلى المسيح ربًا وفاديًا ومخلصًا وطعامًا وحياة وشرابًا!!

ثم سؤال آخر : **ولمن قدم الإبن الروح القدس؟**

وجاء الجواب من الممارسة الكنسية، قدمه إلى الكنيسة فهي التي تحتاج إلى عطية الروح القدس ومواهبه وسلطانه.

وجاء كتاب « لاهوت الليتورچية » ، وهو كما يقول الأب شميمان نفسه أنه، مجرد مقدمة ليطرح عدة أسئلة هامة عن دور الممارسة الكنسية في التعرف على العقيدة الأرثوذكسية نفسها. ذلك لأن الممارسة الكنسية هي أحد الجوانب الهامة في تراثنا الشرقي، والممارسة هي الصلاة والطقوس التي من خلالها نشترك في أقدس الأسرار، أو «سر الأسرار»، وهو سر جسد ودم ربنا يسوع المسيح نفسه، وماذا تعلمنا هذه الممارسة وما هو دو الإفخارستيا في خلق رؤية روحية للمسيحية وبشكل خاص للإفخارستيا...

كل هذه الأسئلة أجاب عليها الأب الكنسدر شميمان، وترك لنا المجال لكي نعود إلى الممارسة الأرثوذكسية في كنيستنا القبطية التي تشترك مع الكنائس البيزنطية في تراث ليتورچي واحد، يحمل أسماء قديسي الكنيسة الجامعة: باسيليوس الكبير - وغريغوريوس النيزي (اللاهوتى).

وقراءة سريعة لصلوات كنيستنا ومقارنتها بصلوات الكنائس البيزنطية كافية لأن تقنع القارئ بأننا إزاء تراث واحد، ولاهوت واحد، بل أحيانًا ذات الكلمات!!!

وكان أحد أسباب الإطمئنان إلى صحة ما يذكره الأب الكسندر ليس كونه أرثوذكسيًا فقط، وإنما كان كل ما يقوله قد ورد بالنص وبذات الكلمات في الليتورچيات القبطية.

ولم يكن لدي كل من يقرأ الأب الكسندر أي صعوبة في قبول ما ذكر، ليس لأنه واضح وسهل فقط، بل لأن كل ما يذكره ورد بنفس الكلمات في عظات

كيرلس الأورشليمي وغيره من الآباء. وتفرعت الطرق عند الممارسة الكنسية لأسباب يذكرها الأب شيمان، وهي حقائق تاريخية لم ندرسها في الشرق، ولكن درسها الآباء الذين كتبوا في العصر الحديث من روس ويونان وأمريكان وإنجليز من الذين ولدوا في الأرثوذكسية مثل لوسكي أو الذين إنضموا إلى الأرثوذكسية مثل الأسقف كاليستوس وير. هذه الحقائق هي :

أولاً : نشأة وتطور اللاهوت المدرسي في الغرب إبتداء من القديس أوغسطينوس حتى حركة الإصلاح في القرن السادس عشر.

ثانيًا : إنفصال اللاهوت المدرسي Scholastic Theology عن الحياة الروحية النسكية وعن الأسرار، وعن صلوات الليتورچية، وإعتماده على الفلسفة السائدة.

وعن الموضوع الأول قال كل المؤلفين الأرثوذكس أنه سبب كل المشاكل التي ظهرت بين الشرق والغرب!! ونحن في الشرق نعرف القليل عن اللاهوت المدرسي، وكان من الضروري، إذن، العودة إلى دوائر المعارف اللاهوتية الغربية التي كتبت عن هذا اللاهوت وحصر أهم جوانبه وموضوعاته.

اللاهوت المدرسي Scholastic Theology :

هو لاهوت عقلي نظري يهتم ببحث كل الأسئلة الخاصة بالعقيدة المسيحية والرد عليها من خلال الفلسفة السائدة والعلوم وغيرها. ومعنى هذا أن أي سؤال عن عقيدة التجسد أو الثالوث إنما يجد الجواب في المعرفة الفلسفية والإنسانية بكل فروعها. **فهو لاهوت يستند على المنطق لكي يحول العقيدة المسيحية إلى قواعد منطقية!!** وأحد مؤسسي هذا النوع من الفكر والتفسير هو القديس أنسلم، رئيس أساقفة كانتربري (إنجلترا)، في القرن الحادي عشر، وهو صاحب العبارة الشهيرة : «أؤمن لكي أفهم».

وهي عبارة مأخوذة أصلاً عن القديس أغسطينوس. ويبدو لمن يقرأ هذه الكلمات أن هذا النوع من اللاهوت الغربي هو فرع هام ومطلوب، ولكن الدراسات الأرثوذكسية تقول غير ذلك، لأ ا ُتلخص أخطار هذا الفكر اللاهوتي في النقاط التالية:

(١) نزع صفة « السر » Mystery عن التعليم العقيدي، إذ أن التأمل العقلي جائز، ولكن خضوع السر إلى قواعد فلسفية يجعل الإيمان بقضايا واضحة عقلية هو نهاية السر نفسه، وحلول المنطق محل النعمة، نعمة الإستنارة التي يعطيها الروح القدس.

وقد أدرك أساتذة اللاهوت من الكاثوليك هذه الحقيقة في بداية القرن التاسع عشر. ولعل الذي تابع مجمع الفاتيكان الثاني قد أدرك أن الإبتعاد عن اللاهوت المدرسي كان وراء القرارات التي صدرت بإصلاح الممارسات الليتورجية والطقسية والقانون الكنسي.

(٢) تحول الإيمان من تأمل لطبيعة الله التي تفوق الوصف والإدراك إلى **تأمل لما هو قابل للإدراك والتحديد والحصر حسب قواعد المعرفة الإنسانية،** وبالتالي إهمال ما ساد عند الآباء جميعًا والذي عبّر عنه الأب ڤلاديمير لوسكي بإسم Apophatic Theology ، أي اللاهوت السلبي الذي ينقي عقل الإنسان من كل محاولات تشبيه الله بالإنسان.

وكمثال لما نقول: جاء اللاهوت المدرسي بنظريات عديدة عن تجسد الإبن وعن الثالوث. **وجاءت أول نظرية للقديس أنسلم، عندما يتأملها القارئ لا يجد فيها أي عيب أو قصور منطقى!!!** ولكن إذا قارنا هذه النظرية بما ورد في الكتاب المقدس نفسه، نجد أنها تفتح باب نقد عقلي وفلسفي وقانوني، بل وأخلاقي أيضًا، لما قاله أنسلم نفسه!!. فهو يقول **أن سقوط الإنسان جعل الإنسان مديّنا لله؛ وأن خطية الإنسان هي إعتداء على كرامة الله، وأن كل هذا يتطلب تقديم ترضية Satisfaction لله الآب ترد له تعويضًا عن الإهانة التي لحقت بكرامته وعدالته** (وسوف ندرس هذا تفصيلاً في أجزاء متعددة من هذا البحث). ولما عجز البشر جميعًا عن تسديد هذه الترضية، جاء الإبن المتجسد ودفع الترضية المناسبة. وهنا نلمح ما يأتي :

- إستغنى أنسلم عن محبة الله تمامًا، لأن الحب لا يخضع لقواعد المنطق.
- أهمل أنسلم الفارق بين الله والملك، وبين الإنسان حبيب الثالوث والأجير عند الملك.

- جاء أنسلم بتعريف للخطية هو وليد عصر الإقطاع الأوربي (على خلاف تعريف الكتاب المقدس) حسب دراسات كل الذين درسوا كتابات أنسلم.
- أخضع أنسلم الإيمان لقواعد البحث القانوني والفلسفي وبذلك فتح باب النقد القانوني والفلسفي للإيمان، والذي نشأ ونما بعد ذلك في أوربا كلها، في بداية القرن الثامن عشر، مع تصاعد حركة الإلحاد الأوربي التي بدأت منذ عصر النهضة الأوربية، والتي تحمل نقدًا مريرًا للفكر العقلي المسيحي النابع من اللاهوت المدرسي.

وطبعًا يبرز سؤال هام لا يمكن تجنبه: **هل سوف نحفظ ما تسرب إلينا من لاهوت مدرسي من خلال مؤلفات الإرساليات الأوربية لكي نعاني نحن أنفسنا مما عانته أوربا؟!** ألا يمكن تجنب هذا الفرع من اللاهوت لكيما نعود ونشرب من ينابيع اللاهوت الأرثوذكسي الشرقي، ينبوع الرسل والآباء المؤسس على نعمة الحب الإلهي والنعمة المجانية؟

إنفصال اللاهوت المدرسي عن ينابيع المسيحية في الشرق، في الحياة النسكية والليتورچية:

يخلق الإلتزام بالفكر الفلسفي، مهما كانت المدرسة الفلسفية، الإبتعاد عن الحياة النسكية التي لها فلسفة الفقر والطاعة والموت الإختياري عن العالم. وهذه أمور لا نجدها عند أرسطو الذي يعتبر دعامة اللاهوت المدرسي، لأن منطق أرسطو ومبادؤه الفلسفية تعفي الإنسان من الصوم والصلاة، لأن إكتشاف الحق والسعي وراءه بأدوات المنطق أهم بكثير من النسك والصلاة. حقيقي أن توما الأكويني، وهو أكثر من إستعان بأرسطو، كان راهبًا ناسكًا وقديسًا، ولكن تلاميذه كانوا أكثر صرامة وقسوة. وما أسهل أن تتحول نذور الرهبنة إلى فروض وطاعة عمياء يفرضها القانون، وهو أحد روافد اللاهوت المدرسي نفسه؛ و ذا تصبح مادة القانون مقدسة مثل الفلسفة. ولعل تعليق الأب الكسندر شيمان، عن عجز توما الأكويني عن إقتباس نص واحد من الليتورجية الكاثوليكية، يؤكد أن اللاهوت العقلي المدرسي لا يهتم بالصلاة ولا بالممارسة، ولم ينشأ ليشرح الإيمان على أساس الممارسة، بل نشأ دفاعًا عن قضايا ومعضلات فكرية ذات أهمية قصوى في

الحضارة الغربية، ولكنها لا تخص الحياة المسيحية نفسها كحياة الكنيسة، بل تخص وضع المسيحية كديانة سائدة في الحضارة الأوربية. فالفارق بين الحياة الكنسية والوضع الاجتماعي والثقافي للديانة كبير جدًا: فالأولي تحرص على الصلاة والنسك وممارسة الأسرار وإكتشاف إرادة الله بواسطة حياة القداسة وإرشاد الروح وعمل المحبة، أما الثانية فتحرص على الدفاع والحوار والتحصن في قواعد القانون والمنطق الفلسفى. وإن كانت رسالة الحوار المنطقي هامة، إلا أ ا لا يجب أن تصبح هي الإنجيل المبشّر به وجوهره.

ولعل أحد الدلائل على هذا الواقع المؤلم أن الكتابات الروحية للنساك الكاثوليك والكتب التي سبقت أو ظهرت بعد العصر الوسيط، لم يكن لها نصيب من الدراسة كما كان لكتب اللاهوت المدرسي مثل كتابات أنسلم وتوما الأكوينى. لذلك ظلت الحياة الروحية النسكية بعيدة عن الدراسات الأكاديمية وحتى حركة الإصلاح لم تغير من هذا الوضع لأ ا إنما كانت تدور في نفس الإطار المدرسي نفسه.

ختامًا لهذا الجزء أقول، أن لهذه الأسباب التاريخية أردت أن أكتب هذا البحث وفي قلبي رجاء أقدمه للكنيسة :

أولاً : لابد لنا من العودة إلى ليتورچيات الكنيسة لشرح الإيمان ولكي تمدنا هذه الصلوات بالرؤية الروحية للإيمان الأرثوذكسى. فصلوات الكنيسة هي النار الممحصة التي تمحص الأفكار والآراء.

ثانيًا : لا يجب أن نصلي بعبارات عن الثالوث القدوس ومحبته المعلنة في الصليب والقيامة، ثم نشرح الإيمان بعبارات غريبة مؤسسة على فلسفة اللاهوت المدرسي الناقص في المحبة.

العدالة الإلهية
حـــياة لا مـــوت
ومغفـــرة لا عقوبـــة

بقلم الأب چورچ فلوروڤسكي
أستاذ اللاهوت الأرثوذكسي بجامعة هارڤارد
وعميد معهد سانت ڤلاديمير بنيويورك
من كتابه : الخلـــق والفـــداء(*)

ضرورة الموت على الصليب، الذي جازه الرب، تفوق كل وصف وقدرة على الإدراك. **والكنيسة** لم **تحاول أبدًا تعريف وتحديد هذا السر غير المدرك**. إن الألفاظ والتعبيرات المجازية التي وردت في الكتاب المقدس كافية جدًا. وأما شرح موت الرب على الصليب حسب الفكر الأخلاقي، الذي حاوله بعض اللاهوتيين غير الأرثوذكسيين المعاصرين، فلن يفيد.

الفكر القانوني الحقوقي هو لا يزيد عن كونه نوع من اللغو الباهت اللـــون!!
[هذا الفكر القانوني في تفسير موت المسيح إنتشر في القرون الوسطي في الغرب واستمر مع عصر الإصلاح البروتستانتي. ومقتضاه أن ذبيحة المسيح كانت أساسًا **لتسديد ترضية قانونية للعدالة الإلهية التي أهينت بالخطية**؛ وذلك بأن مات المسيح متحملاً غضب ولعنة الله الموجهة ضد الخاطي، ففدي الإنسان بأن صار المسيح هو **البديل القانوني الذي تحمل العقوبة**، بدلاً من الإنسان الذي حكم عليه الله، بإرادته وتدبيره، بالموت **كعقوبة إلهية تسدد** لله **ثمن الخطية**. هذا فكر أنسلم أسقف كانتربري الكاثوليكي، وقد طوّره توما الإكويني، ثم ورثه عنه بتطرف أشد مارتن لوثر وكالڤن. سندرس هذا كله تفصيلاً].

(*) Creation and Redemption, pp. 100-104.

(١) وحتى فكرة الذبيحة ليست بكافية لوصف سر موت المسيح على الصليب. ذبيحة المسيح، ليست بأي حال نوعًا من العطاء أو التسليم: هذا لا يمكنه شرح سبب وضرورة الموت. إن حياة الإبن كانت كلها عبارة عن ذبيحة متكاملة ومتواصلة. لماذا إذن لم تكف حياته الطاهرة؟ لماذا كان ينبغي القضاء على الموت بالموت...؟! لم يكن المسيح ذبيحة مستسلمة وسلبية، بل كان منتصرًا غالبًا حتى في أحلك أوقات المذلة!!

لا، ولا حتى فكرة العدل الإلهي يمكنها شرح معنى ذبيحة الصليب. فكرة التسديد ودفع الثمن، أو الإعفاء أو الفدية، لا يمكنها وصف سر الصليب.

وأخيرًا فكرة العدل المعاقب بالألم والموت: لا يمكن أن نتصور أو نقبل وجود أي قصاص أو عقوبة في آلام وموت الرب، لأن هذا لم يكن تألم وموت إنسان عادي ...

(٢) **لذلك لا يمكننا أيضًا شرح الفداء بواسطة نظرية الإبدال القانوني (مارتن لوثر - القرن ١٦) ولا بواسطة الترضية البديلة** (أنسلم أسقف كانتربري - القرن ١١) كما عند المدرسيين Scholastics ليس لأنه مستحيل؛ لقد أخذ المسيح عليه مسئولية خطايا العالم. ولكن لأنه من المستحيل أن نقبل أن الله يسعى لأذية أي إنسان!!

إن الله يتألم ويحزن لآلامنا فكيف يؤلمنا هو (بتدبيره وإرادته)؟ كيف يلقي الله بإبنه المتجسد لموت جزائي (عقوبي)، وهو القدوس؟ وكيف إذا كان الموت نتيجة الشر وأجرة الخطية وموجود فقط في مجال ونطاق الشر، ويكون الله هو مدبره؟!

هل حقًا أن العدل يقيد الحب والرحمة، وهل كان الصلب ضروريًا لإعلان الحب الإلهي الغافر؟! **إنما العدل يعلن** في **الخلاص وفي إخلاء الذات** Kenosis، وليس باستعراض القوة والقدرة!

ربما كان تجديد وإعادة خلقة الإنسان الساقط، **بإستعمال القدرة الإلهية**، يبدو أبسط وأكثر رحمة. ولكن، للغرابة، أن ملء الحب الإلهي يريد أن يحفظ لنا

حرية الإرادة الإنسانية، مما نظنه عادة حملاً مؤلمًا لأنه يطالبنا بمسئولية تعاون حريتنا مع الله! **[أي أن إلغاء الموت بقرار إلهي، يلغي حرية الإختيار** بين **الحياة والموت عند الإنسان]**.

الخلاص لابد وأن يحدث بمشاركة الحرية الإنسانية وإستجابة الإنسان. صورة الله في الإنسان لا تتحقق إلا من خلال الحرية، والتي عادة تبدو لنا حملاً ومسئولية ثقيلة. إ ا ضرورة للصعود نحو **غاية وجودنا: تأله الإنسان**!! ألا ترون أن هذا التأله هو فعلاً حمل على الإنسان الأناني الذي هو سجين ذاته والمكتفي بما هو عليه؟! ولكن هذا الحمل هو عطية الله، وعلامة حبه العظمي نحو الإنسان.

وإذا سألنا : إلى أي شيء يرمز الصليب؟ قلنا،

الصليب ليس رمزًا للعدل، بل رمز للحب.

القديس غريغوريوس اللاهوتي يلخص كل هذه التساؤلات في الفقرة التالية:

> « لمن سفك الدم الذي سفك لأجلنا، بل ولماذا سفك؟!
>
> إن قلنا للشيطان فهذا أمر فظيع، هل يأخذ اللص فدية؟!...
>
> أما إذا كان الثمن قد دفع للآب، فأنا أسأل أولاً: كيف؟ لأن الآب لم يمسكنا كرهينة. ولماذا سُر الآب بدم إبنه الوحيد وهو الذي لم يقبل ذبح إسحق حينما قدمه إبراهيم ذبيحة محرقة كاملة، بل بدل الذبيحة بكبش؟
>
> أليس الأمر واضحًا، **أن الآب قد قبل الذبيحة ليس لأنه طلبها، أو كان** في **إحتياج إليها، ولكن لأجل تدبيره: لأن الإنسان لابد أن يقدس بإنسانية الله** (ناسوت المسيح)؛ والله نفسه يجب أن يخلصنا بأن يغلب المستبد بقوته هو، وأن يردنا إليه بواسطة الإبن.»

بكل هذه الأسئلة يؤكد غريغوريوس أن **الصليب لا يمكن تفسيره بأي أسلوب يقوم على فكرة العدالة** [بحسب عدالة البشر التي تكيل جزاء مساويًا في المقدار والنوعية لأي عمل، خيرًا كان أم شرًا؛ أما عدالة الله فهي عطاء بلا حدود ولا قانون من مالك الكل إلى الخليقة الخارجة من العدم!]

بل الصليب يفسر بفكرة « تقديسنا ببشريته » (أي بإتحاد طبيعة الله ببشرية المسيح التي هي نحن: من لحمه وعظامه - إف ٥: ٣٠).

الفداء ليس غفران الخطية فقط، ولا مجرد المصالحة مع الله. الفداء هو محو الخطية كلية، والموت نتيجتها... لذلك الغلبة والنتيجة النهائية ليست في الآلام وتحملها، بل بالقيامة بعد الموت. هنا ندخل إلى عمق وجود الإنسان وكيانه. **موت الرب كان الغلبة على الموت والفساد، وليس فقط مغفرة الخطايا، ولا مجرد تبرير الإنسان، ولا ترضية لعدالة مبهمة غير مفهومة. مفتاح السر يدرك فقط بالتعليم الصحيح عن موت الإنسان (وقيامته).**

- الفكر القانوني لا يزيد عن كونه نوع من اللغو الباهت اللون...
- لا يمكن أن نتصور أو نقبل وجود أي قصاص أو عقوبة في آلام وموت الرب... لقد حمل عقوبة الموت الذي تجلبه الخطية لكي يدوس الموت بالموت، لا لكي يعاقب به من قبل عدالة إلهية من وحي خيال البشر...
- إن الله يتألم ويحزن لآلامنا، فكيف يؤلمنا هو بتدبيره؟ وكيف يلقي بابنه المتجسد لموت جزائي وهو القدوس؟
- كيف إذا كان الموت نتيجة الشر، وأجرة الخطية، وموجود فقط في مجال ونطاق الشر ويكون الله هو مدبره؟
- كيف يكون الموت هو «آخر عدو يبطل» (١كو ١٥: ٢٦) ويكون الله هو مدبره والراغب فيه، لكي يفصل به الخليقة عن محبته؟!!!

تمهيد

الله ولغة البشر

God and

Anthropomorphic Language

القانون الوضعي والعدل الإلهي يختلفان تمامًا. وما نراه على صفحات بعض كتب اللاهوت يحتاج إلى مراجعة على ضوء كلمة الله وتعليم الآباء القديسين. ولعل أول ما يجب أن نناقشه هو علاقة الإيمان والعقيدة، بلغة البشر بما فيها من أمثال ومجازات وغيرها.

قال القديس مار إسحق السرياني:

> « **لا تدعُ الله عادلًا،** لأن عدالته لا تعلن في الأمور المتعلقة بك.
>
> أين إذن عدالة الله؟! الذي **هو صالح** حسب كلمات المسيح مع الأشرار وغير الأتقياء»!!
>
> (Christos Yannaras - Elements of Faith -, T&T Clark, p.83)

ويكمل هذا القديس المملوء رقة وحبًا في حديث له عن موقف الله من العقوبة التي تنتجها الخطية

(Mystic Treatises of Isaac of Nineve, translation by A.J. Wensinck, :1923 - g Pt I, pp. 59, 128, 136, 241)

> « **إن كنا نتخيل أن الغضب أو الغيرة أو ما يشابه له أي صلة بالطبيعة الإلهية فهذا شيء كريه بالمرة لنا** : لا يوجد عاقل عنده فهم بالمرة ويمكنه أن يتصور، ذا الجنون، شيئًا مثل هذا عن الله. **ولا نستطيع أيضًا أن نقول**

أنه من قبيل العقوبة يتصرف، حتى ولو كان الكتاب المقدس من الظاهر يُعلن ذلك!! مجرد التفكير هكذا عن الله، وتوقع أن عقوبة الشر موجودة عنده شيء كريه.. لأنه تجديف أن نظن أن الله يكره أو أنه يرفض الخليقة أو حتى الشياطين؛ أو أن نتخيل أي ضعف أو قابلية للأهواء [بالصورة البشرية] أو أي شيء آخر يحتمل وجوده بصدد الجزاء سواء للخير أو للشر... هذا الإدراك المذهل، يقودنا إلى الحب والدهش نحو الخالق، وهو ينتمي لهؤلاء، أعمدة الكنيسة ثيودور وديودور. هذه الآراء سوف تطرح خارجًا من تفكيرنا كل فكر طفولي عن الله، مما يشرحه هؤلاء الذين يدخلون الشر والأهواء في طبيعته، ويقولون أنه يتغير بالظروف والزمن...

ليس لأن عبارات الغضب والكراهية وما شابه تستعمل لوصف الخالق، فنتخيل أنه هو حقيقة يعمل أي شيء بالغضب والكراهية أو الغيرة. **هناك مجازات كثيرة في الكتاب المقدس عن الله، ألفاظ بعيدة تمامًا عن طبيعته الحقيقية.** وتمامًا كما أن عقولنا أصبحت تدريجيًا أكثر استنارة وحكمة، في فهم مقدس للأسرار المخفية في الكتاب المقدس وحديثه عن الله، **أيضًا لا يجب أن نفهم كل شيء بصورة حرفية كما كتبت، ولكن يجب أن نري، ما هو مخفي في الجسم الخارجي لما هو مكتوب،** العناية والمعرفة غير الزمنية التي ترشدنا جميعًا...»

وفي كتاب عن « صفات الله » للدكتور موريس تاوضروس، أستاذ اللاهوت الكتابي بكلية اللاهوت القبطية الأرثوذكسية حديث يؤكد روح اللاهوت الشرقي كما شرحه القديس مار إسحق، كتب في ص ٥٥- ٥٩ :

« إن صـ ـ فات الله هي تعبيراتنا التي ننسبها إلى الجوهر الإلهي، وهي تعجز عن أن تقدم وصفًا كاملاً عن هذا الجـ ـ ـ وهر، بسبب محدودية إدراكنا وعقولنا البشرية. لذلك فإن صـ ـ ـ ـ فات الله تحمل على الدوام عنصرًا بشريًا مهما حاولنا أن نخلص الصفات الإلهية من هذا العنصر. والكتاب المقدس يقيم إعتبارًا للضعف البشري ولمحدودية العقل الإنساني، لذلك ينسب إلى الله صفات وعواطف مما نجده في عالم الإنسان. أي يبدو الله وله يد وعين وأذن، وأحيانًا يرضي وأحيانًا يغضب!!

وبلا شك فإن من واجب العقيدة أن تبعد عن الله كل صفة بشرية، وأن

تؤكد أن الكائن الأعلى إله وليس إنسانًا. وهذه التشبيهات البشرية، يجب أن لا تقودنا إلى رسم صورة بشرية لله ليفعل كل ما يفعله البشر...

علي أننا إذا كنا ننسب إلى الله بعض التشبيهات البشرية حتى يمكننا بقدر ما أن ندرك الحقيقة الإلهية، فإننا يجب من ناحية أخري أن نبحث عما تدل عليه هذه التشبيهات أو عما تتضمنه وتشير إليه من حقائق إلهية، واضعين في أذهاننا أن كل ما ينسب إلى الله من أمور حسية يحمل معني رمزيًا وروحيًا. **وعلينا أن نبحث عن هذا المعني المختفي وراء هذه التشبيهات المادية.»**

كيف نفهم الغضب الإلهي حسب شرح يوحنا كاسيان بعد ما سمع تعليم آباء البرية

مقدمة تاريخية:

ولد يوحنا كاسيان حوالي عام **٣٦٠** في مقاطعة Dacia وهي الآن في جمهورية رومانيا. وسيم شماس بواسطة القديس يوحنا ذهبي الفم حوالي عام ٤٠٠. زار يوحنا كاسيان الإسقيط وأديرة الصعيد ورهبانيات فلسطين. وقد كتب أول كتاب عن النظام الرهباني وهو «مبادئ أو نظام حياة الشركة وعلاج الرذائل الثمانية الكبري» وعرف الكتاب بعد ذلك بالاسم «المختصر» institutes أي النظام أو المبادئ (وليس المؤسسات).

نشر الكتاب في عـدة طبعـات في مجموعـة الآبـاء اللاتين وتُرجـم إلى الإنجليزيـة عام ١٨٨٨ وأخير صدرت الطبعة الجديدة وهي ترجمة جديدة نشـرها الأب Boniface Ramsey في سلسـلة Ancient Christian Writers مجلد رقم ٥٨ عام ٢٠٠٠ ودار النشر هي The Newman Press في الكتاب الثامن قدم كاسيان خلاصة التعليم المسيحي تحت عنوان روح الغضب. وسوف يلاحظ القارئ أن **كاسيان يصف إنفعالات الغضـب والسخط بأ ا تجديف شنيع**. وقد روجعت الترجمة العربية على الأصل اللاتيني والترجمة الإنجليزية الحديثة صفحات ١٩١ ـ ١٩٥.

إستخدم كاسيان الترجمة السبعينية للعهد القديم وقد وضعنا حرف «س» للدلالة على مصدر نص الكتاب المقدس.

الكتاب الثامن:

الفصل الأول:

(١) يجب في الجهاد الرابع قلع سم الغضب القاتل من جذوره في أعماق النفس، لأنه إذا بقي روح الغضب واستقر في قلوبنا، إظلمت عقولنا وفقدت عن العقل قدر ا على الرؤية لأن الغضب يصيب بالعمي وبظلمة ضارة تجعل الرؤية الروحية مستحيلة. فلا نقدر على الحكم الصائب في أمر من الأمور، بل يتعذر علينا التأمل الصالح الذي ينمي الحكمة فينا، بل لا نقدر على أن نثبت في الصلاح، أو نقبل النور الحقيقي الروحي، لأنه مكتوب «عيني قد تعكرت من الغضب» (مز ٣١: ٢٩).

(٢) وقد يمدحنا الناس كحكماء ولكننا لن نكون حكماء إذا لازمنا الغضب لأنه مكتوب «الغضب يسكن مستريحً في صدر الأحمق» (جامعة ٧: ١٠ س). وهو ما يعرضنا لأن نفقد ميراث الحياة الأبدية. وقد يظهر لنا أننا نفهم الطبيعة الإنسانية وندرك أسرارها، ولكن إذا ظل الغضب فينا، تم فينا ما هو مكتوب «الغضب يدمر الحكماء.» (أمثال ١٥: ١ س). ويحرمنا الغضب من إدراك «بر الله» لأننا بسبب الغضب نفقد التمييز (الإفراز) ومع أن الناس قد يقولوا عنا أننا قديسين وكاملين إلا أنه مكتوب «غضب الإنسان لا يصنع بر الله.» (يع ١: ٢٠).

الفصل الثاني:

يحاول البعض تبرير الغضب، هذا المرض القاتل للنفس، بأدلة من الأسفار الإلهية التي يفسرو ا تفسير غير سائغ. **يقول هؤلاء أن الغضب ليس ضار حتى إذا غضبنا على الإخوة الذين يخطئون، لأن الله نفسه يسخط ويغضب على الذين لا يريدون أن يعرفوه أو يعرفونه، ومع ذلك يرفضونه.** ومن الأمثلة التي يقدمو ا كلمات الأسفار «غضب الرب وإشتعل سخطه على شعبه» (مز ١٠٦: ٤٠) أو عندما يصلي النبي ويقول «يارب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بسخطك» (مز ٦: ١) ولا يفهم هؤلاء أ م **عندما يحاولون ذا الإصرار على تأكيد وتبرير الغضب إنما يقودون غيرهم إلى التمسك برذيلة ضارة وفي نفس الوقت يمزجون ضلال شهوة جسدانية بنقـاء الله غير المحدود والذي هو مصدر كل نقاء.**

الفصل الثالث:

نحن نقع في خطأ كبير إذا حاولنا أن نفسر ما يقال عن الله في الأسفار المقدسة تفسير حرفياً نابع من الفكر الجسداني الذي يتصور أن الله ينام لأنه قيل «لا ينعس ولا ينام» (مز ١٢١: ٤) فالله لا ينام رغم أنه قيل «قم يارب لماذا تنام» (مز ٤٤: ٢٣) أو أن الله يقوم ويجلس «السموات هي كرسيّ والأرض موطئ قدميّ» (مز ٦٦: ١س) أو أن الله يسكر ويشرب الخمر لأنه قيل «قام الرب مثل النمل ومثل جبار سكر بخمر» (مر ٧٨: ٦٥ س) لأننا نعرف أن الله «له وحده عدم الموت ساكناً في نور لا يدني منه» (١تيمو ٦: ١٦). ولست أريد أن أتحدث عن صفات بشرية أخري مثل الجهل والنسيان الذي ينسب لله في الأسفار المقدسة وأيضاً ما ينسب له من أعضاء جسدية مثل: الشعر، الرأس، الأنف، العينين، الوجه، اليدين، الذراعين، الأصابع، البطن، والقدمين.

لأننا لو فهمنا هذه الأعضاء حسب المعني الحرفي الحسي فإننا سوف ننتهي إلى أن الله مكون من أعضاء جسدية وله شكل مادي محسوس، **وحاشا لنا أن نصل إلى هذه النتيجة الشريرة**.

الفصل الرابع:

(بعد أن يشـرح كاسيان المعني الرمزي للأعضاء الجسدية الإنسانية المنسوبة لله في الفقرات ١ ـ ٢ يواصل شرحه للغضب والسخط:)

(١) **كل هذه الأوصاف البشرية إذا أخذناها بمعناها الحرفي، تحولت إلى تجـديف شنيع horrible sacrilege**. لأن سلطان الأسفار لا يسمح لنا إلا بأن نصف الله بأنه: غير منظور، غير موصوف، بسيط، غير مركب. أما إنفعالات الغضب دون أن نشير إلى السخط فلا يمكن أن تنسب للطبيعة التي لا تتغير دون **السقوط** في **تجديف فظيع monstrous basphemy**.

(٢) وعندما نقرأ أن الله غضب وسخط فإننا لا يجب أن نفكر في أن هذه إنفعالات بشرية (هنا وضع كاسيان الكلمة اليونانية المتعارف عليها عند كل الآباء وهي تعني الإنفعالات الإنسانية الشريرة anthropopathos).

بل يجب أن نفكر فيما يليق بالله الحر من كل هذه الإنفعالات، أو بكلمات أخري يجب أن نراه مثل القاضي الذي يحاكم وينتقم من الأعمال الشريرة ويرد الشر على فاعليه. هنا يوصف بمفردات خاصة تولد فينا الخوف من الله الذي سوف يحاكم على كل عمل ضد إرادته.

(٣) ولكن يجب أن نتذكر أن الطبيعة الإنسانية تعودت على الخوف من الذين يغضبون ولذلك السبب تتراجع عن الشر خوفا من غضب هؤلاء. وفي حالات القضاة المشهورين بالعدل الصارم، يخاف منهم الأشرار، لأنهم يعرفون أنهم سوف يوقعون بهم عقوبة صارمة وهذا وحده يزرع الخوف والشعور بالندم في قلوب الأشرار. ولكن القضاة العادلون لا يحكمون ولا يصدرون أحكامهم تحت تأثير إنفعالات الغضب. بل هذه الإنفعالات إذا وجدت فيهم تجعلهم يعجزون عن إصدار الأحكام العادلة. ومع أن القضاة لا يعرفون الغضب، إلا أن الأشرار، بسبب ذنوبهم وخوفهم من الحكم، يتوقعون الغضب عندما يحاكمون وبسبب شعورهم بالذنب يخافون حتى من القضـــاة الودعاء المعتدلين، لأن صدور أي حكم على إنسان شرير يجعل المذنب يشعر بسخط وغضب الحكم ولا يصف قرار القاضي الذي يعاقبه إلا بأنه قرار غضب وسخط.

نستنتج مما سبق أن صفات الله وحقيقة « **تفاعله** » مع الخليقة، لا يجب أن نفهمها على أنها مجرد تكبير وتضخيم لصفات الإنسان ومشاعره. لأن هذا قد يجعلنا نسيئ فهم الله وعلاقته بنا.

الله قطعا يتفاعل مع الخليقة، لأنه أب ولا يمكنه أن يكون سلبيا تجاه مواقفنا منه، أو من أنفسنا، أو الخليقة إذا أسأنا التصـــرف. لأن الرب لا يمكنه أن يري أبناءه ينتحرون بالشر بارادتهم، ولا يعلن غضبه ورفضه لهذا الشر، لأنه يغار بمحبته ورحمته، ولا يترك أبناءه للهلاك وللشر المدمر للخليقة. لأن أجرة الخطيـــة، أي ما يتسلمه الإنسان من الخطية إذا ما تعاقد معها، هي الموت والإنفصال الروحي الأبدي عن الله مصـــدر الحياة والنور والحب. ولكن تفاعل الله لا يجب تفسيره بصورة تظهر الله بأنه هو **«المتغير»**، بل و «القاتل» الذي يقتل الإنسان بسبب عدالة، يسقط الله نفسه تحت سطوتها، وليس له من

سبيل إلاّ الخضوع لها كما لو كان إنسانً مقيد بقوانينه الوضعية!!! يجب أن نعي أن تفاعل الله، «الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران» (يع ١: ١٣) هو تفاعل ينشيء فينا نحن التغيير، من الموت إلى الحياة.. **هذه هي العدالة الإلهية في كمال عمقها...** من له أذنان للسمع وقلب للمحبة فليسمع وليحب. الله يريد أن يوقظنا من غفلة الخطية والموت الروحي، لأن الشر لا يصيب الله في شخصه، حاشا أن نتصور أن **غضب** الله هو كغضب البشر بسبب الإنزعاج والقلق على ذاته، إنما غضبه هو إعلان محبته وغيرته علينا، إذا رآنا نختار الموت حبيبً لنا (الحكمة ١: ١٦) بدلاً من الله. نقمة الله، ليست ضد الخاطئ، إنما ضد الشر وإبليس والموت، لكي ينتقم لنا ويحـررنا من الموت إلى الحياة. هذا هو معني فك رباطات الظلم، كما في صلاة التحليل.

**«اللّٰه صارم جداً، ضد الشر وإبليس والموت
وليس ضد الإنسان.»**

ويقول القديس أنطونيوس الكبير (الجزء الأول من كتاب الفيلوكاليا الفصل ١٥٠ ص ٣٥٢) **قولاً رائع يستحق الدراسة بكل عمق:**

> «الله خيّر وجواد، ولا يخضع للأهواء، وهو غير متغير. ولكن قد يفكر من يؤمن بأن الله غير متغير ويسأل: كيف يمكننا الحديث عن الله بقولنا أنه يفرح بالأبرار ويظهر رحمته لمن يكرمونه، ويحجب وجهه عن الأشرار، ويغضب على الخطاة؟ لهذا السائل يجب أن نقول أن **الله لا يفرح ولا يغضب** (بالصورة البشرية). لأن الفرح والغضب هي عواطف وأهواء بشرية. والله لا يمكن أن تستميله وتغريه عطايا من يكرمونه، لأن هذا يعني أنه يسعي إلى التمتع (بالصورة البشرية). ولا يصح أن نعلم أن اللاهوت يتأثر بالمتعة بصورة إيجابية أو سلبية، بسبب الأحوال البشرية المتغيرة. **الله** صالح **وهو فقط** يمنح **كل عطية صالحة (يع ١: ١٧) ولا** يمكنه **أن يقدم الضرر والأذي، لأنه لا** يمكنه **أن يتغير**.
>
> أما نحن البشر فإذا بقينا صالحين، بمشابهتنا لله، صرنا متحدين معه. أما إذا صرنا أشرار بعدم مشابهتنا لله، **فنحن ننفصل عنه**. إذا عشنا في القداسة نحن نلتصق بالله، ولكن إن صرنا أشرار فنحن نصير أعداء لله.

> ليس أن الله هو الذي يتحول إلى غضوب في علاقته معنا، ولكن خطايانا تحجب نور الله من أن يسطع فينا. و ىذا نحن نعرض أنفسنا للشياطين ليعذبوننا. ولكن إذا كنا بالصلاة وأعمال الرحمة نتوب ونتخلص من خطايانا، فهذا لا يعني أننا قد إستملنا الله نحونا وأجبرناه على التغير (في عواطفه)، ولكن الحقيقة أننا نحن بعودتنا إلى الله، نكون قد شفينا من شرورنا، و ىذا نتمتع مرة ثانية بصلاح الله. **إننا إذا قلنا أن الله هو الذي يتحول بعيد عن الأشرار نكون كمن يقول أن الشمس هي التي تحجب نورها عن الشخص الأعمي.** »

(The Philokalia, translated from Greek by G. Palmer, P. Sherrard, Kallistos Ware, 1984, Faber & Faber, London. Vol 1, p. 352)

فالله يقول لنا بالوحي المقدس: « لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم » (إش ٥٥: ٨-٩). لذلك إن تحدثنا عن عدل الله ورحمته ومحبته فنحن نتحدث عن عدل يختلف إختلافًا جذريًا عن عدل البشر! ولكن الكتاب المقدس، كما قال مار إسحق، **قد يظهر عدل الله من « جهة الظاهر » بصورة تشبه عدل البشر.** والوحي المقدس يريد أن يعلمنا كيف نبتعد عن « الشر الملبس الموت» لذلك يخاطب عقولنا المحدودة بعبارات وقصص ونماذج من حياة الإنسان وعلاقته بالله يشرح لنا فيها كيف أن الشر مميت. لذلك يستعمل عبارات قد يبدو منها أن الله هو مدبر عقوبة الخاطئ ومريدها لكي ينتقم الله من الخاطئ.

ولكن القديس مار اسحق يؤكد أن موقف الله في حقيقته المطلقة ليس كذلك بأي حال، وأن التفكير هكذا هو التجديف بعينه!!! الله لا يدبر الأذي والنقمة. وقد فكر آباء الكنيسة كثيرًا وكتبوا - مثل مار إسحق السرياني - تفسيرات ليعلنوا لنا كيف ندرس ونفهم حقيقة موقف الله العادل من الشر، مع أنه ليس هو مدبر عقوبة الشر بنفسه!! وسوف نرى ونقـرأ نـورًا آبائيـًا في هـذه الصفحات القليلة يؤكد لنا ذلك.

ويجدر بنا أن نتساءل الآن، كيف سمح الله لمن كتبوا الكتاب المقدس أن يستعملوا عنه عبارات مثل :

> « **فحزن** الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، **وتأسف** في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم ... **فها أنا مهلكهم** مع الأرض » (تك ٦: ٦-٣)
>
> « الله يعود **ويندم ويرجع عن حمو غضبه ... ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه** م فلم يصنعه » (يونان ٣: ٩- ١٠)

ونحن نعلم أن السيد المسيح لم يكن، في أي موقف، يريد إهلاك الخاطئ بل أن يرجعه للحياة بالتوبة. وعندما سأله تلميذيه أن ينزل نارًا من السماء على من لم يقبلوه « فتفنيهم كما فعل إيليا»، فالتفت المسيح «وانتهرهما وقال : لستما تعلمان من أي روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص» (لو ٩: ٥٥- ٥٦).

ولعل الإجابة الأوقع على هذا التساؤل تكون من تعليم أستاذ اللاهوت القبطي الأرثوذكسي الدكتور موريس تاوضروس من كتابه « الوحي والتقليد » ص ٣٧، ٣٨.

> « **الروح القـدس لا يلغي شخصية الكاتب** (الذي يكتب أسفار الكتاب المقدس) ولا يفقدها حرّيتها وعملها الخاص (كما قال القديس يوحنا ذهبي الفم)، وإنما يرفعها وينهضها... فإن كل كاتب من هؤلاء الكتاب يتكلم لغته الخاصة **ويعبر وفقًا لتعبيره وأسلوبه الخاص**...
>
> ومما يدل على أن الوحي لا يلغي شخصية الكاتب وأن الكاتب يكتب متأثرًا بثقافته وبيئته،... عدم التزام الكاتب بالحرفية فيما يكتب. ففي قصة عماد المسيح يذكر القديس متي أن صوتًا من السماء قال هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت (مت ٣: ١٧) بينما أن هذا الصوت من السماء قال حسب رواية القديس لوقا: أنت إبني الحبيب الذي به سررت (لو ٣: ٢٢). كذلك **يختلف الأمر** بين **البشائر الأربعة** فيما ذكروه عن النص الذي كتب على صليب السيد المسيح:
>
> - مت ٢٧: ٣٧ « هذا هو يسوع ملك اليهود ».
> - مر ١٥: ٢٦ « ملك اليهود ».
> - لو ٢٣: ٣٨ « هذا هو ملك اليهود ».
> - يو ١٩: ١٩ « يسوع الناصري ملك اليهود ».»

فالله يوحي للإنسان، والإنسان يستقبل الوحي ويشرحه بحسب إختباره وثقافته وبيئته والإدراك العلمي وقت الكتابة. لذلك يستعمل الكاتب مفردات لغته للتعبير ومشاعره هو أيضًا. إلا أن الوحي المقدس يوجه الكاتب أن يقدم رسالة الله لنا « معصومة من الخطأ » **من جهة قصد الله من الرسالة،** وليس من جهة الكلمات والحروف. والمثل المذكور عن إختلاف البشائر الأربعة في ذكر نص ما قد كتب على الصليب يشرح ذلك.

لذلك عندما يكتب الإنسان عن الله أن الله يصنع شرًا، **يشرح الإنسان وجهة نظره وإختباره البدائي عن أن الكارثة الطبيعية هي شر يدبره الله للإنسان!!** ولكننا نرى ونسمع بكوارث كثيرة، بسبب حركة الطبيعة وتحركات الأرض التي تنشيء الزلازل والبراكين، وحيوية الهواء المتحرك التي تسبب الأعاصير. ونعلم أ ا كلها أمور ضرورية لحيوية الكون، ولا نتكلم عنها على أ ا نقمة من الله على الإنسان. لذلك إذا قرأنا في الكتاب، ما يظهر منه على السطح، أن الله ينتقم ويغضب ويدمر، علينا بتذكر حديث مار إسحق السرياني والقديس أنطونيوس الكبير وشرح د. موريس تاوضروس ملخصًا تعاليم الآباء.

وها هو اللاهوتي الأرثوذكسي كريستوس يناراس يشرح لنا في كتابه Elements of Faith, p. 84 ملخصًا آخرًا عن رؤية الكنيسة وتفسيرها لبعض القصص والأحداث في الكتاب المقدس، التي يبدو فيها الله بصورة المنتقم القاسي، عكس ما أظهر لنا في شخص الرب يسوع المسيح الذي هو صورة الآب، أيقونته، ورسم جوهره. وقد وصف الأسقف الأرثوذكسي كاليستوس وير، الكاتب يناراس بأنه أكثر الكُتاب والمفكرين الأرثوذكس الذي له رؤية «نبوية» في اليونان اليوم (كاليستوس وير أسقف وأستاذ الدراسات الأرثوذكسية بجامعة أكسفورد) :

> « **إن الكنيسة تفصل** بين **المجازات المستعملة [** في **الكتاب** المقدس**]** في **وصف العذابات، من الحق الذي** تحاول **هذه المجازات إعلانه.**
> سقوط الإنسان حقيقة، ولا يشكل هذا السقوط مشكلة قانونية، ولكنه أساسًا وقبل كل شيء تشويه للحياة، أسقطت به حرية الإنسان الخليقة كلها - بما أن حرية الإنسان هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يمكن لكل خليقة أن تحقق هدف وجودها. أصبح تشويه الحياة يعني التغرب

والفساد في كل القواعد والأساليب التي تستمر ا الحياة.

في **كل أمثلة العقوبة التي** في **الكتاب المقدس « العقوبات الإلهية » تنظر الكنيسة إلى نتائج التغرب عن الله والتباعد عن الحياة الحقيقية للخليقة**، تنظر إنقسام وتمرد الإنسان الذي شق وحفر بنفسه تلك الهوة بين الخالق والخليقة.

إن اللغة التعليمية التي تستخدم المجاز (والذي لا يجب أن يتحول إلى عقيدة بل يبقي كمجاز تعليمي) هي لغة موجهة في العهد القديم إلى شعب غليظ الرقبة وعنيد. لغة تشرح نتائج الشر بأسلوب وصور يمكن أن يتفهمها الإنسان الساقط. لذلك يشرح الكتاب مستعملاً صورة إله غضوب يسعي لعقوبة التعدي.

ولكن الله ليس بمنتقم كالبشر [إنما ينتقم للخليقة من الشر بالخير وينتقم من الموت بة الحياة!!]. **إنه فقط يشرح إحترامه المطلق للحرية الإنسانية ونتائجها**.

إنه لا يحاول التدخل لإزالة ثمار الحرية المُرة عن الإنسان. لأنه إن فعل هذا فسوف يزيل الحق نفسه من الإنسان، بما يحمله هذا من إزالة الحق من الخليقة أيضًا.

إن محبة الرب تتدخل فقط لتحول عقاب الإنسان، لنفســه بإرادته، إلى تعليم خلاصي [القداس : حولت لي العقوبة خلاصًا - أنا اختطفت لي قضية الموت بإرادتي - وتركت ناموسك برأيي!!].

وقمة هذا التدخل هو تجسد الرب نفسه وقبوله في بشريته المؤلهة كل نتائج تمرد الإنسان، حتى موت الصليب، وذلك ليحول هذه النتائج ذا ا إلى شركة حب مع الآب السماوي».

لغة المجاز والرمزية في الكتاب المقدس، إذن، ضرورة حتمتها سذاجة الإنسان، وعدم قدرتنا على إستيعاب الكثير من أسرار حب الله. وآباء الأرثوذكسية لم يأخذوا كل ما كتب في الكتاب بمأخذ حرفي، إلا ما هو خاص بالعقيدة والتاريخ بشكل واضح وأكيد. ولذلك كان التأكيد واجب وضروري على تاريخية قيامة السيد المسيح بالجسد، وذلك لمعرفة الرسل بوجود أمور رمزية كثيرة في الكتاب المقدس.

وقد استخدم السيد المسيح أحيانًا الرمزية في الحديث عن نفسه وعن ملكوت السموات والموت الأبدي في الأمثال لكي يشرح لنا أمورًا تحتاج إلى تقريب نظرًا لصعوبة وصفها بحرفيتها، كما قال كل من أوريجانس ويوحنا ذهبي الفم.

فعندما شرح أوريجانس قصة الخلق في سفر التكوين شرحها على أ ا لا يمكن أن تكون قصة حرفية، بل هي قصة تشرح أمورًا حقيقية جدًا، عـن كون الله هـ ـو الخال ـ ـق الوحيد، الذي خلق كل شيء من العـ ـدم إلى الوج ـود، ولكن سفر التكوين لا يمكن أن يشرح حرفيًا. فقال أوريجانس (Forster & Marston, Reason & Faith , p. 206, 231) :

> « كيف يمكن لإنسان ذكي، أتساءل، أن يقبل بشكل معقول - بسهولة - أن اليوم الأول والثاني والثالث كانوا أيامًا بدون شمس ولا قمر ولا نجوم، ولا حتى سماء لأ ا خلقت في اليوم الأول؟!!
>
> وَمَنْ مِن السخف بالدرجة أن يصدق أن الله مثل الفلاح يزرع فردوسًا شرق عدن... أو ... عندما يقول أن الله يتمشي في المساء... لا أشك أن أحدًا يمكنه أن يخطئ فهم الرمزية في التعبير، **التي تشرح لنا أسرارًا تاريخية لا تدرك إلا بأسلوب رمزي»**.
>
> « في اللغة العبرية آدم تعني الإنسان، وفي الأجزاء التي يبدو فيها آدم كشخص يتكلم موسي عن الإنسان في عمومه من جهة طبيعته... الله لا يعني شخصًا منفردًا، بل الجنس البشري كله ».
>
> وقال القديس يوحنا ذهبي الفم عن ضلع آدم الذي يرمز إلى الوحدة في الطبيعة بين الرجل والمرأة في اللغة الرمزية : (Reason & Faith - p. 205)
>
> « **لا تأخذوا الكلمات بحسب الفهم الظاهر،** ولكن فسروا عمق معناها من خلال الفهم الإنساني المحدود. كما ترون، إن لم يستعمل هذه العبارات فكيف كان من الممكن أن نفهم نحن هذه الأسرار التي تفوق الوصف؟».

وأما السيد المسيح فقد قال عن نفسه أنه: « الكرمة » - و « حجر الزاوية» - و« باب الخراف »... الخ. **وليس الرب شجرة ولا بابًا ولا حجرًا**!!! إنما هذه المجازات

تشرح لنا طبيعة عمله الذي تعجز اللغة البشرية عن وصفه. هناك فارق بين ما هو **«حق حرفي»** "**exact**" ، وما هو **«حق غير حرفي»** "**True**" but not exact : المسيح وُلِد ومات وقام وصعد.. هذا حق حرفي تاريخي؛ والمسيح هو بالحقيقة الكرمة وحجر الزاوية وباب الخراف... هذا حق ولكنه غير حرفي. وَوُصِفَ العذاب الأبدي في الكتاب المقدس بأنه « ظلمة خارجية » - و « نارٌ وكبريتٌ » - و «شعور بالذبح » - و « دين لا ينتهي» إلا بدفع الفلس الأخير - و « دود لا يموت ونار لا تطفأ » ... وهذه كلها أوصاف من عالمنا لشرح ما لم تسمع به أذن ولم تر عين ولن يخطر على قلب بشر من عذاب الحرمان من الله؛ الله الذي معرفته هي هي الحياة الأبدية ذا ا (يو ١٧: ٣). فإن كانت الحياة الأبدية هي معرفة الثالوث القدوس وعشرته للأبد، فالموت الأبدي واضح أنه ليس في عذابات يمكن شرحها، بل في حرمان عذابه أسوأ من أي نوع من العذاب الذي نعرفه في عالمنا المادي.

وكما قرأنا في حديث مار إسحق السرياني وما تبعه يظهر لنا أن « عواطف» الله و « مشاعره » هي حقيقة تختلف كل الاختلاف عن مشاعر الإنسان. فالعواطف والمشاعر تستلزم عندنا وجود «الزمن »؛ حتى يمكننا أن نقول أن فلأنًا كان حزينًا، وأصبح سعيدًا. أو كان هادئًا وصار غاضبًا. والمشاعر أيضًا تتطلب « التغيّر » من حالة إلى أخري. ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أن **الله « ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يع ١: ١٧)** ولا زمن!! لذلك فإن الحديث عن « الغضب والنقمة والغيظ والندم والتأسف » عند الله هو حديث مجازي يعلن لنا الله فيه أمورًا تتعلق برغبته في أن نترك نحن الشر والخطية ونعود للحياة والحب، وليس ليعلن أن شرنا يصنع فيه هو تغيرًا... حاشا. **الله يغيرنا نحن بعبارة الغضب، وليس هو المتغير.** «غضب الله» موجه ضد الشر وليس ضد الإنسان حبيبه.«غضب الله» هو «غيرته» علينا حينما نختار الموت حبيبًا لنا، بدلاً من الله!

فالله لا يُجربه ويهزه شر الإنسان. والله لا يتصرف ويتحرك « برد الفعل » الذي يحركنا نحن المخلوقات الضعيفة. إن شر الإنسان لا ينقص الله ولا يجرحه ولا يؤثر فيه كما يؤثر فينا. وبر الإنسان كله لا يزيد الله شعورًا بالراحة في ذاته، ولا يحركه كما يحركنا من حالة سفلي إلى حالة عليا. إنما الله يستعمل عبارات الفرح والحزن

في شخصه « الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران » لكي **يعلمنا أن عمل الخير والمحبة جيد وحسن، وأن عمل الشر والأنانية مُضر لنا** نحن. ولذلك خاطب الله أيوب قائلاً له :

> « إن أخطأت فماذا فعلت به (أي بالله) وإن كثرت معاصيك فماذا عملت له. إن كنت بارًا فماذا أعطيته أو ماذا يأخذ من يدك. لرجل مثلك شرك ولابن آدم برك» (أيوب ٣٥: ٦-٨).

وأيضًا يشرح لنا يعقوب الرسول الكلام ذاته في قوله أن الشر لا يجرب الله، والله ليس مصدر الموت الأبدي أبدًا، بل مصدر كل عطية خيرة. أما الموت فهو نتاج الشر الملازم له، « شوكة الموت الخطية »، (يع ١: ١٣- ١٧):

> « لا يقل أحد إذا جُرب إني أجرب من قبل الله، لأن الله غير مجرب بالشرور، وهو لا يجرب أحدًا ولكن كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية. **والخطية إذا كملت تنتج موتًا**.
>
> **لا تضلوا** يا أخوتي الأحباء. كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران ».

ومن صفات الله الهامة جدًا في تفسير الكتاب المقدس وعلاقة الله بالخليقة أن الله « لا يحتاج » لشيء ولا لأحد. فهو قبل الخليقة كان سعيدًا كاملاً مستقرًا لا ينقص ولا يزيد. ولهذا هو غير معرض للتجربة أو التغير العاطفي مثل البشر، ولا تلزمه الضرورة ولذا لا يحتاج للنقمة مثل البشر في غضبهم.

وهذه الصفة في غاية الأهمية. **لأن عدل الإنسان إذا** تحرك **فهو يتحرك بدافع « الاحتياج » إلى شيء أضاعه الظلم أو الظالم. ولكن كما سنرى فإن هذا الأمر لا يليق بالله.** لذلك يفهم العدل عند الله من منطلق كونه خالق كامل لا يهتز ولا ينقص بالشر ولا يحتاج: إنه عدل « معطائي » فقط أي عطّاء وإيجابي بسخاء. **عدل الله عدل يهدي** الخير **والنور** والحب والحياة، **أينما قل** الخير **وإنعدم النور وإنعدم** الحب **وتبددت** الحياة**. هذا الفهم والإدراك الشرقي لصفات** الله **حدث فيه تغيير عند الكنيسة الغربية عندما بدأ أغسطينوس** في **القرن** الخامس **يُعلم أن الشر « إهانة »** لله وأنه يؤثر في العدل الإلهي نفسه. (Atonement & Incarnation, p. 94). وهكذا

فإن الإنحراف ولو بمقدار درجة واحدة عن مبدأ عدم تجربة الشر لله، والذي أكده الوحي كما رأينا، أنشأ تباعدًا خطيرًا بين التفسير في اللاهوت الغربي عن التفسير في اللاهوت الشرقي. **وكان نتيجة هذا التباعد تغيرًا** في **شرح معني** الفداء والكفارة والعدل الإلهي والغفران والعبادة ومعني الكنيسة ورسالتها في الحياة!!!

وإذا فكرنا قليلاً، ندرك أن التعليم بإمكانية إهانة الكرامة الإلهية والذي يؤدي إلى عدم إتزان العدل الإلهي بسبب الشر، مصدره الأساسي هو: **تحويل مجازات الكتاب المقدس (عن غضب الله ونقمته وتدبيره للعقوبة والموت بإرادته) إلى حقائق لاهوتية مطلقة وتغيرات حقيقية تحدث** في **الله!!** و ـذا يدرك القارئ أهمية هذه المقدمة.

ولختام هذه المقدمة لنقرأ معًا ما كتبه القديس كيرلس الإسكندري :

> « عندما تكتب لنا الكتب المقدسة أقوالاً عن الله وتستعمل تعبيرات عن وجود أعضاء جسدية فيه، لا يصح أن نسمح لعقولنا السامعة أن تفكر أنه محسوس بصورة مادية، ولكن يجب أن ندرك أن إستعمال هذه التعبيرات والتشبيهات المادية هي كلها مجازات حتى ما ترفع عقولنا لما هو أجمل.
>
> **الأشكال والكميات والأوصاف وكل ما هو مادي إستعملت لتساعدنا على أن نركز فكرنا** في **الله، وإن كان يعلو على كل إدراك.**
>
> نحن نتكلم عنه بالأسلوب البشري، لأنه لا توجد لدينا أية وسيلة أخري للتأمل في الأمور التي تعلو علينا»
>
> The Faith of the Early Fathers, vol. III, p. 217-21.

اللغة الأيقونية ICONIC LANGUAGE :

في التعليم الأرثوذكسي : الأيقونة، وإن كانت ليست هي « **الكيان الشخصي التاريخي** » لمن هو مرسوم فيها، لكن هي أيضًا وبالحقيقة تجسيد وتشخيص « سري » Mystical لهذا الشخص. الأيقونة رمز وحقيقة بآن واحد. **تاريخيًا وحرفيًا ليست هي الشخص، ولكنها** تحملنا **للقاء هذا الشخص،** بل وتحمله هو إلينا أيضًا. **الرمزية** في **الأيقونة** تحمل **الحق بصورة سرية** Mystical ، وهذا من

خلال الروح القدس، الذي يقدس مادة الأيقونة الممسوحة بزيت الميرون، ويربطنا بالحق الذي تحمله الأيقونة.

ولهذا الإدراك الأرثوذكسي أهمية كبري في فهم وإدراك أسلوب التعبير في الكتاب المقدس، بل وفي إستعمال آباء الكنيسة للمجازات المختلفة في التعليم والتفسير وتقديم رسالة الخلاص كلها.

فنحن لذلك نقول أن لغة سفر التكوين عن الخلق والسقوط ومعاناة الإنسان هي « لغة أيقونية » Iconic language ، أي يحدثنا الكتاب بلغة الأيقونة بحسب الفهم الأرثوذكسي. وكذلك قصص التأديبات (أو العقوبات) الإلهية للبشرية في العهد القديم هي بنوع ما « لغة أيقونية ». وذلك لأن إصحاحات الخلق وقصة آدم وحواء والطوفان وسدوم وعامورة.... الخ إنما كما تصفها مقدمة الكتاب المقدس الكاثوليكي (النسخة الفرنسيسكانية - بيروت ص ٦ طبعة ١٩٦٠) :

> « الفصول الأحد عشر الأولي تتطلب درسًا على حدة، لأ ا ليست تاريخًا بالمعني العصري... لدينا هنا تاريخ موحي، أو رؤية نبوية عن الماضي حسب تعبير توما الإكويني. ولذلك فبدء العالم مروي بصورة شعبية وبلغة الأنبياء الرمزية ... هذه التقاليد تبين طبيعة الخلق وليس كيفية إبداعه الواقعية ... النص الملهم (للأسفار الخمسة الأولي - البنتاتيك) دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة. بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨) أنه يوجد : ' إزدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية، الاجتماعية والدينية، تقدم يظهر أيضًا في الروايات التاريخية ' ».

- عدل الله هو عدل معطائي فقط!
- عدل الله هو عدل الحياة والحب والنور، وليس عدل الموت الأبدي... حاشا لحب البشر!
- الله عادل للإنسان والخليقة أي أنه:

يهدي الخير والنور والحب والحياة، أينما قل الخير وإنعدم النور ومات الحب وتلاشت الحياة ...

«عدل الله هو إحياء الإنسان.»

- حتى في العقوبات الزمنية للإنسان، الله لا يريد إلا إيقاظ الإنسان وإرجاعه إلى أحضانه الأبوية...

«تأديباً أدبني الرب وإلى الموت (الأبدي) لم يسلمني.»

(مز ١١٨: ١٨)

الجزء الأول

الخالق

ومعادلة الحياة والموت

نعمة التأله

THEOSIS
هي هدف الخلق كله عند الآباء

الله ثالوث قدوس، هو شركة حب، وشركة نور وحرية، وحياة فائضة بالحب بين الآب والابن الكلمة والروح القدس. وإذ تلامس الله مع العدم، ذاب العدم خجلاً وإنحني حبًا وطاعة لدعوة الخلود، فإنفجر العدم وجودًا ماديًا... هذا الكلام ليس شعرًا وإنما هو أقرب وصف لأكبر نظرية علمية. ويشرح العلماء هذا في النصف الثاني من القرن العشرين، مؤكدين أن كوننا هذا لا يزيد عمره عن حوالي ١٥ مليار سنة.. ويؤكدون أنه قبل وجود هذا الكون لم تكن هناك أية مادة ولا زمن ولا مكان ولا حركة!!! كان العدم فقط.

والعلم لا يمكنه الحديث عن الله قطعًا قبل أو بعد الخلق، لأن الله لا يمكن قياسه بمقاييس العلم، تمامًا كما أننا لا يمكننا قياس الزمن بالكيلوجرام ولا قياس الحرارة بالأمتار!! والإكتشاف العلمي هذا يرجع للتأكد علميًا من حقيقة «تمدد الكون». وبالحساب العلمي تم قياس الزمن الذي مر على تباعد المجرات الفلكية، من «نقطة البداية» التي كانوا جميعًا قد بدأوا منها التحرك والتبـاعد والتمدد هذا:

The Point of Singularity (Stephen Hawking) .

ولمحاولة شرح كيف تحول العدم إلى وجود مادي، ثم بدأ هذا الكيان المادي في الحركة المتباعدة من نقطة البداية، وصف العلماء هذه «المعجزة» ـ لعجزهم عن تفهمها ـ بتسميتها : «الإنفجار العظيم» THE BIG BANG. والطريف هو أن المادة ما هي إلا طاقة Energy ، مجرد قوة قادرة على الحركة!!! وهذه الطاقة «تكثفت» (أيا كان معنى هذه العبارة!) إلى شحنات سالبة وأخري موجبة. وليست

البروتونات والإلكترونات هي أصغر هذه الجزيئات، بل هناك ما هو أصغر بكثير جدًا (وهنا تنعدم قدرة العقل على الإدراك مع أننا نقيس ما يمكن قياسه !!). وأصغر ما نعرفه الآن هو الـ quark السالبة والموجبة، وهي أشبه «بفقاعة الفراغ» أكثر منها «سحابة الهواء»!! (The Matter Myth - Penguin Books 1992).

ومن تكثف بعض هذه الـ quarks تتكون جزيئات الذرة، ومن تكثيف الذرات هناك الأوزان النسبية، ومن هذه تجمعت النجوم والكواكب وأنا وأنت والوردة والنملة!!!

ومن الطريف أيضًا أن تجميع الجزيئات قد ينتج عنه مرة أخري تلاشيها!! بالرغم من أن المادة لا تستحدث ولا تفني، يقول العلماء، أن تقابل إليكترون مع بوزيترون ينتج «شيئًا» لا يمكن قياسه : (+١) و (-١) = صفر!! وقد يشرح هذا كيف أن العدم، أي الصفر، قد «إنفجر» في «الإنفجار العظيم» وتحول إلى جزيئات موجبة (+١) و أخري سالبة (-١). وهذا يمكن كتابته: الصفر ⟵ (+١) و (-١)، ومنها المادة كلها!!! لذلك بكل المقاييس نحن «صفر»، يمكن وضعه بجانب الله «الواحد»، فنصير شيئًا، إن شئنا!!!

أما الزمان والمكان فهما مخلوقان أيضًا!! فالمكان Space هو شيء نسبي فقط بسبب وجود المادة، تلك الطاقة المكثفة. فبدون وجود المادة ما كان هناك «مكان». وأما الزمان Time فهو أمر نسبي هو الآخر، بسبب «تحرك» تلك الكتل masses التي تشكل عجينة مادة كوننا والنجوم والكواكب... فلولا حركة المادة في الفضاء ما كان هناك زمان. ولذا نقول أن الله - غير المخلوق - ليس فيه مكان ولا مادة ولا زمان ولا تغيير : أبدي هو.

ولكن لماذا هذا كله؟!

هذا السؤال هو أبو الفلسفة والفكر اللاهوتي والسعي الديني للإنسانية، بل والدافع وراء كل تنظيم وحب للحياة والعدالة، من سياسة واقتصاد وحركة حضارية وحرب وخوف...!!

والإجابة من فم الرب المخلص :

« **ليكون الجميع واحدًا** كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا **أعطيتهم المجد الذي أعطيتني** ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد ... [لأنك] أحببتهم كما أحببتني ... لأنك أحببتني [وأحببتهم] **قبل إنشاء العالم**. أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم...

وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجدتك على الأرض. **العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته.**» (يو ١٧: ٣- ٤ و ٢١- ٢٦).

خلاصة هذا الكلام أن الله قد خلقنا وأرسل لنا إبنه، كلمته، مصدر وشعاع الحياة الأبدية، ليزرع فينا حبه ومجده، ليوحدنا معه، وفيه، حتى ما نشارك الله في وجوده ومجده ونتحول إلى آلهة بالنعمة!! وهذا الحب المتجسد يزرعه فينا الروح القدس الذي يأخذ مما للمسيح ويعطينا لنصير مشا ين صورة الإبن عينها (رو ٨: ٢٩) ونصبح «شركاء الطبيعة الإلهية» للأبد!! هذا هو هدف الخلق.

وكان الأب تيار دي شاردين، العالم الچيولوچي الذي صحح نظرية التطور وأحد أعظم مفكري القرن العشرين، كما وصفه حتى الملحدون، قد شرح في كتابه Man's Plance in Nature و The Future of man ، أن خطة الله للإنسان يمكن تلخيصها في أربعة مراحل، هم تجميع وتكثيف لتراث وفكر آباء الكنيسة مع العلم الحديث:

(١) الخلق من العدم Creation.
(٢) ظهور الحياة الحيوانية والنباتية Vivication.
(٣) تطور الحياة وظهور الإنسان الواعي Hominisation.
(٤) تجسد الله لتأليه الإنسان الحر Divinisation.

و ذا يعرض تيار دي شاردين أن تطور الخليقة من العدم للوجود المادي، ثم **الحياة الحيوانية ومنها الإنسان، هو مشروع يقوده الله. الذي هو «ألف» التطور و «ياء» الوجود كله، هو الله The Omega Point** . وهذا ما قاله الرسول

أن الله سيصبح «الكل في الكل» بتجميع الخليقة بعمل الإبن و عطية حياة الروح القدس ... الخليقة كلها ... نعم كلها ، لو أرادت!!

وفي رومية ٨: ١٩- ٢٣ يشرح بولس الرسول أن «الخليقة نفسها أيضًا (وليس نحن البشر فقط!!) ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله!!!». وهذا ما رآه يوحنا الحبيب بصورة «السماء الجديدة والأرض الجديدة» (رؤ ٢١: ١) التي «لها مجد الله!!!» (رؤ ٢١: ١١) يا للعجب!! وقد سمي الآباء تشبه الخليقة والإنسان بالله في الخلود ومجد الإستنارة: «تأله الخليقة بالنعمة»!!! Cosmic Theosis, by Grace وهذا لا يعني التأله بالطبيعة، إذ أن الله وحده هو الإله بذاته وأما نحن فآلهة بالتبني بالنعمة.

أولاً : من أهم آباء الكنيسة الذين علموا بتأله الإنسان

- **القديس أثناسيوس مرددًا قول إيريناؤس** قبله :

> « **لقد صار الله إنسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا** »!! (تجسد الكلمة: ٥٤)

وقد كرر الكثيرون من آباء الكنيسة العبارة نفسها، أو مع تغيير بسيط فيها. ويؤكد اللاهوتي الأرثوذكسي ڤلاديمير لوسكي هذه الحقيقة البعيدة عن الشك تمامًا، ويسرد بعضًا من الأسماء الهامة في تاريخ الكنيسة الشرقية الذين أكدوا هذا التعليم : إيريناؤس - أثناسيوس - غريغوريوس النيزي ي - غريغوريوس النيسي - يوحنا الدمشقي - مكسيموس المعترف - غريغوريوس بالاماس - سمعان اللاهوتي الحديث - باسيليوس الكبير - وكيرلس الإسكندري.

(Mystical Theology of the Eastern Church p. 134, 126)

- **وقد كتب القديس مكسيموس المعترف** : معلم « تأله الخليقة » Cosmic Theosis :

> « كانت الخطة الإلهية لخلق الإنسان أن يؤدي خلقه إلى أن يوحد في نفسه كل الوجود المخلوق، وفي الوقت ذاته يصل إلى الإتحاد الكامل مع الله.

فتوهب حالة التأله هذه للخليقة كلها = [التشبه بخلود الله وليس التحول إلى إله بالطبيعة، حاشا]...

وعندئذ فإن الله يهب نفسه للإنسان الذي بفضل هذه العطية، أي بالنعمة، ينال كل ما يملك الله بالطبيعة، فيتم بذلك **تأله الإنسان والكون كله.** ولكن بما أن هذه المهمة التي أعطيت للإنسان لم يقم ا آدم، جاء المسيح آدم الثاني ليرينا ما كان ينبغي أن يحدث.»

(Mystical Theology of the Eastern Church, p. 109-110)

- **وأيضًا علّم القديس باسيليوس الكبير قائلاً :**

« لقد خلق الله الإنسان، كائنًا حيًا، وقدم له الدعوة لكي يصير إلهًا.»

(V. Lossky, Orthodox Theology - an introduction - p. 73)

- **وكتب القديس غريغوريوس النيسي :**

« **كل الأشياء سوف** تجمع في **الطبيعة الإلهية** بحسب التصميم الفني لخالقها (مؤلفها)... لذلك خلق الكلّي القدرة هذه الأنفس لكي تكون بحريتها أوعية، إن صح التعبير، لتقبل هذا التدبير»

(Introduction to Eastern Patristic Thought & Orthodox Theology p. 75)

- **ويذكر C.N. Tsirpanlis كاتب المرجع السابق** في **حديث مشوق عـن لاهـوت القديس أثناسيوس :**

« لم يكن آدم معدًا للتأله بدون المسيح... الحاجة إلى التجسد لتأله الإنسان لم تظهر أساسًا لأن الإنسان مصاب بمرض الخطية، ولكن لأن الإنسان هو مجرد مخلوق ضعيف (غير ثابت، غير خالد). ويحاور أثناسيوس ليس من منطلق أن الإنسان والملائكة قد أخطأوا، بل من منطلق أ م **مخلوقات متغيرة غير ثابتة.** لم يدبر الله التجسد بسبب الخطية التي إرتكبها آدم، بل شاء ودبر الأساس الغير متغير أولاً (وحدة الله مع الخليقة). السبب الرئيسي إذن (عند أثناسيوس) هو أن الإنسان يحتاج لتجسد الإله حتى ما يتأله الإنسان... والإتحاد مع الله هذا مستحيل بدون التجسد...

> **التعليم عن تأله الإنسان يشكل الفكرة والبؤرة الأساسية والرئيسية لكل لاهوت القديس أثناسيوس.** وهذا التعليم له جذور في فكر القديس إيريناؤس بالتأكيد» (Introd. to E. P. Th. & O.T., p. 65)
>
> «فقط أولئك الذين يؤمنون بالحقيقة ويتوبون فعلاً هم الذين يتمتعون بالتأله بالنعمة، لأن الإيمان والتوبة لا يمكن بدو ما أن يتأله الإنسان...
>
> التبني بالنعمة هو تشبه بحالة البنوة بالطبيعة التي للرب المسيح وحده... يتأله الإنسان بالنعمة وبالإتحاد بالثالوث، ليس هذا تألهًا بالطبيعة» (p. 68).

أما محاولات الإنسان الذاتية للتأله، والتي هي دعوة بحسب الذات والشر والأنانية، فهي محاولات الإنسان الساقط أن يبقي في عزلة الشر، لا أن يتشبه بالمسيح المتواضع. الشيطان يدعو الإنسان أن « يصير مثل الله عارفًا للخير والشر» (تك ٣: ٥)، ولكن بمشورة الشرير المدمر ولمصلحة الأنانية والموت... **هذه هي جهنم عينها.**

المتأله بالنعمة يتشبه بالمتواضع الحقيقي : الرب يسوع المسيح أيقونة الآب المتواضع عن حق. **يخشي البعض التعليم بتأله الإنسان، مع أنه تعليم كل آباء الكنيسة، بحجة أن التأله Theosis هو ضد التواضع وهو دعوة للكبرياء!!** ولكن من يتشبه بالمسيح ينحني على ركبتيه ويصير بالحب والحرية عبدًا يخدم أرجّل البشرية كما عمل السيد العظيم؛ تأله الإنسان يجعله يري كل البشر أسيادًا بالحب!!!

وأما تأله الخليقة المادية - أي تشبهها بالنعمة بالله الخالد عندما يهب الله الخلود للمادة - في **السماء الجديدة والأرض الجديدة، فهو تعليم هام، إذا إختفي من كنائسنا** حل مكانه كل تعليم يشابه الفكر الغنوسي والمانوي الذي يري المادة على أ ا كيان حقير فاني، سوف يدمره الله!!

الأسباب التاريخية لكراهية الجسد والمادة :

الفكر الغنوسي Gnosticism هو فكر يوناني قديم تعود جذوره إلى الأفلاطونية Platonism التي نشرها فلاسفة اليونان، ثم تبناه وطوره ماني Mani الفارسي الأصل في القرن الثاني. وخلاصة هذا الفكر الغريب عن المسيحية أن خالق الأرواح

والعالم الخيّر، غير المادي، هو إله الخير. أما العالم المادي والجسد بما يحوي من غرائز (خاصة الأكل والجنس) فهو من خلقة إله شرير غير الإله خالق الأرواح!! وأن الأرواح إذ أخطأت حُكم عليها بالسجن في عالم المادة الشرير. **وعلى الأرواح أن تجاهد ضد الجسد المادي وإحتياجاته « الشريرة »** حتى ينعم لها الإله بالإنطلاق من سجن هذه المادة الشريرة إلى عالم الأرواح مرة أخري. وهذا **الفكر المانوي** Manichaeism ، وليد التعليم الغنوسي، يظهر أحيانًا في بعض الكتابات النسكية المسيحية كما لاحظ المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي في كتاب المسيحية والجسد ص ٦٦ - ٦٧:

> «.. **والذي أدخل إلى التصوف المسيحي مفهوم النسك الخاطئ القائم على منهج الثنائية بين الجسد والروح هي العقيدة الأفلاطونية التي تسربت إلى المسيحية،** وكانت تنادي بأن العالم المادي ليس من أعمال الله، وأن كل ما هو مادي فهو حقير، ولكن كل ما هو مجرد فهو راقى!! هذا لا يوافق مقاصد الله من الإنسان، ولكن الأفلاطونية ألقت بظلها على بعض المناهج النسكية المنغلقة، ونظرت إلى الإنسان على أنه عقل محبوس في جسم مادي يتطلع إلى التحرر منه وأن الجسد مقبرة للروح.
>
> ولكن الثالوث القدوس عندما خلق الإنسان خلقه جسمًا وروحًا ونفسًا معًا وحين نزل الله الكلمة، الإبن الأزلي إلى أرضنا ليفتدي الإنسان، لم يأخذ نفسًا فقط، بل أخذ جسمًا أيضًا، لأنه شاء أن يفتدي الإنسان بأكمله.
>
> **والكتاب المقدس دائمًا أبدًا يرفض نظرية الثنائية** Dualism تمامًا [وهذا تعليم ماني عن تضاد الروح والجسم، وتضاد المادة وعالم الروح، وتضاد العقل ورغبات الجسم المادي، ويؤدي أحيانًا إلى التعليم بسمو البتولية على الزواج، وسمو حياة التأمل على حياة العمل والخدمة... الخ] ويؤكد الكتاب المقدس نظرية الوحدانية - وحدة السيكوفسيولوچي [أي وحدة النفس والجسد في كيان واحد غير متصارع]...
>
> **وقد حرم مجمع جنجرة Gangra في القرن الرابع كل الذين علموا وأدانوا الزواج أو كانوا يحرضون على التعفف بالإمتناع عن الزواج،** [عبارة : « حسن للرجل أن لا يمس إمرأة »، في ١ كو ٧: ١، لم تكن

وصية من القديس بولس الرسول، راجع Good News Bible ، بل هي **إقتباس من سؤال** كان قد سأله أهل كورنثوس لبولس الرسول، والأصحاح كله للرد بالنفي على هذا السؤال، البتولية عند بولس الرسول مفضلة إن كانت **«كما أنا»** (١كو ٧ : ٧) أي **لأجل التفرغ لخدمة الملكوت فقط**، وليست هدفًا في حد ذاته. المتزوج أو البتول (موسى أو إيليا) يتجليان على جبل طابور مع المسيح! درجة المجد الأبدي (نجم يختلف عن نجم في المجد) تقاس بمقدار الحب لله وليس بنوع الدعوة، للبتولية أو الزواج!]...

وقوانين الرسل تحكم على الإكليروس والعلمانيين الذين يمتنعون عن الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر باعتبارها نجسة، وتسميهم: مجدفين على عمل الله، أي الخليقة.

ولا يزعجنا ما نقرأه في كتاب « بستان الرهبان » من قصص هدفت إلى تعذيب الهيكل الجسدي، فهذه خبرات إنما هي شخصية أولاً وقبل كل شيء.» [الأنبا بيمين - أسقف ملوى].

ثانيًا : الفارق بين «التأله بالنعمة» Theosis وتعليم «وحدة الوجود» Pantheism

إن الوجود المطلق الدائم، أي غير الزمني، هو من صفات الله وحده فقط. أما نحن المخلوقات الضعيفة، فوجودنا هو نعمة وهدية من صلاح الله الخالق. إن وجودنا ونمونا في الحياة لمشا ة الله هو هبة خارجة عن كياننا يحققها فينا بحبه وصلاحه، إن كنا نقبل هذه الهبة بحرّية. هذا هو التأله بالنعمة. لذلك يصح تعريف الخليقة والإنسان على **أننا حقيقة « عدم ينمو نحو الوجود، إن شئنا» !! ولكن يظل الله وحده هو الوجود المطلق ومصدر هبة الوجود ونعمته للكل.** أما إذا لم « يحقن » الله و « يزرع » فينا وفي الخليقة من طبيعته (بتجسد الكلمة في الكيان المادي الذي أخذه من العذراء القديسة مريم كممثلة بشرية للكون كله، حينما قالت لحبه ودعوته: نعم أنا أمة الرب ليكن لي كقولك!) فالخليقة كانت ستبقي عدمًا في عدم، والإنسان تراب وإلى التراب يعود.

إلا أن صلاح الخالق لا يقبل بالظلم. **والظلم** في **أعمق معانيه** هو فناء وفساد وضياع الخليقة، إذا سارت نحو العدم بدلاً من صعودها نحو الوجود والخلود في حضن الله.

ما جاء من العدم لا يقوي على البقاء بقدراته، ولأن الله يعلم بحال الخليقة الهش هذا، وأ ا لا تحوي في جوهرها ما يحقق لها هذا الخلود، الذي خلقت عطشانة له، كان تدبيره أن يفدي الخليقة من حالة العدم هذه، بأن يصنع لها ما يشبه **«نقل الدم»** أو **«زرع الأعضاء»**، بأن **«حقن»** إبنه الوحيد ووحّده بطبيعتنا، حتى ما يهبنا ما نشتاق إليه، وما لا نملك ولا يمكننا أن ننال بمفردنا. لذلك علّم آباء الكنيسة أن تجسد الكلمة، الابن الوحيد، كان هو التدبير الأول والأصيل في قلب الآب السماوي، حتى بدون مشكلة الخطية والشر!! وهذا يظهر في وصف الرب يسوع المسيح على أنه حمل مذبوح حتى من قبل إنشاء العالم! أي قبل الخلق كان الإبن المتجسد، ذبيحًا وحبًا موهوبًا لنا بالتدبير الأزلي في قلب وفكر الآب الصالح المحب، لقد بذله حبًا فينا قبل أن يخلقنا، ثم تحقق هذا التدبير غير الزمني (لأنه في قلب الله قبل الزمن!) في تاريخ البشرية منذ ألفي عام فقط!! ولذلك كتب لنا بطرس الرسول :

> « عالمين أنكم إفتديتم..... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، **معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر** في **الأزمنة الأخيرة من أجلكم** » (١بط ١: ١٨-٢٠).
>
> « كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين ما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة **لكي تصيروا ا شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد**...» (٢ بط ١: ٣-٤).

وتمام عمل الفداء هو الشركة في **الطبيعة الإلهية، التي بدو ا لا نستطيع أن نحيا إلى الأبد**!! ولذلك أيضًا يكمل بولس الرسول ويقول أنه عندما يأتي كمال الأزمنة سوف تجمع الخليقة كلها في الإبن المتجسد، والذي قد إستجمعها كلها فعلاً بصورة الجسد الذي قَبِلَه والذي جعلنا فيه «لحم من لحمه وعظم من عظامه»

(أف ٥: ٣٠). و ـذا العمل يكون تمام اتحاد الخليقة، بحريتها وبعمل نعمة الثالوث كله، قد تم. وتدخل الخليقة كعروس حبيبة إلى قلب الله الآب بخضوع الحب، خضوع الشركاء في الطبيعة الواحدة وللأبد:

> « وبعد ذلك تأتي النهاية : متى تُسلم المُلك لله الآب... لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. وآخر عدو يبطل هو الموت.. ومتى أخضع له الكل [بالحب وليس بالتسلط كما يفكر الإنسان في سقوطه!!] فحينئذ الإبن نفسه أيضًا سيخضع (للآب) للذي أخضع له الكل... **لكي يكون الله الكل** في **الكل** [أي إشتراك كل الخليقة في كل ما هو في الله بحسب غني نعمته]» (١كو ١٥: ٢٤- ٢٨).

وهذا أيضًا ما شرحه لنا الرب بنفسه بكل وضوح عندما قال:

> « **ليكون الجميع واحدًا،** كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك [أي بحسب حقيقة وقوة الشركة في الحب والمجد والطبيعة بين الآب والإبن!!!]. ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا... أنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني. .. (لأنك) **أحببتهم كما أحببتني قبل إنشاء العالم**» (يو ١٧).

الشركة في الطبيعة الإلهية و مذهب وحدة الوجود

ظهر مذهب وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية، وكلمة Pantheism تعني أن كل شيء هو الله. ولا تقبل المسيحية بكل فروعها هذا التعليم، وليس لهذا التعليم أي علاقة بالمرة بالتعليم الكتابي والآبائي عن «الشركة في الطبيعة الإلهية»؛ لأن شركة المخلوقات (أي الإنسان) في طبيعة الله لا تعني أن الإنسان يصبح مثل خالقه، ويفقد كيانه وجوهره المخلوق من العدم لكي يصبح مثل الله «الواجب الوجود» والكائن بذاته وقدراته والذي له حياة ذاتية لا يستمدها من أي كائن، بل هو الذي يمد الكائنات بالوجود والحياة والحركة حسب عبارة الرسول بولس «لأننا به نوجد ونحيا ونتحرك» (أع ١٧: ٢٨).

وما أغرب فكر الإنسان الذي يتطاول على الوجود الإلهي، ويظن أنه قادر على أن يصبح مثل الحي الدائم وهو (أي الإنسان) مخلوق من العدم!! وكلمة مخلوق

تعني ثلاثة حقائق هامة:

أولاً :لا يملك الإنسان كيانه ولا حتى مصيره، بل هو مخلوق بواسطة آخر هو الله. والذي لا يملك كيانه ولم يحدد مصيره بذاته، بل حدده له الخالق لا يمكن أن يصبح مثل خالقه، وسبب الإستحالة - كما هو ظاهر لنا - هو عجز قدرات وطاقات الإنسان.

ثانيًا :خلق الله الإنسان **« حسب صورته »** (تكوين ١: ٢٦) وكلمة «حسب» تعني أن الإنسان كما يقول القديس أثناسيوس هو **« ظل الكلمة »** (On the In-carnation, p. 28) والظل ليس له وجود ذاتي بل هو موجود بسبب وجود النور، وكيانه يفقد معناه، بل سبب وجوده، إذ غاب النور أو إبتعد الظل عن النور. وبقاء الإنسان كصورة لله يعني بقاء الإنسان ضمن الحدود التي رسمها الله للطبيعة الإنسانية وهي حدود لا يملك الإنسان أن يتخطاها.

ثالثًا : يحيا الإنسان **كجزء من الخليقة، وكملك للخليقة** حسب كلمات المزمور الثامن **« أخضعت كل شيء** تحت **قدميه »** وهنا يستمد الإنسان كيانه من الخليقة، فهو يولد ويحيا وينمو ثم يموت حسب قوانين الطبيعة المخلوقة، والتي عجز الإنسان عن أن يتخطاها لأنه « تراب وإلى التـ ـراب يعـ ـود » (تكوين ٣: ١٩). وهنا يظهر لنا أن الطبع المخلوق من العدم عجز عن أهم ما يميز بشارة الإنجيل، وهو الحياة الدائمة أو الأبدية، الحياة التي لا موت فيها. وعجز الإنسان مرده إلى الخلق من العدم وإلى الطبيعة التي حددت «بصورة الله»، وأخيرًا إلى كونه جزء من عالم لا يملك كيانه ولا يستطيع أن يرسم مصيره، ولذلك جاء الكلمة خالق كل الأشياء ومنح للإنسانية الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦). هذه المنحة لا تنبع من الخليقة، لأن مصدر الخليقة هو العدم، ولا يملك الكون أن يعطي حياة عدم الموت أو الحياة الأبدية... لابد أن يفتح الله برحمته باب الحياة الأبدية للإنسان. ولذلك جاء المسيح الإبن الكلمة وأعطي لنا من حياته. وهو الذي هو « الحياة » منح الحياة الدائمة للموتي للجالسين في كورة الموت وظلاله (متي ٤: ١٤- ١٥).

الفرق بين **الشركة** في **الطبيعة الإلهية ووحدة الوجود :**

يبدو لأول وهلة أنه لا يوجد فرق، وكأن مجرد كلمة «الشركة» تعني إستيلاء الإنسان على كل ما في جوهر الله! هذا تصور آدم الأول، الذي أراد أن يكون مثل الله بمعرفة الخير والشر (تكوين ٣: ٥). وهنا التأله بواسطة المعرفة والتمييز بين الخير والشر الذي أراده آدم وحواء هو تأله كاذب، لأن تعبير «تصيران مثل الله عارفين الخير والشر» تعني أن يصبح الإنسان هو « قانون وشريعة التمييز » نفسها مثل الخالق، وهو أمر مستحيل، لأن الإنسان سوف يجعل قواعد التمييز حسب شهواته وغروره وقدراته، وهو ما يخلق في فكر الإنسان المعرفة الكاذبة، والحكمة الفاشلة، التي تقود الإنسان إلى أن يصبح جاهلاً بالمرة بحقيقة كيانه وبخالقه نفسه (١ كور ١: ٢١). والتأله الكاذب هو علة وسبب رفض الإنجيل، لأن عيون العقل التي دخلت فيها ظلمة الشر لا تستطيع أن تري النور « أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوحنا ٣: ١٩). والتأله الكاذب هو تصور عقلي مصدره الكبرياء الشيطانية التي تريد أن تستولي بالفكر وبالقوة لو أمكن، اية هذا هو الموت. وجاء تجسد الإبن صدمة للتأله الكاذب لأن الإبن «أخلي ذاته كإله» و «صار في صورة العبد» (فيلبي ٢: ٦- ٩). وجاء إخلاء الذات صدمة للغرور الشيطاني وكبرياء وخيلاء الفكر الشيطاني ... لأن من أراد أن يستولي ويأخذ ما ليس له ... صار الآن يُعطي ما ليس له بتواضع المحبة وغفران العداوة الإنسانية لله (أفس ٢: ١٥- ١٦). **ولم يعد الأمر إستيلاءً بالفكر بل شركة وعطاء إلهي.** هذه الشركة تحددها النعمة وتقوم على الهبة، ولا دخل لإرادة الإنسان أو تصوراته فيها لأن الله هو «القادر أن يفعل كل شيء أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا» (أفس ٣: ٢٠). وقد رسم المسيح ربنا نفسه حدود هذه الشركة بشكل قاطع يغلق باب الألوهة الكاذبة.

أولاً : هي شركة في الصليب في الموت عن الذات القديمة، التي تطلب وتستولي وتستعلى ولها فكر جسداني يعارض «نعمة الله المجانية». ويقف الصليب أمام شموخ الفكر لكي يقتل العظمة الكاذبة في الإنسان ويعلمه الطاعة «حتى الموت ». ولذلك يقول الرسول «لم تقاموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢: ٢٤) إنه دم الصليب وبذل الحياة.

وإذا دخلت الشركة من باب الصليب تحولت من إستيلاء إلى عطاء.

ثانيًا : يقول الإنجيلي يوحنا « أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يوحنا ١: ٢٧). و « النعمة » وحدها ليست هي ما أخذناه من المسيح بل « الحق » ، والحق لا يسمح بالإستيلاء ولا الأخذ بعنوة « وأي شيء لك لم تأخذه » أي أن كل مالنا قد تسلمناه كهدية من الله (١كور ٤: ٧). وما يعطي بالحق يملكه الحق، أي المسيح نفسه، ويعطي من أجل الحق، لكي «ونحن في الحق في إبنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١يوحنا ٥: ٢٠). وحق الشركة في الطبيعة الإلهية يجعل الإنسان في الحق يعرف أنه لم يملك الملكوت بقوته، ولا دخل إلى ميراث الله بذراعه، بل وُهب وأُعطي من قِبل تواضع محبة الله الذي تنازل إلينا وأعطانا أكثر مما نظن، لكي بقوة العطاء ندرك فقرنا، وبغنى فيض النعمة التي كثرت مع كثرة الخطايا (رو ٥: ٢٠) ندرك حنان الله الذي لا يمنع شيئًا عنا. **ولذلك يتعذر علينا أن نستولي ونختلس ونـ ع ما يقدم لنا بلا مقابل.**

ثالثًا: وإذا جاء المسيح بخيرات الدهر الآتي كلها (عب ٩: ١١) فهو يمنح هذه الخيرات التي ليست من هذه الخليقة، بل لم يخلقها أحد من الناس، بل هي عمل الله نفسه. فالمعمودية « غير مصنوعة بيد » بشرية (كولوسي ٢: ١١) أي ليست مثل ختان إبراهم، تصنعها السكين من لحم الغرلة، بل هي « ختان المسيح » الذي فيه « يخلع جسم خطايا البشرية » (كولوسي ٢: ١١) وهي هبة الحياة الأبدية « وإذا كنتم أمواتًا في الخطايا أحياكم معه » (كولوسي ٢: ١١). و ـذا ننال التبني الذي يجعل حياتنا « مستترة مع المسيح في الله » (كولوسي ٣: ١- ٣). والإفخارستيا هي « خبز الله النازل من السماء الواهب الحياة للعالم » (يوحنا ٦: ٣٣)، هي المسيح نفسه « أنا هو الخبز النازل من السماء » (يوحنا ٦: ٤١). وكل خبز آخر نأكله نموت، ويتحول بالأكل إلى إلى ما يفسد ويخرج إلى الخلاء (مرقس ٧: ١٩). لكن ذلك الطعام الواهب الحياة «يأكل منه الإنسان ولا يموت »، بل « يحيا إلى الأبد» والرب يقيمه في اليوم الأخير. ويقدم لنا الرب هذا الوعد « من يأكلني يحيا بي » (يوحنا ٦: ٤٩- ٥٧). وهبة الحياة في الروح القدس ليست هبة حياة مخلوقة، تسقط تحت وطأة الفساد والموت، لا، هي هبة الحياة الغالبة الموت « وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي

أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم » (رو ٨: ١١). حقًا نحن محاطين بالموت ونموت، ولكن « لنا هذا الكنز في آوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا ... حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا» (٢كو ٤: ٧،١٠). ولاحظ قوة التعبير « إماتة الرب يسوع » فهو موت مع الرب، وفي الرب، وليس مجرد موت مثل موت الحيوانات غير الناطقة لأن « الراقدين بيسوع » و « والأموات في المسيح» (٢ تسالونيكي ٤:١٤، ١٦) هؤلاء ليسوا في تراب الأرض رغم أن أجسادهم في تراب الأرض بل « متي أظهر حياتنا عند ذلك سوف نظهر معه في المجد » (كولوسي ٣: ٤).

وجذر الشركة في الطبيعة الإلهية هو المسيح نفسه، هو الرأس الجديد الذي **منه وفيه** تنمو الإنسانية الجديدة. وحسب كلمات الرسول بولس عن الإنسانية الجديدة التي تنمو **« نموًا من الله »** (كولوسي ٢: ١٩). وحقًا يبقي الموت هو « موت مع المسيح» (كولوسي ٢: ٢٠) لأنه في المعمودية يفقد الموت قدرته المدمرة القاتلة، ويتحول إلى قوة تجديد تخلع المائت والفاسد وتعطي حياة يسوع لنا!! ولاحظ تعبيرات العهد الجديد نفسه.

- من يأكلني يحيا بي (يوحنا ٦: ٥٧).
- المسيح يحيا في (غل ٢: ٢٠).
- أنا حي فأنتم ستحيون (يو ١٤: ١٣).
- أرسل إبنه الوحيد لكي نحيا به (١ يو ٤: ٩).

الموت يحيط بنا من كل جانب ولكن كمسيحيين نعرف بالإيمان وبعطية ربنا يسوع المسيح أننا:

- أحياء لله بالمسيح يسوع (رو ٦: ١١).
- ناموس روح الحياة في المسيح قد أعتقني من الموت (رو ٨: ٢).
- لي الحياة هي المسيح والموت ربح (فيلبي ١: ٢١).

وهكذا يقول الرسول بطرس **« ليحيو حسب الله بالروح »** (١بطرس ٤: ٦) فكيف يمكن أن نحيا حسب الله حياة ليست من الله، ولا هي هبة من الله، ولها مصدر آخر

غير الله؟! وكيف يقول الرسول بطرس **حسب الله بالروح القدس** إلا إذا كان الروح يعطينا حياة يسوع « لكي تظهر حياة يسوع في أجسادكم المائتة » (رو ٨: ١١).

وفي هذا الصدد كتب د. موريس تاوضروس شارحًا مذهب وحدة الوجود في كتابه «حول صفات الله» ص ٧-٩ :

> « مذهب وحدة الوجود ... هو مذهب الذين يوحدون بين الله والعالم، **ويزعمون أن كل شيء هو الله!!** وهو مذهب قديم قد أخذت به البراهمانية، والرواقية، والأفلاطونية الجديدة، والصوفية.
>
> فالبراهمانية يردون كل شيء إلى الله ويعتقدون أن براهمان هو الحقيقة الكلية ونفس العالم، وأن **جميع الأشياء الأخري ليست سوي أعراض ومظاهر لهذه الحقيقة**. والرواقيون يقولون أن **الله والعالم موجود واحد**، وأن العالم لا ينفصل عن الله. وفلاسفة الأفلاطونية الجديدة يقولون أن الله واحد وأن العالم يفيض منه كفيضان النور عن الشمس، وأن الموجودات مراتب مختلفة، إلا أ ا لا تؤلف مع الله إلا موجودًا واحدًا. والمتصوفون يقولون أن الله هو الحق، وليس هناك إلا موجود واحد وهو الموجود المطلق، **أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية، وليس له وجود** في **ذاته، لأنه صادر عن الله بالتجلي**.
>
> ولمذهب وحدة الوجود عدة صور جديدة، كوحدة الوجود كما علمها سبينوزا، والتي تقرر أن الله وحده هو الوجود الحق، ووحدة الوجود المثالية (هيجل) التي تقرر أن الله هو الروح الكلي الكامن في الأرواح الجزئية، **ووحدة الوجود الطبيعية التي توحد بين الله والطبيعة**».

من كل ما سبق في هذا البحث ومن أقوال الآباء عن: تأله الإنسان والخليقة، يتضح لنا أن **« التأله بالنعمة » يعني أن جوهر الله وجوهر الخليقة لا يحدث لهما أي: إختلاط، أو امتزاج، أو تغيير.** بل الله بجوهره يظل مختلفًا ومتميزًا وعاليًا عن جوهر الخليقة للأبد، وأما جوهر الخليقة (والذي خرج من العدم ولا يمكنه البقاء وحده) فهذا يرقيه الله ويرفعه في المجد والنور والصفات حتى ما يتشبه بالله، أي يصير

حسب سفر التكوين: **« على صورة الله وكشبهه »** (تك ١: ٢٦). فكل منا هو كمرآة تعكس صورة الخالق ونوره. فكلما كانت المرآة صافية نقية، كلما ظهر عليها الله بمجده بصورة و اء أقوي. هنا ندرك كيف أنه في الأبدية يختلف المجد الموهوب من انسان لإنسان، بالقدر الذي إختزنه هذا الإنسان بالجهاد الروحي المتآزر مع عمل نعمة الله: بالجهاد الروحي يعد الإنسان آنيته الفخارية، والنعمة الإلهية تملأوها فتصير كـ ًا مملوءًا بالمجد؛ الجهاد الروحي يلمع ويصفي سطح المرآة، ونعمة الله تعكس عليها المجد الموهوب لنا بغني لطفه وحبه وصلاحه.

في كل هذا يظل جوهر ناسوت الإنسان وجوهر لاهوت الله (الساكن فينا بالروح القدس لأننا هيكل الروح) الإثنان متميزان - كما في تعليمنا عن طبيعة السيد المسيح Orthodox Christology - بلا إختلاط ولا امتزاج ولا تغيير... ولكن في اتحاد لا يفترق لحظة واحدة ولا حتى طرفة عين!! ولعل القارئ يدرك الآن أهمية صراع الكنيسة ضد **الهرطقات** في **المجامع، لأن الهرطقات جميعها كانت، بصورة أو بأخري، تعلم أن طبيعة الله والإنسان لا يمكن اتحادهما** في **شخص المسيح،** إلا لو تلاشت إحديهما لتترك المجال للأخري، أو إذا ذابت الطبيعتان واختلطتا، أو كما علم نسطوريوس أن الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية ظلا بدون اتحاد ولكن كانا «إلى جوار بعضهما البعض» Juxtaposition.

ويحدثنا التاريخ أن القديس كيرلس عمود الدين (الإسكندري - القرن الخامس) هو الذي شرح لنا اتحاد اللاهوت مع الناسوت في شخص الرب بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا افتراق، وذلك لأن **القديس كيرلس كان أحد المستنيرين الذين أدركوا أن نموذج الإتحاد هذا** في **شخص الرب يسوع المسيح هو الذي نتحول نحن إلى شبهه ومثاله، حتى ما ننال التأله بالنعمة، والذي هو خلاصة خلاصنا وفدائنا كله!!!**

لذلك أورد للقارئ هذا القول الرائع لقديسنا وأبينا القديس كيرلس الإسكندري، معلم «تأله الإنسان» للكنيسة، ومرددًا تعليم القديس أثناسيوس الرسولي قبله، وذلك من شرحه لإنجيل يوحنا:

> « المسيح يتشكل فينا ليحمل لنا بالروح القدس **شيئًا من الألوهة،** وذلك

> من خلال التبرير والتقديس. هذا هو ختم imprint طبيعة الله الآب الذي يظهر جليًا في نفوسنا **لكي يصيرنا على شبهه** بالروح القدس Conform-ing us to Him by the Holy Spirit ».
>
> « نصير شركاء طبيعة الله بالروح القدس، لقد ختمنا على شبهه، ونسمو لأعلى نحو تلك الصورة التي خلقنا عليها...
>
> نحن إذن نصعد لهذا المجد العالي من خلال المسيح، **لا يعني هذا أننا سنكون تمامًا مثله بلا أي فرق كأبناء (بالطبيعة) لله، ولكننا سنصبح مثله بالتشبه، بالنعمة.**
>
> لأنه هو ابن الله الحقيقي والوحيد في الجوهر مع الآب، أما نحن فأبناء محبته بالتبني، نتقبل نصيبنا بالنعمة بحسب قوله:
>
> **« أنا قلت أنكم آلهة وأبناء العلى »** (يو ١٠)
>
> المخلوق خلق عبدًا، ولكنه دعي للأمور الفائقة للطبيعة بحسب مسرة الآب »
>
> (The Faith of the Early Fathers vol. III, p. 219, 221)

ويكمل هذا الحديث، عن أقوال القديس كيرلس، **قداسة البابا المعظم الأنبا شنودَه الثالث** في **كتابه « طبيعة المسيح » :**

(The Nature of Christ, Published by St. Mary Coptic Orthodox Church, Ottawa,Canada p. 8,9)

> « لم يحدث تغيرًا (عند اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص الكلمة المتجسد) مثلما يحدث عند اتحاد المواد الكيميائية. فمثلاً ثاني أكسيد الكربون يتكون من كربون متحد مع أوكسوچين، وفي هذا تتغير طبيعة كل منهما، ويفقد كل منهما خواصه التي كانت تميزه عن الآخر قبل الإتحاد.
>
> أما اتحاد الطبيعتين (اللاهوت والناسوت) فقد تم بدون تغير أو اختلاط، أو امتزاج. فالطبيعة الإلهية لم تتحول إلى طبيعة بشرية، والطبيعة البشرية لم تتحول إلى طبيعة إلهية... ولكن الإتحاد أظهر لنا طبيعة واحدة.
>
> والقديس كيرلس الكبير (الإسكندري - عمود الدين) استعمل هذا التشبيه الآتي،

هو والقديس ديسقورس: **كما** في **حالة الحديد المحمي بالنار،** نحن **لا نقول أن هناك طبيعتين، حديد ونار، ولكننا نتكلم عن حديد محمي بالنار،** كذلك أيضًا نقول عن طبيعة الرب يسوع المسيح: الله المتجسد، ولا نقول: إله وانسان.

في مثل الحديد المحمي بالنار، **لا يتحول الحديد** إلى **نار، ولا تتحول النار** إلى **حديد. ولكن يتحد الإثنان بدون إمتزاج ولا اختلاط».**

وقداسة البابا كان أيضًا يردد **ما كتبه القديس يوحنا الدمشقي** في **القرن السابع :**

« لأن اللاهوت يوصل للناسوت ما يخص اللاهوت من مجد و ا ء. ولكن الناسوت لا يُشرك اللاهوت في قابليته للآلام. لذلك **تتأله طبيعة الجسد،** ولكن لا تتحول الطبيعة الجسدية إلى داخل طبيعة الكلمة. **الطبيعة الإلهية تؤله الطبيعة المتحدة معها** ولكن الطبيعة الإلهية لا تتأثر ولا تتحول إلى ما تتحد معه. **الطبيعة الأقل تأخذ امتياز الطبيعة الأعظم،** أما الأعظم فلا تضعف مثل الضعيفة. فكما أن الحديد يتأثر بالنار، ولكن لا تتحول النار إلى حديد، هكذا... الطبيعة الإلهية تؤله الجسد، ولكنها لا تتحول إلى طبيعة الجسد»

.(The Faith of the E.F. vol. III, p. 346)

نرى إذن مما سبق، عن تأله الإنسان، أن الفارق كبير جدًا بين التأله بالنعمة كما علمته الكنيسة عبر العصور، وبين تعليم وحدة الوجود.

نحن نؤمن أننا جوهريًا عدم مخلوق وينمو نحو الوجود، أما الله فهو جوهريًا الوجود ذاته بصورة مطلقة بالطبيعة. ولكن صلاح الله يرفعنا إليه لأنه « أب ». **والأب يسمي أبًا، لأنه يورث نفسه وطبيعته ومجده لأبناءه.** والإبن يسمي إبنًا، لهذا الأب، لأنه يتقبل ويحمل في شخصه صفات ومجد أبيه. والله الذي لذته في بني البشر وشهوة قلبه أن نصير واحدًا معه، هو الذي يسكب فينا كل ما له من مجد، بقدر ما نستطيع، نحن العدم والغير موجود، أن نتحمل من النور والبهاء. **فحديث الرب** في **يوحنا** (٣: ١٩-٢١) عن إختيار الإنسان الحر بأن **«يقبل إلى النور»** أو بأن يبتعد و «لا يأتي إلى النور» يتوقف على قدرة احتمال ما يَعكسه هذا النور، وعلى ما يُظهر النور في كيان هذا الإنسان، الذي يختار دينونته أو مجده بحريته**!!** فمن يسعد

بأن تظهر أعماله أ ا «بالله معمولة» (٢١:٣) يقبل أكثر ويفرح أكثر بعمل الله فيه، وبالتأله الذي وهبه له الله بصلاحه. أما من يقترب إلى النور فيري خزي وقبح أعماله، فهو يجري بعيدًا ويشعر بأنه نشاذ في سيمفونية الحب والنور. وكلما شعر بأنه يجري بعيدًا عن تدبير التأله ونعمة التشبه بالله، التي كانت قد أعدت له، يعذبه ضميره على هذه الخسارة .... للأبد!! وهذا هو سبب عذابه الأبدي.

تعليم التوبة في الكنيسة، يطالبنا بالإستعداد لهذا اللقاء، ويعلمنا أنه في الحقيقة لا يوجد إختيار ثالث: إما تجديد الذهن المستمر بحسب شهوة روح الله أن يغيرنا إلى صورة وشبه المسيح (تجديد الذهن Metanoia)؛ وإما البقاء في خزي العدم والهوان، الذي يحرم الإنسان من نعمة التأله تلك النعمة التي تحولنا إلى صورة الابن حتى ما يمكننا معاينته!! **لأن المثيل فقط هو الذي يعاين مثيله ويعايشه.** وهذه شهادة الكتاب :

> « وأما كل الذين قبلوه **فأعطاهم سلطانًا** أن يصيروا أولاد الله... ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا » (يو١: ١٢، ١٦)
>
> **« أنا قلت أنكم آلهة، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب »** (يو ١٠: ٣٤-٣٥).
>
> « الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر **نكون مثله لأننا سنراه كما هو»** (١يو ٣: ١).
>
> « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا **مشا** ين **صورة إبنه، ليكون هو بكرًا** بين **أخوة كثيرين»** (رو ٨: ٢٩).
>
> « ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، **نتغير إلى تلك الصورة عينها من** مجد **إلى** مجد » (٢كو ٣: ١٨).
>
> « قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوي ... **لكي تصيروا ا شركاء الطبيعة الإلهية** » (٢بط ١: ٣، ٤).

يقول القديس غريغوريوس اللاهوتى فى صلاة صلح القداس:
«وعند صعودك إلى السموات جسديًا إذ **ملأت الكل بلاهوتك.**»

ثالثًا : طهارة الجسد Soma = body
وتأله الخليقة المادية عند الآباء

وعن طهارة الجسد والحواس كتب القديس غريغوريوس پالاماس مدافعًا:

> « الإستعمال الشرير للحواس، هو الذي يحارب، وليس منع أو تحريم الجسد والحواس بحد ذاته» (الرؤية الأرثوذكسية للإنسان ص ٢٥٢).

وأيضًا قال القديس كيرلس الأورشليمي :

> « لا تقل لي إن هذا الجسد soma هو سبب الخطية. فلو كان الجسد سبب الخطيئة، فلماذا لا يخطئ الميت؟ لأن الجسد لا يخطئ بذاته، بل النفس هي التي تخطئ من خلال الجسد. الجسد هو أداة».

(عدنان طرابلسي، الرؤية الأرثوذكسية للإنسان - ص ٢٤٨) **[للأسف أن كلمتي soma & sarx قد ترجمتا في العربية إلى كلمة واحدة : «جسد»! soma هو الجسم المادي وهو خليقة طاهرة. sarx هو مفهوم عقلي عن الإنسان العتيق، هو شر غير مخلوق بالله. الجسد المذموم في الكتاب المقدس هو sarx = flesh وليس soma = body].**

فالمادة والخليقة المادية والجسد بغرائزه، متي استعملت بحسب إرادة الله الصالحة، والمتعة الجسدية بحسب الناموس الطبيعي (وليس بالإستعمال الشاذ - راجع رومية ٢) هذه كلها خليقة من إرادة الله ولأهداف إلهية، ولها تدبير مقدس ومفرح لقلب الخالق. ولذلك **كتب القديس إيريناؤس هذا القول الجميل ملخصًا ما قلته عن المادة وتأله الخليقة:**

> «**لا تركيب الخليقة ولا جوهرها سوف يدمران. إنه فقط الشكل الخارجي لهذا العالم هو الذي سوف يمضي - أي الحالات الناجمة عن السقوط.** وعندما يمضي هذا الشكل الخارجي سيتجدد الإنسان ويزدهر في أصالة الحياة غير الفاسدة. ولن يعود ممكنًا أن يشيخ أكثر. **وسوف تكون سماء جديدة وأرضًا جديدة** (رؤ ٢١: ١). وفي هذه السماء الجديدة والأرض

> الجديدة سيسكن الإنسان جديدًا إلى الأبد، محادثًا الله إلى الأبد» (الرؤية الأرثوذكسية للإنسان - ص ١٧٢).

فإن كان الكون سوف ينحل يومًا ما وتذوب العناصر محترقة (٢بط ٣: ١٠) إلا أ ا سوف تتجلي مثل أجسادنا وتقوم في السماء الجديدة والأرض الجديدة. الخليقة المادية هي أيضًا حبيبة إلى قلب الله جدًا، ومدعوة للخلود والتجلي كما قرأنا في أقوال الآباء.

وليس فقط الأقدمين هم الذين علموا هكذا، بل علّم الأنبا بيمين أسقف ملوي الراحل الكلام ذاته في كتابه «التجسد الإلهى» عندما إقتبس قول أثناسيوس الرسولي:

« لقد صار الله انسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا» ص ١٩.

وأيضًا كتب الأنبا بيمين في كتابه الرائع، الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم ص ١٦:

> « ذلك لأنه على جبل طابور، لم يتجل وجه المسيح فقط، بل سطعت ثيابه أيضًا، إشارة على **أن المادة سوف تتجلي أيضًا مع تجلي الإنسان**. وكما أن الخليقة المادية كلها تلوثت بفساد الإنسان وسقوطه، كما يقول القديس أثناسيوس الرسولي، فإن الخليقة أيضًا ستعتق من عبودية الفساد عندما يتمجد الإنسان...
>
> ومعني هذا أنه في اليوم الأخير لن يخطف الإنسان من بين الخليقة، بل إن الخليقة كلها ستخلص وتتمجد معه... في السماء الجديدة والأرض الجديدة».

• قال الرب بفمه الطاهر:
«أنا قلت أنكم آلهة ولا يمكن أن ينقض المكتوب».
(يو ١٠: ٣٤ ـ ٣٥)

• قال القديس أثناسيوس ماردده الآباء:
«لقد صار الله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً».
(تجسد الكلمة ٥٤: ٣)

• قال الرب المخلص العادل ليشرح شوق قلبه ومعني رحمته للإنسان:
«أنا قد أعطيتهم المجد (ذاته) الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد...
وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم (أنت بالحب ذاته) كما أحببتنى»!!! (يو ١٧: ٢٢ ـــ ٢٣).

• فكل إنسان له مجد المسيح ذاته!!!
وكل إنسان له الحب الذي من الآب للرب الإبن ذاته!!!

• في المسيح، وبعمل الروح، الكل أبناء بالنعمة لله، ليس من كبير وليس من صغير إلا بالحب العامل بالإيمان الحي. هذا هو تأله الإنسان...
أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ، بمجده ومحبة الآب وعمل روحه القدوس.

• يقول القديس كيرلس الكبير في قسمة القداس الإلهى :
"عند إستحالة الخبز والخمر إلي جسدك ودمك، تتحول نفوسنا إلي **مشاركة مجدك، وتتحد نفوسنا بألوهيتك**."

معادلة العدم والوجود

(الموت والحياة)

أولاً: جدول المقارنة بين تدبير الله وإختيار الإنسان

إختيار الله وصنعه	إختيار الإنسـان وصنعه
الأمور التي خلقها الله لنمو الخليقة، ولها جوهر حقيقي وموجودة بمشيئته، أي هو سببها ومدبرها:	**الحالات الناجمة عن الحرمان من الله ورفض المخلوق لتدبير الله، وليس لها جوهر، ولا هي من مشيئة الله ولا تدبيره:**
•••	•••
(١) الخير ــ ــ الوجود	**(١) الشر ــ ــ العدم**
(٢) النور	**(٢) الظلمة**
(٣) الحياة الأبدية (الملكوت)	**(٣) الموت الأبدي (جهنم النار)**
(٤) البركة (وهي أحد عطايا النعمة)	**(٤) اللعنة**

• **الديان العادل** يَحكُمُ وَيُمَيِّزُ وَيُعلِنُ للإنسان في أي جانب قد «إختار» الإنسان أن يكون.

• **الجانب الأيمن** هو إرادة الله المُحبة للخليقة وهي **«ما يدبره»**، كضد للجانب الأيسر. الله هو **«سبب»** الجانب الأيمن.

• **الجانب الأيسر** ليس من إرادة الله، بل هو **«التعدي»** على إرادة وتدبير الله الذي يصنعه الإنسان كما قال القديس أثناسيوس الرسولي في تجسد الكلمة (٥: ١): «أصبح الإنسان السبب في فساده بالموت.»

• **العدل، أي البر، الإلهي** هو تحقيق الجانب الأيمن، للقضاء على حالات النقص والهلاك الموجودة في الجانب الأيسر. **الظلم** (كما في صلاة التحليل ـ «رباطات الظلم») هو البقاء في الجانب الأيسر. الفداء والخلاص هو نقل الخليقة من الجانب الأيسر إلى الأيمن.

هذا الجدول خلاصة فكر وتفسير آباء الأرثوذكسية لمفاهيم لاهوتية كثيرة جداً. تأمل بحرية وفرح!!!   «ليس الموت (الأبدي، والشر، والظلمة، واللعنة) من صنع الله.» (سفر الحكمة ١: ١٢ ــ ١٦)   «الخطية إذا كملت (هي التى) تنتج موتاً. لا تضلوا يا أخوتي الأحباء. (الله مصدر) كل عطية صالحة وموهبة تامة (فقط).» (يع ١: ١٣ ــ ١٧)

أثار هذا البحث حوار هام وجاد مع الآباء الإكليروس والإخوة الأحباء الذين راجعوه. ولعل أهم نقاط الحوار تتلخص في جدول المقارنة (ص ٨١) والذي أورده لتأمل القارئ بعمق قبل شرح معادلة الحياة والموت، لأهميته القصوي في تفهم النمط الفكري والأرضية background التي رسم عليها الآباء الأرثوذكسيين الشرقيين شرحهم اللاهوتي كله.

(١) الجـانب الأيمن: الجانب الأيمن من الجدول يورد الأمور التي خلقها الله من فرط محبته للخليقة وأهداها للخليقة، كتدبيره كأب يهتم بنمو الخليقة وتربيتها حتى ما تصبح عروس تليق بالعريس السماوي. **وهذا يحوي**:

- **الوجود** أي **الحياة الأبدية؛**
- **الخير** أي كل ما ينمي فينا التشبه بالله؛
- **النور** أي إستنارة الإدراك والتمتع بالمعرفة بكل معاني هذه الكلمة، من معرفة فكرية كيانية، روحية، في الزيجة الروحانية التي تربط كل نفس بالحبيب الإلهي العريس السماوي، أي ما نسميه نور المعرفة الإختبارية الكاملة، في الهيام والغرام (الوجد) بحبيب النفس، الله محب البشر؛
- **البركة وهي أحد عطايا النعمة الإلهية،** وهي في العهد الجديد ليست بركات مخلوقة فقط، فهذه تتعلق بالخيرات الزمنية، كما في العهد القديم، بل البركة والنعمة الآن أصبحت **إهداء الله نفسه للخليقة،** وفيه تعطي لنا كل إحتياجاتنا الزمنية والروحية أيض . لذلك دي الكنيسة البركة والنعمة بقولها: «محبة الله الآب، ونعمة الإبن الوحيد، وشركة وموهبة وعطية الروح القدس فلتكن مع جميعكم»...

الله لا يهدي إلا ما يليق بمقامه!! الإنسان يهدي **«أشياء»** صغيرة للتعبير عن محبته لأحباءه، ولكن الله متي أهدي فهو «يعطي الروح القدس لمن يسألونه» (لو ١١: ١٣)، أي يهب ذاته كلها لنا!!! لأن الروح: يأخذ مما للمسيح ويخبرنا (حسب الترجمة القبطية: «يأخذ مما لي **ويخبركم**»، أي يعطيكم) (يو ١٦: ١٤)، وفي المسيح نأخذ الآب أيض ، لأن المسيح إبن الله هو « اء مجده ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١: ٢).

(٢) أما الجانب الأيسر من الجـدول: فهذا يحـوي كل ما هو «ضد» لما هو تدبير الله الذي قرأناه في الجانب الأيمن.

فالموت أو العدم، أي حالة وجود الخليقة بدون الاتحاد مع الله، كما يستعمل أثناسيوس كلمة **«الفساد»** و **«العدم»** في كتاباته، هذا الموت الروحي الأبدي (الإنفصال عن الله) هو الضد لحالة الوجود على صورة الله ومثاله، والذي نسميه «الحياة الأبدية» أو «الحياة الروحية»، أو «الزيجة السماوية» بين النفس والعريس السماوي. الموت الروحي، أو البقاء في الموت والفساد، هو ما يسميه أثناسيوس

الرسولي «العدم» كما في قوله:

> «ولكن التعدي على الوصية جعلهم يعودون مرة أخري إلى طبيعتهم؛ فكما أ م في البدء جاؤا إلى الوجود من حالة العدم، فها هم الآن في طريقهم إلى الفساد (الموت الروحي الكياني) في طريقهم إلى العدم مرة ثانية. إن وجود ومحبة الله الكلمة هو الذي دعاهم إلى الوجود. فكانت النتيجة المحتمة إذ عندما فقدوا معرفة الله، **أ م فقدوا ثبا م** في **الوجود،** وذلك لأن الله وحده هو الكائن المطلق والوجود ذاته. **إن الشر ليس بموجود** (ليس له كيان أو جوهر أوجده الله) **إنما الشر هو إنعدام** الخير **والحالة المضادة للخير»**. (تجسد الكلمة ١: ٤).

On the Incarnation - Mowbray, p. 29 - 30

وهذه الفقرة الذهبية في كتاب تجسد الكلمة لأثناسيوس الرسولي تصف وتعبر عن روح التفسير الأرثوذكسي كله، كما جاء في أقوال الآباء قبله وبعده في شرح الأمور العسرة الفهم في الكتاب المقدس، والتي هي مضادات ما قد أوجده ودبره لنا الله بمحبته:

- **فالظلمة ليست إلا إنعدام النور.**
- **والموت هو إنعدام وغياب الحياة.**
- **والشر هو إنعدام وغياب الخير.**
- **واللعنة هي إنعدام وغياب البركة والنعمة الإلهية.**

ولكن هذه المعاني تحتاج إلى شئ من الشرح للتوضيح. فنحن إذا قلنا أن الموت والشر والظلمة واللعنـة ليسـت طبائع خلقهـا الله لها كيـان ووجـود خـلقه الله أو أ ا «عدم»، أو أ ا «حالات» conditions لم **يخلقها الله،** فنحن لا نقول أن هذه الحالات هي مجرد خرافة خيالية لا وجود لها، أي نتنكر لكو ا أمور وحالات واقعية نختبرها جميع . إنما ما أريد أن أشرحه، كما شرح القديس أثناسيوس الرسولي في قوله السابق، هو أن كل ما نختبره في هذه الحياة هو أحد أمرين:

(١) ما خلقه اللّٰه وله جوهر وقصد وهدف إلهي...

(٢) ما لم يخلقه اللّٰه ولم يدبره، إنما هو «حالات» ندركها عندما نحاول بإرادتنا رفض وتحطيم ما قد دبره اللّٰه بمحبته وتدبيره لنا، من أجل الحياة الأبدية على صورته كمثاله. هذه هي حالات ليس لها وجود في تدبير اللّٰه، وهي لهذا لا تَسُرَّه، ولا يمكنها أن تسترضي عدالته. (إدراك هام لفهم معنى الفداء والكفارة)

ولكن يسأل السائل: إن قلنا أن الله هو خالق ومدبر الحياة، والنور، والخير، والبركة والنعمة؛ ولكن ليس الله هو خالق ومدبر الموت الروحي الأبدي، والظلمة، واللعنة، ألا يعني هذا أننا بصورة غير مباشرة نقول أن الله ليس «ضابط الكل»، وأن هناك خالق آخر لهذه الأمور أو «الحالات» (أي الموت الأبدي، والظلمة، والشر، واللعنة)؟!!!

الإجابة: إذا أخذنا **النور المادي** كمثال ودرسنا **علاقته بالظلام** نستطيع أن نجيب هذا السؤال الذي طالما شعرت أنه يحير بسطاء الفكر. النور علمياً هو طاقة موجودة محسوسة، ولها طبيعة أي جوهر **Essence or Substance or Nature**.

يمكننا أن ندرس النور وعلامات وجوده وتأثيره على الأشياء المحيطة به. أما الظلمة، علمياً ، فهي مجرد حالة **إنعدام النور فقط. لا توجد طبيعة أو جوهر للظلمة.** لذلك نقول أن الظلمة هي حالة ندركها فقط ولكن ليس لها وجود كياني محسوس يمكنه التأثير على الأشياء المحيطة.

فنقول عن الظلمة أ ا **«عدم»** أو حالة «عدم» أو **«إنعدام وغياب»** النور، الذي هو الجوهر الذي يؤكد لنا إختبارنا الحقيقي لحالة الظلام، عندما ينعدم ويغيب النور.

فإذا قال الله للإنسان: «وضعت أمامك النور والظلمة فإختر النور لتستنير»، هذا لا يعني أن الله ذا التوضيح أو ذا **«الحُكْم»** judgement، أي إبداء الرأي القويم للتمييز بين النور والظلمة، هذا لا يعني أن الله هو خالق الظلمة ومدبرها لأنه قد

أعلن حكمه ورأيه عن علاقة الإنسان بالنور والظلمة! إنما إعلان **«الحُكْم»** هنا، والكلمة باليونانية KRISIS تعني «التمييز»، هو لكي يشرح الله الفارق بين النور والظلمة. النور هو ما خلقه الله، والظلمة هي الخروج عن تدبير الله والبقاء في حالة الحرمان المؤلمة من النور.

أرجو من القارئ أن يتفهم هذه السطور بكل قدرته وبكل وضوح لأنها مفتاح فهم تفسير الكنيسة الأرثوذكسية لمعني الشر والموت الأبدي والخير والحياة الأبدية، بل وكل رسالة الإنجيل بحسب شرح الآباء الشرقيين، وهو محور هذا البحث. إن لم يستوضح القارئ هذه المعاني **رجاء إعادة أكلها وهضمها** حتى **يتسني فهم البحث كله. الخلاف** في **تفسير هذه التعريفات هو جوهر** الخلاف بين **اللاهوت الشرقي والغربي كله!!!**

بعد أن تفهمنا أن الظلمة هي حالة ندركها لأننا أدركنا معني النور (والمولود أعمي لا يدرك النور ولا الظلمة، تأمل هذه الفكرة بعض الشئ!) يمكننا أن نتفهم معاني الحالات السلبية الأخري مثل: الشر، والموت واللعنة.

(١) الشـــر:

هو الحالة أو العمل أو الفكر الذي به نحاول تدمير ما قد أوجده الله كخير للإنسان. **فالقاتل** يحاول محو القتيل، ولكنه يقضي على جسده فقط. **والسارق** يحاول إنقاص خير قريبه الذي يسرقه، وهكذا يشين نفسه كمخرب لنفسه وقريبه. «والذي **يكره** أخاه هو قاتل نفس» (١يو ٣: ١٥)، لأنه يتمني أن يفني وجود أخاه إن أمكن. والذي **يزني** يحول من يزني معه إلى أداة للّذة، بدون إحترام كيانه المخلوق على صورة الله كما ينبغي في العلاقة الزوجية، التي فيها تكون العلاقة الجنسية لغة للتعبير عن الحب، طوال الزمن مع شخص أحبه وأرتبط به بحسب مشيئة الله، فأحبه **كشخص** وكيان أبذل ذاتي لأجله بالحب. لذلك الزنا شر مدمر وتحقير للإنسان (الزاني ومن يزني معه على السواء) و **«تشييئ»** للآخر، أي تحويله إلى **«شئ»** بدلاً من كونه **«شخص»** على صورة الخالق.

وهكذا **الشر لا يخلق شيئ جديد ،** وليس له جوهر ولا كيان، ولكنه **«حركة سلبية»** (كما نوصل طاقة الكهرباء بالأرض فتنقص أو تُعدم) رهيبة ومدمرة، تشد كل ما هو خير وموجود إلى إتجاه **«العدم»،** كما يشتاق الشيطان، محرك هذه الحركة السالبة التي تنحو نحو العدم، الذي منه خرجت الخليقة للوجود.

الشر هو **«محاولة تدمير»** إرادة الخالق الخيرة للخليقة، لذا أسماه الكتاب «الخطية هي التعدي» (١يو ٣: ٤)، أو ما نسميه العصيان. ولكنه ليس كعصياننا لدكتاتور متسلط، إنما عصيان من هو جائع وعطشان لمن يقدم له الأكل والشرب!!! أي أن الله لا يفرض إرادته عنوة، إنما خلقنا بحالة عطش وجوع شديد نحو التشبه به والحياة بحسب إرادة محبته ولطفه وصلاحه، حتى ما ننمو إلى «الشركة في طبيعته الإلهية» (٢بط ١: ٤) حتى ما ينطبق علينا اللقب «أنا قلت أنكم **آلهة**... ولا يمكن أن ينقض المكتوب» (يو ١٠: ٣٤ ـ ٣٥). فكيف نرفض أن نأكله ونشربه لنحيا؟ الشر إذن، وإن كان واقع نشعر بسلبيته الرهيبة القاتلة، والتي تسحب منا كل طاقة الحياة الروحية الأبدية (كتوصيل الكهرباء بالأرض Earthing)، إلا أنه ليس له كيان وجوهر ووجود مثل كل ما نسميه «خير» في هذه الحياة. لذلك يقول الآباء قولتهم الشهيرة: **«الشر عدم»**، ولكن كما قلنا هذا القول ليس تنكر لواقع الشر كحركة قاتلة.

وهنا يظهر السؤال المنطقي: ومن هو خالق الشر؟!

الإجابة: حرية الإختيار التي أعطاها لنا الله، إذا إنحرفت هي التي تنتج لنا الشر، كما يقول يعقوب الرسول، والموت هو النتيجة التلقائية لهذا الشر، والله لم يدبر أو ينتج لا الشر ولا الموت الروحي الأبدي الذي يجلبه الشر... **«لا تضلوا يا أخوتي الأحباء»**:

> «لا يقل أحد إذ جُرب إني أجرب من قبل الله. لأن الله غير مجربٍ [هو لا يهتز ويتغير بسبب شرورنا] بالشرور، وهو لا يجرب أحد . ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتً . لا تضلوا يا أخوتي الأحباء كل عطية صالحة وموهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران». (يع ١: ١٣ ـ ١٧).

إذن الله لم يخلق الشر، وكذلك الموت نتيجة الشر. **أنا أعني الموت الروحي الأبدي، جهنم النار الأبدية، ولا أعني الموت الجسدي الذي هو تدبير رحمة الله،** لكي يرقد وينام الإنسان ليستريح من أتعاب الحياة الزمنية، حتى ظهور الملكوت السماوي بكامله في المجئ الثاني.

لذلك يقول القديس أثناسيوس أن الإنسان هو **«السبب»** في الموت الذي تنتجه الخطية (الموت الروحي الأبدي أي الإنفصال عن الله) في عبارته:

«أصبح الإنسان السبب في فساده بالموت»

(تجسد الكلمة ١: ٥)

ويؤكد القديس باسيليوس الكبير ذات التعليم:

> **«ليس الله مسبب لعذابات الجحيم (الموت الأبدي) بل** نحن **أنفسنا، لأن أصل الخطية وجذرها كائن** في **حريتنا وإرادتنا»** (الرؤية الأرثوذكسية للإنسان صـ ١٣٧)

(٢) الموت الروحي الأبدي:

فحرية الإختيار قد أعطيت لنا لكي نجيب الله على هدية حبه، أو كونه يطلب يدنا كعروس للعريس السماوي، نجيبه بقولنا: نعم أو لا!

الحب بدون حرية عبودية والقهر في **الحب كراهية.** ولكن الحرية قد ترفض الحب، لرغبة المخلوق أن يحيا متقوقع في ذاته ومتحوصلاً في فكره، كمصدر وحيد للحياة والأخلاق واتخاذ القرار، بعيد عن أبوة الله **مصدر الحياة والحكمة والأخلاق، الوحيد، والكامل** (وهذا معني من معاني كلمة **«قدوس»**، أي فيه الكمال المطلق وكل كنوز الحكمة وكمال الحق والبر والصدق والحب والعدل). فإذا قلنا لحبه **«لا»** فنحن نموت روحيٍ ، نحن **«نطلّق»** أنفسنا من الله، أو **«نُطلق الله»** منا إن جاز التعبير. والموت الروحي والعذاب الأبدي الذي وُصف بأنه بحيرة من نار لا تطفأ، وصرير أسنان لا يهدأ، ودود مفترس لا يشبع، هي هي البقاء في حالة «الطلاق الروحي» بعيد عن الله...

الله الحبيب الأول، الحبيب الحق، قد أعطي **«عصمة»** الزواج أو الطلاق الروحي منه للإنسان حبيبه، كعلامة إحترامه لحرية الحب والمحبوب للأبد. فإذا أساء الإنسان إستعمال هذه العصمة، وإذا «ألقي على الله يمين الطلاق» إن جاز التعبير، فهو يُلقي هذا القرار على نفسه بنفسه، فيموت الإنسان روحياً هنا في هذه الحياة، ويستمر هذا الموت، موتاً أبدياً، إن ترك الإنسان فرصة التوبة والعودة لأحضان الحبيب، العريس السماوي، وهو في الحياة الزمنية هنا. (راجع هوشع ٢).

فقط الذين يعرفون الحب هم الذين يُقدرون عذاب الحرمان من الحبيب، وأنه أسوأ من أي نار أو دود أو صرير أسنان مادي في عالمنا هذا... فقط الذين أحبوا وإختبروا مرارة البعد عن الحبيب في هذه الحياة هم الذين يقدرون أن بحيرة نار الحرمان من الحب والمحبوب آلامها لا تقاس بأي نار نعرفها. **أما من لا يحبون ولم يعرفوا الحب وقيمة الحبيب، فهؤلاء لا يزعجهم الحرمان من الحب**، ويقولون لي إنك بهذا الوصف لنار جهنم الأبدية إنما تنكر ما قاله الكتاب المقدس عن صرامة البحيرة المتقدة بالنار!!! إنهم لا يخافون «خوف المحبة» الذي علمنا إياه آباء الكنيسة بل يخافون نار الحريق المادي فقط، ودود الأرض يرعبهم أكثر من دود خطايا الضمير والأحشاء، الذي يكتب عنه القديس أمبروسيوس:

> «صرير الأسنان (كما وصفه الرب في جهنم الأبدية) ليس صرير أسنان جسدية! وليس الدود أيضاً جسدياً. لم تكتب هذه الأمور إلا لأن الدود يظهر مع الحمي الشديدة (= المرض، بحسب الطب أيام أمبروسيوس) وكذلك من لا يتوب ويطهر من خطاياه سوف يحترق في ناره ويتآكله دوده (أعماله). ولهذا كتب إشعياء سيروا في نيرانكم والشرار الذي أوقدتموه (إشعياء ٥٠: ١١). إنها نيران كآبة الخطية ونتيجتها. إنها كدود، لأن خطايا النفس تطعن العقل والقلب وتأكل أحشاء الضمير.»
>
> (The Faith of the Early Fathers Vol 2, p. 163)

عندما ندرس الموت الروحي الأبدي علينا أن نفصل بين عقوبات العهد القديم، التي هي **«تأديبات من الله للإنسان لكيما يعود إلى الحياة»**، من الموت المطلق أو ما يسميه الكتاب «الموت الثـاني» (رؤ ٢١: ٨).

إن **الموت البيولوچي ليس هو الموت الذي نتحدث عنه، بل نحن نتحدث عن الموت الروحي الأبدي أي الإنفصال عن الله للأبد.** الموت الذي نذكره بقولنا في القداس: **«ولا يقوي علينا نحن عبيدك موت الخطية.»**

أما الموت البيولوچي فقد صار بسبب الخطية جزءً من تدبير الله، لراحة الإنسان من أتعاب الحياة الزمنية. هو تدبير رحمة ومحبة. لذلك نقول عن الموت البيولوچي: «ليس موت لعبيدك بل هو إنتقال.» هذا الأمر لا خلاف عليه. وحتى موت البشر في الطوفان، وسدوم وعمورة، وعقوبات الشعوب في العهد القديم؛ وحنانيا وسفيرة أو هيرودس، الذي مات وصار يأكله الدود (أع ١٢: ٢٣) في العهد الجديد، هذه **ميتات جسدية** أ ي ا الله حياة البعض في الزمن الأرضي، كتأديبات لهم ولغيرهم، ليس لأن قلب الله قد ضعفت فيه المحبة لأي من هؤلاء ـ حاشا ـ فكل إنسان هو عزيز جد في قلب الله مهما كان خاطئ ، ولكن لأن تأديب هذا الإنسان ومن حوله إقتضي هذا **الموت الجسدي المبكر.**

ولكي يؤكد لنا الرب أن حكمة الله في موت من ماتوا مبكر هي **«حكمة محبة وتدبير عالي»** لا ندركه، ولكنه يقوم أولاً على المحبة والرحمة، لا على التشفي والنقمة، كما عند البشر، قال الرب: «ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين **حالة أكثر إحتمالاً** مما لتلك المدينة.» (مت ١٠: ١٥) وكتب بطرس الرسول هذا السر عن ذهاب الرب إلى الجحيم، ليس فقط لمن ماتوا على رجاء المخلص وكانوا بانتظار مجيئه، بل ذهب يدعو ويكرز لأرواح من ماتوا عصاة في الطوفان أيام نوح!!! وهذا السر، وإن كنا لا ندركه ويبدو أنه في ظاهره لا يتفق مع بعض أمثلة الملكوت التي تشرح أن زمان التوبة هو في هذا الزمان فقط، وليس بعد، إلا أنه سر يستحق التفكير العميق، وأترك القارئ ليفهم **ما يريد الروح، الذي أوحي بالكتاب المقدس كله،** أن يقول:

> «لكي يقربنا إلى الله مماتً في الجسد، ولكن محي في الروح الذي فيه أيض ذهب فكرز للأرواح التي في السجن **إذ عصت قديم** حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح.» (١بط ٣: ١٨ ـ ٢٠).

كنت دائم أتساءل عن مصير الأطفال الأبرياء ممن ماتوا في الطوفان وسدوم وعمورة

وحروب بني إسرائيل منذ طفولتي، إلى أن أظهر لي أحد الآباء الكهنة تلك الفقرة في رسالة بطرس الرسول للتأمل! وإن كنا لا نستطيع إستخراج عقائد من فقرة كتابية واحدة ولكن، الكرازة لمن رقدوا **«عصاة»** وماتوا في الطوفان هي إختيار بديع من الروح القدس «المحيي» والذي يهمه أن يبهر عقولنا بأسرار الله...

فهو لم **يختار أي عقوبة تأديبية أخري غير الطوفان! لماذا؟!** إحترت في السؤال، ولكن الإجابة قد تكون في حقيقة هامة: إن حادثة الطوفان قد قسمت البشر إلى ثمانية نجوا في الفلك، والظاهر أن هؤلاء فقط هم الذين «خلصوا خلاصاً أبدياً»، وكل الباقين من البشر، والظاهر أنهم كلهم قد «هلكوا هلاكاً أبدياً» بحسب تفسيرنا لأجزاء أخري في الكتاب المقدس.

ولكن يذهب الرب إلى سجن الجحيم ليكرز لهم، **«للعصاة»**، الذين نظن نحن أنهم كلهم هالكون أبدياً !!!

ألم يكن من الأمور المريحة لنا ألاّ يعلن لنا الروح الموحي لبطرس الرسول بهذا السر، ونبقي في حالة المعرفة البسيطة، أي أن الرب ذهب إلى الجحيم من قِبَل الصليب ليكرز لمن ماتوا على رجاء الخلاص، والمخلص والقيامة فقط؟! لماذا أعلن الروح عن هذا السر؟!

أجيب وقد أكون مخطئاً: **لأن المحبة الإلهية لا تنعدم، ولم تنعدم، مهما كانت قسوة العقوبة التأديبية الزمنية،** حتى في الطوفان الذي جرف **الكل** ماعدا ثمانية!!!

ولماذا ترتل الكنيسة أن الرب قد **«رد آدم وبنيه إلى الفردوس»**، مع أننا لم نسمع أن آدم وكل بنيه قد قدموا **توبة ظاهرة**؟! ولماذا نرسم أيقونة «سبي الجحيم» الأرثوذكسية والرب قائم ويمسك في يديه آدم وحواء بعد أن أخرجهم من الجحيم، وأسفل أرجلهم نرى **الجحيم فارغ** وليس فيه إلا أبوابه المكسورة وأقفاله المحطمة؟!!!

عقوبات اللّٰه هي تأديبات زمنية، مهما كانت قاسية، لكي يرجع الإنسان إلى أحضان اللّٰه المحبة والحياة الحقيقية، لا لكي ينتقم ويتشفي ولا لكي يقتص لعدالته وكرامته المهانة بالشر، لأنه لا يهان بالشر كما قال لأيوب:

«إن أخطأت فماذا فعلت به (أي باللّٰه). وإن كثرت معاصيك فماذا عملت له. إن كنت باراً فماذا أعطيته أو ماذا يأخذ من يدك. لرجل مثلك شرك ولإبن آدم برك» (أيوب ٣٥: ٦ ـ ٨).

قال لي البعض إنك بهذا التعليم تنكر سلطان الله وتتنكر لأنه هو الذي **«حَكَمَ»** على الإنسان بالموت، وإن كان الإنسان هو الذي إستحق حكم الموت. والسائل عليه أن يميز بين **«الحُكم»** و **«التدبير»**، وأن يميز بين **«الحاكم»** أي الديان العادل، و**«السبب»** "THE CAUSE" في العقوبة التي تحل بسبب الخطية.

أولاً: «الحُكم والحاكم»:

كلمة حُكم باليونانية والعبرية تعني **«تقييم»** أو **«تشخيص»** أو شرح **«التمييز»** بين الأمور. وذلك كما يقول الكتاب في إصحاح الخليقة (تكوين ١: ١٦ ـ ١٩):

> «فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر **لحكم** النهار، والنور الأصغر **لحكم** الليل. والنجوم. وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض. **ولتحكم** النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأي الله ذلك أنه حسن.» (تك ١: ١٦ ـ ١٩).

وحتى سفر التكوين لم يقل أن الله هو خالق الظلمة، بل أنه هو **خالق النور فقط،** ولكنه بخلقته للنور أعطانا أن ندرك الظلمة، كإدراك وليس كجوهر حقيقي مخلوق بفعل الخلق الإلهي. الله **«حَكَمَ» حكماً عادلاً** بين **النور والظلمة**:

> «وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأي الله النور أنه **حسن. وفصل** الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً...» (تك ١: ٣ ـ ٥).

والله الذي لم يخلق إلا النور وحَكَمَ أنه «حسن» وحَكَمَ، أي فصل وميز، بين النور والظلمة، هو أيضاً الذي قال لنا بالوحي المقدس: «وأية شركة للنور مع الظلمة» (٢كو ٦: ١٤)؟! لأنه أي شركة بين ما يخلق الله وُيسر به أنه «حسن»، وبين حالة إطفاء النور الروحي ومحوه، بالموت الذي هو **«غياب»** نور الحياة والذي لا يَسرُ عدل الخالق؟!

فالله إذ يحكم هو **«يفصل** بين **شيئين»، «وميز** بين **أمرين»،** ويشرح ليوضح لنا ما يريد أن يقوله لنا. إنه **«يُشخص»** للإنسان إلى أين يتجه هذا الإنسان، نحو الحياة أم نحو الموت، نحو النور أم نحو الظلمة. والإنسان يتحرك نحو إختياره الحر. لذلك يعلن الديان العادل والحَكَمُ الحق:

> «أنظـر قد جـعلت اليـوم قدامـك الحـياة والخـير، والموت والشر، بما أني أوصيتك اليوم أن تحـب الرب إلهك وتسـلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو... فإن إنصرف قلبك ولم تسمع... فإني **أنبئكم [أظهر حكمي لكم]** اليوم أنكم لا محالة تهلكون... قد جـعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة. **فإختر الحياة لكي تحـيا أنت ونسـلك.** إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به **لأنه هو حياتك.**» (تث ٣٠: ١٥ ـ ٢٠).

نحن في الطب أيضاً نقدم للمريض **«حُكْمَ الطبيب»** على حالة المريض، أي التشخيص الحالي والتشخيص المستقبلي Diagnosis & Prognosis. فالمريض يأتي للطبيب لكي **«يميز»** له بين الصحة والمرض، ويعلن له ما أصابه، وكيف يمكن للإنسان أن يختار بين العلاج والدواء أو التهاون والموت البيولوچي.

كذلك الله الديان العادل يفرق وُيعلن وُيميز وُيشخص للإنسان، والإنسان هنا في هذه الحياة، وعند الدينونة الأخيرة، سوف **«يُقبل إلى النور»** أو **«لا يُقبل إلى النور»** بحريته هو، حتى وإن كانت بعض أمثال الملكوت، **لأنها مجازية** في **الوصف** قد يظهر منها أن الله هو الذي يلقي بالخطاة بعيداً عنه مثل: مَثَل الزوان والقمح (مت ١٣: ٢٤ ـ ٣٠)، مَثَل الذين رفضوا أن يملك الملك عليهم (لو ١٩: ٢٧)، ومَثَل الجداء والخراف (مت ٢٤: ٣١ ـ ٤٦).

ولكن عندما تحدث الرب بدون أمثال لتلاميذه لأنه قد قال لهم: «لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله. **وأما للباقين فبأمثال حتى أ م مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون.**» (لو ٨: ١٠)؛ قال الرب بكل وضوح وبدون أمثال أفضل شرح لسر الدينونة:

> «لأن هذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور **ولا يأ**تي (بحريته) إلى النور لئلا توبخ أعماله. أما من يفعل الحق **فيقبل إلى النور** (بحريته) لكي تظهر أعماله أ ا بالله معمولة.» (يو ٣: ١٩ ـ ٢١).

ندرك من هذا كله أن «الحُكم» هو إعلان الله عما قد صنعه الإنسان بنفسه في نفسه وما أصبح مستحق له باختياره الحر. **وليس الحكم، أو الدينونة العادلة هو تعبير عن «إرادة الديان» نفسها أو أن الديان الحاكم هو «السبب» The Cause، أو «الراغب»** في **تعذيب الخاطئ،** دف تحقيق العدل بالعقوبة، كما يفسر كل من يتبعون منهج اللاهوت البروتستانتي، وتفسيرات القرون الوسطي الغير أرثوذكسية.

ثانيا : التدبير والسبب THE CAUSE:

مما سبق يتبين لنا أن الآباء أمثال القديس أثناسيوس الرسولي والقديس باسيليوس الكبير (وغيرهم) قد فسروا «الأمور العسرة الفهم» (٢بط ٣: ١٦) ـ والتي قد يظهر منها على السطح الخارجي أن الله هو السبب والراغب في عقوبة الشر بالموت الأبدي ـ قد فسروا هذه الأمور في تيار وروح الحياة والنعمة والمحبة الإلهية، بقولهم **أن الإنسان هو «السبب» THE CAUSE** في **الهلاك الأبدي وفي الموت الذي تنتجه الخطيئة** (يع ١: ١٥)، **وليس الله هو السبب والمتسبب.** ولكنهم إستعملوا عبارة أن الله هو الذي أصدر حكم الموت على الإنسان. إصدار الحكم، كما شرحنا هو توضيح، وإعلان، وتمييز حالة الإنسان الحي روحي من الميت روحي . هذا ما يصنعه النور كما في يوحنا ٣: ١٩ ـ ٢١.

والموت الروحي تنتجه الخطية وليس الله كما في يعقوب ١: ١٥. وكما نصلي في القداس: **«ولا يقوي علينا** نحن **عبيدك موت الخطية»**، وليس موت العدالة الإلهية!!!

ولكن محاولة القول أن كون الله هو الحاكم بحكم الموت والحياة هو إثبات ودليل أن الله هو **«مدبر»** الموت وهو **«المتسبب»** في الموت كعقوبة **«لتحقيق العدل الإلهي»،** فهذا خروج عن روح التفسير الآبائية وعن روح الكتاب المقدس أيضا.

وأما القول بأن أمثلة الملكوت والعقوبة المذكورة سابقا هي دليل إثبات أن الله مدبر الموت فهذا إدانة لما كتبه أثناسيوس وباسيليوس الكبير وغيرهم. **وإن وُجد** في **كتابات الآباء وتفسيرهم للكتاب ما يؤكد أن الله هو المدبر والمتسبب** في **الموت الأبدي لكي يستوفي عدله حقه بالموت، بدلاً من الحياة، فأين هذه الأقوال؟ ولماذا لازالت** مخفية **عنا**؟!! إن من يقول **«عندنا الكتاب المقدس وحده»**، ويقدم التفسيرات الشخصية للكتاب المقدس، بدون الإلتزام بالتقليد الآبائي وليتورچيات الكنيسة، هو أخوتنا البروتستانت فقط!!!

أما الأرثوذكس والكاثوليك فهم لا يقدمون إلا التفسيرات الكتابية التي تشرح روح الآباء في التفسير، ولا يقولون «عندنا الكتاب المقدس وحده»... ولو إعترضت تفسيرات الآباء الأرثوذكس مع تفسيرات الأخوة البروتستانت فهم يتنكرون للإلهام الروحي عند الآباء والتقليد ويرفضونهم، بل ويشككون الكنيسة في صحة أقوال الآباء وهدفها!!!

الكتاب المقدس يؤكد أن الله، وإن كان هو الذي ميّز وفصل بين الحياة والموت، وهو الذي يحكم بين الحياة والموت الأبدي، إنما ليس الله مصدر الموت بأي حال. فكيف يكون هناك طبيب هو مصدر **الداء والدواء معا** !!؟ وكيف يكون **«معطي الحياة»** هو **«مدبر الموت»** والراغب في موت الخاطئ موتا أبديا؟ (أنا لا أتكلم عن الموت الجسدي). وكيف يكون هدف الخلاص كله هو القضاء على الموت الروحي الأبدي ـ وهذه قصة الكتاب المقدس من أوله إلى آخره ـ ونقول أن الله هو خالق الموت «العدو الأخير الذي يبطل» (١كو ١٥: ٢٦)؟!! **كيف** يخلق **الله ويدبر الموت كعدو له ولنا،** ثم **يعمل كل تدبير الخلاص للقضاء على ما دبره هو؟!! كيف يكون المحب للبشر كارها للبشر، من ذات القلب الإلهي؟ كيف؟ كيف نشوه حب الله** تحت **ستار عدل بشري ألقينا بظله على طبيعة الله ونريد حشره** في **الطبيعة الإلهية لندافع عن** تجبر **البشر ونقص** محبتهم، **ولنصنع** إلها **صنما ووحشا ليكون** مبررا **لقسوة الإنسان وبطشه بأخيه الإنسان؟!!!**

يقول الأب صفرونيوس في كتابه عن «الخوف»:

> «كل من يحاول أن يغرس **أي فكرة ما ضد** محبة **الله** وضد مجد الإنسان في يسوع المسيح، **فهو متحالف مع الشيطان،** الذي بحسب الشر الذي فيه، خدع الإنسان وقاده إلى الموت... هكذا راعي السوء ومعلم الزور، وكل من ينكر مجد الإنسان في المسيح [هذا ما أسماه الآباء تأله الإنسان كما في يو ١٠: ٣٤] هو **متحالف مع الشيطان وشريك له** في الحسد الذي حاول أن يبطل به محبة الآب.»

وها هي شهادة الكتاب المقدس ملخصة هذا كله:

- **من سفر الحكمة** (من الأسفار التي حذفها أخوتنا البروتستانت):

> «لا تجلبوا عليكم الهلاك بأعمال أيديكم. **إذ ليس الموت من صنع الله،** ولا هلاك الأحياء يسره. لأنه إنما خلق الجميع للبقاء... **ولكن المنافقين هم استدعوا الموت بأيديهم وأقوالهم.** ظنوه حليف (حبيب ـ كما في الترجمة الإنجليزية) لهم فاضمحلوا، وإنما عاهدوه لأ م أهل أن يكونوا من حزبه» (الحكمة ١: ١٢ ـ ١٦).
>
> «فإن الله خلق الإنسان خالد وصنعه على صورة ذاته. **ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم. فيذوقه الذين هم من حزبه.**» (الحكمة ٢: ٢٣ ـ ٢٥).
>
> والموت بحسب الحكمة ٢: ٢٥ هو الموت الروحي الأبدي ـ جهنم الأبدية ـ الانفصال عن الله، **وليس هو الموت الجسدي الذي يموته الكل.**

- **من سفر حزقيال النبي:**

> «من أجل ذلك **أقضي** (أحكُمُ وأعلن لكم وأنبئكم كما في تث ٣٠: ١٥ ـ ٢٠) عليكم يا بيت إسرائيل كل واحد كطرقه، يقول السيد الرب. توبوا وإرجعوا عن كل معاصيكم **ولا يكون لكم الإثم مهلكة...** فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل. **لأني لا أسر بموت** من يموت، يقول السيد الرب. فارجعوا وإحيوا.» (حز ١٨: ٣٠ ـ ٣٢)

> **«هل مسرة أسر بموت الشرير، يقول السيد الرب. ألا برجوعه عن طرقه فيحيا؟»** (حز ١٨: ٢٣).

ولهذا يرفض منطق الوحي المقدس كل تعليم يقول بأن العدل الإلهي، يمكنه أن يسترضي، أو يُسَرُّ، بموت الرب كعقوبة عادلة تدفع ثمن الخطية.

إنما الرب قد دفع حياته لنا ثمناً، ليشتري حبنا ويعيدنا إلى الحياة في أحضان الثالوث. هكذا يُسترضي العدل الإلهي بالحب، لا بعقوبة الموت!

(٣) معنى اللعنة:

تماماً كما رأينا أن النور هو الجوهر الذي خلقه الله وليس الظلمة، وكما رأينا أن الحياة هي الجوهر المخلوق وليس الموت الروحي الأبدي، كذلك هو الحال بين البركة والنعمة بالمقابلة مع اللعنة.

فاللعنة، كالشر والموت والظلمة، هي حالة غياب وعدم البركة والنعمة.

وكما رأينا البركة واللعنة أعلنها الله الديان العادل عندما ميّز بين بركات الأرض لمن يحيا في مشيئة الله واللعنات أي الحرمانات التي يجنيها الخاطي الرافض للمشيئة الإلهية، كما في سفر التثنية.

ولكن هذه الإعلانات الإلهية للإنسان لم يفسرها الآباء بأن الله هو **«لاعن البشر الخطاة»**، لأنه عادل!!! ولكن اللعنة هي حرمان الإنسان الذي **يختاره الإنسان بحريته**، كحالة نقصان للبركة، كما **يُخيره الله**:

> «قد **جعلتُ قدامك الحياة والموت،** البركة واللعنة. **فاختر الحياة** (والبركة، وأترك الموت واللعنة) لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك.» (تث ٣٠: ١٩ ـ ٢٠).

واللعنة هي الآن في العهد الجديد، هي هي الموت الروحي الأبدي، أي الحرمان

من البركة التي أعلنت لنا في كمالها في قول الكنيسة:

> «محبة الله الآب، ونعمة الإبن الوحيد، وشركة وموهبة وعطية الروح القدس تكون مع جميعكم».

فمن يحيا خارج هذه المحبة والنعمة والشركة هو الملعون. وحتى لو قلنا ـ مجازي ـ «ملعون من قبل الله»، فهذا يعني أنه إنسان يحيا في حالة الموت الروحي أمام الله، وهو إنسان رفض عشرة الثالوث ورحمته ومحبته وينطبق عليه قول الوحي:

> تركوني أنا ينبوع المياة الحية لينقروا لأنفسهم آبار ، آبار مشققة لا تضبط ماء.» ولذا ماتوا من العطش!!! (إر ٢: ١٣)

فالله «يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» لأن هذه مشيئة المحبة، ولكن بحرية. أي أنه من جهة الله الكل مدعو للحياة. ولكن من يختار البعد عن الحياة فقد **«إختار اللعنة»** التي **«حكم ا الله»** ولكن ليس الله الراغب فيها، ولا مسببها ولا مدبرها.

فالله هو هو الحياة والوجود المطلق. لذا قال الرب يسوع تعريفه الهام لمعني **الحياة** الأفضل، التي جاء ليعلنها لنا (يو ١٠: ١٠)، والتي قال عنها يوحنا الحبيب مُعرف شخص الرب المخلص «الحياة (الأبدية) قد أظهرت» (١يو ١: ٢) أي شخص الرب المتجسد نفسه!!! قال الرب:

> «هذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته [بعمل الروح القدس].» (يو ١٧: ٣).

لذلك الموت الأبدي لا يمكن أن يكون من صنع الله كما قرأنا عبارات الكتاب الصريحة، ولا يمكن أن تكون اللعنة من صنع الله، لأن الموت الأبدي واللعنة الأبدية هي: ضد تعريف الحياة الأبدية الذي قاله الرب في يو ١٧: ٣. **أي أن الموت الأبدي أو اللعنة الأبدية أو الظلمة الأبدية هي:**

«أن يُحرم الإنسان بحريته وإختياره من عشرة الثالوث، ينبوع الحب والحياة الوحيد.» ونعود لعبارة سفر الحكمة: **«الله** لم **يصنع الموت»** أي أنه «لم **يصنع اللعنة»** أيض ، إنما بحُكْمِهِ يعلن لنا حالة الإنسان والخليقة إن كانت حية بالنعمة أو مائتة باللعنة.

في كل عبارة في الكتاب المقدس يظهر لنا أن الله يتكلم عن اللعنة، إنما هو يعلن حكمه وتشخيصه للإنسان الخاطئ الذي لا يريد أن يتوب. الله يعلن للإنسان عما تعمله الخطية بلا توبة في هذا الإنسان.

ماذا إذ تعني عبارة «ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١: ١٨)؟

يظن من يحبذون التقوي البروتستانتية التي تعلم أن الله هو الذي يطالب الخاطئ بالموت، كأجرة أو ثمن الخطية، كما يقولون، لكي يحقق العدل الإلهي بتحقيق الموت وتنفيذ حكم الإعدام في الذبيحة البديلة للإنسان ـ أي في الرب الكلمة المتجسد ـ يظنون أن هذه العبارة هي أحد الأدلة القاطعة على أن الرب هو الذي يحي من يشاء ويقتل من يشاء، لتحقيق العدل.

ولكن التقوي الأرثوذكسية عندما فسرت علاقة الرب يسوع المسيح بالموت والهاوية لم **تفسر هكذا كالتقوي البروتستانتية.** والدليل الهام على صحة هذا التعليم هو ما تشهد به ليتورچيات الكنيسة كأفضل ما تغني به الآباء شعر . لذلك لم تعلم الكنيسة الأرثوذكسية أن «لي مفاتيح الهاوية والموت» هي دلالة على سلطان الإحياء أو القتل، أبد ، حاشا لله.

إنما تعلمنا تسبحة الكنيسة في نشيد القيامة الشهير والذي تترنم به كافة الكنائس الأرثوذكسية:

> **«المسيح قام من بين الأموات، بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية، المجد للآب والإبن والروح القدس.»**
>
> **«يا كل الصفوف السمائيين رتلوا لإلهنا بنغمات التسبيح، وابتهجوا معنا اليوم فرحين بقيامة السيد المسيح... قد قام الرب مثل النائم... وعتقنا من العبودية المرة، وسبي الجحيم (الهاوية) سبياً. وحطم أبوابه النحاسية وكسر متاريسه الحديدية كسراً. وأبدل لنا العقوبة بالخلاص. وأعاد آدم وبنيه إلى الفردوس بفرح وبهجة ومسرة. هو وبنيه الذين كانوا في الحبوس (الهاوية).»**

هذه هي إذن علاقة الرب القدوس القوي في الحـروب الرب الجبار الذي له مفاتيح الهاوية والموت، أي له:

«سلطان القضاء على الموت وتحطيم أبواب الجحيم،
لتحرير الأسرى من الموت والهاوية.»

هذا هو تعلم الكنيسة الأرثوذكسية، تعليم البطولة والنصرة على الموت والجحيم. فكيف، أناشدكم الحق، تعتقدون يا من تعلمون، أن «لي مفاتيح الهاوية والموت» هي عبارة تؤكد أن الرب الإله هو صانع الموت وسجّان سجن الجحيم، لأنه يجب أن يعاقب الخطاة بالموت الأبدي، لأنه عادل، والعادل يجب أن يصنع بارادته العذاب الأبدي لتحقيق العدل؟!!! أيها المعلمون عودوا إلى محبة الله، والإنجيل الحلو، وتعليم الآباء والأنبياء. عودوا إلى أرثوذكسية المحبة وأريحونا من تعاليم القرون الوسطي التي ولدت لنا روح الإلحاد غربا وشرقا .

إسمعوا لصراخ الأب صفرونيوس مرة ثانية، من كتابه عن «الخوف»:

«كل من يحاول أن يغرس أي فكرة ما ضد محبة الله وضد مجد الإنسان في يسوع المسيح، فهو متحالف مع الشيطان...
وشريك له في الحسد الذي حاول أن يبطل به محبة الآب.»

ثانيا : رسم المعادلة
وهي تلخيص لجدول المقارنة



مرادفات العدم :

الموت الأبدي - الموت الثاني - البقاء في الموت - الفساد - رباطات الظلم (صلاة التحليل)- الظلمة الخارجية - نار جهنم - الحرمان من الله - العذاب الأبدي.

مرادفات الوجود :

عطية الحياة الأبدية - حياة الدهر الآتى - التأله - مشا ة الله - الخلود - هبة الله - وراثة ملكوت السموات - النور الحقيقى الأبدى - النعيم - معرفة الثالوث - المجد الأبدى - الشركة في الطبيعة الإلهية.

اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي :

في هذه المعادلة تلخيص مكثف لتعليم الآباء الشرقيين عن علاقة الله والإنسان بالموت والحياة؛ ومعني التعدي على مشيئة وإرادة الله، التي هي حياتنا وخلودنا؛ وكيف يقف الإنسان بحرية إرادته ليختار: الإتجاه مع تيار إرادة الحياة والوجود أو النكوص للتُبطل والهوان نحو العدم والموت الأبدي.

إرادة الله تسير بالخليقة في إتجاه واحد فقط لاغير: من العدم إلى الوجود. إرادة الإنسان يمكنها إختيار أي من الاتجاهين. أما الخالق فليس من طبيعته أن يصنع الشر أو يقبل بالظلم، لأن الظلم والشر بعينه هو نكوص الخليقة نحو العدم مرة ثانية!! الله بذلك الحب الدافع بنا نحو الحياة، «يدعو الأشياء غير الموجودة (العدم) كأنها موجودة» (رو ٤: ١٧)، وذلك ليذيقنا معني وطعم الوجود، ولو بصورة نسبية ضئيلة، « كأنها موجودة »!! ولنا أن نختار. لا يستطيع الله أن يجبر حريتنا أن تختار الحياة. **ولا يمكنه تدمير وإفناء ما خلقت يداه وبارك فمه** (تك ١: ٢٢، ٢٨). ولكن « رفض الله» الذي يختاره الخاطئ بإرادته، لا يترك للإنسان إلا البقاء في حالة الخزي الأبدي. الله يملأ كل مكان وزمان: النور الذي يصفه الرب في (يو ٣: ١٩- ٢١) سيظل مواجهًا للأشرار والأبرار للأبد بلا نهاية: لمن أحبوا النور يكون لهم نور مجد وفرح وسلام وسعادة أبدية؛ **ولمن أبغضوا النور يكون النور ذاته مصدر قلق وعذاب وندم وخوف ورعب وخزي لا ينتهي، لذلك لن يُقبلوا هم بحريتهم نحو النور... ويظل قلب الله يدمع دمًا على أبنائه، أحباءه الذين رفضوه**، وبسبب خزيهم قد حرموا أنفسهم منه للأبد، وهو لم يضعف حبه ولن يضعف للأبد: لذا قال الوحي عن إبن الله أنه حمل مذبوح قبل تأسيس العالم، ومذبوح للأبد في وسط عرش الله!!! وقد لخص مار إسحق السرياني هذا بقوله: «الحب يعمل بطريقتين مختلفتين فإنه يصبح عذابًا في الهالكين وفرحًا في المطوبين» (كوستي بندلي، الله والشر والمصير، ص ١٧٨).

عمل الخالق - أي « وظيفته » إن صح التعبير المجازي - هو تحويل العدم إلى وجود. وهدف هذا الوجود النسبي، « كأنها موجودة » (رو ٤: ١٧)، هو أن يتذوق المخلوق الشيء اليسير، كعينة صغيرة، لمعني مجد الوجود الأبدي على صورة

الله كشبهه (تك ١: ٢٦). وللمخلوق أن يختار إن كان يريد أن يتشبه بخلود الله ويشاركه في طبيعته (٢ بط ١: ٤) ويصير مثله (١يو ٣: ١) ويتحول إلى تلك الصورة عينها (٢كو ٣: ١٨) مشابهًا صورة ابن الله الكلمة (رو ٨: ٢٩)، أو أن يختار المخلوق العودة إلى العــدم، أو **«عدمية الوجود»**: لأن ما خلقه الله لا يفني ولا يعود إلى العدم المطلق، ولكنه يبقي في حالة الحرمان من الله إذا رفض المخلوق العشرة مع الله. لذلك **فالإنســان الذي يرفض الله يظــل باقيًا، ولكن بدون التمتع بالحــب والمجــد والنــور والســعادة،** لأنه بحريته، كما قال السيد المسيح، «يبغض النور»، وهو بحريته أيضًا يفضــل «البعد عن النور» للأبد. **وهذه هي جهنم النار** التي **يصنعها ويختارها المخلوق بإرادته**:

> « **لأن هذه هي الدينونة**: أن النور قد جاء إلى العالم. وأحب الناس الظلمة أكثر من النور. لأن كل من يعمل السيئات **يبغض النور ولا يأ**تي [بحريته وليس بإرادة الله!!] إلى النور، لئلا توبخ أعماله.
>
> أما من يفعل الحــق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أ ا بالله معمولة!!» (يو ٣: ١٩-٢١).

جدول المقارنة السابق ومعادلة « العدم الوجود » المذكورة في هذا الجزء من الكتاب هما **خلاصة هذا البحث كله!!** وهما تلخيص لفكر الآباء والكنيسة عن : هدف الخلق - صلاح وعدل الله - حرية الإنسان - الموت الأبدي عقوبة الشر - الحياة الأبدية - حركة الحياة الروحية والجهاد الروحي - عمل النعمة والمؤازرة Synergy... الخ.

وهذه المعادلة تشكل الإدراك الشرقي عن تدبير الله للإنسان والخليقة، وعن **مسئولية الله ومسئولية الإنسان** عن : الشر والموت وكل ما يتبعهما.

جانب الوجود

كل ما ذكر تحت جانب الوجود في المعادلة هو ما يريده ويدبره ويقدمه الخالق للخليقة. إرادة الله الخيرة هي القوة الإلهية التي ا يخلق من العدم، وهي تسير في **« إتجاه واحد فقط » (هام للغاية). ولا يمكن أن يكون صلاح وعدل الخالق، وصفاته كخالق، متحركًا بالخليقة من الوجود** إلى **العدم لأي سبب كان، مهما**

عظم شر المخلوق. لأن كرامة الله كخالق تعمل على تحويل **ما هو غير موجود إلى الوجود، والوجود فقط.** لا يمكن أن يكون الله **خالقًا ومدمرًا** لما **يخلق** في **الوقت ذاته، مهما كانت الأسباب : الله لا تلزمه أي ضرورة، ولا أي شيء متغير خارج إرادته أبدًا، وإلا لما بقي إلهًا!!**

الحب والصلاح هما صفات الله التي من خلالها يعطي بسخاء ولا يعير، وبعدل يحيي المائت ويغفر إلى ما لا نهاية!! نعم، غفرانه، أي شفاؤه للخاطئ من مرض الشر والموت، هو لا نهائي. نحن نغفر، إن كنا حقًا تلاميذه، سبع مرات سبعين مرة كل يوم، لكل إنسان!! **وهذا عدل** في **نظر الله!!!** أما هو فيغفر ويهب بالصلاح إلى حدود اللانهاية لكل إنسان... كل يوم وكل دقيقة!!! ولكن المشكلة هي في أن الإنسان الذي يحب الشر: يبغض النور ولا يأتي إلى النور والغفران، ولا يريد أن يتسلم ما له من نور وغفران - لأنه يخاف ويخشي ولا يصدق أن الله يمكنه أن يغفر بلا حدود!! لذلك قال أن « الخائفون » من النور والحب هم أول قائمة هؤلاء الذين لن يستطيعوا دخول ملكوت السموات (رؤ ٢١: ٨).

الله مثل الشمس يسطع نورًا وحبًا من قلبه إلى قلب الخليقة. هذا هو صلاحه وعدله! وهذا الإشعاع لا يمكنه أن يبطل أو يتوقف أو يضعف لا إلى لحظة ولا حتى طرفة عين... وإلى أبد الآبدين... لأنه الله!! وهو أيضًا لا يحتاج ولا يطلب شيئًا.

ولكن الإنسان هو الذي يغمض عينيه عن النور ويفضل الظلمة، لأن أعينه رمضاء بالشرور والأنانية وحب التسلط وقلة الرحمة... لذلك يخاف النور ويرتعب منه... للأبد. وحل هذه المشكلة هو في **التوبة وتغيير الذهن** metanoia وأن يدير الإنسان إرادته للتقدم مع إرادة الله نحو الحياة والوجود والحب - أي التشبه بالمسيح صورة الآب و « أيقونته » المهداة لنا كمثال، بل كقوة لتحيا في داخلنا، وتحولنا كلنا إلى صورة الإبن عينها (٢كو ٣: ١٨) لنكون مثله (١يو ٣: ١) شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤)، أي تأله الإنسان كما علم الآباء.

لذلك كتب أثناسيوس الرسولي في **كتابه «** تجسد **الكلمة » :**

(On the Incarnation - Mowbray, London, p. 28-29)

> « لأن الله صالح، أو بالأحري هو مصدر وينبوع كل صلاح. **وإنه من**

المستحيل لمن **هو صالح أن يكون** بخيلاً **أو** يحمل في **قلبه أي نقمة** لأي شيء (في الخليقة)...

ولذلك أظهر بصورة خاصة، نعمة (رحمة) لجنس البشر. لأنه تعطف ووهبهم، هؤلاء الذين بحكم تكوينهم كائنات غير ثابتة (غير باقية)، نعمة لم تحصل عليها المخلوقات الأخري. هذه هي صورة الله، هي نصيب في قوة الوجود العاقل التي لكلمة الله ذاته (إبنه)...

ولكن الإنسان تحول من التأمل في الله إلى الشر الذي من إختراعه فكانت النتيجة الحتمية سقوطه تحت ناموس الموت... لأن التعدي على الوصية [إرادة الله الخيرة للإنسان - انظر معادلة العدم والوجود] جعله يعود مرة ثانية لطبيعته [العدم]... **فالإنسان بالطبيعة قطعًا قابل للموت، حيث أنه مخلوق من العدم**. ولكنـ ـه يحمل في نفسه شبه ذاك (الله) الذي لو حافظ على شبهه بالتأمل الدائم، لكانت طبيعته تفقد قو ا، ويبقي في حالة عدم الموت (الفساد).

ثم بتحول الإنسان عن الأمور غير الزائلة إلى الأشياء القابلة للزوال [الفساد] بمشورة الشيطان، **أصبح الإنسان نفسه السبب** في **فساده بالموت... بإختراعهم الشر** في البداية أصبحوا متورطين في الموت والفساد ».

ويفرق القديس أثناسيوس بين الموت الجسدي الوقتي فقط، وبين الموت الأبدي، أي بقاء الإنسان تحت سلطان الموت أي بقاءه في الموت :

(On the Incarn. - Mowbray, London, p. 29-31)

« لأن هذا ما يقوله لنا الكتاب عن وصية الله... «لأنك موتًا تموت» وليس فقط أنك تموت [بعد أن أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر] ولكنه قال سوف **تبقي دائمًا** في **حالة الموت والفساد**...

وعندما حدث هذا بدأ الإنسان يموت، وانتشر وساد وتملك الفساد عليهم، بصورة أكثر من الصورة الطبيعية (الموت الجسمى) لأن هذه هي النتيجة (الجزاء) التي **حذرهم** منها الله سابقًا لو **تعدوا الوصية**»، [إرادة الله التي تحول العدم إلى وجود - أنظر المعادلة].

و ذه المعاني ذا ا ترنم غريغوريوس النيزي ي (اللاهوتي) في القداس الإلهي:

> « الذي من أجل الصلاح وحده، مما لم يكن كونت الإنسان وجعلته في فردوس النعيم...
>
> خلقتني إنسانًا كمحب البشر **ولم تكن أنت المحتاج** إلى عبوديتي، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك...
>
> من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتني إذ لم أكن... **وكتبت** في **صورة سلطانك**... أظهرت لي شجرة الحياة، وعرفتني شوكة [شجرة] الموت... فأكلت **بإراد**تي وتركت عني ناموسك برأيي... **أنا اختطفت** لي **قضية الموت [**بحريتي**]!! »**

والله إذ يخلق شيئًا يعطيه « إسمًا » وطبيعة. **هذه الطبيعة التي** تميز **كل شيء مخلوق أو كائن تسمي « جوهر » الشيء** وبالإنجليزية Nature, Essence. لذلك لا يوجد شيء مخلوق إلا وله جوهر محسوس أو مدرك بصورة أو بأخري تؤكد وجوده.

إلا أن وجود الموجودات بجواهرها، يعلن لنا أمرًا آخرًا يهمنا جدًا: يعلن لنا النقيض أي حالة عدم وجود الشيء، أي « العدم » ويشرحه لنا. وكمثال لهذا: النور مثلاً شيء مخلوق، وله جوهر مدرك ومحسوس ومدروس. **أما إنعدام النور - أي الظلمة - فهي حالة « عدم »!!** الظلمة غير موجودة!! لم يخلق الله شيئًا اسمه الظلمة!! **الظلمة حالة ندركها، ولكن ليس لها جوهر ولا وجود حقيقي.** الظلمة حالة ندركها بالعقل فقط، وذلك لأن العقل قد أدرك وتحسس النور. لذلك سمي العقل حالة إنعدام النور، حالة الظلام. فالإنسان المولود أعمي لا يدرك معني النور، ولا يدرك أيضًا معني الظلام. كذلك الحال في إدراكنا نحن لكل شيء له جوهر، من حالة النقيض أي حالة إنعـدام الجوهـر. **الشر هو إنعدام الخير. والموت هو إنعدام الحياة.**

الله إذن مسئول عن وجود النور؛ ولكنه ليس مسئولاً عن الظلمة!!

الله مسئول عن الخير والحياة؛ ولكنه ليس مسئولاً عن الشر والموت الأبدى!!

جانب العـدم

الموت الذي ندرسه في هذا البحث هو الموت الروحي الأبدي، وليس هو الموت الجسدي. إنه خطأ كبير أن نقول: بما أن الله هو خالق النور، فهو أيضًا خالق الظلمة!! وذلك لأننا رأينا أن الظلمة ليست شيئًا مخلوقًا، بل إنعدام ما هو مخلوق، أي النور ذا الجوهر الموجود والحقيقي. **الظلمة عدم غير مخلوق، بلا جوهر**. الظلمة مجرد **«حالة»** ندركها لأننا أدركنا النور، ولكن ليس للظلمة كيان وجوهر.

إدراك هذه النقطة، التي تبدو أ ا فلسفية، يشكل القاعدة الأساسية التي فسر عليها آباء الكنيسة معني الخير والشر، ومعني الحياة والموت!! وبدون تفهمنا لهذه الفكرة يصعب جدًا أن ندرك موقف الله من الشر والموت، بل **ومن هو المسئول عن العذاب الأبدي: الله أم الإنسان؟!!**

الخير هو الوجود والحياة والنور. الشر هو العدم والموت والظلمة.

الخير هو تدبير الخالق ومسئوليته. **الشر هو «إختراع»** في **فكر المخلوق ومسئولية المخلوق وحده.**

الخير هو بقاء جوهر الإنسان للأبد في حضن الله، وتشبه الخليقة بالله في الخلود والحب.

الشر هو رفض الإنسان لإرادة الله الخيرة، ورفضه للبقاء في حضن الله كأب محب.

نتيجة هذا الرفض ليست من تدبير الخالق، بل هي **الخروج عن تدبير الخالق.**

الموت الأبدي هو إنعدام الحياة الأبدية؛ وليس الموت الأبدي خليقة من خلائق الله!! **الموت وجهنم ليسا مكانا أو أتونا محمي بالنار** التي **خلقها الله ليلقي فيه بمن يكرهونه**... الله لا يرد الشر بالشر... حاشا! وكيف يكون الله أبا ويخلق ويدبر بإرادته هلاك خليقته بيديه؟! مهما كانت الأسباب؟!

أنا لا أقول، كما إدعي البعض، أنه لا يوجد عذاب أبدى!! العذاب الأبدي حقيقة ذكرها الكتاب المقدس وكل منا في شره كإنسان يذوق منها طعماً، بصورة اليأس القاتل والخوف والخزي والخجل الذي ينتابنا كلنا، بصورة بسيطة، لعلنا ندرك ونرجع ونتوب عن شرورنا وخطايانا، ونتلمس الحياة والنور بالتوبة في أحضان

الله أبينا. أما « النار والكبريت» و « الظلمة الخارجية » وحتى لفظة «جهنم» (= وادي خارج أورشليم حيث كانوا يحرقون القمامة وبقايا الذبائح المتعفنة هي ودودها) فهي أوصاف ما لا يوصف من عذاب. **ولكن العذاب الأبدي هو « البقاء في الحرمان من الله** » (لأن معرفة الله هي هي الحياة الأبدية كما قال الرب - يو ١٧: ٣). العذاب هو حالة إنعدام السعادة الأبدية. الله هو مدبر الحياة والسعادة الأبدية. والإنسان هو مختار الموت والتعاسة الأبدية، برفضه الحر للعشرة المفرحة والعطية المبهجة التي رتبها لنا الله:

الميراث الحي الذي لا يفني ولا يضمحل، الله ذاته، وللأبد!!!

الحياة هي الأصل والجوهر، مصدرها الله؛ أما الموت الروحي، الذي تجلبه الخطية (يع ١: ١٣)، فهو إنعدام الأصالة وإنعدام العدل والصلاح، وهو ليس من تدبير الله ولا خليقة يديه. وها هو يقول لنا الكلام ذاته في سفر الحكمة، وهو من الأسفار القانونية، والتي حذفها الأخوة البروتستانت :

> « لا تجلبوا عليكم الهلاك بأعمال أيديكم. **إذ ليس الموت من صنع الله** ولا هلاك الأحياء بسره. لأنه إنما خلق الجميع للبقاء. فمواليد العالم إنما كونت معافاة. وليس فيها سُم مهلك ولا ولاية للجحيم على الأرض. لأن البر خالد، **ولكن المنافقين هم استدعوا الموت بأيديهم وأقوالهم**. ظنوه حليفًا (حبيبًا - كما في الترجمة الإنجليزية!) لهم فاضمحلوا، وإنما عاهدوه لأ م أهل أن يكونوا من حزبه...» (الحكمة ١: ١٢-١٦).
>
> « فإن الله خلق الإنسان خالدًا وصنعه على صورة ذاته. **ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم**. فيذوقه [فقط] الذين هم من حزبه. » (الحكمة ٢: ٢٣- ٢٥).

الكتاب المقدس لم يصف الله أبدًا بأنه « قتّالاً » ، أو أنه هو « الذي له سلطان الموت » ؛ بل هذه الأوصاف هي أوصاف الشيطان وحده: « كان قتالاً منذ البدء » (يو ٨: ٤٤) و «الذي لــه سلطان الموت » (عب ٢: ١٤).

ولذلك « خلود الإنسان » هو حالة **« كامنة »** ، حالة ممكنة في تدبير الله. لقد

ٌحلق الإنسان مشتاقًا إليها، ولكنه لم يخلق من الناحية الجسمية والتاريخية خالدًا، إلا في حالة جسد السيد المسيح **وحده بعد أن قام من الأموات** بصورة الخلود، التي كان الله قد **« زرع بذر ا »** في الطبيعة البشرية - كإمكانية - لتتحقق في التاريخ أولاً في جسد السيد المسيح. لذا سُمي الرب وحده **« بكر الراقدين »** ، أي أول انسان يقوم جسده من الموت، بصورة خالدة لا يمكن أن تذوق الموت الجسمي ولا الروحي للأبد. الله زرع بذرة الخلود فينا، ولكنها لم تثمر في التاريخ الواقعي إلا في جسد الرب وحده. تلك البذرة تزرع فينا بالمعمودية وتنمو بالإفخارستيا وبعمل الروح القدس في سر الميرون حتى تثمر في اليوم الأخير حين نتحول إلى صورة الرب عينها (٢كو ٣: ١٨).

خلاصة تعليم الكتاب المقدس والكنيسة الأرثوذكسية:

- «الموت (الذي تجلبه الخطية) ليس من صنع الله» (الحكمة ١: ١٣).
- «بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم» (الحكمة ٢: ٢٣).
- «الخطية تنتج موتاً» (يع ١: ١٥).
- «آخر عدو يبطل هو الموت» (١كو ١٥: ٢٦).
- «بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية» (نشيد القيامة).

الفصل الثالث

الحرية والموت والحياة

بين اللاهوت الشرقي والغربي

رأينا أن الله مسئول عن، ومدبر للخلود والحياة والنور الأبدي. وأن صلاحه وعدله في صميم معناه هو سعيه كأب صالح وخالق محب ليقنع، بكل رقة وود، هذا العدم، الذي بدأ يحبو صغيرًا في طريق الخلود، أن يتقبل هذه العطية، عطية الحياة والتأله بمشا ة الخالق.

وأدركنا أن الله لم يخلق الشر ولا الموت الأبدي. لذلك أسمت الكنيسة، الثاقبة البصيرة والحكمة، الموت الذي تنتجه الخطية الكاملة (يع ١: ١٣- ١٧)، اسمته : **« رباطات الظلم »**، ولم تسمه كما عند أغسطينوس وأنسلم ومارتن لوثر:**« إستحقاقات العدل الإلهي »** على الخاطي، الذي يجب أن يدمره الله بإرادته الإلهية السادية!!! لم تعلم الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية أن الله مسئول عن الموت الأبدي، ولا أنه يدبر العقوبة لتحقيق عدالته أبدًا... هذا تنكر لحب الخالق وانحراف عن الحق الكنسي كما سنرى في نقد اللاهوتيين الأرثوذكس لهذا الفكر في باب خاص ذا الكتاب.

ويجب أن نقف هنا بعض الوقت لنراجع أهمية الحرية التي أعطاها الله لنا. تلك الحرية التي يبدو للبعض أ ا نقمة على الإنسان أودت بحياته، بدلا من كو ا نعمة!! فهناك بشر يخافون الحرية على زعم أ ا سبب كل شر! وكانوا يتمنون لو كان الله قد أعفانا من حمل مسئولية الحرية هذه!! ولكن إسمعوا وإقرأوا عبارات فلاديمير لوسكي اللاهوتي الأرثوذكسي التي أعتبرها من أجمل ما قرأت عن الحرية :

> « قمة كل قدرة وقوة إلهية تفهم من عمل الله الذي يظهر فيه نفسه في حالة الضعف (إخلاء الذات)، هذه هي **المخاطرة الإلهية** Divine risk!! الشخص (الإنسان أو الملاك) هو أعلى ما في خليقة الله، وذلك فقط لأن الله يعطي الشخص إمكانية الحب، وبالتالي الرفض أيضًا.
>
> الله **يخاطر بالخسارة الأبدية لقمة الخليقة، وذلك لكي يكون الإنسان قمة الخليقة بكل** معنى **الكلمة...**
>
> **الإنسان** غير **معصوم من الخطأ، لأن بدون هذه القدرة على الخطأ لا يكون عظيمًا!** لذلك أكد الآباء أنه كانت هناك ضرورة لإختبار الإنسان، لكي يدرك ويعي حريته، وبذلك يعي حب الله الحر الذي في إنتظاره. يقول القديس باسيليوس الكبير: **لقد خلق الله الإنسان كائنا حيا، وقدم له الدعوة لكي يصير إلهًا!** وقد كرر غريغوريوس النيزي ي هذا القول. ولكي يحقق الإنسان هذه الدعوة، لابد وأن تكون عنده إمكانية الرفض أيضًا.
>
> لقد أظهر الله نفسه بمظهر الضعيف أمام حرية الإنسان، فهو (الله) لا يستطيع انتهاكها، لأ ا (الحرية) تنبع من قدرة الله ذا ا. حقًا لقد خُلق الإنسان بإرادة الله وحدها، ولكنه لا يمكنه أن يحقق التأله بإرادة الله وحدها، الله جعل نفسه شحاذًا للحب واقفًا على باب النفس البشرية (ويقرع طالبًا الدخول إن فتح له أحد) ولكنه لا يريد أن يقتحم عنوة!!»
>
> (V. Lossky, Orthodox Theology - An Introduction - S.V.S. press, p. 73)

والحرية هي تلك الصفة أو الطاقة التي سلمها لنا الله لنحبه ونحب الخليقة والحياة والوجود، أو نرفض ا الحب والوجود بحسب تدبير الله. الحرية هي طاقة الحركة، بالمؤازرة مع نعمـة الله Synergy ، نحو الوجود ـ من العدم نحو الوجود - أو التحرك بالعكس ضد تدبير الخالق الصالح لأجلنا. **الحرية إذن تقتضي أننا نولد محايدون Neutral** أي عندنا إحتمال أن نقبل إرادة الله، وإحتمال أن نرفض الله وعشرته، ولو للأبد. إحتمال أن نقبل إلى الحياة أو أن نتراجع نحو العدم (راجع معادلة الوجود والعدم).

ولكن لو أدرك البشر كلهم أن العودة إلى العدم (أي البقاء للأبد بدون الإتحاد بالله)، هو هلاك أبدي، كيف لا يغيرون من قرارهم ويتحركون نحو الوجود؟! لماذا هذا الجنون الواضح؟!

لعل الإجابة تكمن في شغف الإنسان أن يخاطر ويكتشف هو الآخر بنفسه: ماذا يوجد في جانب العدم؟! «هل حقًا قال لكما الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة»؟! السؤال ذاته يراود الكل! (تك ٣:١). الإنسان يريد الحياة والخير قطعًا. ولكن حب المغامرة الحرة، والرغبة في عدم تصديق الله بالتمام، يجعل الإنسان يحاول أن **« يصير مثل الله عارفًا الخير والشر» بمفرده = التأله الذا**تي. الخطية هي في «التعدى» على نظام وتدبير الله، وليس في طلب الهلاك بصورة واضحة قطعًا. **الشر هو إشتهاء ما نظنه نحن أنه خير، ولكنه ليس مقدمًا لنا من يد الله ذاته، لذلك هو شر!!** الخطية هي في **«سوء الاختيار»** بعيدًا عن إرادة الله الخيرة. وكل إنسان يدرك هذا المعني غالبًا ما يفكر، إن كان مخلصًا، في العودة من طريق الموت والعدم، إلى الحياة والوجود والخلود: العودة للحياة بإرادة الخالق، التي لا تبغي إلا سعادتنا نحن، وليس تسلطه علينا أبدًا.

البعض يخاف الرجوع إلى حضن الله لأننا نحن المسيحيون ربما قد أعطيناهم صورة كئيبة عن الله: « الإسم الحسن يجدف عليه بسببكم » (رو ٢: ٢٤). كثيرًا ما نتكلم عن إرادة الله كأنه دكتاتور آخر: فبدلاً من تسلط الخطية علينا، تتسلط على حريتنا قيود اجتماعية بإسم الدين، والطاعة العمياء والشعوذة، وتحقير الفكر وأنشطة الحياة، وتفرض العبادة فرضًا، وشروط الإستعداد لمقابلة الله التي تدخل تحت بند الأسطورة أو عدم النظافة أحيانًا!! فقلما قرأت بابًا عن الصوم أو الاعتراف إلا وذكرت فيه كلمة «الفرض» و «المفروض» بدلاً من كونه «وصية» المحبة، لماذا؟! ولمصلحة من؟! إن كان الله يهب الحرية فكيف يمنعها البشر؟!

• « الخطية هي التعدي » (١يو ٣: ٤):

يتكلم البعض ويفسر هذه العبارة على أن الخطية هي التعدي على الله ذاته!! أو في أحسن الأحوال، أن الخطية تضايق الله وتثيره للنقمة لأنها تعد على قوانينه ووصاياه! **فكيف نتعدي وصية «الإمبراطور العظيم» ولا يطالبنا بحقه ويعاقبنا ليردعنا، وكيف يترك حقه يهضم؟! أين العدل؟!**

الله لا يمكن التعدي عليه. الإنسان لا يمكنه أن يصل إلى الله ولا أن يؤثر عليه!! هذا مستحيل، وحديث لا يوافق ما قاله الله لأيوب (٣٥: ٦-٨)، ولا ما يعلمه لنا الوحي في (يعقوب ١: ١٣- ١٧): **فالله لا يهزه الشر ولا يُجربه**، ولا يُنقصه شيئًا من مجده أبدًا، حتى لو جمعنا شر المخلوق كله وزدناه أكوامًا طيلة الزمن!! الإنسان - لأنه غير كامل ويخاف الموت - هو فقط الذي يهزه الشر.

إذا كان داود يقول **«إليك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت»** (مز ٥٠: ٤)، **فهو** لم **يذكر أن معنى هذا أن الله هو المصاب والمتضرر بالخطية.** بل المعنى هو أنني إذ أخطئ فأنا أقتل نفسي أو أؤذي غيري، ونفسي هذه وأي آخر غيري هما ملك لله. **فأنا أخطئ إلى الله** في **شخص خلائقه** التي كان يجب على أن أحبها وأرعاها بأمانة. وهذا العمل، أي إفساد الخليقة وتبديد الأمانة هو «إليك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت».

التعدي حقيقة هو تعدي الإنسان على إرادة الله الصالحة للإنسان، بمعنى **رفضها، بدون توبة. الإنسان الرافض لإرادة الله يرفض الوجود وينحو** نحو **العدم.** **الخاطي إذًا هو** الجاني **والمجني عليه بآن واحد!! الشرير هو عشماوي نفسه، وهو يقتل نفسه** بحريته!! حريتنا يمكنها أن تكون مجدافًا يساعدنا على العبور في بحر الزمن من العدم إلى الوجود، أو أن تكون سكينًا مسنونًا ننتحر به بأيدينا!! الموت الأبدي مكتوب عليه: « صنع في إرادة الإنسان الحرة» - (أنظر أقوال الآباء بعد قليل عن الشر والموت).

الإنسان إذن يوم يختار الخطية بنفسه يقطع نفسه بهذا السكين من الله وعشرته. الإنسان هو **مثل الغصن،** إما أن يبقي متصلاً بالكرمة ليظل حيًا ويشرب من عصارة الحياة، وإما يقطع نفسه بإرادته ويموت في خطيته بحريته (يو ٨: ٢١). الإنسان مثل **شارب السم،** يقتل نفسه بدون تدخل أي شخص آخر.

الخاطي يشبه السمكة التي بحريتها تختار أن تخرج من الماء!! من الذي يميتها؟! ولذلك نخرج من هذا باستنتاج قوي يتعلق بعمل الفداء والكفارة:

إن كان الخاطي يموت بحريته، فهل يكون عدل الله، وصلاحه، في موقفه كمن يريد أن يعاقب المائت « مرة ثانية » ويطلب منه تسديد « ثمن الخطية» لله، مرة ثانية،

حتى لو تصوّرنا أن الله يطالب بالموت لمصلحة عدالته؟! إن كان الخاطي قد مات فعلاً، فكيف يطالب الله بموت مرة ثانية؟! حتى عدل البشر يرفض هذا!!

لابد وأن موقف الله من الخاطي، الذي مات فعلاً، يختلف بشدة عن موقف القاضي الذي يريد أن يقتص من المجرم الذي « لم يمت بعد » - حتى وإن تصورنا الله مكان هذا القاضي. فإن كان الخاطي يسدد مباشرة حق العدالة (التي بحسب فكر البشر) فلماذا يحتاج الله لذبيحة بصورة ثمن ودين الخطية للعدالة؟! مشكلة أغسطينوس وأنسلم ومارتن لوثر هي هذه: الخاطي عندهم لم يمت بعد في خطيئته؛ والله، كعادل بعدل البشر لا يستطيع إلا إنزال العقوبة، وإلا ضاعت كرامته وإختل نظام الكون!!!

هذا ما قاله أغسطينوس نصًا :

(V. White, Atomement and Incarnation - Cambridge - p. 94)

> « لو كانت هناك خطايا بدون أن يتبعها تعاسة وعذاب، فهذا حال... غير شريف لأنه لا يشكل عدلاً ... إن حالة **العقوبة تفرض** لكي تسترجع الخليقة إتزا ا.
>
> إ ا قطعًا تجبر حالة الخاطي التعيسة بأن تنسجم مع كرامة وعدالة الخليقة The honour of the Universe ، حتى بذلك **تتمكن العقوبة من تعديل حالة إنعدام الكرامة** التي **تسببت فيها الخطية**.»

وفي كتاب « آدم وحواء والحية » لأستاذة اللاهوت Elaine Pagels وهي تعمل بـ Princeton University ، قالت في تحليلها الدقيق لتعاليم القديس أغسطينوس ونقدها له :

> « كان خطأ أغسطينوس الكبير ... أن حالة الخليقة الطبيعية الآن هي حالة عقوبة » p.132.
>
> « لقد قال أغسطينوس أن **حرية الإنسان - خطية آدم - قد جلبت الموت الجسمي والرغبة الجنسية على طبيعة الإنسان،** وفي نفس الوقت حرمت ذرية آدم من حرية الإختيار.. كيف إستطاع أغسطينوس أن يقنع المسيحيين بأن الرغبة الجنسية أمر غير طبيعى؟!» p. 130

> « ويستنتج أوغسطينوس ان كل إنسان يتكون من السائل المنوي (السائل الذكري من الأب) يولد متسخ بالخطية» p. 109.

عقوبة الشر في تعليم الغربيين عمومًا قد استقت من ينابيع القانون الروماني وتعريفه للعدل. فترتليانوس من القرن الثاني قال:

> **« كل خطية لا تمحي إلا بالعفو، أو بالعقوبة. العفو يكون بعد تأديب، والعقوبة كنتيجة للإدانة... الخاطي لابد أن يسترضي الله.»**
>
> (G. Daly, Creation & Redemption, 1989, p. 187)

ويكمل جبريال دالي في كتابه ليشرح أن ترتليانوس كان رجل قانون. وأغسطينوس أيضًا كان قد تربى على تعاليم شيشيرون Cicero رجل القانون الروماني وتأثر به. لذلك بدأ الغربيون إعادة تفسير رسالة الإنجيل وموقف الله من الإنسان بصورة مغايرة للروح الشرقية للآباء الأرثوذكسيين. وسوف نقرأ ما كتبه جبريال دالي وكريستوس يناراس اللاهوتي الأرثوذكسي وغيرهم في باب خاص، عن التفسير الغربي الذي له الصبغة القانونية الحقوقية لكل رسالة الإنجيل، والتشويه المريع الذي أحدثه إنحرافهم في التفسير، مرتكزين على « القانون والسلطة » بدلاً من « الحب والنعمة ».

• القديس أثناسيوس والموت:

كتب القديس أثناسيوس الرسولي بعض العبارات عن الموت، وضرورة الموت كنتيجة للشر. ولذلك سلم الإبن المتجسد جسده للموت لكي يدوس الموت بالموت ويقضي عليه تمامًا، بدون أن يلغي الله الموت بكلمة منه، أو بالتوبة وحدها. لذلك فسر بعض الغربيين وبعض الذين يتبعون المنهج الغربي في كنائسنا الأرثوذكسية عبارات أثناسيوس على أ ا تعني أن الموت هو من إرادة الله كعقوبة عادلة لابد من إتمامها، إما في الخاطي، وإما في الرب المتجسد كبديل عقوبي وبديل قانوني للخاطي. و ذا يكون هؤلاء الكتاب قد نسبوا لأثناسيوس الرسولي تعليم أنسلم ومارتن لوثر - عن قصد أو « بحسن نية»، الله أعلم!!

لذلك ينبغي أن ندرس ما قاله أثناسيوس عن الموت والله والحرية الإنسانية؛ لنكتشف

جمال فكره الشرقي عن الموت كإختيار الإنسان الحر وليس كتدبير الله الصالح. وسوف نقرأ تعليق اللاهوتيين الأرثوذكسيين على هذه الأجزاء التي طالما ظُلم فيها، ولا يزال يُظلم، القديس أثناسيوس أبو التعليم الشرقي الأرثوذكسي.

قال القديس أثناسيوس في كتاب تجسد الكلمة الجزء العشرين :

(On the Incarnation - Mowbray, London, p. 49).

> « بتسليمه هيكله هو للموت لأجل الجميع ، لكي **يصفي حساب الإنسان مع الموت** ويحرره من التعدي الأول...
>
> ولما كان جسد الكلمة جسدًا حقيقيًا، كان .... قابلاً للموت مثل الأجساد الأخري... ولكن لأن الكلمة قد حلّ فيه حدث أن الموت والفساد قد أبطلا بالتمام.
>
> **كان لابد من الموت والموت للجميع، حتى يتم تسديد ما على الجميع.** لذلك أخذ الكلمة كما قلت جسدًا قابلاً للموت لكي يقدمه مكان الجميع، وبتألمه لأجل الجميع من خلال اتحاده به، يمكنه أن **يبيد ذاك الذي له سلطان الموت،** أي إبليس، لكي ينجي أولئك الذين استعبدوا طيلة حيا م للخوف من الموت.»

ويقول في الفصلين السادس والسابع أيض من الكتاب p. 32-33 :

> « (٦) لم **يكن يليق بصلاح** الله، أن تعود المخلوقات التي خلقها إلى العدم بسبب خداع الشيطان، **ولم يكن يليق ويناسب** الله أن يتلاشي عمله في الإنسان، سواء بسبب إهمال الإنسان أو خداع الأرواح الشريرة... **كان من المستحيل** أن يترك الله الإنسان للفساد، **لأن هذا لا يليق بالله.**
>
> (٧) إلا أن هذا لا يشكل الموضوع بأكمله. كما رأينا، لم **يكن من المعقول أن الله أبو الحق يتراجع** في **كلمته بشأن الموت لكي يؤكد بقائنا في الوجود.** إنه لا يُكَذبُ نفسه. ماذا كان يمكن أن يفعل الله؟ هل كان عليه أن يطلب التوبة من الإنسان بسبب التعدى؟ قد تقول

أن هذا كان يليق بالله، بل وقد تحاجج أنه بما أ م بسبب التعدي قد أصبحوا تحت سلطان الفساد، فيمكنهم بالتوبة أن يعودوا لعدم الفساد مرة ثانية.

ولكن التوبة لا يمكنها تأكيد **الصدق الإلهي** Divine consistency، لأنه لو لم يتملك الموت على الإنسان، لكان الله غير صادق. والتوبة أيضًا لا يمكنها أن تغير من طبيعة الإنسان [أنه قابل للموت]، كل ما يمكن للتوبة عمله هو أن تجعلهم يكفون عن الخطية.

لو كانت المشكلة هي التعدي فقط ولم يتبعه الفساد، لكانت التوبة وحدها كافية جدًا. ولكن بمجرد بدء التعدي سقط الإنسان تحت سلطان الفساد الذي هو من طبيعته، وتغرب عن نعمة صورة الله التي له. لا ، التوبة وحدها لم تكن كافية. ماذا - أو بالأحري من - الذي كان عليه إعادة النعمة؟ من سوي كلمة الله ذاته، الذي كان قد خلق كل الأشياء من العدم. كان هذا عمله، وعمله وحده أن يحقق هدفين: **أن يرجع الذي فسد إلى عدم الفساد، وأن يحفظ للآب صدقه الشخصي عند الكل**

to maintain for the Father His consistency of character with all.

لأنه هو وحده، لأنه كلمة الآب وفوق الكل، كان يمكنه أن يعيد خلقة الكل وكان يليق به أن يتألم لأجل الكل وأن يكون ممثلاً للكل عند الآب.»

ولكن الترجمة العربية التي بين أيدينا - بقلم القس مرقس داوود - كانت معتمدة على ترجمة إنجليزية قديمة لنص تجسد الكلمة من كتاب :

(Nicene & Post-Nicene Fathers - 2nd series Vol IV p. 39-40).

وفي النص الإنجليزي ذكرت في الفقرة السابعة عبارة “Just claims of” God بدلاً من عبارة: “Divine consistency of character” لذلك إستعمل القس مرقس داوود عبارة: **«مطالب الله العادلة»**، بدلاً من عبارة : **«صدق الله - أو ما يليق بثباته على المبدأ - وأسلوب التعامل مع الخليقة غير المتغير»**، كما يفهم من

عبارة Consistency of character وأهم ما في المرجع الذي ترجم منه القس مرقس داوود، ما قد كتبه المرجع في الهامش عن عبارة : Just claims of God كتب في الهامش : « أن المعني الحرفي للعبارة باللغة اليونانية الأصلية ، والتي كتب ا القديس أثناسيوس كتابه، هو :

"What is reasonable with respect to God" أي : **ما هو مناسب وما هو لائق بالله،**

,"i.e. what is involved in His attributes and in His relation to us"

أي : **ما يتعلق بصفات الله الشخصية** في **علاقته معنا.»**

و ذا يكون القديس أثناسيوس الرسولي لم يستعمل أبدًا في كتابه لفظة عدل أو عدالة الله، إنما إستعمل عبارات تدل على ما يليق وما يناسب طبيعة الله وصفاته كخالق لا يتراجع في كلمته، بل يحقق ما يريده بأسلوب يحفظ فيه صدقه، ويؤكد لنا صلاحه ويهبنا الحياة والعودة من الموت والفساد إلى عدم الفساد بحكمة عالية، فوق كل عدل بشري بحسب إدراكنا كبشر.

ماذا يحاول إذن القديس أثناسيوس أن يقول عن الموت؟!

إذا قرأنا بعمق الفقرات العشرين والسادسة والسابعة، بعد إدراك المعني الأصيل والترجمة الصحيحة للنص اليوناني الأصلي، نجد أن أثناسيوس الرسولي لم يستعمل الفكر القانوني إطلاقًا في تشخيص مشكلة ومرض الموت كنتيجة للشر. (راجع العبارات المطبوعة بالخط الثميك).

« كان لابد من الموت، والموت للجميع حتى يتم تسديد ما على الجميع» لذلك تقدم الإبن المتجسد كبطل نحو الموت وسلمه جسده كطعم في سنارة إلهية - كما قال غريغوريوس النيسي - وذلك لكي «ما يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس». ولم يذكر أثناسيوس أن الله هو مدبر الموت. **ولم يذكر أن الرب كان يسدد ما على الجميع لله الآب أو عدالته أبدًا.** ولكن « تسديد ما على الجميع» أو «لكي يصفي حساب الإنسان مع الموت»، هذه تعبيرات مجازية عن تعامل الرب مع الموت وليس مع الآب السماوي أبدًا.

والبطل القوي لا يدفع فدية وحسابًا متأخرًا للعدو الضعيف، **بل «تصفية الحساب»،**

و «تسديد ما على الجميع للموت» إنما تعني إبادة الموت والقضاء التام عليه مرة واحدة، بدون مراضاة الخصم ولا مهادنته، كما في **لغة المصارعين الأقوياء!!**

أما « عدم تراجع الله بخصوص الموت » فهذا يعني أن الله سوف يبقي على إحترامه لحرية الإنسان، إذا إختار الإنسان الموت بحريته!! لا يستطيع الله أن يلغي قاعدة أن الخاطي يقطع نفسه من عشرة الله ويموت!! هذه القاعدة ثابتة وباقية بالرغم من تجسد الرب وموته وقيامته. التائبون المؤمنون فقط هم الذين يمكنهم، بحريتهم وبنعمة الله العودة من الموت الروحي إلى الحياة، لأن عمل الخلاص أعطانا هذه الإمكانية. ولكن حقيقة الموت الأبدي باقية لم يلغها الله: لم يتراجع في كلامه!! إحترام الله لصدقه وثباته على المبدأ ينبع منه إحترامه لحرية الإنسان، ولا ينبغي التفسير بالقول: أن الله يجب أن يميت الإنسان لأجل كرامة الله وحبه لنفسه... حاشا! المحبة لا تطلب ما لنفسها ولكرامتها، بل تحتمل كل شىء وتصبر على كل شىء (١كو ١٣:٥).

ويؤكد أثناسيوس في عبارته الرائعة عن التوبة، أن عدالة وكرامة الله (إذ إستدعي الأمر لإدخال هذا اللفظ بالرغم من عدم استعماله عند القديس أثناسيوس!) لم تطالب بشىء سوي التوبة في الحقيقة!! ولكن الإحتياج للتجسد والموت والقيامة، التي لمخلصنا الصالح، لم يكن إحتياج العدالة الإلهية، ولا أي صفة إلهية تطالب بحق، أو بمصلحة يقضيها الإبن لصالح الله... إطلاقًا!! بل عدم كفاية التوبة يرجع **«لإحتياج الإنسان» لأن يزرع الله فيه الحياة الأبدية،** لأنه ذا العمل فقط يباد الفساد كما قال في الفقرة ٨، p. 34 :

> **« وبذلك يقضي على الموت تمامًا كما تحرق النار القش »**

والعبارة الجميلة عن التوبة وعدم كفايتها تشع نور يخزي منه كل مفسر قانوني لعمل الفداء وكفارة المسيح :

> « لو كانت المشكلة هي التعدي فقط [وهذا هو ما يخص كرامة القاضي واضع القانون على أية الأحوال!!] و لم يتبعه الفساد [وهذا ما يخص الإنسان فقط] لكانت التوبة وحدها كافية جد !!!»

وفي هذا الصدد كتب الأب چون ما يندروف اللاهوتي الأرثوذكسي مدافعًا عن

القديس أثناسيوس الرسولي، وذلك في كتابه:
Christ in the Eastern Christian Thought p. 118 .

> **« الفداء هو إجتماع وضم الكل تحت رأس واحد أي Recapitulation لكل ما هو إنساني في المسيح المقام. هذا يلخص عموم الروحانية والنسك المسيحي الشرقي. لقد حدث، بسبب التسرع في الحكم، أخطاء في تفسير وشرح هذه الروحانية من مؤلفين تناولوها من منظار اللاهوت الغربي مثل أغسطينوس وأنسلم...**
>
> الفداء للطبيعة البشرية... هو أساسًا أن شخصًا ذو طبيعة غير خاطئة... أخذ بحرية الطبيعة البشرية في حالتها الفاسدة وبالإتحاد ا وبالقيامة أعاد لها علاقتها بالله. في المسيح إشترك الإنسان مرة أخري في الحياة الأبدية المعدة له عند الله. لقد تحرر من عبودية الشيطان المفروضة بالموت. **وكما فهم الآباء الشرقيون الفساد كمرض في الإنسان بإرادته هو، وليس كعقوبة مفروضة من العدالة الإلهية، كذلك فهموا أن الموت والقيامة في المسيح المتجسد هي:**
>
> **مشاركة وتتميم للمصير المشترك** (للإنسان وجسد المسيح كبشري مثلنا) ثم خليقة جديدة، لم يكن من الممكن تحقيقها إلا بعد أن أصبحت طبيعة المسيح البشرية من نصيبنا نحن في الموت ذاته (أي أن الموت كان تأكيدًا تاريخيًا لأنه يحمل طبيعتنا نحن فعلاً وليس شكلاً).
>
> ولهذا يكتب أثناسيوس الرسولي :
>
> « جسد المسيح كان من نفس طبيعة البشر كلهم...
> وقد **مات بحسب مصير رفقائه ...** موت الجميع كان يتحقق في جسد الرب، وفي الوقت ذاته، قضي الكلمة الحال في الجسد على الموت والفساد».»

وفي كتاب صدر عام ١٩٩١ للاهوتي الأرثوذكسي Constantine Tsirpanlis عن الفكر الآبائي الشرقي واللاهوت الأرثوذكسي، كرس الكاتب الباب الخاص بعقيدة

الخلاص لأقوال القديس أثناسيوس الرسولي وحده!! تقديرًا واحترامًا لهذا القديس الذي يعتبر بحق « معلم عقيدة الخلاص »، كما وصفه الأب چورچ فلوروفسكي عميد معهد سانت ڤلاديمير السابق قائلاً :

"The Classic Doctor of the Incarnation"

وسأقتبس من تسيرپانليس بعض الفقرات الهامة دفاعًا عن القديس أثناسيوس واللاهوت الشرقي الغير قانوني بالمرة :

(Introduction to Eastern Pastristic Thought and Orthodox Theology)

> « ولكن القديس أثناسيوس يدخل إلى الأعماق، ويجد موضعه الحقيقي في التقليد الآبائي لتعليم الخلاص،
>
> ذلك الذي يري أن أهم سبب، بل والسبب الوحيد الكافي لتجسد كلمة الله في بشرية الإنسان، والموت الذي جازه المسيح، لم يكن لإسترضاء العدالة الإلهية، كما هو الحال في التعليم القانوني للكنيسة الكاثوليكية بروما، والذي يجد جذوره في تعليم أغسطينوس وأنسلم.
>
> بل كما كتب القديس أثناسيوس: « في موت المسيح قد تم **القضاء النهائي مرة واحدة على الموت** حتى يستطيع أن ينعم الإنسان بتجدد الصورة (صورة الله) التي فيه....» p. 68.
>
> **إن تعبير الترضية Satisfaction (للعدالة الإلهية) بالروح التي شرحها أنسلم وفهمها، وتعليم وراثة الخطية الأصلية، أو وراثة حالة خاطئة، كما قال أغسطينوس عن طبيعة الإنسان، هي تعبيرات غريبة كل الغرابة (وأجنبية) على الفكر الآبائي الشرقي.**
>
> فتركيز الفكر الشرقي كله مرتبط على الدوام بالتضاد بين فساد الموت وإعادة الخلقة، بين الفساد وعدم الفساد، بين الحياة والموت. نظرية الفداء بموت المسيح لترضية العدالة الإلهية تشكل قطعًا إغراءً واضحًا للعقلية القانونية العملية للغربيين » p. 209.

القديس أثناسيوس لم يُعَلِم بأن الله هو «سبب» the Cause الموت الروحي الأبدي الناتج عن الخطية في أي من تعليمه.

القديس أثناسيوس لم يُعَلِم أن الرب المصلوب والقائم من الأموات قد دفع ديناً للعدالة الإلهية، بل «تسديد ما على الجميع» كان تعبيراً رمزياً عن دين الإنسان للموت : «لكي يصفي حساب الإنسان مع الموت ويحرره من التعدي الأول» (٤ : ٢٠).

لا يجوز أن يُنسب تعليم أنسلم أسقف كانتربري، ومارتن لوثر (استرضاء العدالة الإلهية بعقوبة المسيح بدلاً من الإنسان) لأثناسيوس.

الفصل الرابع

التـأديب والعقوبـــة

(العقوبـــة التأديبيـــة الزمنيـــة، والعقوبـــة الإنتقاميـــة)

إذا قلنا أن الله لا يعاقب بل الإنسان هو عشماوي نفسه، لا يجب أن يترجم هذا القول بأنه إلغاء لتعليم الكتاب أن هناك عقوبة للشر!! ولكن هدف العبارة هو: تحديد مدبر وفاعل العقوبة الأبدية (والتي هي حالة واقعة بلا شك) والتأكيد **أن الله لا يتعامل بالنقمة أبدًا،** بل بالحب. الله يؤدب أبناءه كما سنرى ولكنه لا يعاقب بالموت الأبدي بتدبيره ... حاشا!

هناك فارق كبير جدًا بين العقوبة والتأديب، وإن كنا نستعملهما، لغويًا فقط، كمرادفات. ولكن في دراستنا لمعاملات الله يجب تحديد المعاني لئلا يشوه المضمون والمقصود.

- **العقوبـة Punishment, Retribution:**

بحسب العهد الجديد لا توجد إلا عقوبة مطلقة واحدة: الموت الأبدي، الموت الثاني (رؤ ٢١: ٨)، الإغتراب عن الله للأبد، وعذاب الحرمان الذي لا ينتهي. وقد درسنا هذا بالتفصيل. الله ليس مصدر العقوبة بالموت الأبدي. لا يمكن أن يسرُ «رئيس الحياة» و «مخلص النفوس» و «الروح المحيي» بالموت الأبدي!

أما العقوبة عند البشر فتلعب « النقمة » فيها مركز القيادة!! فالعقوبة هي أساسًا توقيع نوع من الحرمان أو الأذي المؤلم والمكلف على المعاقب، كنوع من

القصاص والإنتقام لشيء صنعه المعاقب. ويكون هذا غالبًا لتعويض شخص آخر، كان هذا المعاقب قد ظلمه بصورة أو بأخري. بمعني آخر، العقوبة الانتقامية هي توقيع الشر المساوي لما صنعه الشرير في آخر، للانتقام لهذا الآخر وتعويضه، عندما يري معاناة من ظلمه ويتشفي فيه!!

في **العقوبة الانتقامية ينتفي الحب** **ائيًا، وتحل النقمة والرغبة** في **التعذيب والأذي بكل عنفوا** **ا. هكذا يري البشر العدالة...!! شيء مؤسف حقًا!!** (انظر الجزء التالي من الكتاب عن العدالة).

- **التأديـب Discipline (أي العقوبة التأديبية):**

التأديب لا يعني الألم! ولا يعني إيقاع أي أذي على الذي يتأدب. في **التأديب (بعكس العقوبة الانتقامية) تنتفي النقمة. وكلمة تأديب تعني تعليم فن الحياة الأفضل، لا الضرب!!** ولكن يخطئ الكثيرون في فهم الكلمة لأسباب حضارية. فكلما كان الإنسان متخلفًا، ظن أن التأديب يجب أن يصحبه الألم كضرورة لا غني عنها!! وكلما تحضر ونضج الإنسان يعلم أن التعليم والتهذيب يمكن تحقيقه بالترغيب وليس بالترهيب. كلما كان الإنسان « غليظ الرقبة» قليل الذكاء، كلما إزدادت نسبة الشعور بالألم؛ حتى ولو كان المعلم لطيفًا شعر « غليظ الرقبة » بأن المعلم متعب! **وغليظ الرقبة لا يري التأديب إلا كعقوبة ونقمة وعذاب، كشعب إسرائيل!!**

الله يعاقب في هذا الزمان للتأديب، لأنه أب محب ويريد إرجاع كل إبن خاطئ إلى أحضانه، التي هي الحياة الأبدية ذا ا. لذلك يجب أن يعاقب هنا ليؤدب. أما عقوبة الموت الأبدي ـ جهنم الأبدية ـ فهي لا تؤدي إلى أية تأديب. بل هي حرمان أبدي من الله، ولذا هي نار لا تطفأ من الآلام والعذابات الناتجة عن هذا الحرمان الأبدي من أحضان الثالوث، الذي هو الحب والحياة. **دافع التأديب إذن هو الحب، وهدف التأديب هو الحياة الأفضل. دافع العذاب الأبدي هو الانتقام، هذا لو كان الله مسببه، وهدفه «أن يدفع الإنسان دين للعدالة الإلهية التي أها ا»** أما قول الرب: «أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير.»

(لو ١٢: ٥٩) فهو لا يعني أن الإنسان يبقى في جهنم لأنه يوفي دين لله، وللعدل الإلهي المطالب بالموت. بل الدين الذي على الإنسان هو دين **«للموت الذي كنا ممسكين به، مبيعين من قبل خطايانا»** ـ كما نصلي في القداس الإلهي. لذلك نقول أن الإنسان هو الذي يحرم نفسه بإرادته من الله، وليس الله هو القاتل الأبدي. الله لا يعاقب وينتقم بالموت الأبدي... حاشا!!!

وكلمة التأديب Discipline منها أخذت لفظة Disciple أي تلميذ!!

وأيضًا نسمي معاهد تعلم فنون الفكر والحديث والكتابة واللغات : كليـ ـ ـ ـات الآداب، وبالإنجليزية Faculty of Arts أي مدرسة الفنون الإنسانية. وهذا يدل على أن كلمة التأديب هي كلمة راقية تناسب علاقة الحب والاحترام المتبادل بين المعلم الذي يؤدب التلميذ، والتلميذ الذي يتأدب على آداب المعلم. والكتاب المقدس يتكلم معنا عن حب الله لنا لذلك يقول:

> « من يحبه الرب يؤدبه » (أم ٣: ١٢) ، ولم يقل « يعذبه »!! بل ويكمل في العبارة ذا ا،
>
> « وكأب بإبن ُيسر به » (أم ٣: ١٢)، ويؤكد داوود النبي الحديث نفسه قائلاً :
>
> « تأديبًا أدبني الرب وإلى الموت لم يسلمني » (مز ١١٨: ١٨)

الله إذن يُعلم بالنصح والإرشاد، بالطريقة التي يمكن للإنسان أن يتعلم ا. إلا أن **هناك معاملات** في **العهد القديم يظهر فيها الله** بم**ظهر القاسي**، بل ويستعمل الكتاب تصويرًا يظهر الله كمدمر، وكما لو كان ينتقم من الإنسان، كما في قصة الطوفان، وسدوم وعامورة، وسبي بابل وعقوبات الشعوب المجاورة لإسرائيل في النبوات المختلفة.... الخ.

لو قرأنا هذه القصص بعد إدراكنا لمعنى العقوبة والتأديب، **يظهر لنا جليًا أ ا « عقوبات تأديبية لا عقوبات إنتقامية».** لأن في هذه القصص لم **يضعف حب الله للإنسان أبدًا.** بل هو يظهر كالأم المحبة، التي حتى وإن انتهرت ابنها وهو يعبر الشارع، فهي إنما تحاول أن تستثير سمعه وحواسه، حتى لا تصدمه سيارة مسرعة في الطريق.

معاملات الله فيها صراخ منه نحوهم، ولكنه صراخ الأب الذي **يظهر إستياءه وقت « التأديب » لحظة زمن لإبنه، ويمتعه بحبه أيامًا وسنينًا!!** الله يشبه الرجل الشرقي الذي يحب إمرأته جدًا، ولكنها إمرأة متمردة زانية، تجري و« تزني وراء آلهة الأمم» (خروج ٣٤: ١٥)!!! **ولأن شعب الله كان شعبًا غليظ الرقبة، وكمتمردة زانية، لكن الله يحبها بشدة، فكان عليه إذن أن يتعامل معها بالأسلوب الذي يمكنها إدراكه!!** فالحب شديد، والرحمة من قلب الله - هذا الرجل الشرقي المزاج قوي المشاعر - لا تنقطع!! (راجع سفر هوشع) **ولكن هذه المتمردة، غليظة الرقبة، كان عليها أن تكتب تاريخها مع هذا الحبيب بأسلو ا!!! فماذا يا تري** نجد في **هذا الأسلوب؟!!**

نجد الحب، ونجد العشم بين الحبيب والحبيبة، نجد الخلافات الزوجية والمصارعات « الحبّية »، بل ونجد الغزل الشديد في سفر نشيد الأنشاد أيضًا!!

فتارة يعلن هذا الحبيب الشرقي عنفًا وغضبًا وغيظًا، كما لو كان الله انسانًا ضعيفًا، مع أنه الله!! وتارة يقول للإنسان: لا تغضب مني، « هلم نتحاجج (نتحاور) يقول الرب » (إش ١: ١٨)، تعالى أيتها الحبيبة، ولكن « حولي عني عيناك لأ ما قد غلبتاني » (نشيد ٦: ٥)!

ثم أحيانًا يخاطب الإنسان الله في جسارة وعتاب لا يفهم، إلا لو أدركنا معني كلمة الدالة والعشم الشرقي: **« أبر أنت يارب من أن أخاصمك ولكن... لماذا تنجح طريق الأشرار؟!!»** (إر ١٢: ١). ويعاتب أيوب الرب بغضب وتساؤل عن هذه المعاملة الجافة :

« كنت مستريحًا فزعزعني. وأمسك بقفاي فحطمني. ونصبني له غرضًا»!! (أيوب ١٦: ١٢) ثم بعد أن عوض الرب أيوب عن صبره، يتحدث أيوب بنفس الجسارة ولكن بروح الشكر: **«إسمع الآن (يا الله) وأنا أتكلم!!»** (أيوب ٤٢: ٤).

ومهما غلظت اللغة التي يخاطب ا هذا الحبيب حبيبته الزانية، فهو إنما يرحم ويترآف، **وقد يستنجد «بالجيران» ليحكموا على تلك المتمردة:**

« إسمعي أيتها السموات وإصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم: ربيت بنين وبنات ونشأ م أما هم فعصوا علي!» (إش ١: ٢). وفي أكثر الأصحاحات التي يبدو

فيها الغضب، ينتهي الحديث بالحب ووعود البركة!! أليس هذا عجبًا؟! « **لحيظة تركتك. وبمراحم عظيمة سأجمعك**. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب. لأنه كمياه نوح هذه لي. كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض. هكذا حلفت لا أغضب عليك ولا أزجرك. فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب» (إش ٥٤: ٧-١٠).

وتستمر سيمفونية الحب الرقيق، وصراخ العتاب والتهديد، والقارئ يتساءل: إن كان الصراخ والصراع بين ناقم وعدو، فلماذا العودة للأحضان مرة أخري؟! إن كان الغضب والعنف غصبًا يحمل نقمة وكراهية وعقوبة، بمعني الإهلاك والإفناء والتشفي، فلماذا يعود الله والإنسان لبعض ثانية؟! أليس هذا دليلاً على أن الصراع صراع الأحباء، وعشم الأصدقاء، ودالة غرام الحبيب ومحبوبته؟!

هكذا بروح الدلال والدالة والعشم والحب (والكلمات لا يوجد لها مقابل في **لغات كثيرة!!!) يغضب** الله **والإنسان، ويتصارعان، ويتحابان، بل ويتبادلان روح الفكاهة والغزل!!!**

فأين العقوبة والنقمة وإستعمال العدل البشري المتعطش للدماء، حتى فيما أسماه الإنسان بلغة العهد القديم: غضب ونقمة وغيظ؟! هذه كلها **«أساليب الكتابة»** في **العهد القديم،** وأساليب حوار لوصف علاقة الله والإنسان، مكتوبة باللغة البشرية التي تشرح الحب بصورته الشرقية، والتي قد تبدو أحيانًا رقيقة كالنسمة، وأحيانًا غليظة كرقبة الإنسان في تمرده!! **ولكن** في **هذا كله فإن الله لا** يحارب **ولا يكره حبيبه ولا يظهر نقمة كنقمة البشر الشريرة الحقودة**... هذا مستحيل، بل وكريه جدًا أن نفسر العهد القديم هكذا، كما علمنا مار إسحق السرياني في قوله في مقدمة هذا الكتاب. **تأديبات الله،** حتى المؤلمة، **ليست عقوبات نقمة. مستحيل أن يرد الله الشر بالشر... مستحيل ... مهما بدا ذلك** في **الكتاب** المقدس**!!!**

من الهام جد أن نفهم أن حوادث التأديبات التي مات فيها الكثيرون **كان مو م هذا موت جسدي زمني ، تأديبي لهم ولنا** جميع **،** لكيما تستيقظ البشرية ونبتعد عن «الشر المُلبس الموت» ولكي «لا يقوي علينا نحن عبيدك موت الخطية»، كما نصلي

في القداس. فيجب أن ننظر لهذا الموت «الجسمى» المؤقت تمامًا كما ننظر لموت أي إنسان، بانتهاء عمره على الأرض، بسبب أي كارثة طبيعية. فهذا «إنتقال» الجسد فقط، وليس موتًا أبديًا (هام جدًا). ألم يكن هناك أطفال أبرياء ممن ماتوا في الطوفان؟ بل إن بطرس الرسول يقول أن الرب يسوع قد «ذهب فكرز للأرواح التي في السجن (الجحيم). (الأرواح التى) عصت قديمًا حين كانت أناة الله تنتظر في أيام نوح» (١ بط ٣: ١٩- ٢٠) وليس فقط الأبرياء من الأطفال!!! ويجب أيضًا أن ندرك أن في قصص العهد القديم **كان الإنسان الموحي له بالكتابة بالروح القدس، يوصل الرسالة** التي **يريدنا** الله **أن نتسلمها، ولكنه يكتب القصة بأسلوبه ووجهة نظره أيضًا!!** فعندما نقرأ أن « الله يندم على الشر الذي كان مزمعًا أن يصنعه» (يونان ٣: ١٠) أو أنه «حزن في قلبه أنه خلق الإنسان» (تك ٦: ٦) فقرر أن يفني الإنسان، يجب أن ندرك أن هذه ألفاظ البشر ووجهة نظرنا نحن في التعبير. إلا **أن القصة** في **كليتها تشرح كيف يربي الأب المحب أبناءه،** حتى لا يلعبوا بالنار والشر الذي يودي بحيا م إلى موت أبدي. ولا يجب تفسير هذه المواقف والعبارات على أ ا « ردود فعل » قلب الله بصورة مطلقة!! هذا أسلوب خطير، وللأسف منتشر بين كثيرين من مدرسي مدارس الأحد والوعاظ، حتى وإن كان هدفهم تعليم الشعب والأطفال، ولكن **يجب مراجعة الأساليب لإظهار الحب لا النقمة:** هؤلاء الوعاظ يحاولون تأكيد سلطان الله، فيظهرونه بصورة الدكتاتور المتسلط المنتقم والمتشفي.

- **ولكن من البدء** لم **يكن هكذا :**

> « أما قرأتم أن **الذي خلق من البدء،** خلقهما ذكرًا وأنثي وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ... قالوا له : **فلماذا أوصى موسى** أن يعطي كتاب طلاق فتطلق... قال لهم : **إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم .. ولكن من البدء** لم **يكن هكذا.**» (مت ١٩: ٤- ٨).

وإن كان هذا الحديث يدور حول الزواج والطلاق، إلا أنه يعلن أمرًا عميقًا جدًا، ويشرح لنا أن **كل ما نراه** في **قصص العهد القديم والشريعة من «قسوة ظاهرية»** لا تتفق، من جهة الشكل ولا من جهة الروح، مع تعليم الرب يسوع المسيح في

العهد الجديد، **إنما هي أمور وقتية «أذن ا موسي لأجل قساوة قلوب شعب إسرائيل»!!! ولكن عند الله الخالق، وفي تدبيره الكامل، الأمور** في **صور ا الكاملة «من البدء»** لم **تكن ولا** يمكن **أن تكون ذه القسوة: «من البدء** لم **يكن هكذا»!!!**

و«البدء» لا يعني فقط بدء الخليقة الزمني، ولكنه كما في قول يوحنا الحبيب وإعلان الروح الموحي : «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله (أو كان متجهًا بكيانه نحو الله) هذا كان في البدء عند الله» (يو ١: ١- ٢)؛ في هذا القول كلمة «البدء» تعني «عند الله منذ الأزل» أي «في فكر، أو في كيان، الله أو في تدبيره الخارج عن نظام الزمن بالكلية». **«البدء» إذن هو «التدبير الأزلي الأبدي غير الزمني عند الله».**

فليس كل ما قاله موسي والأنبياء، أو عملوه، هو أمور مطلقة في الكمال الأزلي وفي تدبير الله. بل هناك **«أمور وتعاليم وقتية»** (مثل : قتل جميع الشعوب الساكنة في الأرض التي إحتلها شعب إسرائيل بما فيها الأطفال!!! - تث ٢: ٣٤ و ٣: ٦ - والطلاق ، ورباطات النجاسات - التي تؤكد دسقولية الرسل أن المسيح قد «حررنا منها» - وطلب الأنبياء من الله أن يحرق أعداءهم بنار كما فعل إيليا، ورفض الرب يسوع أن يفعل - لو ٩: ٥٤ - ٥٦).

هذه التعاليم **«أذن ا موسى، لأجل قساوة قلوبكم»** ، ولكن الله لم يدبر هذه الأمور عنده في فكره وقلبه «من البدء»!!

ولكن لماذا لم يعلن الله للإنسان عن كل ما عنده «من البدء» (الأزل) منذ أن بدأ الإنسان في الحوار مع الله؟! لماذا إختار الله أن يحدثنا بالأنبياء بصورة أقل كمالاً وروعة، ثم «بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه الذي ... هو اء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١: ١- ٣)؟!!

لقد أراد الله أن يؤدبنا من خلال إختبارنا لنتائج حرية إختيارنا. لقد أراد الله أن يكلمنا وهو متواري خلف طبيعتنا في عجزها في شخص الأنبياء البشر، بنقائص البشر، حتى لا يفاجئنا بقوة نور إبنه الوحيد فجأة، فتعمي أبصارنا بسبب قساوة

قلوبنا!! لقد فضل الله أن يحدثنا على مراحل نرتقي فيها من القسوة إلى الرقة، ومن العداوة إلى المحبة، ومن النقمة إلى المغفرة... من نظام البشر إلى نظام الله الكامل في الحب والتضحية، من العدل البشري القانوني إلى البر والصلاح الإلهي، الذي يعطي بسخاء ولا يعيّر :

> « **قيل للقدماء** لا تقتل ... **وأما أنا فأقول** : لا تغضب على أخيك باطلاً...
>
> **قيل للقدماء** لا تزنِ ... **وأما أنا فأقول** لكم : لا تنظر إلى إمرأة لتشتهيها ...
>
> **قيل** عين بعين وسن بسن ... **وأما أنا فأقول** : لا تقاوموا الشر (بالشر) ...
>
> **قيل** تحب قريبك وتبغض عدوك ... **أما أنا فأقول** لكم : أحبوا أعدائكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥).

هكذا نقرأ ونفسر العهد القديم بمنهج الرب يسوع المسيح نفسه. وندرك أن لموسى والأنبياء قديمًا **«تعاليم وقتية»**، على سبيل **«الإذن»** فقط، وهذه تشمل كل ما له سمة القسوة بالمقارنة مع كمال تعليم الرب في عهد النعمة وكمال إعلان الثالوث عن تدبيره لأجلنا.

• البركـة واللعنـة :

لم يلعن الله الأرض كما يظن من يقرأ الكلمات «ملعونة الأرض بسببك » (تك ٣: ١٧) وإنما اللعنة والبركة هي جزء لا يمكن فصله عن موضوع هام جدًا في العهد القديم، بل في الكتاب المقدس كله، وهو موضوع **«العهد الأبدى»** بين الله والإنسان والخليقة (إش ٢٤: ٥)، والذي نسميه **«الناموس الكونى»** Natural Law ، أي الناموس الطبيعي، أو الناموس الأول، بحسب تعبير دسقولية الرسل.

ويقوم ذلك العهد كما نراه في سفر التكوين على بركة الله للخليقة والإنسان، وبشكل خاص في (تك ١: ٢٢) و (تك ١: ٢٨). والبركة هي وعد بالنمو والإستمرار في البقاء والوجود يؤكده مزمور ١٠٤، حيث يملأ الأرض من غني رحمته (مز ١٠٤: ٢٢)، لأن الله الذي رأي أن كل شيء حسن هو نفسه الذي يفرح بالخليقة (مز ١٠٤: ٣١ - مز ١٤٧: ١٢- ١٩).

أما إذا كسر الإنسان العهد الأبدي، حسب قول إشعياء النبي، فإن الإنسان **« يدنس » و « يلعن » الأرض ويوقف عنها تمتعها بالبركة والنعمة.** هذا، كما يقطع إنسان سير مجري المياه عن نفسه وعن الآخرين فيموتون عطشًا، أو كما يقطع انسان عن نفسه التيار الكهربائي فيظلم البيت عليه وعلى من معه.

والكتاب يشرح، بإستعمال تعبير «اللعنة» هذه الحالة من إنقطاع تيار النعمة، بسبب رفض الإنسان أن يحفظ العهد الأبدي بينه وبين الله، وبينه وبين الإنسان الآخر، وبينه وبين الخليقة. فنقول بالتعبير السلبي أن اللعنة **«تدخل»** النظام الكوني، بمعني الحرمان من النعمة، وذلك كما نقول أن **«الموت»** قد **«دخل»** إلى الإنسان، كتعبير سلبي عن **«خروج»** وتوقف **«الحياة».** لأن الحياة والنعمة هما **الإيجابيات الحقيقية** التي يهبها الله للخليقة، أما الموت واللعنة فهما **التعبيرات السلبية** عن انعدام الحياة والنعمة فقط. هكذا يجب أن نقرأ ونفهم معني اللعنة، حتى لو استعملنا معها فعل إيجابي لغرض الشرح والحديث... اللعنة هي عدم، مثل الشر والموت.

فإذا دنس الإنسان الأرض، تدخل اللعنة في النظام الكوني المملوء بالخير، بل وحتى الخليقة النباتية وسائر الكائنات التي تشترك في تسبيح الرب، تنوح ولا تعطي قو ا وثمرها للإنسان! لأن الناس « تعدوا الشرائع، غيروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدى» (إش ٢٤: ٥). لذلك وبسبب سقوط الإنسان «لعنة أكلت الأرض» (إش ٢٤: ٦). ولكن الله لا يترك الخليقة تحت رحمة الهوان والبُطل واللعنة وإنحلال النظام الكوني، لأنه الخالق الصالح، بل يؤكد الرب أنه يجدد العهد مع الخليقة بما فيها الإنسان: «وأقطع لهم عهدًا في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء وحيوانات الأرض...» (هو ٢: ٢١- ٢٢).

ويؤكد نفس النبي أن اللعنة هي ثمرة خطية الإنسان :

> « إسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل. إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض. لعن وكذب وقتل وسرقة... لذلك تنوح الأرض ويذبل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء وأسماك البحر » (هو ٤: ١- ٣).

ويؤكد الكتاب المقدس بعض النقاط الهامة :

أولاً : إن الله لا يـ ع البركة بإرادته عن الإنسان، ولا حتى عن الأشرار!! إذ يقول المزمور «رأيت سلامة الأشرار، لأنه ليس في مو م شدائد وجسمهم سمين (علامة الصحة) ليسوا في تعب الناس.. هوذا هؤلاء الأشرار مستريحين إلى الدهر ويكثرون ثروة » (مز ٧: ٣- ١٢) ويؤكد ربنا يسوع المسيح ذلك بقوله الصريح عن محبة الأعداء ومباركته لكل من يلعننا « أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم » ويؤكد لنا السبب في هذه الوصية: إن الآب السماوي بكماله وصلاحه يعامل الخطاة هكذا!! فهو **« يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين »** (متي ٥: ٤٣- ٤٨) ولهذا يطالبنا: « فكونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل » (مت ٥: ٤٨).

فالله لا يـ ل إلى مستوي الناس الأشرار ويتشبه م رادًا الشر بالشر، بل هو يغلب الشر ويقضي عليه بأن يزرع ويبذر بذور الخير والحب.

وحتى **عندما نقرأ عن « نقمة الله »، نقرأ ما يذهلنا نحن الخطاة** المحتاجين لتغير أفكارنا (Metanoia) أي التوبة، نقرأ منهجًا عجيبًا حقًا:

> « لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب: فإن جاع عدوك فأطعمه! وإن عطش فإسقه! لأنك إن فعلت هذا (الحب والبذل والصلاح) تجمع نارًا على رأسه. لا يغلبنك الشر، بل أغلب الشر بالخير» (رو ١٢: ١٩).

فهل هذا إله يصنع الشر ويلعن ما خلقت يداه؟! أو يلعن ما قد باركه بفمه؟!!

ثانيًا : اللعنة لم تكن أبدًا عقوبة قانونية، كما هو الحال في القانون البشري :

نعلم أن الناموس وعقوباته في العهد القديم لم يكن « قائمة » بما سوف يسدده الإنسان نحو الله لترضية عدالته المهانة، كما يفسر الغربيون.

بل **الناموس كان مرتبطًا بالشعب اليهودي وعلاقاته هو ببعضه أساسًا.** أي أن الخطية والعقوبة لم تكن بين قاضي وضع قانونًا ورعية عليهم التنفيذ، أو دفع الثمن!! ولكن الناموس كان « عونًا » (أعطيتني الناموس عونًا - القداس) حتى ما يتبصر البشر أحوالهم، وكيف ينبغي أن يتعاملوا مع بعضهم البعض. الهدف هو

حياة الإنسان الأفضل، وليس طاعة الإمبراطور الأعظم!! فكانت الخطايا أساسًا هي إلحاق الضرر بالإنسان وليس بالله!!

وكانت العقوبات في أساسها تأديبًا وتهذيبًا للشعب، لكي يدرك سوء الشر ويبتعد عنه. لذلك عندما يتكلم الكتاب عن اللعنة، فهو يحذر الإنسان مع مرض أو سم، يسبب للإنسان نفسه الأذي. ولهذا قال الرب أن الناموس قد وضع لراحة الإنسان ونموه وليس أن الإنسان قد خلق من أجل الناموس: **« السبت (الناموس) جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت»** (مر ٢: ٢٧).

فاللعنة إذن حالة تحدث في الإنسان بسبب شره، **والناموس** لم **يقبل بأن** يم**وت البرئ ويتحمل لعنة الخاطي صانع اللعنة** بنفسه في نفسه ولنفسه!! لذا قال «النفس التي تخطئ تموت» (حز ١٨: ٤) وكل من يري خطية أبيه ولم يفعلها « فإنه لا يموت بإثم أبيه. حياة يحيا » (حز ١٨: ١٤- ٢٤).

وأما عن « صار لعنة لأجلنا » ، فهذا يعني أنه حمل اللعنة، التي من صنعنا، عليه لكي يبيدها ويبيد الموت ويعلن ذلك بقيامته، ولم يكن هو ملعونًا!! « المسيح إفتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة، لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح » (غلاطية ٣: ١٣- ١٤). أي كان ملعونًا فقط في أعين شعبه لأنه علق على الصليب، وليس لأنه كان ملعونًا في أعين الآب السماوي كمعاقب... حاشا لله!!

فالله هو مزيل اللعنة التي هي من صنع المخلوق ذاته، لذلك يجب أن ندرك بعمق أن الله **لا** يم**كنه أن يكون « صانع » الخليقة و « لاعنها»!!**

فهل سم**عتم عن طبيب كان قد حذر إنسانًا عن العدوي** بم**رض خطير،** ثم **يسبب هذا الطبيب المرض بتدبيره لهذا الإنسان، وبعدها يقدم له الدواء ليشفيه؟!!**
هكذا أيضًا لا يُعقل أن الله، الذي سبق وحذر الإنسان من الشر والموت الأبدي، والذي أرانا كم من أتعاب تحملها لأجلنا في شخص إبنه من شدة حبه فينا، لا يعقل أن نقول عنه أنه هو مصدر اللعنة للخاطي والخليقة... « حتى ولو كان الكتاب المقدس يعلن ذلك من الظاهر » أحيانًا، كما علم وقال القديس مار اسحق السرياني في قوله في مقدمة هذا الكتاب.

الخلاصة : فماذا ندرك من هذا كله في دراستنا لقصة آدم وحواء؟ ندرك الآتي :

(١) الله **خلقنا للحب والشركة والعشرة معه** ومع الآخرين ومع الخليقة، التي أوجدها لتشاركنا الوجود والخلود.

(٢) حرية إرادتنا، أو **حرية الإختيار،** أعطيت لنا لنختار الحياة أو الموت، البركة أو اللعنة.

(٣) **اللعنة هي** حرمان الخليقة والإنسان من النعمة الإلهية.

(٤) اللعنة هي **من صنع حرية الإنسان وليس الله.**

(٥) الله المحب قد سبق **وحذر الإنسان من الموت** الأبدي واللعنة، كما يحذر الأب أبناءه.

(٦) لغة القصة تحكي لنا بالرموز **حقيقة خلق الله للبشرية،** وأن الإنسان **قد فشل في النمو** نحو **تحقيق صورة الله،** التي خلق ليحققها ويتمتع ا في شخصه. القصة ليست تاريخًا حرفيًا، تم وانتهي منذ عدة آلاف من السنين، ولكنها تاريخ رمزي، يحكي قصة البشرية كلها بصورة شعرية مكثفة وملخصه، مع بساطة متناهية وعمق كبير، حتى يفهمها كل جيل وكل فكر.

(٧) يقول الكتاب المقدس عن كتابة أسفاره :

« تكلم أناس الله مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١: ٢١)

أي أن الله **والبشر قد إشتركا** في **الكتابة معًا. الله أوحي والإنسان كتب،** بأسلوب ولغة عصره وحضارته وعلمه وبيئته؛ كما كتب لنا د. موريس تاوضروس أستاذ اللاهوت القبطي الأرثوذكسي في كتابه الوحي والتقليد ص ٣٧- ٣٨. الله مصدر رسالة الحب في شرح كل قصة وموقف في الكتاب المقدس، والإنسان هو الذي يصف، وليس عنده سوي لغة البشر ومشاعرنا التي تصف كيف نتفهم نحن تدخل الله: مرة نصفه كحب، ومرة نصفه كعقوبة مؤلمة!! المهم أ ا كلها فصول من قصة حب واحدة لا تتجزأ.

(٨) القصة إذن هي إعلان الله لنا بالروح القدس، ومكتوبة لنا من خلال البشر. **فكما يرسل القمر الصناعي ارساله الواضح الكامل، ونحن نستقبله على أجهزة تلفزيونية (منها ما هو نقي وواضح، ومنها ما هو أقل وضوحًا** في **عرض الصورة) كذلك يرسل الروح الوحي. أما تعبير البشر فيختلف** بين **وضوح رؤية يوحنا الحبيب الذي أدرك أسرار الله.. بصورة مذهلة، وقصص أسفار العهد القديم عن الله المنتقم الذي يفني شعوبًا** لأنه « تأسف وحزن في قلبه أنه خلق الإنسان»، فأراد أن يدمره (تك ٦: ٥- ٧)، أو أنه كان يغير رأيه و « يندم على الشر الذي كان مزمعًا أن يعمله » (يونان ٣: ١٠)!! علينا في التفسير أن « نبعد عن الله كل صفة بشرية، ونؤكد أنه إله وليس إنسانًا » كما قال د. موريس تاوضـــروس (صفات الله ص ٥٧).

إننا جميعنا نؤمن بأن **«الكتاب هو موحي به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي** في **البر»** (٢تي ٣: ١٦). ولكن الوحي في الكتاب المقدس هو إرشاد وإلهام وقيادة بالروح القدس. وليس الوحي عندنا تـ يل وإملاء، يلغي فكر وحضارة وكيان الكاتب الموحي إليه بالروح. **الكتاب إشترك فيه الله والإنسان معا ،** كما في كل عمل من أعمال خـلاص الله، كان للإنسان دور يلعبه بحريـة الإرادة مع نعمة الله المخلصة. لذلك لا يقول لنا الوحي المقدس، أن الله قد نزل الكتـاب المقـدس إمـلاءً وتـ يـلاً، بل قـال: «لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم **أناس الله القديسون** مسوقين من **الروح القدس.»** (٢بط ١: ٢١).

> **أى فعل فيه قسوة لا يوافقنى قلبي أن أفعله بإبنى، لا يمكننى أن أعلِّم أن اللّه يفعله بالإنسان! وذلك لأنه تجديف أن أظن أننى أكثر رحمة وحبا لإبنى من حب اللّه ورحمته للإنسان الخاطى!!**
>
> (مبدأ فى التفسير)

الفصل الخامس

أقوال الآباء والقداسات
عن الشر والموت
والحرية والعذاب الأبدي

وهذه بعض أقوال الآباء عن الشر والموت من كتاب « الرؤية الأرثوذكسية للإنسان » ص ١١٠- ١٣٧- ١٤٣ لعدنان طرابلسي :

- « الشر عدم » . **أغسطينوس.**
- « ما هو شر بالمعني الحصري ليس جوهرًا، ولكنه غياب الخير، كما أن الظلام هو لا شئ سوي غياب النور ». **إيڤاغريوس.**
- « الخطية لا توجد في الطبيعة بمعزل عن الإرادة الحرة، إ ا ليست جوهر في حد ذا ا». **غريغوريوس النيسي.**
- « حتى الشياطين ليسوا أشرارًا بالطبيعة ولكنهم صاروا هكذا بسبب إساءة إستعمال قواهم الطبيعية». **مكسيموس المعترف.**
- « الشر لا وجود له بحد ذاته وإنما يتأتي من النفس ». **باسيليوس الكبير.**
- **« ليس الله مسببًا لعذابات الجحيم [الموت الأبدى] بل نحن أنفسنا، لأن أصل الخطية وجذرها كائن في حريتنا وإرادتنا». باسيليوس الكبير.**
- « **الله لم يخلق الموت، ولكن منعه من أن يكون** ... في حكمته وصلاحه وجد وسيلة ليحول بين الإنسان والموت ويحفظ له إختياره الحر، إذ ترك

للإنسان حرية الاختيار بين الحياة والموت» [هذا شرح لفكر أثناسيوس] بقلم **غريغوريوس پالاماس**.

- « إن الإنسان إمتلك الأبدية في الفردوس، بمشاركته في الحياة الإلهية، إذ أن الله فقط يملك الحياة الأبدية. ولقد كان في صُلب تدبير الله أن يكون مصير الإنسان أبدية كهذه. أما نيران الجحيم فقد وضعت للشيطان لا للإنسان. **وإنما بملء حرية البشر** يختارون أن يسكنوا هناك مع الشياطين». **غريغوريوس پالاماس**.

ويستفيض آباء الكنيسة في تعليمهم عن أن الإرادة البشرية هي التي قطعت الشركة بين الله والإنسان وليس الله بأي حال هو الذي قطع هذه العلاقة. الله **«أصدر حكمه»** على الخطية وأنها مثل السم تقتل الإنسان وتفصله عن عشرة الله، ولذا حذر الإنسان من هذا السم ونتيجة تعاطيه. ولكن لم **يحكم الله على الإنسان بالموت**، بمعنى أن الله **بعدله هو الذي أراد موت الإنسـان لتحقيق عدالته الإلهية في الخاطئ**... حاشا. **«حكم الله»** يعني إعلانه وإنباءه للإنسان، وإعلامه للإنسان بنتيجة الانفصال عن الحياة الإلهية، الذي تنتجه الخطية في الإنسان. **وكلمة «حكم» هي judgement أي إبداء الرأي والتمييز** بين **شيئين وإيضـاح الفارق** بين **النور والظلمة والحياة والموت**. كما نقول أن الطبيب يعلن **حكمه وتشخيصه** للمريض، وكما يعلن المدرس **حكمه ورأيه** في نجاح الطالب أو فشله، كذلك يعلن الله حكمه للإنسان عن كونه حي في حياة النعمة والتوبة، أم أنه مائت روحياً في حياة الخطية، المؤدية لجهنم الأبدية. الطبيب والمدرس والله ليسوا هم الراغبين أو المتسببين في معاناة المريض والطالب الفاشل والخاطئ بأي حال من الأحوال، لترضية عدالة أو رغبة عادلة عندهم في إيقاع أي أذى أي لعقوبة إنتقامية ممن لم يسمع لرأيهم أو نصيحتهم... أبد ... أبد . وها هي أقوال الآباء:

- **يقول أوريجانس:**

«بولس الرسول يستعمل مجاز من الحياة الحربية في الجيش، بقوله أن أجرة الخطية هي الموت وهي الراتب الذي يتسلمه مَنْ يحارب في جيش الملك المسمي: الخطية. ولكن الله لا يدفع لجنوده أجرة، كما لو كان هو مدين لهم

بشئ. إنما يعطيهم هبة ونعمة وهي الحياة الأبدية في المسيح. إن الموت الذي يتحدث عنه بولس الرسول هنا ليس هو إنفصال الروح عن الجسد، ولكنه يتحدث عن الموت الذي تسببه الخطية في النفس التي إنفصلت عن الله.»
(شرح رومية :Commentarii in Epistulam ad Romans, Vol 3
226 Ed by T, Heither.)

- **ويقول القديس ثيؤفيلس إلى أتوليكوس (27 ,26 ,25 :1):**

«يقول لنا البعض أن الإنسان خلق غير خالد بالطبيعة. طبع لا. فهل كان إذ خالد ؟ نحن لا نستطيع أن نؤكد هذا أيض . لذا قد يسأل السائل: ماذا إذن كان حال الإنسان، أكان عدم ؟ ولا حتى هذا الافتراض يمكن قبوله! لو كان الله قد أراد الإنسان خالد من البداية، لكان خلقه إله مثله! ولو كان الله يريد خلقة الإنسان غير خالد ومائت بالطبيعة، لقلنا أن الله هو سبب موت الإنسان. لا، لا هذا ولا ذاك. الله لم يخلق الإنسان خالد ولا مائت ، **ولكنه خلقه قابلاً للحالتين**. لذلك إذا انجذب إلى الأمور الخالدة، وحفظ وصية الله، **سوف يكون إله ،** ولكنه إن إنجذب إلى الأمور المائتة، ولم يطع الله، **يصبح الإنسان نفسه السبب** في **موته بإرادته.**»

- **ويقول لنا القديس غريغوريوس النيسي (عظات على نشيد الأنشاد)**

(Hamily 12, p. 216 - 17)

«لا يمكن أن الشجرتين كانتا في مركز الفردوس وفي مكان واحد. إن كانت إحداهما في المركز فالأخري لابد وأ ا كانت بعيدة عن المركز ذاته. وذلك لأن للدائرة نقطة مركزية واحدة فقط، ولا يمكن أن يكون لها مركزان في نقطة واحدة. وإذا كان هناك مركز آخر ، فلابد من وجود دائرة أخري، و ذا تكون هناك دائرتان. ولكن الكتاب المقدس يقول أن الشجرتان كانتا في مركز (وسط) الفردوس ولكل منهما قوة مضادة لقوة الأخري. أعني أن إحداهما تعطي الحياة والأخري ثمر ا تسبب الموت. بولس الرسول سمي هذه الثمرة «الخطية» وهي تثمر الموت كما في قوله، «إن ثمرة الخطية هي الموت» (رو ٦: ٢٣). والدرس

> الذي علينا أن ندركه هنا، هو أن **الحياة هي الأكثر مركزية** في أشجار الله. **أما الموت ذاته فهذا** لم **يزرعه الله**، ولم يكن له جذر ولا مكان لذاته أو تواجده بذاته وكيانه. لأن **الموت ليس له جوهر وهو عديم الطبيعة**. لذلك لم يمكن أن يواصل الإنسان الشركة فيما هو خير (أي شجرة الحياة) بعدما مات وإنفصل عن ثمرة الحياة. بما أن الحياة كانت هي المركز الحقيقي لكل ما زرعه الله، **فالموت ندركه على أنه حقيقة إنعدام الحياة**.»

- **ويذكر أوريجانس** في **شرح إنجيل يوحنا** (On John, 20, PG 12: 232):

> «في اليوم الذي أكل فيه آدم وحواء من الثمرة المحرمة ماتا موتا روحيا في الحال. **والذي أماتهما هو الشيطان نفسه وليس آخر سواه**. لأن الشيطان هو قتال للإنسان (منذ البدء) وقد حقق هدفه عندما خدع حواء بواسطة الحية.»

- **وكتب غريغوريوس النيسي أيضا :**

> **(On the Inscription of the Psalms 16, PG 44: 601c)**
>
> **«لم يكن الله هو خالق الموت، ولكن أبو الموت هو ملك الشر، ذاك الذي هو إبليس. والموت قد دخل إلى العالم بحسد إبليس.»**

- **وأيضا كتب باسيليوس الكبير، وهو أخو غريغوريوس النيسي:**

(On envy, 6, PG 31: 385 a.)

> «الموت هو تشتت النواميس (تشويش النظم وإنحلال السلام والإستقرار)، وهو إنقلاب كل الأمور الخيرة في الحياة.» **وبهذا التعريف لا يمكننا أن ننسب الموت إلى الإرادة الإلهية،** لأن إلهنا إله نظام وليس إله تشويش.

وأما القديس أثناسيوس الرسولي فكتب يشرح، ما لخصته في معادلة الحياة والموت، في كتابه «تجسد الكلمة» الذي كتبه وهو إبن ٢١ عامًا فقط:

> « ولكن الإنسان تحول من التأمل في الله إلى **الشر الذي من إختراعه**

فكانت النتيجة الحتمية سقوطه تحت ناموس الموت... لأن التعدي على الوصية جعله **يعود مرة ثانية لطبيعته**... مخلوق من العدم، ولكنه يحمل في نفسه شبه ذاك (الله) الذي لو حافظ على شبهه بالتأمل الدائم لكانت طبيعته تفقد قو ا [أي يغلب طبيعة الموت الجسدى]، ويبقي في حالة عدم الفساد. ثم بتحول الإنسان عن الأمور الغير زائلة إلى الأشياء القابلة للزوال [الفساد] بمشورة الشيطان، **أصبح الإنسان نفسه « السبب »** في **فساده بالموت،** لأنه كما قلت سابقًا، بالرغم من أ م بالطبيعة قابلون للفساد، كانت نعمة اتحادهم بالكلمة كافية لتمكنهم من تجنب حتمية القانون الطبيعي [الموت الجسمى] على شرط أن يحفظوا جمال البراءة التي خلقوا فيها... **«بإختراعهم »** الشر في البداية أصبحوا متورطين في الموت والفساد » .On the Incarnation, p. 29, 30,31

وفي **صلوات القداس الإلهي** يحدثنا **الآباء عبر العصور** عن هذه المفاهيم الهامة التي تؤكد أن الله خلقنا للحياة، ولم يخلق أو يدبر عقوبة الموت أبدًا. بل الموت هو دخيل علينا - أعني الموت الأبدي - دخل إلينا بحسد إبليس. ولكن دور الله الخالق نحو الخاطي المريض بالموت، ليس أن يزيد من عقوبة الشر، التي مثل السم يشر ا الخاطي بحريته؛ بل أن الله يحمل هذه النتيجة المميتة « ليحرقها » على كتفي إبنه، لكي يحول الموت إلى خلاص أبدي لنا:

« يا الله العظيم الأبدي الذي جبل الإنسان على غير فساد [على شبه الله الخالد] **والموت، الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس،** هدمته، بالظهور المحيي الذي لإبنك الوحيد» (القداس الباسيلي - صلاة الصلح).

« وطهرنا ... من تذكار **الشر الملبس الموت** » (القداس الباسيلي - صلاة الصلح)

« قدوس قدوس قدوس بالحقيقة أيها الرب الهنا الذي جبلنا وخلقنا... [نحن] خالفنا وصيتك بغواية الحية... [نحن] سقطنا من الحياة الأبدية.... و [نحن] نفينا [بخطيتنا] من فردوس النعيم.

[أما أنت] فلم تتركنا (بعيدًا) عنك إلى الانقضاء، بل تعهدتنا دائمًا بأنبيائك

القديسين، وفي آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت (بإرادتنا)، بإبنك الوحيد...

وأسلم ذاته فداء عنا إلى الموت [وليس كفدية وثمن قانوني للآب].

[والموت هذا ، نحن] كنا ممسكين به، مبيعين [بإرادتنا] **من قبل خطايانا**... [وليس إمساك الموت بنا من إرادة الله كعقوبة!!]

وفيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت [وليس كفدية قانونية للآب] عن حياة العالم...» (القداس الباسيلي - القديس باسيليوس الكبير قرن ٤).

« أيها الكائن ... الذي من أجل الصلاح وحده كونت الإنسان...

[وهذا الإنسان] سقط بغواية العدو ومخالفة وصيتك.

[وماذا كان موقف الله من الذي سقط بإرادته؟ هل صب عليه نقمة وعقوبة؟! لا بل:] **أردت أن تجدده وترده إلى رتبته الأولى،** لا ملاك ولا رئيس ملائكة... بل أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست وشا بتنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها، وصرت لنا وسيطًا لدي الآب والحاجز المتوسط نقضته، والعداوة القديمة هدمتها. وأصلحت الأرضيين مع السمائيين **وجعلت الاثنين واحدًا،** [لأنك باتحادك ، بلاهوتك مع الناسوت الممثل لنا أتممت كل الكفارة والفداء والخلاص، لذلك] أكملت التدبير بالجسد [أي بالتجسد أصلحت كل نتائج الخطية والموت الأبدى] ... طهرنا من تذكار الشر الملبس الموت» (القداس ، القديس غريغوريوس النيزي ي اللاهوتى).

والواضح هنا أن عقوبة الشر يُلبسها الشر بنفسه، بصورة الموت للإنسان، وليست عدالة الله هي التي تلبسنا الموت أبدًا!! بل عدالته كما قال كل الآباء هي إرادته أن: يجددنا ويردنا إلى رتبتنا الأولي. **لا توجد** في **هذه النصوص أي رائحة لكون عدالة الله هي** التي **تريد موت الخاطي بأي صورة من الصور، ولا أن الموت من إرادة الله، ولا أن موت المسيح يشكل دفع** ثمن **أو فدية قانونية** لمصلحة عدالة **الله** المهانة... **إطلاقًا!!! بل إن آلام المسيح هي** ثمن **حبه لنا، وإحتماله وصبره على ظلمنا له، واحتقارنا** لحبه**.** ويكمل غريغوريوس اللاهوتي متأملاً:

« قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس في كل شيء وبالأكثر مختار هو نور جوهريتك وليس شيء من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر. خلقتني إنسانًا كمحب للبشر، **ولم تكن أنت محتاجًا إلى عبوديتي،** بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك... أظهرت لي شجرة الحياة (تدبيرك لأجلى)

وعرفتني شوكة الموت (ليس هذا تدبيرك ولا خليقتك)

[موقف الإنسان الحر :]

فأكلت **بإرادتي،** وتركت عني ناموسك **برأيي،** وتكاسلت عن وصاياك **[بإرادتى]** أنا إختطفت لي قضية الموت **[بحريتى]**.

[موقف الله كمخلص عادل:]

أنت يا سيدي حولت لي العقوبة [التي إختر ا وصنعتها بنفسي] خلاصًا. كراع صالح سعيت في طلب الضال. كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط. **ربطتني بكل الأدوية** المؤدية إلى الحياة [ترياق عدم الموت = جسد ودم الابن المتجسد].

أنت الذي خدمت لي الخلاص، لما خالفت ناموسك [ولم ترسل لي العقوبة لما خالفت ناموسك، لأني قد عاقبت نفسي بما فيه الكفاية!]

[وكيف خدم الخلاص؟ هل بدفع فدية قانونية لمصلحة الآب؟!]

أنت الكائن في كل زمان أتيت إلينا على الأرض. أتيت إلى بطن العذراء. أيها الغير المحوي إذ أنت الإله... وضعت ذاتك وأخذت شكل العبد، [و ذا التجسد] **باركت طبيعتي فيك،** وأكملت ناموسك عني. أريتني القيام من سقطتي. أعطيت إطلاقًا لمن قبض عليهم في الجحيم [لأن الله ليس خالق ولا مسبب عذابات الجحيم بل نحن أنفسنا، كما كتب القديس باسيليوس الكبير].

أزلت لعنة الناموس عني [فكيف يكون الله هو الذي يلعن الخليقة... حاشا لله]

أبطلت الخطية بالجسد [أبطل عز الموت، يبيد سلطان الموت ويدوس

> الموت] أريتني قوة سلطانك...
> **قتلت خطيئتي بقبرك،** أصعدت باكورتي إلى السماء....»

شهادة صلاة الساعة السادسة:

أما صلاة الساعة السادسة في الأجبية وهي ساعة الصلب التي فيها تشرح الكنيسة عمق تأملا ا في عمل الصليب، فهي لا تذكر بأي حال أن الله قد أمات الإنسان لتحقيق عدالة إلهية، أو لكي يستوفي العدل السادي حقه، بقتل البرئ عوض الخاطئ. بل تؤكد لنا هذه القطعة الرائعة من تعبير الكنيسة الأرثوذكسية وتقواها أن الإنسان قد **«مات بالخطية»،** وليس بإرادة الله العادلة، وأما الله فقد **«أحيا الميت بموته»؛** أي أن **العدالة الإلهية تجاه الخاطئ هي الحياة وليس الموت!!!** وأن موت الرب على الصليب كان ليشترك معنا في موتنا لكيما يدخل إلى الموت في عقر داره وذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس ويبيده مرة واحدة، مشهر إياه، هو وسلاطينه، جهار بصليب النصرة وليس بصليب العقوبة السادية. والحق يقال أنه لا يوجد نص إنجيلي (وإن وجد فنريد أن نسمع شرحه) يقول أن المسيح مات معاقب ليسدد للعدالة الإلهية حق ضائع بالخطية، أو أن الله وعدله يمكن إسترضاءه وصنع مسرته بالموت، ناهيك أن يكون موت «إبن محبته».

حقا لقد مات المسيح عنا. ولكن هذا الموت كما يموت البطل بدلاً من صديقه الضعيف لكي يعلن محبته، وليس كما يموت البديل الجنائي بدلاً من مجرم، لكي يستوفي العدل البشري الناقص مجراه، بموت أي كان لإسترضاء رغبة قانونية سادية. لم يكن موت المسيح الرب إبدالاً قانوني جزائي كما علم مارتن لوثر في نظرية الإبدال العقوبي Penal Substitution. ولكن كان موت الرب **«إبدالاً بطولي »** و **«إبدالاً علاجي »** لمرض موت الإنسان بالخطية القاتلة. شتان هو الفارق بين التعليم بأن الرب قد مات على الصليب موت هو **«إبدال بطولي وعلاجي»** من أن نعلم أنه مات **«للإبدال العقوبي»**:

• **«الإبدال البطولي والعلاجي»** هو إبدال دافعه الحب، وتعليمه يشعل في قلوبنا الحب للآب الذي بذل ابنه حب فينا، ليواجه الموت بدلاً منا لكي يبيد الموت بالموت، ويهبنا حياته الأبدية.

• **أما «الإبدال العقوبي»،** الجزائي (عقوبة بدل عقوبة)، فهذا دافعه سادية المطالب بموت البرئ (أي سادية الآب السماوي بحسب تعليم أنسلم ومارتن لوثر). والتعليم بهذا التفسير قطعاً يجعلنا نرى صورة كئيبة للآب السماوي، فيها لا يطلب إلا ما هو لنفسه!!! ونحن نعلم أن الله محبة، والمحبة لا تطلب ما لنفسها. فكيف يكون هدف الصليب هو حصول الآب على ترضية شخصية لعدالة إهتزت بخطية الإنسان، ويطالب الله بسبب هذه الإهانة بعقوبة تهدي غضبه على الإنسان، ويدفعها دم برئ؟!!

هذا التعليم لا ينتمي لصلوات الكنيسة الأرثوذكسية في أي من كتبها. ولو كان هذا الرأي خطأ **فلماذا** لم **نسمع حتى الآن من** المعترضين **نصوص الصلوات وكتابات التقليد الآبائي التي تعلم بالإبدال العقوبي واسترضاء عدل الله بالموت، وموت المسيح كمعاقب؟!** الإجابة، والله يشهد على أنها حق، هي إنعدام وجود نصوص آبائية تؤيد تعليم أنسلم ومارتن لوثر، إلا في تفسيرات الكتاب المقدس التي تتبع المنهج البروتستانتي. ونحن في إنتظار تعليق الدارسين.

ولنطالع ونتأمل في **صلاة الساعة السادسة:**

> **«يا من** في **اليوم السادس و**في **الساعة السادسة،** سمرت **على الصليب من أجل الخطية** التي تجرأ **عليها أبونا آدم** في **الفردوس، مزق صك خطايانا.»**

والصك هذا ليس ديناً علينا يسدد لله، ولكنه كان صكاً علينا كدين **«للموت الذي كنا ممسكين به مبيعين من قبل خطايانا»،** كما نصلي في القداس. نحن على أية الأحوال مدينون لله بكل حياتنا وما فيها، ولكن الكتاب لا يذكر أن الرب يسوع المسيح قد مزق صكاً كان في يدي الآب ضدنا. لأن بولس الرسول يشرح هذا الصك ومعناه عندما يكتب:

> «إذ كنتم أمواتاً في الخطايا، وغلف جسدكم، أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا. إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب. إذ جـرد الرياسـات والسـلاطين [إبليس وقواتـه] أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه. فلا يحكم

> عليكم أحد في أكـل وشـرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت...» (كو ٢: ١٣ ـ ١٥).

فهذا الصك كان صكاً في فرائض الناموس، وليس صكاً علينا أن نسدده لله بعقوبة موت، كما يعلم من يحبذون التفسيرات البروتستانتية. وللقديس بولس الرسول أيضاً نصاً هاماً يشرح فيه **لماذا كان ضرورياً أن يموت الرب على الصليب:**

> «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، إشترك هو أيضاً فيهما [أي تجسد] لكي **[عندما يشترك** في **موتنا] يبيد بالموت** ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، **ويعتق أولئك** الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً تحت العبودية.» (عب ٢: ١٤ ـ ١٥).

هذا هو هدف الصليب: إبادة الموت ـ تحرير الإنسان من الموت. ولم يذكر الكتاب المقدس أن الصليب كان لإتمام عقوبة الموت الذي تجلبه الخطية، لاسترضاء العدل الإلهي في أي من أسفاره. هذا تفسير البشر في اللاهوت الغربي في العصور الوسطي.

ونكمل تأملاتنا في صلاة الساعة السادسة:

> «يا يسوع المسيح إلهنا الذي سمرت على الصليب في الساعة السادسة، **وقتلت الخطية بالخشبة، وأحييت الميت** بموتك، الذي هو الإنسان الذي **خلقته بيديك، الذي مات بالخطية.** إقتل أوجاعنا [خطايانا] بآلامك المشفية المحيية [وليست آلام العقوبة]، وبالمسامير التي سمرت بها، انقذ عقولنا من طياشة الأعمال الهيولية... [إرادة الله: خلقته بيديك. **إرادة إبليس:** مات بالخطية] لأنه تألم من أجلنا لكي ينقذنا...
>
> صنعت خلاصاً في وسط الأرض كلها أيها المسيح إلهنا، عندما بسطت يديك الطاهرتين على عود الصليب... **لأنك** بمشيئتك [وليس لترضية إرادة أخري أو عدالة تطالبك بتحقيق الموت] **سررت أن تصعد على الصليب،** لتنجي الذين خلقتهم من عبودية العدو [وليس لتنجي الإنسان من قبضة العدالة الإلهية التي تطالب بتحقيق الموت لاستيفاء العدالة السادية حقها].

> نصرخ إليك ونشكرك لأنك ملأت الكل فرح ، أيها المخلص لما **أتيت لتعين العالم**. يا رب المجد لك...
>
> لأن من قبل صليب إبنك [أيتها العذراء] **إ بط الجحيم وبطل الموت. أموات كنا فنهضنا، وإستحققنا الحياة الأبدية،** ونلنا نعيم الفردوس الأول. من أجل هذا نمجد بشكر، المسيح إلهنا، **لأنه [بطل] قوي.**»

أين «الإبدال العقوبي» و «إسترضاء العدالة والغضب الإلهي»، بموت ذبيحة غير محدودة، تسدد للّٰه ديناً وثمناً وأجرة غير محدودة، بسبب خطية غير محدودة، أغضبت اللّٰه غضباً غير محدود، ضد الإنسان؟!!! من أين جاء هذا التعليم غير الأرثوذكسي إلينا ولماذا تركنا ينبوع المجد والفرح الأرثوذكسي؟!!!

وهذه بعض أقوال الآباء عن جهنم النار الأبدية، وأن إرادة المخلوق هي السبب وليست إرادة الخالق:

- **العلامة أوريجانس :**

: (The Faith of the Early Fathers, vol. I, p. 196)

> « لننظر معًا الآن معنى التحذير بالنار الأبدية. نجد في نبوءة إشعياء أن النار التي يتعذب فيها كل واحد، هي نار من صنع هذا الذي يتعذب وذلك لأن إشعياء يقول: سيروا في نيرانكم، واللهيب الذي أوقدتموه لأنفسكم (إش ٥٠: ١١).
>
> يبدو من هذه الكلمات أن **كل خاطئ يشعل لنفسه بنفسه نيران عذابه،** لأنه لا يلقي في نيران كانت قد أعدت بمعرفة شخص آخر، أو أ ا كانت موجودة قبلاً. **أما وقود هذه النيران فهي خطايانا...**
>
> عندما تجمع النفس في داخلها أعمالاً شريرة كثيرة وخطايا عديدة، يأتي وقت تغلي فيه هذه الشرور لتجازي بنار العقوبة.

عندما يسمح الله (المواجهة مع النور في يو ٣) بأن **تتذكر النفس أو الضمير** كل هذه الشرور المدخرة في الذاكرة، والتي شكلت صورة مطبوعة للخطية، سوف تري أعين النفس تاريخ ما صنعت هذه النفس من فظائع وأعمال شريرة مخزية...

عندما تجد النفس أ ا **خرجت بإراد ا من الترتيب والتدبير** الكامل الإنسجام مع ذا ا، سوف تتحمل النفس آلام العقوبة التي **جبلتها على ذا ا بخروجها الحر، وسوف تشعر بعقوبة تغر ا وتشتتها خارج هذا التدبير...»**

- **القديس غريغوريوس النيسي :**

(The Faith of the Early Fathers, vol. II):

« العذاب الذي سيعاني منه الخطاة، لا يشابه أي من العذابات التي تعرفها الحواس هنا (في هذه الحياة). حتى وإن سميت هذه العذابات بعبارات معروفة في هذه الحياة، فالفارق كبير. عندما تسمعون **عبارة « النار » إعلموا أ ا شىء يختلف عن النار التي نعرفها،** لأن النار (الأبدية) لها خواص ليست للنار كما نعرفها نحن، فهي نار لا تطفأ.... » p. 49.

« عند باب ملكوت السموات ... **النفس هي التي تحمل علامات تغر ا** (نفيها من الملكوت). وهذه النفس هي التي بنفسها تدين ذا ا بشدة من أجل إهمالها. وسوف تصرخ وتبكي وترثي لحالها خارجًا (خارج النعيم)... للأبد» p. 57-58 .

- **القديس يوحنا ذهبي الفم :**

(The Faith of the Early Fathers, vol. II) :

« إن اختار أحد أن يغمض أعين عقله ولم يرد أن يستقبل النور وأشعته، ظلمة هذا الإنسان لا تأتي **بسبب طبيعة النور، ولكنها تأتي بسبب شره الشخصي الذي، بإرادته الحرة، يحرمه من هذه النعمة** » p. 106.

- **القديس أمبروسيوس :**

: (The Faith of the Early Fathers, vol. II)

« صرير الأسنان (كما وصفه الرب في العذاب الأبدى) ليس صرير أسنان جسدية! وليس الدود أيضًا دود جسدى!

لم تكتب هذه إلا لأن الدود يظهر مع الحمي الشديدة (المرض - بحسب الطب أيام أمبروسيوس!) وكذلك **من لا [يتوب و] يطهر من خطاياه، سوف** يحترق في **ناره ويتآكله دوده (أعماله)**. ولهذا كتب إشعياء : سيروا في نيرانكم...

إ ا نيران كآبة الخطية ونتيجتها. إ ا كدودٍ، لأن خطايا النفس تطعن العقل والقلب وتأكل أحشاء الضمير.» p. 163 .

- **القديس يوحنا ذهبي الفم :** (عظة ٩ على رو ٥) :

(N. & P. N. Fathers, p. 399)

« ولكن كيف إذا كان الله صديقًا لنا - كما يقول البعض - يهددنا بجهنم، وبالعقوبة والانتقام؟!

إنه يفعل ذلك بسبب محبته وحدها. لأن كل ما يفعله ويهتم به هو أن ي ع شرورك، وأن **يصونك بالخوف كمانع مفيد** حتى لا تتهور وتنحدر إلى الجانب المضاد. بالبركات والآلام هو يستعيدك من إ يارك ويرفعك إليه ويحفظك من الرذائل التي هي أشر من جهنم.».

•••

خلاصة التعليم الأرثوذكسي عن الحياة والموت الأبدي :

- العذاب الأبدي، إذن، ليس من تدبير وصنع الله الخالق، بل مكتوب عليه بخط الكتاب المقدس وآباء الأرثوذكسية عبارة : **« صنع** في **إرادة المخلوق وحريته.»!!!**

- الإنسان عشماوي نفسه ويقتل نفسه بسكين الخطية، أما الله فهو الطبيب المسعف. الإنسان بالخطية «يموت في خطيئته» (يو ٨: ٢١)، والله طبيب شافي يهدي حياته بدلاً من موتنا، وبذلك يطهرنا، أي يكفر ويمحو نجاسة موت الخطية، بأن ينضح ويرش ويزرع حياته فينا بالروح القدس والتناول من دواء عدم الموت (الجسد والدم الأقدسين).

- صانع الخيرات، محب البشر، الآب الصالح، لا يمكن أن يكون بتدبيره قد خلق لنا أتونًا من النار ليلقي فيه بيديه وإرادته أبناءه، وهو الذي يشرق شمسه على الأشرار مثل الأبرار، ويسعي باذلاً حياة إبنه لنا هدية لشدة حبه فينا، «إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا»!!!

- وحتى عندما نقول أن **«الموت هو حُكْم الله على الخاطى»،** فهذا لا يعني أن الموت هو من **«تدبير وصنع الله»** أبدًا!! بل كلمة **«حُكْم»** Judgement تعني «تقييم» أو **«تشخيص»** الله لحالة الخاطي الذي رفض نعمة الحب والشركة مع الله والقديسيين. وهذا مثلما نقول أن المُعلم «حَكَمَ» بفشل أو سقوط الطالب البليد؛ أو أن **«حُكم وتشخيص»** الطبيب، لمن أصيب إصابة بالغة، هو الموت. في هذا كله: الله، أو المُعلم، أو الطبيب إنما **«ينبئون ويكشفون»** ما سوف ينتج، وسوف يحدث للخاطي غير التائب، أو الطالب البليد، أو المصاب الجريح... الله، والمعلم، والطبيب هنا **ليسوا أسباب المعاناة، إنما هم الذين يعلنوها،** للتحذير والنصح. سبب الموت الروحي، أو الطلاق الروحي، هو الإنسان صاحب «العصمة» في هذه الزيجة الروحية.

- إن قالوا لك أن الله يحبك بيد؛ ولو أخطأت فهو عادل وسوف يقتلك بإرادته (الموت الأبدى) باليد الأخري... فهل يمكنك أن تحب إلهًا مثل هذا؟! ولكن عدل الله يُعلَنُ في احترامه الشديد لحرية الإنسان، إذا إختار الإنسان ألا يحب

الله والإنسان أخاه للأبد ... فيحكم الإنسان على نفسه بإرادته بعذاب وموت وطلاق أبدي من الله، الذي هو مصدر الحياة والسعادة الوحيد... أهناك عذاب أشد؟! أو عدل أكثر رحمة واحترام لحرية المخلوق؟! ولكن يظل بسبب هذا القرار الحر (الذي للمخلوق وحده) جرحًا يدمي في قلب الله للأبد؛ لِذا رأي يوحنا الحبيب الرب حملاً ذبيحًا في وسط عرش الله (رؤ ٥: ٦، ١٣) مشيرًا إلى معاناة حب الله الذي لم يقابله حب المخلوق كما ينبغي ...لِذا قيل أن جهنم هي: إحترام الله لحرية الإنسان الرافضة للحب، ولو للأبد!!!

•••

الجزء الثاني

الغضب والنقمة والدينونة
بين
عدالة الله و عدالة البشر

الفصل الأول

العدل البشري الناقص!!

رأينا أن الإنسان مخلوق ناقص، غير ثابت، هش ومائت، ويتقبل نعمة الحياة لكي ينمو فيها حتى ما يقبل دعوة الله له لكي يتشبه به ويتأله، (باسيليوس الكبير). لهذا يخاف الإنسان خوفًا شديدًا من الموت، وكل ما من شأنه أن يذكر الإنسان بالموت أو يدفعه نحوه. لذلك يتحرك الإنسان وتعمل كل دوافعه على قاعدة غريزة حب البقاء. وهذه قد سميت **« غريزة الحياة »**، أو في قول سيجموند فرويد ومدارس نفسية أخرى، « غريزة الموت »

.(S.A., Rathus, Psychology, Pub.: R. Woodbury, p.317)

فإذا ظُلم الإنسان، شعر بخوف من الموت وبحث عن رد ما قد أخذ منه بالظلم، بل وطالب بتعويض، إذا أمكن، وعقوبة مناسبة للظالم حتى ما يسترضي غضب هذا الإنسان المظلوم، بالإنتقام من الظالم. هذا حالنا كبشر. الغضب، عندنا كبشر، هو حالة رفض الظلم، والمطالبة بالإنتقام ورد الشرف والكرامة والتعويض وعقوبة الجاني.

فإن كسر أخي لي ذراع، طالبت بحسب العدل البشر بكسر ذراعه، أو تعويض بديل، فدية عن ذراعي الذي كسر، أو قُل فدية بديلة حتى لا تكسر له ذراعه بحسب العدل البشرى!! ومن هنا قَبِلَ الله هذا النقص البشري وسلم موسي شريعة: العين بالعين والسن بالسن، والحياة بالحياة - إلى حين!!

ولكنني أتساءل بكل ما أوتيت من قوة وفكر: هل هذا عدل؟!!

إذا كسر أخي ذراعي، **فالعدل** في **عمقه هو أن أسترد صحة ذراعي، ويتعلم**

أخي ألا يعيد هذا الفعل الشرير والمدمر لخليقة الله مرة ثانية. العدل البشري ينتج لنا ذراعين مكسورين، ذراعي وذراع أخى!! إنه عدل ناقص، ذلك الذي يعالج الشر بشر مساوٍ له، حتى ما ينتقم للخسارة! وأين التعويض؟! الذراعان مازالا مكسورين!!

العدل البشري والغضب والنقمة، كلها تعمل في خط واحد، ملخصه: **«تدمير الجاني مثل المجني عليه »** لإشباع غليل المجني عليه، الغليل والعطش إلى إسالة الدم والقتل.

إننا هنا لا نصلح ولا نعالج بل نزيد الظلم ظلمًا، ونحول بأيدينا الجاني إلى مجني عليه أيض !! أين العدل؟!

لذلك بنضوج الإنسانية وتقدمها (بالرغم من بؤسنا) تحول تشخيص الجاني من كونه « **مجرم** » يستحق الدمار والعقوبة، إلى كونه « **مريض** » اجتماعي ومريض نفسي ومريض في إنسانيته، ويحتاج **للعلاج لا للقصاص.** أي بدأنا - مؤخرًا جدًا - في هذا القرن فقط، ندرك ما أدركه الآباء قديمًا: أن الشر مرض وليس جريمة! الشر يحتاج لعلاج لا لعقوبة الموت. ولذا نري أيضًا في معجزات الرب يسوع الإرتباط القوي بين شفاء مرض الجسد ومغفرة الخطية، أي المرض الجوهري في مشكلة الإنسان.

لذلك علّم الآباء أن الكنيسة « مستشفي » وليست « محكمة ». (ذهبي الفم).

أليس هذا ما يحاول الله أن يشرحه لنا بعمل الفداء والخلاص كله، أن الإنسان لا يحتاج إلى ناموس وقانون ورجم وقتل، بل يحتاج إلى نعمة وحب وإحياء وتشجيع على الحياة؟

الله **كان يؤدب الإنسان بالناموس،** أي كان يحاول أن يعلمنا أن رد الشر بالشر، والقتل بالقتل، لا يفيد، لا يفيد الله ولا الإنسان!

قال غاندى: « العين بالعين نظام يجعل العالم كله أعمي!»

لقد وافق الله - إلى حين - على ناموس العين بالعين ليؤكد للإنسان فشل

التجربة!! هذا هو التأديب!! ليؤكد للإنسان فشل الحياة بحسب أي قانون خارجي، يكون كل هدفه أن يُسجن شر الإنسان داخله. لأن غضب ونقمة عدالة الإنسان تحرق الإنسان من الداخل، إذا ظلمه أحد ولم يرد له المثل!

وجاء الله بنفسه ، ليشرح لنا أن علاج الشر يكون بوهب نعمة الحياة! لأننا ـذه العطية نتأكد أننا لن نموت موتًا أبديًا، فيهدأ غضبنا، وتنتفي نقمتنا، ولا نعود نرد الشر بالشر. ولهذا نغفر لمن يسيئون إلينا بفرح، بل نحسب الإساءة الموجهة لنا إكليل مجد أبدى!!

إن شوكة الموت هي الخطية (١كو ١٥: ٥٦)، أي أن الخطية تشبه ذَنَب العقرب الذي يلدغ بشوكته STING فيقتل. لأن الخوف من الموت هو سبب كل خطية. فإذا تأكد الإنسان مـ ـن فنـ ـاء المـوت (أي **تأكيد الحياة،** حيث أن الحياة هي الجوهر والموت غياب الجوهر) إستراح الإنسان، وسعي للبذل حتى الموت، لأن في موته الجسدي الوقتي، حياته الأبدية كلها؛ فكف الإنسان عن الشر، أو عن محبة البشر.

•••

«عدل الله هو حياة الخليقة، وموت الموت»

الفصل الثانى

عدل الله هو بر الله وصلاحه

وإذا تركنا الإنسان لوهلة قصيرة، ونظرنا إلى العدل عند الله، نجده يختلف بشدة. وأعتقد أن السبب الرئيسي واضح الآن: الله لا يحتاج ولا ينقص، ولا يمكن لشر المخلوق أن يجربه ويثيره للنقمة والغضب، بحسب النموذج البشري الساقط، الذي درسناه منذ قليل. والوحي المقدس كما رأينا، في أيوب ٣٥: ٦-٨ وفي يعقوب ١: ١٣- ١٧، يؤكد هذا بلا أدني شك - على خلاف ما علم أغسطينوس والغربيون كما سنري في الجزء الرابع والأخير من الكتاب.

لذلك فعدل الله، هو بر الله Righteousness ، أي عمل ما هو صحيح وكامل The right thing. وكلمة « عَدَلَ» في **العربية أيضًا** تعني **: إعادة الحال المائل، أو الشىء المائل، إلى نصابه الصحيح.** وليس هو كما في اللغات المشتقة من اللاتينية **To see justice done** بمعني أن نري توقيع عقوبة مردعة في الجاني. والعبارة نسمعها كثيرًا، هنا في بريطانيا، على شاشة التليفزيون، عندما يحكم قاضي على مجرم بحكم مخفف، فيقف المجني عليه ويطالب باستئناف القضية، حتى ما يشبع نقمته بكل قسوة ممكنة، حسب عدالة البشر الناقصة والمتعطشة للدماء والتدمير. فالمجني عليه يظن أنه بعقوبة الجاني سوف يصلح الحال ويسترد شيئًا ضائعًا، ولكن يا للحسرة!

أما عند الله الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران بسبب الشر، **فالعدل هو إحياء**

الخليقة، إذا رآها تنتحر بالشر بحريتها. فهو يسعي كأب حقيقي في طلب الضال. هو يتحرك بالحب ويربطني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة. هو راع صالح يضمد جراح الخروف الضال، ويقع على عنق كل خاطئ، كل ابن ضال، متي عاد بحريته، بدون أي عتاب، بدون أدني رغبة في عقاب أو قصاص أو مطالبة باسترضاء شخصي.

هو طبيب شافي يقدم الحب، بل ويتبرع بدمه وبحياته ويزرعها ويطعمها فينا حبًا بدون ثمن، حتى وإن كنا غير مستحقين وخطاة مزمنين في الشر والموت، لأنه يري أن حياتنا هي بره وعدالته ومجده كأب لنا... يمكن للإنسان ألا يكون إبنًا، ولكن الله لا يمكنه إلا أن يكون دائمًا أبدًا أبًا، بكل ما للكلمة من معني وبذل حتى الموت!

إن عدالة الله هي: شفاء الشرير من شره، وليس موت الشرير للعقوبة. لذا قال الوحي أن الله لا يسر بموت الخاطي أبدًا، لأنه ليس من تدبيره كخالق، بل يسر الله بأن الخاطي المنتحر يرجع ويحيا للأبد (حز ١٨: ٢٣) لأن : هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح يسوع (رو ٦: ٢٣).

> **كلمة «عدل» في العربية تعني إعادة الشيئ المائل، أو الحال المائل، إلى نصابه الصحيح، وليس تدمير هذا المائل. فالله لا يضرب الخاطئ المائت بالخطية، بالموت الأبدي، بل يحييه... لأن الضرب في الميت حرام!**

•••

العدل الإلهي في **سفر المزامير**

عندما قام اليهود بترجمة العهد القديم كله إلى اللغات اليونانية، وهي الترجمة المعروفة باسم «السبعينية»، ثم ترجم القديس جيروم بعد ذلك أسفار العهدين إلى اللغة اللاتينية، وهي الترجمة المعروفة بإسم «الفولجاتا»، مرت المصطلحات السامية

العبرانية من لغة الصلاة والعبادة والشعر إلى لغة الفلسفة أي اليونانية ثم إلى لغة القانون أي اللاتينية. وترجمة نص من لغة إلى أخرى يفتح باب ثقافتين وحضارتين وعادات شعبين كل على الآخر. ونقل كلمة واحدة من لغة إلى أخرى، سواء كانت ترجمة حرفية أو ترجمة تفسيرية، يعني في النهاية أن تدخل الكلمة المترجمة المجال الثقافي والاجتماعي والديني الجديد، وتخلق حولها معاني جديدة أو تحول المعاني القديمة في اللغة التي إنتقلت إليها. ويستطيع أي قارئ أن يلقي نظرة سريعة على أي قاموس إنجليزي - عربي ليجد أن بعض الكلمات الإنجليزية يترجم إلى عدة كلمات عربية وليس إلى كلمة عربية واحدة. والسبب في ذلك هو أن كل كلمة في لغتها الأصلية لها عدة إستعمالات حسب المناسبات وحسب تطور اللغة من عصر إلى عصر.

تعرف اللغة العبرانية كلمة واحدة عبرانية وشائعة في اللغات السامية الأخرى وهي Tzedek «صَدَق» التي لا تختلف عن الكلمة العربية « صِدْق» وهي تعني الحق. الصدق. العدل.

وترجمت الكلمة العبرانية في **العهد القديم العربي إلى : عدل ــ بر ــ صدق.** وهكذا البار هو الصديق، وهو العادل أيضًا. ويمكن لمن يريد أن يتحقق من صدق هذه المعلومات أن يراجع ترجمة صديق وعادل وبار في الترجمة الإنجليزية لسفر المزامير وعلى سبيل المثال :

مبغضو الصديق يعاقبون (مزمور ٣٤: ٢١)

The foes of the righteous will be condemned.

والكلمة العربية « صديق » هي أقرب إلى العبرانية Tsedek لأ ا مأخوذة من أصل root الكلمة السامية « صدق » ذات المقطع الثلاثي.

وتضارب الفكر السائد حتى في أوربا نفسها حول موضوع العدل مصدره الأساسي هو عدم العودة إلى اللغات القديمة وإكتشاف الإستعمال القديم في العبرانية أولاً، ثم اليونانية بعد ذلك، وثانيًا التطور الذي حدث لمعاني الكلمات عندما إنتقلت إلى اللاتينية، بيئة التشريع والقانون الروماني. وعلى سبيل المثال:

فاحص القلوب والكلى الله البار (مزمور ٧: ٩).

O'Righteous God, who searches minds and hearts......

فالبار - العادل - الصادق هي كلمات مُرادفة.

فإذا إستطعنا أن نرد الكلمات العربية إلى أصلها العبراني إستطعنا أن نعبر من الغموض اللغوي إلى وضوح يساعدنا على إدراك جوانب العدل.

الله قاض عادل (مزمور ٧: ١١)

God is a righteous Judge

ويعرف الذين درسوا اللغة الإنجليزية أ ا جمعت مصطلحات يونانية ولاتينية كثيرة، ولذلك فإن كلمة Righteous هي كلمة إنجليزية بحتة، بينما كلمة Just من اللاتينية وهي المصطلح القانوني السائد. ولذلك إذا سمعنا كلمة Righteous فإ ا لا تختلف عن الكلمة اللاتينية Just ، مثلما لا تختلف كلمة « عدل » عن « بـ ـر » عن « صدق ». وكلمة « بر » هي كلمة عربية بحتة وأحياناً تعني الإحسان والعطاء كما وردت في القرآن وفي المصادر العربية القديمة وهي الترجمة العربية السائدة عندنا لكلمة « عدل » و « صدق ».

العـدل هو صدق مواعيد الله :

يقول المزمور « عليك يارب توكلت. لا تدعني أخزي مدي الدهر. بعدلك نجني. أمل إلى أذنك. سريعًا إنقذني » (مزمور ٣١: ١-٢).

ويطلب داود الخلاص من الضيق لأنه « عند كل أعدائي صرت عارًا وعند جيراني بالكلية » (مز ٣١: ١١). ولذلك يجئ حكم الله لمظلوم هو حكم عدل، هو حكم بالخلاص (مز ٣١: ٢٣)، وهو خاتمة المزمور « لتتشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب » (مز ٣١: ٢٣). (راجع أيضًا مزمور ١١٩: ٧٥ و ١٢١). ولكن يجب أن نتذكر أن الذي يطلب حكم الله العادل، وهو نفسه المتوكل على الله، ليس خاليًا من الخطية، بل يعرف خطاياه كلها!! ولذلك يعترف ويقول «أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي. لهذا يصلي لك كل صديق (تقى) في وقت يجدك فيه» (مز ٣٢: ٥- ٦). وإذا قال المزمور « قريب هو الرب من المنكسري

القلوب ويخلص المنسحقي الروح » أي هؤلاء الذين يعرفون تمامًا أ م ليسوا أنقياء، ولذلك يقول « كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب » (مز ٣٤: ١٧- ١٩). ولعل مزمور ٣٥ هو خلاصة كل ما نقول عن العدل الإلهي، الذي يخلص الذين يحتكمون إلى قضاء الله العادل، لأن الأشرار « يجازونني عن الخير شرًا ... لأ م لا يتكلمون بالسلام ... » (مز ٣٥: ١٢- ٢٠). ويقول المزمور « إذ قلت قد زلت قدمي فرحمتك يا رب تعضدني » (مز ٩٤: ١٨)، وهو هنا يجد كخاطئ « الرب لي صرحًا وإلهي صخرة ملجإي » (مز ٩٤: ٢٢).

وعندما يقول المزمور « كل وصاياك عدل » (مزمور ١١٩: ١٧٢) وأيضًا «لم أكتم عدلك في وسط قلبي » (مزمور ٤٠: ١٠) و « فمي يحدث بعدلك اليوم كله » (مزمور ٧١: ٥)، **فكل هذه العبارات لا تعني العدل حسب الشريعة أو القانوني الوضعي بل العدل** بمعني **السلوك حسب الوصايا أي سلوك الصدق والحق، أو سلوك « البر ».** ولذلك يقول المزمور «يا رب إن أحكامك عدل» (مزمور ١١٩: ٧٥).

وإذا قال سفر الأمثال « أفكار الصديق عدل » (أم ١٢: ٥) بات من الواضح أن العدل هو الطريق المستقيم، والبار الذي لا يميل. ومن هنا جاء معني الكلمة « عَدَلَ » أي يُقوم المعوج ويرد المائل إلى وضعه الأصلي.

ونكتفي بكلمات مزمور ٣١ إذ يقول المزمور :

« بعدلك نجني » (٣١ : ١)

« خلصني برحمتك » (٣١: ١٦).

ولقاء الرحمة والعدل في مزمور ٨٥ هو لقاء لا يمكن أن نفهمه حسب مصطلحات الفلسفة أو القانون وإنما حل رضاء العدل وحنان المحبة والرحمة ولذلك يقول المزمور :

> «حجزت كل رجزك. رجعت عن حمو غضبك
> إنفْ (إبعد) غضبك عنا
> أرنا يارب رحمتك وإعطنا خلاصك

الرحمة والحق إلتقيا. البر والسلام تلاثما
الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطلع »

(مز ٨٥: ١- ١١)

والإنسان المخلوق على صورة الله (تكوين ١: ٢٦) يدرك أن الله غني في رحمته، ولذلك يطلب من الله أن « ينفي » الغضب وأن يرجع عنه، ويدرك أنه رغم خطاياه يستطيع أن يقول لله « علمني يا رب طريقك فأسلك في حقك... لأن رحمتك عظيمة نحوي وقد نجيت نفسي من الهاوية » (مز ٨٦: ١- ١٣). ولو كان لدي الرب صراع بين العدل والرحمة لما قال المزمور « يا رب أنت إله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة والحق » (مز ٨٦: ١٥)!! وحقًا يقول المزمور « بعدلك تخرج من الضيق نفسي وبرحمتك تستأصل أعدائي » (مز ١٤٣: ١١- ١٢)!! فالله يرفع الضيق عن المسكين من أجل أمانته وعدله دون أن يدخل في صراع داخلي مع صفاته الإلهية.

التعبير الإنجليزي To do justice ، وهو ما يترجم عربياً إلى إيفاء الشئ أو الشخص حقه الواجب، يعني تجميل الشئ أو الشخص لدرجة الكمال... هذا هو عدل اللّٰه للخليقة.

«وإهدنا إلى ملكوتك، لكي بهذا يتمجد ويتبارك ويرتفع إسمك العظيم العادل والقدوس» لأن هذا هو تمام بر اللّٰه وعدله!!

الفصل الثالث

عدالة الله وبره
في تعليم السيد المسيح
وصلاحه للخطاة

إذا نظرنا لموقف الرب يسوع المسيح من الإنسان، وخاصة الأشرار، نجد أنه لم **يتعامل أبدًا بحسب عدالة البشر، بل بحسب بر وعدالة الخالق،** الذي لا يسر إلا بعودة الخاطي إلى الحياة، وليس بموته!! وإذا حللنا هذه المواقف «المسيحية» نسبة إلى شخص المسيح، نجد أنه في حقيقة الأمر **كان يعلن ثورة ورفضًا جذريًا لنظام العدل البشري كلية!!** لقد كانت إحدي التهم الموجهة إلى السيد المسيح أنه شخص ثوري يقلب النظام الديني الموسوي، الذي إعتاد عليه الفريسيون ومعلموا الناموس، رأسًا على عقب!! ولذا قرروا أن قتله أفضل من أن يتبعه كل البشر، ويهلكوا بسبب تركهم لما إعتاد أن يعلمه لهم الربيون والناموسيون!!

بالنسبة للفريسيين واليهود المتزمتين، كان الإنسان مخلوقًا من أجل الناموس! أي أن الله قد خلقنا أساسًا لتحقيق رغباته وقوانينه في حياتنا، لأجل أن يتمتع هذا الخالق بطاعة هؤلاء العبيد! ولا يزال هذا فكر الكثيرين اليوم للأسف!!! ولكن السيد المسيح أظهر عكس ذلك على طول الخط!! لقد شفي المرضي في السبت!! وهذه خطية كبري تستحق الموت في أعين الناموسيين. خاصة وأنه كان يجري المعجزة في المجمع، أي مكان العبادة!! أي تحدٍ! وعندما ثاروا عليه ذكرهم وواجههم بحكمة لم يقدروا أن يعاندوها، ولكنهم، بسبب هزيمتهم في الحوار كانوا يحنقون

عليه بالأكثر. فقال السيد المسيح قولته الشهيرة أن **«السبت قد وضع من أجل الإنسان»،** وليس العكس، أي أن الإنسان لم يخلق لكي يحفظ وصية الناموس، بتقديس السبت بلا هدف! أي أن الله قد وضع في قلب الإنسان الرغبة في تنظيم وتقنين الحياة («الناموس الطبيعى» والذي سُلم لموسي بصورة الوصايا العشرة **كتابة مؤخرًا جدًا**) ليس لكي يصبح الإنسان عبدًا للنظام والقانون، بل لكي يكون القانون خادمًا لسعادة الإنسان، ومعينًا له على الحياة والإستمرارية في الحياة:

«**أعطيتني الناموس عونًا، ولم تكن أنت المحتاج،** لعبوديتي لهذا الناموس، بل أنا المحتاج لهذا العون منك يا ربى»... هكذا أدرك غريغوريوس من روح الكنيسة وعبر بشعره في القداس.

- **مثل أصحاب الساعة الحادية عشر** (مت ٢٠: ١- ١٦):

في هذا المثل يعطي صاحب الحقل لكل العاملين أجرة واحدة، مهما كانت مدة خدمتهم في الحقل. هذا عدله!! ولكن يحاوره الإنسان، بحسب عدله البشري، في شخص أحد العاملين، الذي لم يستسغ عدالة صاحب الكرم، لأ ا لا تتفق مع عدالة البشر « هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين إحتملنا ثقل النهار وحره! فأجاب وقال لواحد منهم : **يا صاحب ما ظلمتك.** أما إتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك وإذهب. فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي . أم أن عينك شريرة **لأني أنا صالح**؟!» (مت ٢٠: ١٢- ١٥). يظهر جليًا من هذا المثل أن **عدالة الله هي صلاحه،** وعطاءه للكل بحسب غناه. **ولكن عدل البشر لا يدرك** في **الصلاح عدلاً!** وذلك لأن الصلاح يهز ذات الإنسان ويطالبه بالبذل المماثل. « هذا إله مكلف ، بل مخيف! ولو ترك له الحال لما بقي للإنسان ذات أو أنانية يمكن حمايتها»، يقول عدل الإنسان الأنانى!

ولعل المهاتما غاندي قد أدرك بر الله وصلاحه أكثر من كثير من المسيحيين. لأنه قال ما معناه: لو صرت مسيحيًا فلن أستطيع أن أنام!! لأنه من كثرة البذل والصلاح سيصلب نفسه، تابعًا إثر المسيح الذي يعطي بسخاء حتى نفسه كلها، ولا يعير!

• **المغفرة المجانية** (مت ١٨):

في حديث مع بطرس والتلاميذ سأل بطرس: « يارب كم مرة يخطي إليّ أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات. لذلك يشبه ملكوت السموات إنسانًا ملكًا أراد أن يحاسب عبيده... فتحنن سيد ذلك العبد - المديون بعشرة آلاف وزنة - وأطلقه وترك له الدين » (مت ١٨: ٢١- ٢٧).

وأنا أسأل القارئ وضميره، أين العدل؟! **هل هذا عدل أن أسامح أخي سبعين مرة سبع مرات؟!** بحسب عدالة البشر السبع مرات تزيد وتكفي، بل هي ضد فكرة العدل، الذي لا يري ولا يفهم إلا نظام العين بالعين والسن بالسن!! لذلك نمثل العدل البشري بإمرأة معصوبة العينين وفي يدها ميزان «... عمياء»!!! فهل الله الذي يطالبني بالمغفرة المجانية لكل من يسيئون إلي، حتى ولو إقتضي الأمر أن يقتلونني، هل هو عادل؟! أم صالح، أم بار؟! **أم كيف نصف هذا الإله المحير بموازينه الغريبة على عدالة البشر؟!!**

أعرف صديقًا حاربوه أناس بكل شدة وضراوة، ومن شدة الضغط النفسي أصيب بجلطة شديدة في القلب، قتلت ثلثه، وكاد يموت. ولكنه بنعمة الله تعافي. وصدر يومًا قرار بإغلاق مكان العمل الذي يعمل فيه أحد زملاء هذا الصديق. وكان هذا الزميل هو أكثر المحاربين ضراوة، بل هو المسبب الرئيسي لمرض صديقي بجلطة القلب!! وفي الوقت ذاته خلي مكان لوظيفة جديدة عند صديقي، من نفس نوع عمل هذا الزميل، الذي تسبب في مرض الصديق. ولقناعة هذا الصديق بأن العدل عند الله هو الصلاح، ذهب ودعي الزميل الذي كان قد تسبب في مرضه ليتقدم لشغل هذه الوظيفة، ليصبح زميلاً كاملاً له، ووعده بكل المساعدة والترحيب!! وعندما سألته لماذا إتخذت هذا الموقف الغريب، كان رده: هذا ما تعلمته من عدالة المسيح... الغفران مجانًا.

• **مثل الابن الضال** (لوقا ١٥: ١١- ٣٢):

قال الإبن الأصغر لأبيه : « يا أبي أعطني القسم الذي يصيبني من المال... وسافر

إلى كورة بعيدة وهناك بذر ماله بعيش مسرف. فلما أنفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة **فابتدأ يحتاج**... وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله فلم يعطه أحد... فرجع إلى نفسه... أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا أن أدعي لك إبنًا. إجعلني كأحد أجرائك. **فقام وجاء إلى أبيه**...».

في كل هذا لم نسمع أن الأب كان ناقمًا أو رافضًا لإبنه. لم **نسمع ولم نقرأ أن الأب كان له أي دور** في **عقوبة الإبن**. الإبن الضال صنع شقاءه بنفسه بالكامل، **وكل نتائج عمله كان هو مصممها ومنفذها** في **نفسه بحريته الكاملة**. أما دور الأب حتى الآن في القصة فهو العطاء الكامل السخي، حتى بالرغم من موقف إبنه المهين (شكلاً) للأب حيث طالب بميراثه وأبوه حي!! **ولكن** لم **يذكر أن الأب قد تضرر أو أبدي أي إستياء بأي شكل كان!!!** لعل هذه الكلمات تخزي تعليم أنسلم وكل من يدعي أن الخطية تشكل إهانة موجهة ضد الله وعدالته وكرامته، ولذا هي إهانة غير محدودة، ويطلب الله عنها ذبيحة ترضية غير محدودة.... الخ الخ.. من التعليم الذي يفوح عفونة العصور الوسطي، و « يسخط » صورة الله الصالح، التي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران ولا يُجرب بشر البشر مهما عظم (يع ١: ١٣- ١٧).

العدل البشري إذا سُئل : « كيف ينبغي أن يعامل هذا الأب إبنه عند اللقاء؟» سوف يجيب: « بكل حزم، يجب أن يحرمه من الميراث، بل يحرمه ويقطعه خارج الأسرة، وأقل الإيمان أن يوقع عليه عقوبة تساوي مقدار ما سدده من إهانة للأب، وخزي وعار للأسرة، هذا الجاحد العربيد الخاطي... عليه بتقديم تكفير كاف عن خطيته التي يجب أن تحسب بمقدار عظمة أبيه... الخ الخ..» (تعليم كنيسة العصور الوسطي القائم على القانون والموت، لا على النعمة والحب).

ولكن صلاح الله يُصوره السيد المسيح بما يذهل العقلية القانونية ويُخجل كل إنسان يسعي إلى تفسير الخلاص قانونيًا تحت ستار الحق والعدل الإلهي... ، من كل ما ينتجه فساد قلب الإنسان الشرير الذي لا يستريح إلا بتصوير الله على شاكلة الإنسان الناقص!!

صلاح الله لا يتأثر بنقائص الإنسان وجحوده إطلاقًا، لذلك كان ولا يزال موقف أب هذا الإبن الضال، هكذا:

« وإذ كان (الإبن) لم يزل بعيدًا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله، فقال له الابن: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا بعد أن أدعي لك إبنًا...» **فأوقفه أبوه عن الكلام** ولم **يدعه يكمل ألفاظ التذلل** مع أن هذا الابن فعلاً غير مستحق إلا لكل لوم وعتاب وحرمان وعقوبة (بحسب عدل البشر!).

ولم يذكر الرب أن الأب قد حاول تقديم أي لوم ولا محاسبة إطلاقًا ولكنه مع كبر سنه «تحنن.. وركض.. ووقع على عنق إبنه.. وقبله قبلة الحب والشوق والصلاح». **ومباشرة دخل بنا الرب** في **القصة إلى الاحتفال بالعودة للحياة!! وكأن شيئًا** لم **يكن من كل ما حدث** في **كورة** الخنازير.... **يا للعجب!!**

صلاح الله وبره وعدله لا ينظر إلى الشر ونتائجه، لا ينظر للزمن الماضي أبدًا. بل هو كطبيب يقدم العلاج للمصاب، ويسعده ويطمئنه، ويبعث فيه الحياة التي فقدها. أما موت الشر وعقوبته ومعاناته فيمحوه كغيمة، ويلقيه في بحر النسيان، ولا يعود يذكره لأبد الآبدين.

لذلك يكمل الرب بعد قول الإبن «ولست مستحقًا أن أدعي لك إبنًا. فقال الأب لعبيده: أخرجوا الحلة الأولي والبسوه واجعلوا خاتمًا في يده وحذاء في رجليه وقدموا العجل المسمن وإذبحوه فنأكل ونفرح. لأن إبني هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد. فابتدأوا يفرحون».

ولكن يكمل الرب القصة بوقوف العدل البشري ممثلاً في الإبن الأكبر، الذي حقيقة كان ضالاً أكثر من الأصغر، مع كونه في داخل البيت ولم يغادره!!

لكي يظهر لنا الرب مدي وثنيتنا وضيق صدرنا، وفشل عدالتنا كبشر في شفاء شقاء الإنسان، لم ينهي القصة عند الفرح والوليمة والطرب والرقص (ليلاحظ القارئ أن الله لا يمانع في هذه العناصر لإقامة الفرح والإحتفال على أن تستعمل بروح الحب بين أخوة أنقياء في حضور الرب ذاته).

ولكن لابد أن يظهر لنا الله ظلام عدالة البشر، لكي ندرك نور ونقاء الصلاح والبر والعدالة الإلهية بكاملها: لذلك يقف الإبن الأكبر مناديًا بصوت العدل البشري الجاحد للحب، والأناني والمطالب بالنقمة إن أمكن!! ولما علم هذا الأخ أن الوليمة وصوت الموسيقي والطرب والرقص قد أعدوا من أجل الإحتفال بأخيه،

غار هذا الأكبر خوفًا على العدالة البشرية، وشعر بأن **الأب قد أخطأ التصرف «ولم يعدل» بين الأخوين!!!**

« فغضب ولم يرد أن يدخل. فخرج أبوه يطلب إليه. فأجاب وقال لأبيه:

أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجديًا لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي. ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن. فقال له: يا إبني أنت معي في كل حين وكل ما لي فهو لك. ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد».

حتى مع هذا الإبن لم يحتد الأب، ولم ينتقد ولم يغضب، لأنه صالح وحكيم! ولكنه ساعد إبنه على رؤية النور والحق، وأن له كل ما للأب من خيرات. **لقد أكد الرب في هذه القصة علو الصلاح بما لا يقاس فوق العدل البشري. أكد لنا أن ما يهم الله هو أن يعود الميت للحياة ولا يشغل قلب الخالق إلا عودة كل ما كان مفقودًا إلى الوجود... من العدم إلى الوجود، من الموت إلى الحياة. ولا يمكن تحت أي ظروف، ومهما عظم شر الإنسان، أن يتراجع الله عن صدقه مع ذاته ومع الخليقة...**

لا يمكن أن يتحرك ذراع الخالق ليحطم ما خلق بالذراع الأخري. الصلاح يدفع بالخليقة في اتجاه واحد: من الموت والعدم إلى الحياة والوجود، إلى التشبه بالله - أي التأله. هذا عدل الله وصلاحه، وهذا يظهر لنا نقص العدل البشري وخوائه.

- **مثل السامري الصالح** (لو ١٠: ٣٠):

كان عدل الكاهن واللاوي عدلاً إنسانيًا محسوبًا. كانا يسرعان لتقديم العبادة والذبيحة للإله واضع الناموس. وقد يكون للتخلف عن هذه المشاركة في العبادة عقوبة قانونية. لذا تركا المجروح، بعدل وبحق، بحسب ضميريهما الناموسيين. أما السامري فلم يكن عادلاً نحو نفسه أبدًا، بل وقد نقول أنه صرف من مال، كان يحق أن يصرفه على أسرته وأطفاله. ولكنه تحرك بموجب قانون أعلى من العدل، قانون الصلاح، الذي صنع منه قريبًا للمجروح، ورجل إسعاف من الدرجة الإنسانية الأولي، التي يتغني ا كل محب للخير اليوم وللأبد. هذا عدل الله، الذي تمثل به السامري **« الصالح»**.

- **الزانية التي أمسكت** في **ذات الفعل** (لو ٨: ٣- ١١):

جاءوا ا للسيد المسيح العادل، **وتحدوا عدله،** عدل الذي لا يحيا بحسب فهم الإنسان الساقط، للناموس. الناموس الموسوي كان يحكم برجم الزانية. لماذا؟! **بالنسبة للناموسيين،** الإجابة: لأن الله يكره الشر، ويجب أن يعاقب الشرير ويجعل منه عبرة لكل من يكسر ويتحدي إرادة واضع القانون، لئلا يستهين الإنسان ذا الإله الجبار!! أما بالنسبة للمسيح، كما شرحت الكنيسة الملهمة :

« أعطيتني الناموس عونًا »، حتى إذا ما اقترب مني الشر قلت له: « إذهب عني يا شيطان ... إذهب لأنك إنما تريد أن تقتلني قتلاً أبديًا... لذا لن أطيعك». ذا يكون الناموس عونًا لا قتلاً. الناموس مرشد للحق ومعلم يؤدب الإنسان، وليس سكينًا في يد قاض قاس اسمه الله!! فهل تصرف المسيح بعدل؟! هل كان في قوله « من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر ... **ولا أنا أيضًا أدينك**... إذهبي بسلام ولا تخطئى» هل كان في هذا القول عدلاً؟! بحسب العدل البشرى: **المسيح** لم **يكن عادلاً!!** بحسب الحب الإلهى: هذا هو العدل والحياة وهذا هو قلب الله للخاطي... لأنه صالح للأشرار، **تمامًا** مثل الأبرار، يقول المسيح، يا للعجب!!

- **الموعظة على الجبل** (مت ٥، ٦، ٧):

« سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا! ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضًا! ومن سخرك ميلاً واحدًا فإذهب معه إثنين! ومن سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين!! لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم. فأي أجر لكم. أليس العشارون أيضًا يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون. أليس العشارون أيضًا يفعلون هكذا. **فكونوا أنتم كاملين**. كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل » (مت ٥).

« إن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه؟!» (مت ٧: ١١).

صدقوني لو وزن أي رجل قانون وصية السيد المسيح في هذه الموعظة في موازين العدل البشري، لما تبرر السيد المسيح!! لأنه إذا كان يطالبنا أن نقابل الإساءة بالحب فهو ليس بعادل، بحسب قانون البشر!

الصلاح Goodness هو مبدأ الله الأول الذي بمقتضاه يتعامل مع الخليقة. هذا هو عدل الله: أن يخلق ويعطي ويخلص، لا أن يدمر ويطالب ويأخذ ويعاقب بتدبيره - مهما كانت الأسباب - وإلا لما كان إلهًا!!! العدل البشري - في المقابلة مع صلاح الله العادل بحسب غني نعمته - هو « إتزان حقوقي » يضعف جدًا ويتصاغر أمام عدالة الله الصالح. العدل البشري يزن ويكيل الجزاء لكل عمل (خيرًا كان أم شرًا) بمقدار مساو لهذا العمل، ومعادل له في النوعية. أما صلاح الله العادل فهو لا يستطيع أن يتعامل بهذه الموازين الشحيحة، التي لعدالة البشر!

صلاح الله العادل يكيل بميزان إسمه: غني النعمة والحب الذي لا ينقص ولا يهتز لأي سبب، ولا يجربه شر المخلوق ويدفعه للنقمة، مهما زاد هذا الشر أكوامًا!!! أليس هذا معني أنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا؟! وأنه يمطر خيراته ويشرق شمسه على الأشرار تمامًا مثل الأبرار؟! وأنه ونحن بعد خطاة قال المسيح أن الآب يهبنا **نفس الحب وذات المجد** الذي يهبه لإبنه الوحيد the SAME love and glory **كما** في ترجمات Good News Bible (يو ١٧: ٢٢- ٢٣). يا للعجب! أهذا عدل؟!!! إن هذا هو تحدي الله للإنسان... هل يمكننا أن نعدل مثله؟ ونكون صالحين وكاملين في المغفرة والعطاء بالحب نحو أخوتنا بالرغم من شرورهم؟! هذا هو عدل الله وصلاحه: إنه **« علاقة »** حب ، وليس «ميزانًا » للخطأ والصواب.

ويكتب الأب رومانيدس الأرثوذكسي في مقالته « الخطية الأصلية في تعليم بولس الرسول » (في المجلة الربع سنوية لمعهد سانت ڤلاديمير 1956) **تحت عنوان « عدل الله والقانون » :**

« ما يصفه ويقبله الإنسان في معاملاته الإجتماعية على أنه عدل، لا يجب الخلط بينه وبين عدالة الله. عدالة الله أعلنت بصورة فريدة وكاملة في المسيح فقط. لا يحق لأي إنسان إستبدال عدالة خبرته الشخصية بعدالة الله. **عدل الله هو علاقة إيمان وحب وليس له أي علاقة بقواعد السلوك الإنساني!!**

وذلك لأن الحياة (كوجود) لا تنبع من القانون بل من بر الله وصلاحه، وهي لا تقوم على أي قواعد أو قوانين وضعية. ولو كانت الحياة يمكن أن تقوم وتوجد بالقوانين، لما كانت هناك أية حاجة للفداء بالمسيح!!

الله يهب الحياة بحرية، بغير قانون، لأن هذه مشيئته وحريته التي لا يحدها شيء ولا قانون!!

لذلك إنه خطأ جسيم أن ننسب الموت والفساد للعدل الإلهي، ونقول أن الله مسئول عن الموت والفساد (كعقوبة عادلة للشر). القديس بولس لم ينسب هذا أبدًا لله. بل بالعكس قال بولس أن الشيطان هو صاحب سلطان البُطْل والفساد (رو ٨: ٢٠- ٢١).

لكي نفهم الكتاب المقدس علينا التخلي الكامل عن أي نظام للعدالة مما نعرفه بحسب الحياة البشرية بعيدًا عن الله، والتي تطالب بالعقوبة والثواب تبعًا للقوانين الوضعية ».

أما معاقبة الشر بالموت الأبدي، فهي ليست من تدبير الله بل إختيار الإنسان الوحيد الذي يمكنه أن يجده خارج الله - أي عندما يرفض الإنسان الحياة بحسب الحب كتدبير الله. صدقوني **لو كان ممكنًا أن يخلق الله مصدرًا آخرًا للحياة خارج الله نفسه، لكان الله قد خلق هذا المصدر وأهداه للإنسان حبيبه!! الله سيحب الخطاة للأبد، مع أنهم لن يقبلوا إليه، بحريتهم (يو ٣: ١٩- ٢١).**

- **معنى أجرة الخطية هي موت:**

قال السيد المسيح :

> « **وهذه هي الدينونة :** إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن كل من يعمل السيئات **يبغض النور، ولا يأ**تي **إلى النور** لئلا توبخ أعماله [أي أن شره هو سبب خزيه الأبدي وهو لا يأتي إلى النور **بحريته هو**] وأما من يفعل الحق **فيقبل إلى النور** لكي تظهر أعماله أ ا بالله معمولة [أي يقبل **بحريته أيضًا**] » (يو ٣: ١٩- ٢١).
>
> « إن لم تؤمنوا إني أنا هو، **تموتون** في **خطاياكم** » (يو ٨: ٢٤).
>
> « الذي يؤمن به **لا يدان** [لأنه إختار موقفه من الحق بحريته من الآن] والـذي لا يؤمـ ـن **قد دين** [بحريته ومن الآن!] لأنه لم يؤمن باسم إبن الله الوحيد » (يو ٣: ١٨).

ويؤكد يعقوب الرسول أن الخطية هي التي تميت الخاطي وليس الله (هام جدًا):

> « لا يقل أحد إذا جُرب إني أجرب من قبل الله. لأن الله غير مجرب [هو] بالشرور وهو لا يجرب أحدًا... **الخطية إذا كملت تنتج موتًا.** لا تضلوا يا أخوتي الأحباء» (يع ١: ١٣- ١٦)

وسفر الرؤيا يقول أن الأشرار هم الذين سيرفضون الله وليس العكس:

> « **يقولون للجبال** والصخور **أسقطي علينا وغطينا** من وجه الجالس على العرش » (رؤ ٦: ١٦). فهم إذن الذين قد « **إدخروا لأنفسهم** غضبًا في يوم الغضب وإستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢: ٥).

ويقول بولس الرسول تلخيصًا لهذه الحقائق، بصورة مقابلة هامة بين ما تسلمه الخطية للإنسان الذي ينحاز للظلمة ويذخر شره ليوم اللقاء مع النور، وبين ما يهبه الله للإنسان الذي يؤمن وينحاز للنور والحق، وبذلك لا ينتابه الخوف والخزي وغضب التوبيخ يوم اللقاء مع نور المسيح :

> « لأن **أجرة الخطية** هي موت. وأما **هبة** الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع » (رو ٦: ٢٣)

وكلمة « أجرة » لا تعني غرامة أو دينًا أو حتى ثمنًا يسدده الخاطى!! بل ترجمتها في الإنجليزية WAGES أي راتب الموظف الذي يتسلمه عن تعاقده مع صاحب

العمل!! فإن تعاقد الإنسان مع الخطية استلم أجرته موتًا، وإن تعاقد مع الله إستلم هبة الحياة - وهذه ليست أجرة، بل هبة مجانية!!! فالخطية هي التي تدفع الأجرة وليس الله.

الإنسان إذن بحريته يختار الإيمان، والنور والحق، والإنحياز لإرادة الله، فتظهر أعماله كأ ا أعمال بر الله نفسه، عندما يقابل نور المسيح: ولا دينونة على الذين هم في المسيح، بإراد م وإختيارهم: «الذي يؤمن به لا يدان » (يو ٣: ١٨).

والإنسان أيضًا هو بحريته يرفض الحق والنور ويدخر شره مثل وسخ وعار مخجل يُنشئ عنده رعب وإحساس بغضب قاتل، ويموت موتًا أبديًا، ويتسلم أجرة تعاقده مع الشر، ويموت في خطيئته بحريته.

الله **هو واهب الحياة وصانع الخيرات وكل عطية صالحة فقط،** والخطية هي التي تنتج الموت... لا تضلوا يا أخوتي الأحباء، يقول يعقوب الرسول.

الذي قال عنه الرب أنه كان **« قتالاً للناس منذ البدء »** (يو ٨: ٤٤) وهو وحده الذي **« له سلطان الموت »** (عب ٢: ١٤) هو إبليس عدو الخير والحياة والنور.

أما الله فلا يطالبنا بموت كأجرة ندفعها نحن له .. حاشا لله، بل هو يهبنا الحياة الأبدية، حتى وإن كنا لا نستحقها. **ولا يجب تفسير هذه العبارة، كما يفسرها البعض : أن أجرة الخطية العادلة، هي أن عدالة الله تطالب بموت الخاطي - أو من ينوب عنه حتى يصفح الله عن الخاطى!!**

هذا التفسير يرجع لترجمة وتفسير عدالة الله على أ ا مساوية، من جهة النوعية، لعدالة البشر التي تحتاج لرد الكرامة والنقمة لذا ا. ولكن بولس الرسول يفصل بين ما يتسلمه الخاطي من الخطية، وما يتسلمه التائب من الله. فالله في جانب، والخطية في جانب آخر. مسألة أجرة الشر هذه، ليست لها علاقة بتدبير الله وهبة الحياة لنا. لا يجب الخلط بينهما - إن كنا عادلين!!

لذلك تفهم عبارة « لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت»، على أ ا تحذير الله للإنسان ألا يشرب من سم « الشر الملبس الموت » (القداس) لذلك أسمت الكنيسة الموت : « رباطات الظلم » ، ولم تسمه : «استحقاقات العدل الإلهى»، كما سماه المفسرون

الغربيون، كما سنري. فالله كان يحذر إبنه، الإنسان، ولم يكن يهدده بالقتل!! حاشا!

- **إختبار الدينونة بالحب** في **اختبار الإقتراب من الموت:**

The Near Death Experience

ظهر كتاب في أمريكا في السبعينيات إسمه : **Life After Life**. وقد ترجم في أسقفيـة البحث العلمي عندنـا بعنوان « الحياة بعد الموت » ، للكاتب الطبيب Dr. Raymond Moody. وهو يشرح إختبار حوالي ١٥٠ شخصًا قربوا من الموت، ولكنهم عادوا للحياة بعد تدليك القلب والتنفس الصناعي. وأهم ما في هذا الاختبار الحقيقي جدًا، هو ما حدث لهم عندما تقابلوا مع « الشخص النورانى» ، أو السيد المسيح كما وصفه بعضهم. في هذه المقابلة عُرض عليهم، في حضور هذا الشخص النوراني، شريط حيا م كلها، مثل شريط سينمائي مسجل - وكان ثلاثي الأبعاد وبالألوان أيضًا!!

وعندما كانوا في هذا الإختبار وحضور هذا الشخص، كانوا في حالة سعادة وسلام وفرح كبير وهدوء لا يعبر عنه، ولم تكن لديهم رغبة شديدة في العودة لعالمنا حينئذ. وعندما كان يمر عليهم إختبار أو منظر يظهر أنانية أو عملاً شريرًا، كانوا يشعرون بحالة خوف وخزي ورعب شديد، سببه الأول والأساسي أن هذا الشخص النوراني لم يكن يدينهم أو يعاتبهم، بل على العكس تمامًا: **كان يظهر نحوهم شفقة ورغبة** في **تشجيعهم وتعليمهم كيف لا يكررون هذا الشر مرة ثانية!! وبسبب هذا الحب والشفقة** التي **لا يستحقو ا، كانوا** في **حالة خزي وحرج بالغ!!! وكانوا يفضلون أن تنشق الأرض وتخفيهم من وجه هذا المحب الحنان، لأ م** لم **يستطيعوا الوقوف أمامه وهذه أعمالهم تدينهم** في **نور حبه!!! هذه حقائق وليست تعليم وتفسير بشرى!!!**

أليس هذا هو قلب المسيح، ومضمون ما قاله عن الدينونة في (يوحنا ٣: ١٦- ٢١)؟!

أهذا إله النقمة والغضب، والكرامة التي تمتهن، والعدالة التي تفقد إتزا ا، وتطالب

بتعويض وأجرة خطية، بصورة موت الخاطي، أو ذبيحة تعويضية لتفي العدل الإلهي حقه، حتى يغفر خطايانا «بثمن»؟!!

هل تعي يا أخي القارئ ما هو عدل الله، أي « صلاحه للأشرار » كما قال السيد المسيح، وردد مار إسحق؟! هل تعي مقدار الظلم الذي نوجهه إلى محبة الله، عندما نصف عدالته بأنها تطالب بذبيحة تموت لصالح عدالة مهانة وكرامة قد تعدي عليها الإنسان، حبيب الثالوث ، الذي هو محب البشر؟!

أما غضب الله الآن فهو غيرته علينا من الشر، إنه غضب موجه ضد الفجور والإثم لأنهما يخفيان الحق عن الإنسان: فيموت الإنسان عطشًا! (رو ١: ١٨). الله لا يغضب « علينا » بل يغضب **« لنا ومن أجلنا »** . لذا يقوم ليصنع الخلاص علانية. تعبير « الغضب الإلهي » يصف تغيرًا وإحساسًا في داخلنا نحن يدفعنا نحن ويغيرنا نحن للتوبة، ولكنه لا يعني تغيرًا في مشاعر الله و « حالته النفسية » ، كما قال مار إسحق (انظر المقدمة).

وأما نقمة الله، فنراها في **أنه ينتقم لنا من الشر الذي ينتج موتنا.**

وعندما يقول « لي النقمة أنا أجازي يقول الرب » (رو ١٢: ١٩).

فهو يقصد أنه ينتقم لنا بالأسلوب الذي علّمنا إياه بنفسه، لذلك يكمل بولس الرسول إقتباسه من الكتاب ويقول كيف ينتقم الله، بالحب المخجل، حتى يكسب العدو ويحوله إلى صديق:

> « لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب : فإن جاع عدوك فأطعمه! وإن عطش فإسقه! لأنك إن فعلت هذا (الحب والبذل) تجمع نارًا على رأسه. لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير » (رو ١٢: ١٩).

واضح أن انتقام الله هو بالإصلاح وليس بالعقوبة، بالتجديد والعلاج وليس أبدًا بالبتر والحرمان - حتى مع العدو!!! فكم وكم مع البنين؟! مهما أخطأوا!! ويبدو أن جمر النار هذا، هو كعذاب الأشرار في الأبدية أيضًا، حينما يرون مقدار الحب الذي لا يعاقب بل يفيض شفقة، لذلك يلتهبون بعذاب أكثر!! ولكن حتى وأنا أكتب هذا

الكلام لا يحتملني الضمير فيوبخني: الله **ليس من يشمت** في **« أعداءه » ، والخطاة عمومًا هم أحباؤه، حتى ولو رفضوه للأبد!!!** لذا رآه يوحنا الرائي حملاً مذبوحًا في وسط عرش الله للأبد، مذبوح بحبه الذي لم يقابله حب الإنسان كما ينبغي لـه.

جمر النار هذا، في المحبة، هو أن أُخجل أخي الذي يعاديني حتى يرجع إلي، فأربحه كما يقول الرب. بذلك أكون باتمام الوصية قد ربحت نفسي وأخي، ويتحول جمر النار من خجل إلى حب دافئ. هذه هي روح المسيح: النقمة بتحويل الشر إلى خير، والموت إلى حياة. وهذا معني الفداء: تحويل العقوبة إلى خلاص!

إن طالب الله بموت الخاطي برغبة الله وتدبيره، يكون الله مقابلاً الشر بالشر!! حاشا. أما إن قابل الشر بالخير وإهداء الحياة، ذا يكون إلهًا ... ذا أشتاق إليه إلهًا لي وأحبه وأعبده للنفس الأخير.

الله مثل الطبيب : يغضب على المرض وليس على المريض. ينتقم لمريضه من المرض بأن يزرع الحياة والصحة. الله عادل لأن عدله هو إحياء المريض إن أوشك على الموت، حتى وإن كان الطبيب نفسه هو المتبرع بالدم والحياة لإسعاف المريض!! هذا برّ الله وصلاحه المحيي.

• • •

الفصل الرابع

هل الغضب صفة من صفات الله؟

يبدو لمن يقرأ الكتاب المقدس ويأخذ النصوص المقدسة بدون تمييز وتعمق، يبدو أن الله « غضوب »! وقد لاحظ الآباء منذ بداية اللاهوت المسيحي الشرقي على يد العلامة أوريجانس أن الكتاب المقدس يستخدم الفعل « غضب » ولكنه لا يستخدم الصفة « غاضب » أو الإسم « غضوب ». وغياب الإسم والصفة من اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي، والمسيحي عمومًا، له دلالة هامة، لأن الله **لا يحمل** في **جوهره هذه الصفة!** تلك الصفة التي تسيطر وتدمر وتبيد وتنطلق في قوة مدمرة تدفعها المشاعر ورغبة الإنتقام لكي تؤذي وتميت، وبذلك تستريح لأن الغضب قد حقق « التشفي ».

وقبل أن نناقش علاقة الغضب **« كعمل إلهي »** بجوهر المحبة الإلهية علينا أن نلقي نظرة فاحصة على عدة أمور هامة :

أولاً : يقول الله عندما تجلي على الجبل لموسي النبي «ف ل الرب في السحاب... ونادي باسم الرب... ونادي الرب ، الرب إله رحيم ورؤوف بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف...» (خر ٣٤: ٦).

وإذا قال سفر الأمثال عن الرجل الحكيم « البطئ الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أم ١٦: ٣٢).

فماذا يمكن أن يقول الكتاب عن الله، الذي هو الحكمة ذا ا والصلاح كله؟! يقول حبقوق النبي « في الغضب أذكر الرحمة » (٣: ٢). ويقول المزمور « إلى متي يا رب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك ... لا تذكر علينا ذنوب الأولين، لتتقدمنا مراحمك سريعًا لأننا قد تذللنا جدًا. أعنا يا إله خلاصنا من أجل إسمك القدوس » (مز ٧٩: ٥ - ٩). فكيف جاءت هذه الثقة في خلاص ورحمة الله؟ وكيف يتجاسر آساف ويقول لله « لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد، لماذا يدخن غضبك على تخم مرعاك»، فهو يعاتب ليس في مذلة، بل في عزة وكرامة « قُم يا الله، أقم دعواك. أذكر تعيير الجاهل... لا تنس صوت أضدادك » (مز ٧٤: ١، ٢٢- ٢٣).

وقصة يونان النبي ذات دلالة، فهو يعترف ويقول لله نفسه أنه هرب من الكرازة بالدينونة «آه يا رب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي، لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش، لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم، بطئ الغضب، وكثير الرحمة ونادم على الشر » (يونان ٤: ١- ٢).

كان يونان يدرك أن الله بطئ الغضب وإنه يذكر الرحمة والإحسان. وحفظ لنا العهد القديم عبارة هامة، سوف نخصص لها فقرة كاملة: **« وندم الرب على الشر »**!!! ويعرف النبي من قصة العلاقة بين الله وشعبه، أن الله يندم على الشر، و **« يتراجع »** عندما يري تذلل الخاطئ وتوبته. **والتعبير يعني أن الله يرفع عن الخاطئ كارثة كانت ستحل عليه، سواء كارثة طبيعية أو، كما يشرح سفر الحكمة، كارثة هلاك** تجلبها **أعمال الإنسان الشريرة :**

> « لا تجلبوا عليكم الهلاك بأعمال أيديكم. إذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الأحياء يسره ... لأن البر خالد، ولكن المنافقين هم إستدعوا الموت بأيديهم وأقوالهم. ظنوه حليفًا (حبيبًا) لهم فإضمحلوا، وإنما عاهدوه لأ م أهل أن يكونوا من حزبه » (حكمة ١: ١٢- ١٦).
>
> « فإن الله خلق الإنسان خالدًا (على غير فساد)...
>
> ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم » (حكمة : ٢: ٢٣- ٢٤).

ويقول الله لإشعياء النبي « لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود إسمه، ووليك قدوس إسرائيل ... لأنه كإمراءة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك. **لحيظة تركتك** وبمراحم عظيمة سأجمعك. **بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة**، وبإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب ... فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمك الرب » (إش ٥٤: ٥- ١٠).

ولعل أهم ما يقال عن الغضب الإلهي أن الله **لا يحفظ الغضب** ولذلك يقول إرميا النبي معاتبًا المرتدين عن طريق الرب :

« هل يحقد (الرب) إلى الدهر، أو يحفظ غضبه إلى الأبد » (٣: ٥).

ولذلك إذا وصف الله بأنه « حافظ العهد »، « حافظ الإحسان »، « حافظ الأمانة » ، « حافظ نفوس عبيده » ... الخ (خر ٣٤: ٧، تث ٧: ٩، مز ٣١: ٢٣) فهو لم يوصف مطلقًا بأنه « حافظ الغضب » !! لأنه لو حفظ الله الغضب، لضاعت الخليقة كلها، ولذلك يترنم ميخا النبي « من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسر بالرأفة. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم » (ميخا ٧: ١٨- ١٩).

ثانيًا : و « ندم الرب على الشر »

من الصعب أن نتصور عمق هذه العبارة، ذلك لأن الإعتزاز بالقوة والرغبة في الإنتقام والثأر تستولي علينا وتجعلنا نندم بعد فوات الأوان. أما الله الكلي الصلاح والمحبة فهو لا يدخل في تحدي مع الخليقة!! إنه أحيانا يحذر ويعلن الدينونة لشخص مثل عاموس النبي، ويعلن كيف سوف يعاقب الأرض بالجراد، ولكن النبي يقول للرب : « أيها السيد الرب إصفح. كيف يقوم يعقوب فإنه صغير (عاجز) فندم الرب على هذا. لا يكون قال الرب ». ثم يعلن الرب عن النار التي سوف تحاكم وتبيد كل شئ. ويتجاسر النبي ويقول للرب خالق السموات والأرض : « أيها السيد الرب كُفْ!! كيف يقوم يعقوب؟! فندم الرب!» (عاموس ٧: ١- ٦).

وقف أمام الرب إبراهم، وموسي، وإرميا، وغيرهم ... هؤلاء يعرفون أن **« الغضب الإلهي » ليس صفة من صفات جوهر الله** ، إنه **« عمل »** يقوم به الرب لمدة من الزمان، « يسحب رعايته ويهمل الخليقة حتى تتوب » ، أو قل أنه **يُشعر الإنسان ذا الإحساس حتى ما يستيقظ الإنسان،** ويعرف أن ترك الله، الينبوع الحي، والسعي لحفر الآبار المشققة التي لا تضبط ماء، إنما يؤدي إلى الهلاك عطشًا، بعيدًا عن الله!! وهذا ما يعبر عنه الوحي من خلال القلم والإختبار العبري بقوله أن الله « يحجب وجهه»، ونحن نعلم أننا « به نحيا ونتحرك ونوجد » ولذا لا يمكننا الحياة لو أن الله حقًا « يحجب وجهه » عن الخليقة. فالله كالشمس ينير على الدوام، ولكن الشر هو بمثابة غلق العين وإغماضها مما يحرم ذاك - الذي يغمض عينه من النور! فعندما يقول الله على لسان إرميا « فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها **فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه ا** » (إر ١٨: ٨)، فنحن نعلم أن المعني الحقيقي هو أبعد وأعمق من المعني الخارجي والسطحي الذي يدرك من هذه الكلمات، كما قال وفسرّ القديس مار إسحق السرياني (انظر الجزء الخاص بلغة البشر والله في : التمهيد). ما يريد الله شرحه، هو أن قلبه الرقيق المحب والمملوء رحمة وحنانًا، لا يقبل أن يترك الإنسان لنتائج شره الحر، بدون تحذير وإنذار وتربية وتأديب، **لئلا يُفني الإنسان نفسه بالشر.** لذلك يقول أيضًا « لأن الرب يدين شعبه (أي يعلن لهم خطيئتهم) وعلى عبيده يشفق » (مز ١٣٥: ١٤)، أي أنه يُدين ليشفق، ويُعلن ليرحم، ويُنذر ليُعلم، وليس مثل البشر الذين يدينون للتشفي والتدمير والقهر والسيطرة على الضعيف!!!

فإذا كانت الدينونة والقضاء والعقوبة (للإصلاح) يستحقها أهل نينوي والمرتدين عن عبادة الله الحي من بني إسرائيل، (فكل هؤلاء يستحقون العقوبة) ولكن الرب نفسه يري أن لا يعاقب الشر بالشر، بل ويندم على العقاب العادل، والعادل جدًا، لأنه لا ي ل إلى مستوي البشر الوضيع ويتحول إلى السيد الذي لا يرحم ولا يشفق ... خاصة إن استطاع الخاطي أن يفهم ويتعلم من الإنذار و « لفت النظر » على لسان النبي، فحتى العقوبة (للإصلاح) لا يكون لها مكان بعد لأن الله قد حقق الهدف وهو إيقاظ الإنسان وإصلاحه بلا عقوبة! فالله لذته في بني البشر، في « حيا م الأفضل » (يو ١٠: ١٠) وليس له أي لذة في الانتقام من أبنائه، مهما توغلوا في

الشر والخطيئة. لذا كتب قداسة البابا شنودَه الثالث مخاطبًا الله : « يا قويًا ممسكًا بالسوط، والحب يدمي مدمعك »!!

الغضب الإلهي هو عمل ضد شر الإنسان :

الله يكره الشر، ولكنه لا يكره أبناءه!! الله لا يحتمل الشر لأن الشر مهلكة للإنسان، وليس لأنه إهانة لله تؤثر على شخصه. لذلك يتحرك الغضب الإلهي ضد تعاظم شرور الإنسان.

أولاً : سقوط آدم :

إن كلمات « ملعونة الأرض بسببك » لم تمنع ما قيل عن بركة الأرض قبلها، وبعدها!!! كما بارك الله إبراهيم وإسحق ويعقوب. والمزمور يقول : « هناك أمر الرب بالبركة » (مز ١٣٣ : ٣)، «لطعامها أبارك بركة، مساكينها أشبع خبزًا » (مز ١٣٢ : ١٥). ويقول ملاخي النبي بصوت الله : « هاتوا العشور وجربوني، إن كنت لا أفتح لكم كوي السماء، وأفيض عليكم بركة حتى لا تُوسَع » (مل ٣: ١٠).

ثانيًا : الطوفان :

وحتى عندما حدثت هذه الكارثة الطبيعية، شرحها الوحي على أ ا لم تكن تشفيًا من الله ضد الإنسان، بل يقول أن الله كان ينظر بتأسف في قلبه بسبب شر الإنسان، فأراد أن يمحي هذا الشر، بعد مهلة منه لكي يتوب الإنسان. لذلك كتب الوحي « فتأسف في قلبه ... لأني حزنت أني عملتهم » (تك ٦ : ٦ - ٧). وكانت فرصة بناء الفلك فرصة للتوبة! فمن يدرى: لو كانوا قد تابوا مثل أهل نينوي، ألم يكن ممكنًا أن يسمعوا ما قال يونان لأهل نينوي، أن الله « قد ندم على الشر »، ولن تحل الكارثة؟؟! لذلك يقول لنا بطرس الرسول أمرًا يستدعي الإنتباه بخصوص ضحايا الطوفان : « أيضا ذهب (أي الرب يسوع المسيح) **فكرز للأرواح** التي في السجن (أي الجحيم)، **إذ عصت قديمًا** حين كانت أناة الله تنتظر مرة في **أيام نوح،** إذ كان الفلك يبني » (١بط ٣: ١٩ - ٢٠). والكرازة هي «دعوة» يمكن قبولها كما يمكن رفضها، أي أن الرب يسوع المسيح قد قدم هذه الدعوة لتلك

الأرواح « التي عصت قديمًا »، عندما « نزل إلى الجحيم من قِبل الصليب »، كما نصلي في القداس!!! فموت الإنسان البيولوچي الزمني ليس هو الموت الروحي الأبدي، بل يبدو أن هناك كرازة بصورة أخري!!

ثالثًا : سـدوم وعـامورة :

ترك الرب سدوم وعامورة لقوي الطبيعة، ولكنه لم يسمح ذا إلا بعد أن أعطاهم فرصة للتوبة، يشرحها الوحي في الحوار الذي دار مع إبراهيم، عندما أعلن أنه مستعد لأن يصفح عنهم لو وجد عشرة أبرارٍ في سدوم وعامورة (تك ١٨: ٣٢). ومن الهام أن نتذكر أن الطوفان وحادثة سدوم وعامورة لم يتكررا في الكتاب بعهديه.

الغضب الإلهي ليس هو رد الفعل الوحيد :

نحن نغضب لأقل الأمور ولأعظمها، ومع الغضب البشري نادرًا ما تتحرك الرحمة. أما الله فهو ليس مثل الإنسان، تحكمه مركبات النقص والعقد النفسية والأمراض العقلية، والضعفات الجسدانية. ولا يسيطر على الله (مثل البشر) الخوف ورغبة الثأر والإنتقام والضغينة. هذه كلها صور آلهة الوثنيين، وفي الأنظمة السياسية المعاصرة التي تقوم على القتل والقمع والتشريد للمعارضين. ولعلم داوود النبي ذه الفروق بين الله والإنسان وبين الله وآلهة الأمم، يصرخ قائلاً: « يارب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظك ... خلصني يا رب من أجل رحمتك لأن ليس في الموت ذكرك» (مز ٦: ١- ٥). وداوود كان دائمًا متأكدًا من سماع الرب لصراخه : « الرب قد سمع صوت بكائي، سمع الرب تضرعي » (مز ٦: ٨). ويكمل أيضًا « لأن للحظة غضبه، حياة في رضاه » (مز ٣٠: ٥ الخ).

وفي نفس المزمور يرقص داود بعد البكاء « حولت نوحي إلى رقص. حللت مسحي ومنطقتني فرحًا» (مز ٣٠: ١١). ويدرك داوود « ثقل يد الله » (مز ٣٢: ٤) ولكنه يدرك أيضًا أن الرحمة تعمل مع التأديب، والغضب لا يعمل بدون رأفة « أنت رفعت خطيتي » (٣٢: ٥).

وإذا كان الشر هو الذي يميت الشرير (مز ٣٤: ٢١) فإن المنحني أمام الله يدرك أن الله يندم على الشر!! وفي عمق مأساة إرميا النبي وقبل خراب أورشليم يقول

النبي « الآن إصلحوا طرقكم وأعمالكم وإسمعوا لصوت الرب، فيندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليكم » (إرميا ٢٦: ١٣). وقد مرّ بنا من قبل حقيقة «الندم» و « الأسف » و « الحزن » كتعبيرات مستعارة من لغة البشر ليشرح لنا الله ا أنه يتفاعل معنا (وإن كان هذا التفاعل بصورة خلاف إنفعال البشر) ويشعر كأب حنون أنه حتى ولو أعلن محبته بصورة العقاب للتأديب وإرجاع الإنسان للحياة، **إلا أنه يعاني مع أبنائه** في **عقوبتهم ويتمنى لو تغيروا عن أذها م بالتوبة Metanoia من خلال التعليم والتأديب الهادئ وليس بالعقوبة.**

حقًا إن الله بطئ الغضب كما رأينا وفي الغضب يذكر الرحمة كما يقول حبقوق النبي (٣: ٢).

وإذا قيل عن ربنا يسوع نفسه **« وأما الرب فسُر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم »** (إشعياء ٥٣: ١٠)، فهو ذات الحزن الواحد للثالوث (الآب والإبن والروح القدس) الواحد، لأن وحدة جوهر الله تجعل أي عمل لا يقوم به أقنوم واحد منفصل ومستقل عن عمل الأقنومين الآخرين.

فإذا كان الآب قد حزن لخلق الإنسان، عندما رأي الإنسان تائهًا في الشر (تك ٦: ٦)، والرب الإبن هو « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (إش ٥٣:٣)، قد « حمل أحزاننا » (إش ٥٣: ٤)، فقد قيل أيضًا عن الروح القدس نفسه « وأحزنوا روحه القدوس » (إش ٦٣: ١٠). ولذا يقول بولس الرسول « لا تحزنوا روح الله » (إف ٤: ٣٠). **ولم يكن الآب فرحًا والإبن حزينًا على الصليب، والروح القدس بعيدًا... حاشا!!! فهذه تصورات زرعها لاهوت العصور الوسطي القانوني، الذي رأي ذبيحة الصليب كعقوبة م لة من الآب المسرور على الإبن المتألم لدفع ترضية قانونية للعدالة الإلهية، هذه تصورات تكاد ترسم لله صورة منقسمة لعمل الأقانيم و « مشاعرهم »!!**

لذلك يكتب بولس الرسول : « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع، الذي **من أجل السرور الموضوع أمامه** احتمل الصليب مستهينًا بالخزي، فجلس في عرش الله » (عب ١٢: ٢). ولو تأملنا معني كلمة **« السحق »** ، فهو مثل **« سحق العطور »** الطيبة لكيما تخرج رائحتها العطرة، أو عند سحق **وحرق**

البخور الزكي فتخرج رائحته المبهجة للفرح والمسرة!!

لذا كتب أيضًا بولس الرسول «كما أحبنا المسيح أيضًا **وأسلم نفسه لأجلنا قربانًا وذبيحة** لله **رائحة طيبة** » (أفسس ٥: ٢) ومنه فاحت محبة الله الآب، ومحبته كإبن الله، ومحبة الروح القدس، لأن الإبن قد قدم نفسه بالروح القدس هدية حب وشركة كاملة معنا في حياتنا ومماتنا أيضًا، لذا كتب بولس الرسول أن الإبن **«بروح أز**لي **قدم نفسه** لله **بلا عيب»** (عب ٩: ١٤)، وأن الآب، قد قدم إبنه لنا هدية تطهير وتقديس « الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه» (رو ٣: ٢٥). فالآب قدمه كفارة، بالروح القدس، الذي « يأخذ مما للإبن ويعطينا » طهارة لأرواحنا وأنفسنا وأجسادنا: « لأنه إن كان (عمل كفارة العهد القديم) دم ثيران وتيوس ورماد عجلة **مرشوش على المنجسين** (بالخطايا = الأعمال الميتة والمميتة) **يقدس** إلى **طهارة الجسد،** فكم يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب **يطهر (يُكفر عن) ضمائركم** من أعمال ميتة (موت الخطية) لتخدموا الله الحي (وأنتم أطهار من موت الخطية النجس بكفارة هذا الدم المطهر)» (عب ٩: ١٣- ١٤).

الغضب الإلهي وصرامة الله ضد الشر وجوهر الثالوث الواحد :

إذا كان الكتاب المقدس لا يصف الله بأنه « غاضب أو غضوب » ، صار من الضروري أن نتساءل: هل الغضب صفة من صفات الله؟ هل هو من صفات جوهر الله مثل « المحبة » أو « الحكمة »؟ والإجابة من حديث الله، الذي يصف ربنا يسوع المسيح أنه « ابن محبة الآب » (كولوسي ١: ١٣) وبأنه « الحبيب» (مت ٣: ١٧). هذه صفة أزلية في الله، وليست شرحًا لعلاقة خارجية بين الله والخليقة، بل علاقة أزلية :

« في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله » (والترجمة الأفضل هي: **والكلمة كان متجهًا نحو الله** orientated towards the Father كما يؤكد المتنيح الأنبا بيمين في عظة مسجلة، والمطران أنتوني بلوم الروسي الأرثوذكسي) (يو ١: ١). ويوصف الروح القدس بأنه «روح القوة والمحبة» (٢ تيموثاؤس ١: ٧). وأيضًا

يقول يوحنا الحبيب عن الإبن أنه « ابن الآب بالحق والمحبة » (٢ يو ٣).

أما الغضب فهو ليس علاقة الأقانيم، فلا نتصور أن الإبن يمكن تسميته « ابن الغضب » ... حاشا لله!! وذلك لأن الغضب لا يدخل **« كصفة »** في جوهر الثالوث.

لذلك **يفهم الغضب الإلهي على أنه : « مقاومة الله للشر »**. وليس ذلك لأن الشر يؤثر في الله نفسه، بل لأن **الشر مدمر ومسىء للخليقة وحدها**. لذلك الغضب هو « عمل » بنّاء وإيجابي بين الله والخليقة؛ هو وسيلة إظهار حب الله لنا وغيرته علينا لو إخترنا الشر والموت حبيبًا لنا كما يقول في سـ ـفر الحكمـ ـة : **« لا تغاروا على الموت** في **ضلال حياتكم، ولا** تجلبوا **عليكم الهلاك بأعمال أيديكم. إذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الأحياء يسُره ... ولكن** المنافقين **هم إستدعوا الموت بأيديهم وأقوالهم. ظنوه حليفًا (حبيبًا)** لهم **فاضمحلوا، وإنما عاهدوه لأ م أهل أن يكونوا من حزبه »** (حكمة، من الأسفار المحذوفة، ١: ١٢- ١٦).

فنحن إذ لا يمكننا تصور دخول الغضب إلى علاقة الثالوث، نتأكد من أنه ليس صفة جوهرية في الله. ولذا عندما يعمل العدل الإلهي (والعدل نعلم أنه صفة جوهرية في الله) لا يرتبط العدل بالغضب مثلما يرتبط العدل بالمحبة والرحمة.

أما عند الإنسان فالغضب قد أعطي لنا كصفة جوهرية للإنسان « للدفاع عن الحياة » كما يقول القديس يوحنا الدرجي في كتاب « سلم الفضائل » . فهو قوة نحتاجها نحن، ولكن الله لا يحتاج إلى قوة تحفظ حياته، بل إلى عمل يظهر به حمايته لنا من الشر المدمر. **فالغضب الإلهي يدافع به** الله **عن الخليقة ضد الشر، وليس للدفاع عن** الله **الذي لا** يحتاج **لشئ، والقادر على كل شئ، وخالق كل شئ.**

فالغضب الإلهي يختلف « جوهريًا » إذن عن غضب الإنسان. وفي الحقيقة أن كل صفة نستعملها لوصف الله، كما رأينا في الجزء الخاص بالله ولغة البشر (فى تمهيد الكتاب)، هي في الحقيقة تعني شيئًا أكثر سمّوًا وعلوًا بما لا نستطيع أن ندركه، عندما نستعمل الصفة ذا ا لوصف البشر. فالمحبة عند الله أمر لا يتساوي لا نوعيًا ولا كميّا بالمحبة عند الإنسان، والعدل عند الله أيضًا لا يتساوي لا نوعيًا ولا كميّا بالعدل بمعناه البشري الضيق.. وقِسْ على ذلك كل صفات الله ، لأن طرقه قد

علت على طرقنا كما علت السماء عن الأرض وحكمته بعيدة عن الفحص...

يا ليت كانت عندنا أوصاف خاصة لله وحده ولا نستعملها للبشر!! ولكن الكتاب المقدس يقدر ضعفنا اللغوي، والله المحب للبشر لا يجد غضاضة في أن يوصف بحسب أوصافنا!! فالغضب عند الإنسان، مثل كل صفاته، لا يعمل في إتجاه المحبة وخير الخليقة دائمًا، إنما قد ينحرف (بل وينحرف في أكثر الأحيان لحساب ذات الإنسان الأنانى) ولا يخدم نمو الخليقة كما ينبغي. وعن هذا الغضب غير المقدس يحذرنا بولس الرسول : « لا تغيب الشمس على غيظكم » (أفسس ٤: ٢٦)، وأيضًا ألا يبقي في قلوبنا « السخط والغضب » (أفسس ٤: ٣١). وأيضًا يتكلم عن الغضب الناتج عن الشر الإنساني والطبيعة الساقطة « وأعمال الجسد (أي الإنسان ككل بعيدًا عن الله flesh = sarx) ظاهرة، التي هي زني، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط (= غضب)» (غلاطية ٥: ١٩). أما غضب الله الذي يأتي على أبناء المعصية (كولوسي ٣: ٦) فهو غيرة الله عليهم ومحاولته أن يثنيهم عن شرهم حتى يرجعوا إلى الحياة، وليس أبدًا مثل غضب الإنتقام والتشفي والتدمير البشرى!

قال الوحي المقدس أن الله قد غضب على شعب إسرائيل فقال « حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتى » (عب ٣: ١١)، ولكنه أدخل الجيل الثاني بعد أن تأدبوا في البرية مدة ٤٠ عامًا. **هذا غضب المحبة الذي يُعلم ويترفق ليخلص على كل حال قومًا.** ولكن يقول يعقوب الرسول عن غضب الإنسان « ليكن كل إنسان مسرعًا في الإستماع مبطئًا في التكلم مبطئًا في الغضب، **لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله** (أي لا يحقق عدالة الله وصدقه وخلاصه للبشر)» (يع ١: ٢٠).

ماذا قال اللاهوت الغربي عن غضب الله عند الصليب؟ :

لا يوجد في الكتاب المقدس أي إشارة إلى أن الآب قد **سكب غضبه وأفرغه على الإبن لأنه كان يمثل البشرية الخاطئة على الصليب!!** ولكن هذا تعليم مارتن لوثر وكالفن في عصر الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر!! وكانوا قد ورثوا هذا الفكر عن العصور الوسطي، عندما علّم أنسلم وتوما الإكويني أن الله

لا يغفر مجانًا، بل بعد أن يسترضي. إلا أن مارتن لوثر وكالفن (انظر الجزء الرابع من الكتاب) قد علّما أن هذا الإسترضاء لا يتأتي إلا بإتمام عقوبة الخطية، وهذا ما تحمله الرب يسوع المسيح بدلاً من الإنسان بحسب حكم الآب الغاضب الذي قرر أن يفرغ ويسكب غضبه بالكامل حتى يستريح، ثم بعد هذا يقدم الغفران القانوني للإنسان، الذي إرتكب جريمة الخطية ضد الكرامة والعدالة الإلهية.

هذا الحديث يتعارض مع التعليم الأرثوذكسي الشرقي ويرفضه أيضًا جل اللاهوتيين الغربيين الآن لبشاعته. هذا التعلم الخاطئ يُظهر الآب و« غضبه »، على أنه غضب موجه ضد الإنسان شخصيًا، وضد الإبن المتجسد الحامل للطبيعة البشرية، وليس ضد الشر وحده ... حاشا لله. وسوف نقرأ في الجزء الرابع أقوال الشرقيين والغربيين ونقدهم لهذا الفكر القانوني الذي يشوه صورة الله محب البشر.

• • •

الفصل الخامس

غضب الله

علاج للإنسان في هذه الحياة

درسنا معني « غضب الله » في المواجهة في اليوم الأخير. حين يضىء الرب بنوره على كل إنسان، ينشىء النور سلام وفرح وسعادة أبدية، بل ومجد **للأبرار** الذين أحبوا النور وإختاروا عشقه طيلة أيامهم على الأرض.

وأما المواجهة مع النور ذاته، فسوف تنشئ عند **الأشرار،** الذين رفضوا النور بحريتهم طيلة أيامهم على الأرض، سوف تنشيء خزي ورعب وشعور بأن النور يحرقهم بغضبه المعلن، والمضاد للشر الذي إدخروه وإختزنوه بكامل حريتهم. لذلك قال الرب أن الإيمان، وما يتبعه من حياة البر والأعمال الصالحة يرفع عن الإنسان الدينونة منذ الآن (يو ٣: ١٨). وأما رفض الإيمان بإبن الله، والحياة بنجاسة الشر، فهذا يعني أن الإنسان « قد دين » ، منذ الآن وباختياره الحر**!!**

ولغضب الله عمل في **هذه الحياة أيضًا :**

لو رجع القارئ لمعادلة « العدم ←—— الوجود » المذكورة سابقًا ، وتخيل أن العدم والوجود هما شاطئان لبحر، يتحرك تيار المياه فيه في إتجاه السهم المتجه من العدم إلى الوجود، وأن **الإنسان الحر راكبًا** في **قارب وفي يده مجداف،** يمكننا دراسة غضب الله كعلاج لشر الإنسان. الإنسان هنا يمكنه بحريته أن يحرك مجدافه ليدفع بقارب حياته نحو الوجود. في هذا يتحرك الإنسان مع إرادة الله الصالحة، لمصلحة الإنسان ونموه نحو الحياة الأبدية والتشبه بالله: التأله هدف الخليقة. في هذا، الإنسان سعيد والمقداف يتحرك بسهولة وراحة.

أما إن إختار هذا الإنسان أن يتجه بالتجديف ضد تيار إرادة الله، فهذا الإنسان يشعر بمقاومة كبيرة من تيار المياه، أي إرادة الله. السبب في هذه المقاومة ليس في أن الله يعاند هذا الإنسان، أو يقاومه برغبة قاسية في قلب الله. **ولكن حركة التجديف ضد التيار تنشئ (بحسب قانون إسحق نيوتن في الميكانيكا!) رد فعل مساو لحركة التجديف في القوة ومضاد لها في الإتجاه.** وكلما إزداد الإنسان عنادًا ضد تيار إرادة الله (تيار المياه)، إزداد شعوره هو، بسبب عناده هو، بزيادة المقاومة. هذه المقاومة هدفها تغيير قرار الإنسان - إذا وافق هو بحريته - وعودته للتجديف والتحرك مع تيار إرادة الله الخيرة لمصلحة الإنسان، ولكي يوصله الله إلى الحياة والوجود الأبدي.

مقاومة الله هذه، من أجل خير الإنسان، تزداد كلما إزداد الإنسان شرًا : **« حيث كثرت الخطية إزداد الغضب جدًا»، حتى يبدأ الإنسان في التوبة أي « تغيير الذهن »** (metanoia)، وحينئذ يشعر الإنسان أن الغضب والمقاومة قد تحولا إلى معونة عظيمة، بسبب التغير النسبي في حركة القارب مع التيار الروحي وليس ضده. لذا قال بولس الرسول، ما إستعرته، مع بعض التغيير، منذ قليل :

« حيث كثرت الخطية (وتاب الإنسان) إزدادت النعمة جدًا، حتى كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » (رو ٥: ١٠- ٢١).

هكذا يفهم غضب الله على أنه، ليس تغيرًا في مشاعر الله، الذي لا يعتريه تغيير، بل دفع من الله، لغيرته على الإنسان محبوبه، حتى ما يتوب الإنسان ويرجع ويحيا.

الكلمة اليونانية التي نترجمها إلى «دينونة» هي KRISIS. وهي أيضًا تعني بالعربية **«موقف حاسم»** يحتاج من الشخص الذي يمر به أن يلتزم بإتخاذ قرار هام يحدد ما سوف يحدث من نتائج مستقبلية. الله، في المواجهة مع نوره، **«يكشف»** لنا ما قد صرنا إليه من كيان متناغم مع النور والحق، أو نكتشف في نوره أننا قد سبق وإتخذنا موقفًا معاديًا للنور والحب والحياة. الدينونة **«الآن»** إذن هي دعوة حب للتوبة والحياة.

الفصل السادس

المغفرة عند الله
ليست مثل المغفرة عند الإنسان

رأينا قبلاً أن الإنسان يهتز بالشر الموجه إليه من أخيه الإنسان، وذلك لأن الإنسان مخلوق هش، ناقص، غير ثابت ويخشي الموت. لذلك لو ظلم الإنسان، لا يقدر أن يغفر أو ينسي الإساءة، لأنه يخاف الموت!! وتراكم الظلم بدون تعويض وإرجاع حق الإنسان له إنما ينشئ في نفسية الإنسان موتًا نفسيًا بصورة أمراض يسببها الإحباط والخوف والقلق واليأس من الحياة. ومعروف أن حالات القنوط واليأس تسبب مرض الـ DEPRESSION وهذا المرض قد يدفع بالبعض إلى الانتحار.

لذلك إن لم يشعر الإنسان بحدوث تعويض للنقص الذي يسببه الظلم، فهو لا يستطيع أن يستريح، وقطعًا لا يستطيع أن ينسي **الإساءة ويغفر لظالميه وهو مستريح النفس سليم العقل.**

المغفرة عند الإنسان هي قدرته على تخطي الشعور بالظلم وإعطاء العذر والتماسه لمن ظلم. المغفرة الحقيقية عند الإنسان تشعره بأنه لا يحمل في قلبه هو أية رغبة في رد الظلم بالظلم، أو مقاومة الشر بالشر. إ ا حالة شفاء لنفس الإنسان المظلوم، تجعله قادرًا على صنع معجزة **تحول مشاعر النقمة نحو ظالميه إلى حب وعطاء.**

« إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه، باركوا لأعينكم أحبوا أعدائكم. صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم... » هكذا تكون مغفرة الإنسان للإنسان في أجمل صورة لها: **شفاء الغافر من كراهيته للظالم.**

ولكن المغفرة عند الله تختلف اختلافًا جذريًا!! لأن الله لا يضطرب إذا حاولنا أن

نظلمه، ونتعدي وصيته - لأنه الله وليس إنساناً!! ولأنه كما قال لأيوب (٣٥: ٦-٨) لا يهتز بالشر مهما عظم الشر، وكما قال عنه يعقوب الرسول: **لا يجربَ، الله، بشرور الإنسان (يع ١٣ - ١٧). المحتاج للعلاج هو الإنسان وليس الله!!! المغفور له هو الوحيد المحتاج للشفاء، وليس الغافر!! مرض الخطية ونتائجها لا يصيب «نفسية الله»** (إن جاز التعبير) بل يصيب حياة الإنسان في مقتل : الخطية تنتج موتًا ... أجرة الخطية هي الموت... والموت لا يصيب إلا الإنسان فقط، ولا يؤثر في كيان الله شئ مما يعمله المخلوق أبدًا - **يجب أن ندرك هذه الحقيقة بكل وضوح لأهيمتها القصوي، لإدراك معاملات الله كلها، بل وتفسير رسالة المسيح كلها!!**

لذلك فالمغفرة عند الله هي: شفاء الإنسان الخاطي من مرض الموت ونجاسة الموت. المغفرة عند الله هي إحداث التغيير في المخلوق، الذي يمكنه وحده أن يتغير، بالشر، أو بالمغفرة. وليست المغفرة عند الله، كما شرحها الغربيون أمثال أنسلم ومارتن لوثر، هي: أن يعفوا الله عن الإنسان ويخرجه طليقًا من قبضة العدالة الإلهية، تلك التي تهتز بالشر وتضطرب « وتعالج» بترضية، حتى ما يعفو القاضي السادي عن الإنسان، أسير سّكين عدالة « السادية الإلهية » كما سماها مونييه الملحد؛ وكذلك سمي سيجموند فرويد الله أنه « الآب السادي » ؛ والذي قال عنه نيتشه قولته الشهيرة : « لقد مات الله » ؛ وكما قال أحد الملحدين الذي كره صورة الله القاسي، الذي لا يغفر إلا بثمن، وقال له: « أبانا الذي في السموات، إبق فيها!!». إله أثناسيوس وكيرلس وغريغوريوس، إله اللاهوت الشرقي، لا يعتريه تغيير، هو إله يشفي من الموت عندما يهب الحياة: بتجسد إبنه وموته وقيامته، لنا وفينا وبنا، إله يغفر مجانًا ولا يأخذ ثمنًا، لا من إنسان ولا من إبنه المتجسد... إله الصلاح وحده.

الفصل السابع

معني الدّين الذي علينا لله بسبب الخطية

تأكدنا أن الله لا يحتاج، لذلك لا يداين أحدًا بالمعني الحرفي المادي. **إنما الدين** في **الحب له معني آخر غير الدين** في **المعاملات التجارية المالية!!**

فأنا في الحب « مدين بحياتي » لوالدى ولزوجتي ولأولادي ولوطني.

ولكن الدين هنا هو نوع لا يقدر من الرغبة في العطاء الذي يصعب تحديده، فنقول أنه أغلي ما عندي من قيمة: حياتي ذا ا!!

فنحن، حتى بدون أي خطية، مديونون لله أبينا بحياتنا وصحتنا وأموالنا وكل ما عندنا.. لأنه هو واهب هذه كلها لنا بصلاحه وحبه ونعمته.

وعندما نشعر أننا بالشر قد قتلنا أنفسنا، وحكمنا على أنفسنا بموت أبدي وإنفصال أبدي عن مصدر الحياة، فنقول أيضًا أننا مديونون لله أبينا بوزنة الحياة الروحية الأبدية التي نبددها عندما نخطئ وندمر عمل الله الكريم الذي إئتمنا عليه كوديعة نرعاها ونحرسها.

فديننا لله ليس هو أبدًا، كما يفسر الغربيون والمتأثرون بتعليمهم: « أننا علينا أن نموت موتًا أبديًا لأن الله قد أصدر حكمًا بأن أجرة الخطية هي موت النفس الخاطئة، أو من ينوب عنها.... الخ. فيجب إذن أن يتسلم الله حياة بحياة، لأنه قد قال أنه عادل، والعادل يجب أن يقتل إن هدد بالقتل وإلا انتفت كرامته!!»

هذا الحديث الذي دخل إلينا من الكتب الغربية ينسب إلى الله ما لا يجب أن ينسب، حتى لإنسان ضعيف! هذه مشاكل اللاهوت الغربي القانونى:

(١) **يصبح الله «أسيرًا لعدالة تطالب بموت ويسقط هو تحت سطوها»** كما شرح اللاهوتي الأرثوذكسي كريستوس يناراس في كتاب Elements of Faith, p. 83 :

> « هذا الإله العادل، ضابط البوليس السمائي، الذي عليه مراعاة القانون الإجباري - الذي يخضع له هو ذاته - هو نسيج من خيال الإنسانية الساقطة، هو مجرد إنعكاس لحاجة هذه الإنسانية الساقطة التي تحتاج لحماية أطماعها وخيانتها للحق » [أي تخلق هذه الإنسانية وثنًا شبيهًا لها بصورة إله يحمي أطماعها وأنانيتها!!].

(٢) كيف **يطالبنا الله أن نغفر مجانًا بعضنا** لبعض، ويعتبر هذا عدلاً، ثم يطالب هو بثمن لكي يغفر لنا بعد أن « تستوفي عدالته حقها » كما يقولون ؟!!! كيف نصغر الله هكذا، حتى سخر منه الملحدون بسببنا؟!

(٣) **أين يذهب لاهوت النعمة المجانية؟!** إن كان الله لا يغفر ويهب مجانًا؟! بل أين الحب ذاته؟! إن قالوا أن الحب هو أن الله يأخذ الثمن من ذبيحة إبنه، أي يعطي بيد ويأخذ بالأخرى، أفليس بالأولي أن يُظهر الحب بأن يترك الدين كما علم هو :

« فتحنن سيد ذلك العبد وترك له الدين » (مت ١٨ : ٢٧) فليحكم القارئ بروح الله الذي فيه. أيهما أكثر حبًا: أن يطالب الله بثمن ويأخذه من إبنه بتعذيبه، أم يترك هذا الثمن ليصبح الغفران مجانًا؟!!

إننا حقًا مدينون وقد وفي المسيح بذبيحة نفسه ديوننا لله ولكن كيف؟! هذا هو السؤال المهم: كيف؟!

عندما نخطئ نختار بحريتنا الموت الأبدي. هذا اختيارنا وحكمنا نحن وليس الله:

> « أريتني شجرة الحياة وعرفتني شوكة الموت... فأكلت بإرادتي... وتركت عني ناموسك برأيي... أنا إختطفت لي قضية الموت بإرادتي» (القداس الغريغورى)

لهذا أصبحنا مديونين لله في **الحب، وفي العدل أيضًا، ذه الوديعة** التي **بددناها. فجاء الابن المتجسد وصنع لنا الفداء بأن طهرنا من نجاسة الموت. لأنه حقن فينا حياته التي من لاهوته،** في **ناسوته الذي يحملنا جميعًا فيه:** لأننا لحم من لحمه وعظم من عظامه كما قال بولس الرسول (أف ٥: ٣٠). والروح القدس بالإيمان والتوبة والأسرار المقدسة يأخذ من المسيح ويعطينا على مثاله حياة أبدية. وبعمل الكفارة التي نضحت علينا بالدم، للتطهير من الموت النجس (كما كانت تفعل ذبيحة الخطية في القديم) أعاد السيد المسيح لنا الحياة الأبدية التي كنا قد بددناها بالخطية. ذا سدد عنا الدين الذي كنا لا نستطيع أن نسدده. لأننا لم نكن نستطيع الصعود من الموت إلى الحياة لولا أن **الرب قد وهبنا الحياة بتجسده وإتحاده بنا،** ثم **بموته وقيامته أعلن لنا نجاح «العملية الجراحية» ، عملية « زرع الحياة »** في **الإنسان المائت.**

لذلك كان لابد من **« التجسد والموت والقيامة »** التي قام ا الإبن الوحيد لكي يعيدنا للحياة. فنقول بلغة الآباء الأرثوذكسية:

- هو قد حمل عقوبتنا ومات لأجلنا، لكي بالموت يميت الموت، وليس لكي ينفذ عقوبة ويسترضي عدالة سادية تطالب بغضب بحقها في رؤية الموت... حاشا لله. حمل العقوبة ليقضي عليها وليس للقصاص بها: تمامًا كما تحرق النار القش (أثناسيوس) أو تذيب الشمع (غريغوريوس النيزينزى)

- هو قد وفي عدالة الله حقها، لأنه أعاد للآب أبناءه لحضنه، وجاء بأخوته الضالين (أي نحن) للحياة مرة أخرى. فأرضى بذلك صلاح الله وعدالته التي تشتهي وتسر برجوع الخاطي للحياة وليس بموته أبدًا. الشيطان فقط هو الذي «كان قتالاً للناس منذ البدء » (يو ٨: ٤٤)، وهو فقط « الذي له سلطان الموت » (عب ٢: ١٤) وليس الله.

- هو قد سدد الديون عنا، لأنه أعاد لنا الحياة التي بددناها، وكنا قد أحزنا بذلك قلب الله. فسُرَّ الله بسحق إبنه، بالحزن، لأنه رأى في آلام إبنه وبذله الحب الذي ينتشلنا من قبضة الموت للحياة. (إش ٥٣: ١٠).

وكانت مسرة الآب مع مسرة الإبن الذي «من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل

الصليب مستهينا بالخزى» (عب ١٢: ٢). كانت آلامه آلام المتبرع بأعضائه، بل بحياته، آلام العملية الجراحية التي ا أكد أنه قد زرع حياة لاهوته في ناسوته، الذي هو نحن، لأننا لحمه وعظامه (أف ٥: ٣٠) ولم تكن آلام العقوبة. هذا هو العطاء والبذل لأجلنـا نحـن، وليس لأجل عدالة غاضبة وكرامة مهانة، وسكين جائعة للذبح والقصاص، كما صور اللاهوت الغربي، وشُرح الفداء بقلم أنسلم ومارتن لوثر، كما سنري في أقوالهم بعد قليل.

• **وإن أردتم أن تقبلوا، فالرب يسوع المسيح قد وفي العدالة الإلهية حقها في الصليب بذبيحة نفسه، لأنه حقق كل ما أوصانا به في الموعظة على الجبل:**

- لقد لطمناه، فأعطانا الخد الآخر بدون عتاب!
- لقد ظلمناه وإحتقرناه، فوهبنا المجد والإكليل والبنوة!
- لقد لعّناه وعلقناه كملعون، فوهبنا البركة ورفعنا بالقيامة!
- لقد توقعنا منه عطية الميل الواحد (خيرات الأرض) ولكنه أعطانا الميل الثاني أي الحياة الأبدية!
- لقد سلمناه للموت وأبغضناه، فسلمنا الحياة والحب والسلام!

الجزء الثالث

معنى الذبيحة والكفارة
في الكتاب المقدس

الفصل الأول

الذبائح عمومًا في الديانات البدائية

نما الإنسان في الأديان البدائية، وعنده إدراك لبعض الحقائق التي تكاد تجمع عليها كل الديانات البدائية هذه،كما تؤكد العديد من الدراسات الأنثروپولوچية (الإنسانية). ومـن هـذه الإدراكات المشتركة نمت بعض الممارسات الهامة في العـبادة. ويذكر كتاب The World's Religions (Lion Publishing)، وهو لمؤلفين مسيحيين : « تقريبًا كل القبائل البدائية الموجودة حاليًا مازالت تستعمـل الذبائـح الحيوانيـة» (ص ٣٨). ويشرح الكتاب أسبابا عديدة لممارسة تقديم الذبائح عند هذه الديانات - سواء الباقي منها أو المندثر في التاريخ (ص ٣٠، ٣١، ٣٢، ٩٥ - ١٣٥).

١- يقدم الإنسان الذبيحة لتمثل الإنسان لدي الإله، أو للتقرب والمصادقة.

٢- يقدم الإنسان الذبيحة ليسترضي الإله أو يتقي شر الأرواح التي تتحكم في الطبيعة وتسبب الكوارث المميتة والمهلكة.

٣- تقدم الذبيحة **كثمن قانوني لمصلحة** أو بركة يطلبها الإنسان من هذا الإله، أي « لشراء » ما يحتاجه الإنسان! مثلاً لنمو محصوله أو النصر في حرب.

٤- وفي الإلياذة Epic of Homer تقدم الذبيحة لترجي الإله أن يغير من قراره أو رأيه، وللإله أن يقبل هذه **« الرشوة »** أو يرفضها!!

٥- وفي ديانات آسيوية The Konds ، أو كما يسمون أنفسهم Kui، تقدم الذبائح البشرية لتشرب الأرض دمائها **حتى ما ترضى على الإنسان** وتقدم له الخير. وهذه الذبيحة تذكرنا بعروس النيل التي كانت تلقي كفتاة جميلة حيّة كهدية لنهر النيل في العبادة المصرية قديمًا!!

ولكن لماذا كل هذا الشعور بأن الإله « يحتاج » لشيء أو لذبيحة ليسترضي؟

الإجابة تكمن في إحساس الإنسان بفارق رهيب وهوة عظيمة بين ما يريد أن يكون وما هو كائن! بين المثالية والكمال الذي يشتاق الإنسان إلى تحقيقه وبين واقعه المؤسف الهزيل. إشتياق الإنسان للخلود والكمال، إشتياق لا يهدأ وعطش لا يرتوي بأي شيء يملكه أو يعمله. ولكن يقابل هذا الاشتياق إلى أعلي، واقع يشد الإنسان إلى أسفل، أسماه الإنسان الشر والخطية.

ويسعى الإنسان بكل جوارحه في هذه الديانات **لعبور هذه الهوة العظيمة** بين **الإشتياق الكامل والواقع الناقص.** لذلك يبحث الإنسان عن وسيلة يتقرب ا إلى الخالق المسئول عنا جميعًا، لعلنا نسترضيه ويحلنا من واقعنا المؤسف لحرية وحياة ونجاح، بل وخلود، أفضل (= الخلاص). ولكن بسبب أن المسألة ليست سهلة، والإشتياق عال، حاول الإنسان أن يقدم أقوي ما عنده، هدية لإسترضاء هذا الإله. وليست هناك تقدمة أقوي من الحياة ذا ا. وبما أن الدم هو علامة خروج الحياة من الكائن الحى، كان الدم والذبيحة أقوي وأغلي ما يقدمه الإنسان.

ولكن الإنسان في سعيه وحده نحو الإله الخالق، يتصور هذا الإله كما لو كان مثل الإنسان: يحتاج ويسأل ويغضب على الإنسان والخليقة، ويدمر إذا غضب، وينتقم من المخلوق إذا لم يطعه، ويحكم عليه بالموت بتدبيره وإشتياقه كخالق، صاحب الحق في إفناء ما قد صنع بيديه، كما يصنع الإنسان!!!

ودخل الإنسان في دائرة شريرة يري فيها نقائصه ويأسه، ولذا لم يستطع أن يتخيل أبدًا أن هذا الإله الخالق يمكنه أن يحب بلا مقابل، أن يغفر مجانًا: « هذا ليس عدلاً» يقول الإنسان الناقم!! لأن الإنسان لو قبل أن الله يغفر مجانًا وبدون إحتياج إلى استرضاء، ينقلب نظام الإنسان رأسًا على عقب!! الإنسان، محب للإنتقام ورد الشرف والكرامة، لا يقبل على الله أن يغفر مجانًا أبدًا!! لماذا؟! مع أن الإنسان يعلم أنه هو دائمًا الجانى، وأن عقوبة الشر سوف تسقط عليه؟! الإجابة تكمن في أن : الله هو « مثال » الإنسان الأعلي. والإنسان في بدائيته وشره، التي يسميها الكتاب المقدس الإنسان العتيق أو الجسداني أو الترابى.... الخ، لا يمكنه أن يتنازل عما يملكه من أشياء أو كرامة مجانًا!! أبدًا لا يستطيع، والسبب أن هذا التنازل

المجاني يؤكد للإنسان ويذكره بنقصه وموته وفنائه الذي يخشاه بشدة!! لذلك يجب على الإنسان، في حالته الشريرة أن يتصور الله مثل الإنسان، بعد التكبير والتعظيم. لذلك قال ڤولتير قولته الشهيرة عن كيف يحاول الإنسان أن يعكس ويسقط فشله على الله :

> « لقد خلق الله الإنسان على صورته، والإنسان رد له المثل »!!

لو إستطاع الإنسان أن يفهم معنى « المغفرة المجانية » بدون خوف من نقص أو موت، لحل ملكوت الله على الأرض في ثانية زمن!! ولجاء الرب من علاه وإنقضي الزمن في أبدية الحب! ولكن للأسف الشديد جدًا، حتى عندما جاء الله من علوه ليؤكد لنا الغفران المجانى، فسر الإنسان، موت الإبن المتجسد والواهب الحياة لنا، على أنه ذبيحة «إحتاج» إليها الله لتسدد له ثمًنا قانونيًا وتحقق مطلبه العادل، أي موت الإنسان الخاطي أو من ينوب عنه، حتى تسترضي عدالة الله وكرامته المهانة بالشر، و عندئذ فقط - بعد استلامه للثمن - يمكنه أن يرحم!!! **تحولت هدية الله لنا إلى شراء قانونى،** تم **لمصلحة عدالة إلهية غاضبة تطالب بموت!!** هذا تعليم أنسلم أسقف كانتربري الكاثوليكي في القرن ١١، وقد ورث مارتن لوثر قائد حركة الإصلاح البروتستانتي في القرن ١٦ التفسير ذاته، وسلمه للكنيسة الغربية. ثم لتأكيد عجزنا كبشر عن تفهم رسالة البذل المعطي لنا نحن (وليس لمصلحة الله وعدالته) أكدت الكنيسة الكاثوليكية هذا التعليم، في مجمع TRENT في القرن ١٦، على أنه هو بعينه **« العقيدة الرسمية »** للكنيسة الكاثوليكية!!! ومما يؤسف له دخول هذه الأفكار إلى التعليم الأرثوذكسي في القرن الأخير بعد ظهور حركات التبشير الغربية في الشرق في القرنين الأخيرين. هذا الحديث وهذه الحقائق المؤسفة يؤكدها جُل اللاهوتيين الأرثوذكس في العالم، كما سنرى من أقوالهم المدونة في الجزء الرابع من الكتاب.

مشكلة الإيمان أن الله يغفر مجانًا، بلا ثمن، تكمن فى أن إلهًا مثل هذا لا يناسب العدل البشرى، عدل النقمة ورد الشرف والتعويض - عدل العين بالعين وكسر الذراع بكسر ذراع الآخر! **هذا إله مكلف جدًا،** ومعرفته مكلفة جدًا!! كما قلت، الله هو مَثَلُنا الأعلي. فإن كنا أمناء ولنا ضمير حي ونتبع هذا الإله، وجب علينا أن نغفر مجانًا في كل موقف يصيبنا فيه ضرر أو ظلم.

• • •

الفصل الثانى

الفدية و الفداء

في العهد القديم

إستعملت كلمة فدية في العهد القديم بمعنيين: الأول، هو الفدية القانونية التي كان يقدمها إنسان سبب ضررًا لإنسان آخر. وهذا هو معنى « الدية » في اللغة العربية. فيقول في سفر الخروج : «إذا نطح ثور رجلاً أو إمرأة فمات... فالثور يرجم وصاحبه أيضًا يقتل. وإن وضعت عليه فدية يدفع فداء عن نفسه كل ما يوضع عليه » (خر ٢١: ٢٨- ٣٠).

والفدية أيضًا ما كان يدفع لفك رقبة العبد وإطلاقه حرًا. هذا معنى الفدية الحرفى.

ولكن في هذه الاستعمالات لم يطلق الكتاب على أي إنسان يؤتي هذا العمل لقب « فادي » أو «الفادى» بل إحتفظ الوحي ذا اللقب لله وحده فقط.

والمعنى الثاني للفدية هو المعنى الروحي الذي أطلقه الكتاب على الله وحده، وفي هذا الاستعمال لم يكن الله يفدي بحسب العدل الإنساني الذي يحتاج أو يدفع ثمنًا، بل كان يفدي « بقوته » من الهلاك ومن الأعداء.

وكلمة يفدي TO REDEEM تعني إرجاع أو إنقاذ ما كان مفقودًا أو مُدمر أو مسلوبًا أو مغتصبًا مرة ثانية، دون أن يذكر الكتاب المقدس أن الله قد دفع ثمنًا، وبدون أي معنى قانوني إطلاقًا، حسب هذه النصوص الصريحة:

> «أخرجكم الرب بيد شديدة **وفداكم** من بيت العبودية ومن يد فرعون» (تث ٧: ٨)

> « حي هو الرب الذي **فدى** نفسي من كل ضيق » (٢ صم ٤: ٩)
>
> « جعلت مصر **فديتك،** وكوش وسبأ عوضك» (إش ٤٣: ٣)
>
> «قد **محوت** كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك. إرجع إلى لأني **فديتك**» (إش ٤٤: ٢٢-٢٣).
>
> « هل قصرت يدي عن الفداء وهل ليس في قدرة للإنقاذ؟ » (إش ٥٠: ٢).
>
> « وميراثك الذي فديته بعظمتك » (تث ٩: ٢٦).

وفي الشريعة الموسوية لم يقبل الله أبدًا أن يعاقب البرئ عوضًا عن المذنب:

فكيف يميت إبنه البرئ ويعاقبه كمذنب؟!

> « من أخطأ إلي أمحوه من كتابي » (خر ٣٢: ٣٠- ٣٢)
>
> « حاشا. لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أن تميت البار مع الأثيم » (تك ١٨: ٢٥)
>
> « النفس التي تخطئ هي تموت » (حز ١٨: ٤)

• • •

الفصل الثالث

مَنْ هو مقدم الذبيحة ومَنْ المستلم؟!

يقول الوحي المقدس :

> « لأن نفس الجسد (حياة المخلوق) في الدم، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدم (أي الحياة) يكفر عن النفس» (لا ١٧: ١١)
>
> « وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩: ٢٢).

واضح من كلمة **«أعطيتكم»** أن الله هو واهب الذبيحة للإنسان، وليس العكس. ولكننا نتكلم أيضًا بصفتنا «المقدمين» في أماكن أخري. كيف؟!

التعبير الشائع هو أننا نقدم من أموالنا لله . ولكن حقيقة الأمر أننا لا نقدم لله ذاته، بل نقدم من أموالنا للبشر أخوتنا، الأقل حظًا في الحياة. وذلك لأن **المحتاج للأخذ هو المخلوق وليس الخالق،** كما درسنا سابقًا. ولكن لحنان الله وحبه يقبل أن نتكلم عنه، مجازيًا فقط، على أنه هو الآخذ والمستقبل، وذلك لكي لا يجرح مشاعرنا، ويشعرنا بأنه يحبنا ويتقبل منا الحب. هنا يبدو الله مثل أب غني جدًا يقدم له طفله قطع صغيرة من الحلوي، والأب يظهر أنه قد تقبل شيئًا يحتاجه ويفرح به بشدة، مع أن الأب هو مقدم هذه الحلوي لطفله!! لذلك قال داوود مسبحًا: « لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك ». **والله أيضًا لا يحتاج للخليقة لأنه كان كائنًا بدو ا وكاملاً** في **ذاته قبل الخلق!**

وواضح لنا أن **الذبيحة** في **الكتاب المقدس كانت علاجًا** لمشكلة **موت الخطية، ولم تكن علاجًا** لمشكلة **غضب الله** - إن جاز التعبير لغرض الحوار هنا..!! الذبيحة علاج

للإنسان المحتاج لعلاج، وليست ثمنًا وفدية تقدم لله، الفادي الوحيد والحقيقي بالقوة والقدرة، لا بقانون البشر، ولا بالشراء والبيع! لذلك نحتاج لأن ندرس ونتأمل في : **ما هو عمل الذبيحة الكفاري** في **الإنسان؟** كيف، بعد تقديم الذبيحة، كان يخرج الإنسان حيًا مرة ثانية، بعد أن دخل يقدمها لله، أو قل يتقبلها من الله **«كعلاج للموت»**؟! وهذا أحد الأسماء القديمة للتناول عند القديس إغناطيوس الإنطاكى. (جسد الرب ودمه = **« ترياق عدم الموت »** Antidote).

لقد رأينا معًا فشل الإنسان، في الديانات البدائية، في أن يفهم ويدرك أن الله يمكنه أن يغفر مجانًا. فهل قدم العهد القديم لليهودي رسالة تختلف عن إدراك الإنسان البدائى؟! إن الله إذ يحدثنا، يدخلنا في الدهش ECSTASY!! **إنه إله الحب المدهش!** عندما يفتح قلبه وفكره لنا، ويكلمنا في إبنه، يظهر لنا أمورًا لا يمكن للإدراك البشري أن يصل إليها وحده. لذلك تلامس الإنسان مع الحق والنور ينشئ الدهش! التعجب! لأن الإعلان الإلهي يأتي مخالفًا لكل ما يعتاده الإنسان بعقله المحدود، فيقف الإنسان مبهورًا، أمام السر والرؤية التي لم يكن يتوقعها بحسب حساباته الرياضية ومنطقه المريض الناقص. وهذه إحدي طرق الله في فتح متاريس جهنم: عقل الإنسان المتحجر!! يعلن شيئًا غير معتاد، ولكنه مرغوب ومحبوب، وله صدي وإشتياق عميق في داخلنا، لذلك ندرك أنه نور من عند أبي الأنوار صاحب كل عطية صالحة وصانع الخيرات - الخيرات فقط!!

فكيف لنا أن نرى في الذبح وإسالة الدم نور هذا الدهش، في رؤية جديدة لم تخطر قبلاً على قلب بشر؟! **كيف يرى اليهودي** في **الذبائح حبًا وهدية له،** وهو محاط بكل ما ينشئ الضعف والفشل واليأس من تفسيرات تظهر الله كمنتقم جبار وإله صارم يطالب بالدماء، لمصلحة قانون يسيطر عليه هو نفسه!! ولا يستطيع تقديم الرحمة إلا بثمن كما رأي اليهودي في كل الديانات المجاورة له؟!

ظل هذا اللغز مع شعب الله في القديم، لغزًا مغلقًا مختومًا لم يحل أختامه إلا « الأسد الغالب من سبط يهوذا، أصل وذرية داود » (رؤ ٥: ٦)، إلا الرب الإبن المتجسد، «الحمل المذبوح قبل إنشاء العالم » (١بط ١: ١٩- ٢٠). هذا وحده أصل الذبائح، قبل إنشاء العالم، وكل الذبائح كانت رمزًا له؛ كانت «ظل الأمورة العتيدة » (عب ١٠: ١- ٢).

في الصليب، وهو يعني التجسد والموت والقيامة كعمل واحد لا يتجزأ، ظهر حل هذا اللغز :

(١) أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، أي بدون «زرع حياة» جديدة لا يشفي الخاطي من نجاسة موت الخطية!!

(٢) وأن سفك الدم هو هدية حياة للخاطئ الذي قتل نفسه بشره؛

(٣) وأن الله الذي لا يحتاج هو المقدم الحقيقـى؛ الله هو الجراح الذي أجري عملية زرع حياة لاهوته في ناسوت المسيح ممثلنا.

(٤) وأن الإنسان المحتاج والمائت هو المستلم الحقيقي لهدية الحياة؛

(٥) وأن «الدم» ليس كناية عن القتل أو «أخذ الحياة» لتنفيذ عقوبة قانونية: To take life = To Kill for Retribution

ولكن الدم، هو كناية عن **« إعطاء الحياة »**، أي التجديد، من الخالق:

To Give Life = To Recreate

ولكن هناك الكثير مما سمعت بنفسي وقرأت يقول أن الذبيحة كانت تحمل خطية الإنسان، **لتموت عوضًا عنه، حتى ما يعتقه الله ولا يميته!!** (مارتن لوثر). النصف الأول من العبارة موجود في الكتاب المقدس؛ النصف الثاني تفسير البشر!! (وسوف ندرس ما كتب في سفر اللاويين بالتفصيل)

حقًا كانت الذبيحة تحمل **« موت الخطية »**، ليأخذ الخاطي **«حياة الذبيحة»** ولكن هذا الإبدال ليس **«إبدالاً قانونيًا»** ولكنه **«إبدال علاجي»** - تكليف محبة!!

وهذا هو الفارق بين الذبيحة في الكتاب المقدس، والذبيحة في كل الديانات البدائية!!

« الإبدال القانوني » يري موت الذبيحة لمصلحة وترضية حكم بالموت، لابد أن **يتسلمه القاضي** واضع القانون وإلا إضطرب قانون وعدل هذا القاضى.

ويرى **« الإبدال العلاجي »** أن وهب الذبيحة لحيا ا كهدية، تحل مكان الموت النجس الذي أصاب الخاطى، هو إصلاح وتجديد لمريض أصابه الموت بسبب انتحاره بحريته. وليس هنا استرضاء لعقوبة موت، بل إلغاء لنجاسة الموت. ليست

هنا مصلحة لصاحب قانون يطالب بموت، بل فرح لصلاح الله الذي عدله حياة الخليقة للأبد. قال إيريناؤس: مجد الله حياة الإنسان.

ثم هناك نقطة هامة: إن الخاطي **« يــوم »** يخطئ، يفصل نفسه عن الله روحياً وأبدياً، « يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢: ١٧). **فالخاطي كان يتقدم بالذبيحة وقد مات فعلاً، وبعدل قتل نفسه بِشَرِه، لأن الذي ينشئ موت الخطية هو الخطية وليس الله أبداً** (راجع يعقوب ١: ١٣- ١٧).

فكيف يطالب الله (حتى لو تصورنا أنه يطلب بنفسه وتدبيره!) بموت، مرة أخرى لحساب عدالته، والخاطي قد نفذ الموت بإرادته، بمجرد أنه قطع نفسه وهو الغصن من الكرمة، كرمة الحياة، أي الله ؟! حتى عدل البشر لا يوافق على هذا!! يوم يخطئ الخاطئ يموت، ليس برغبة الله ، بل برغبة الخاطئ. و بهذا يكون عدل الله مطالبًا بحياة للخاطئ، وبفناء الموت؛ وليس مطالباً بذبيحة تسدد موتاً مرة أخرى لله !! وكيف يطلب الله الموت، والموت عدم وليس له جوهر، ولم يخلقه الله ؟! **كيف يتعامل الخالق مع العدم ويطالب به؟!!!**

وكيف نقيم موت الذبيحة على أنه إهلاك وهو حقيقة إحياء؟! نعم الذبيحة الحيوانية كانت بموتها، لأنها مجرد رمز، تنتهي. ولكن « الذبيحة الكاملة »، ذبيحة المسيح، لم تكن ذبيحة إهلاك لا للإبن المتجسد ولا للخاطئ. بل كان موت المسيح: دخول إلى الموت لكي يدوس الموت الأبدي الروحي بهذا الموت، ولكي « يُبطل الموت » و « يقضي على الموت » و « يقتل الموت » ... الخ، من المجازات التي استعملها الآباء. ولم يكتب أحد من الآباء أن موت المسيح كان موت قصاص لمصلحة الآب، بل على العكس **كتب غريغوريوس اللاهوتي عكس هذا الكلام** تمامًا في **أهم قول آبائي عن معنى الكفارة كتقديس وليس كعقوبة :**

> **« لمن قُدم الدم الذي سُفِكَ لأجلنا؟ بل ولماذا سُفِكَ؟!**
>
> إن قلنا للشيطان فهذا أمر فظيع، هل يأخذ اللص فدية، ليست فقط من الله ، بل إن الفدية هي الله ذاته!؟
>
> وهل يطلب هذا الثمن أجرة لاستبداده حتى يطلق سراحنا؟!

أما إذا كان الثمن قد دُفع للآب، فأنا أسأل أولاً: كيف؟! لأن الآب لم **يمسكنا كرهينة.** لماذا إذن سُر الآب بدم إبنه الوحيد وهو الذي لم يقبل إسحق حين قدمه إبراهيم ذبيحة محرقة كاملة، بل بدّل الذبيحة البشرية بكبش؟

أليس الأمر واضحًا أن الآب قد قبل الذبيحة **ليس لأنه طلبها، أو كان** في **إحتياج إليها، ولكن لأجل تدبيره: لأن الإنسان لابد أن يُقدَس بإنسانية الله** (= ناسوت المسيح الذي تقدّس وتأله باتحاده باللاهوت) والله نفسه يجب أن يخلصنا بأن **يغلب المستبد بقوته هو،** وأن يردنا إليه بواسطة الإبن الذي يفعل هذا كله لمجد الله ، الذي أطاعه في كل شيء...

ما قد تبقي من الحديث سنعبره في صمت مقدّس... لقد احتجنا لإله مُتجسد، **إله يميت الموت حتى ما نحيا نحن...** »

(V. LOSSKY - THE MYSTICAL THEOLOGY OF THE EASTERN CHURCH, p. 152, - S.V.S. NEW YORK)

درسنا ورأينا أن الله يخلق ويتعامل مع ما هو مخلوق وله جوهر حقيقى. لذلك تعبيرات «أبطل عز الموت» (وما شابه)، هي في الحقيقة **«الصورة السالبة»** من العمل الحقيقي وهو **«إعطاء الحياة»** للخاطي الذي مات في خطيئته، بيده وبحريته، فعلاً يوم أن أخطأ. لأن «وهب الحياة» أو «زرع الحياة» أو «تطعيم الحياة» أو «نقل الحياة» للإنسان هو عطية الشيء **«الموجود»** ، الذي له جوهر ووجود حقيقى، ذلك الذي هو الحياة الخارجة من حضن الله ومهداة للخليقة: « هبة الله حياة أبدية بالمسيح يسوع » (رو ٦: ٢٣). فنحن إذ نضيء النور، نقتل الظلام!! النور هو الجوهر الحقيقى، والظلام حقيقة لا يقتل بل يزال ويُطهر!! أيضًا عندما وهبنا الإبن المتجسد الحياة الإلهية، وزرعها في ناسوت المسيح الممثل لنا، طهرّ الطبيعة البشرية من نجاسة الموت. وذلك لأن الحياة الإلهية تشبه بالنار، كما قال الآباء، وهي إن تلامست مع الموت (العدم) تلاشي الموت، كما يحترق القش إذا تلامس مع النار (أثناسيوس الرسولي) أو كما يذوب الشمع إذا تلامس مع النار (غريغوريوس اللاهوتي).

في العهد القديم كان الموت أنجس شىء. أو قل، كان كل شىء مرتبط بالموت يسمي نجاسة. والنجاسة هي: ما يفصل الإنسان عن الله وعن أخيه الإنسان. لذا كان المرض، أو نزيف الدم المرتبط بالولادة، والتي تذكرنا بالموت الجسدى، نجاسة تحتاج إلى تطهير. وكان النجس لا يستطيع العبادة إلا إذا تطهر. والسبب هو أن الموت الجسمي كان رمزًا للموت الأبدى، أي الإنفصال الأبدي عن الله .

• • •

الفصل الرابع

مفتاح فهم معنى « الكفارة »
في كلمة وعمل « التطهير »

«التطهير» و «التكفير»، بمشتقا ما، وردتا في العهد القديم. بمعنى **واحد** في **نصوص أسفار الشريعة:**

«وتقدم ثور خطية كل يوم لأجل الكفارة **وتطهر المذبح بتكفيرك عليه**» (خروج ٢٩: ٣٦).

و «التطهير» و «التقديس» أيضًا وردتا أحيانًا بمعنى **واحد «وطهر المذبح** ثم صب الدم إلى أسفل المذبح **وقدسه تكفيرًا عنه»** (لا ٨: ١٥).

« ثم يذبح المحرقة ويصعد الكاهن المحرقة والتقدمة على المذبح **ويكفـر عنه الكاهن فيطهر** » (لا ١٤: ٢٠).

ويظهر المعنى بشكل أوضح في طقس « يوم الكفارة » حيث يقول سفر اللاويين صراحة :

«لأنه في هذا اليوم **يكفر عنكم فتطهرون من جميع خطاياكم،** أمام الرب تطهرون » (١٦: ٣٠- ٣١).

ولاحظ عبارات سفر اللاويين الخاصة بالكفارة:

« يكفر عن القدس » ... « يكفر عن خيمة الإجتماع والمذبح » (١٦: ٣٣) والأماكن، هي أشياء غير حية، ولا تحتاج إلى كفارة، وإنما تحتاج إلى تطهير، وهذا هو معنى الكفارة في العهد القديم.

وقد دخل هذا المعنى ذاته في العهد الجديد نفسه حيث يقول الرسول بولس عن ربنا يسوع المسيح رئيس الكهنة أنه يُطهّر، أي يُكفّر، أي يُقدس:

> « بعدما صنع بنفسه **تطهيرًا لخطايانا**... » (عب ١: ٣).
>
> « وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم (حياة) نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس (الكيان الإنساني الذي اتحد به) فوجد فداءً أبديًا. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة **مرشوشين على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد** (هذا طقس التكفير في العهد القديم)، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب **يطهر ضمائركم من أعمال ميتة**» (عب ٩: ١٢- ١٤).
>
> « لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا (أي يطهر من الموت الناتج عن الأعمال الميتة)، لذلك عند دخوله إلى العالم (أي التجسد في كيان وطبيعة البشرية التي هي هيكل الله الذي يسكنه الروح القدس، أي « الأقداس ») يقول : ذبيحة وقربانًا لم ترد، ولكن هيأت لي جسدًا. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر. (**الله لا يطلب ولا يحتاج إلى ذبيحة بل نحن،** كما يقول غريغوريوس اللاهوتي مقتبسًا هذا النص من بولس الرسول - وقد أوردته مرارًا في هذا البحث: لمن قُدم هذا الدم ولماذا قُدم؟).
>
> ثم قلت هأنذا أجيء ... لأفعل مشيئتك يا الله ... **فبهذه المشيئة نحن مقدسون،** بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة (كفارة، أي تطهيرًا، أي تقديسًا لنا نحن المحتاجين للذبيحة)» (عب ١٠: ٤- ١٠).
>
> « **مرشوشة قلوبنا** من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي » (أي كفارة المعمودية التي ترش الحياة فينا لتكفر وتطهر نجاسة موت الخطية من ضمائرنا الشريرة) (عب ١٠: ٢٢) وأيضًا **« مطهرًا إياها (الكنيسة) بغسل الماء (المعمودية) »** (أفسس ٥: ٢٦).

ويؤكد الرسل أيضًا حديث بولس الرسول بقولهم :

> « ودم يسوع المسيح **يطهرنا من كل خطية** » (١يو ١: ٧).

وهذا يشرح ما يقوله يوحنا الحبيب في :

> « أحبنا وأرسل إبنه **كفارة (أي تطهيرًا) لخطايانا** » (١يو ٤: ١٠).
>
> « لأن الذي ليس عنده هذه (الفضائل) هو أعمي وقصير البصر، قد نسي **تطهير خطاياه** السالفة » (٢بطرس ١: ١٠).

وهناك عبارات أخري تؤكد أن **عمل الذبيحة الكفّاري هو عمل التطهير ذاته،** وليس بأي حال عمل «إستبدالي عقوبي» أو دفع قانوني لفدية أو **«ديــّـة» تقدم لله لاسترضاء عدالة غاضبة أو مهانة بالشر،** كما فسر مارتن لوثر وكالفن ومفسرو العصور الوسطي الغربيون:

> « وينضح (يرش) عليه (على الخاطئ) من الدم بإصبعه سبع مرات **ويطهره ويقدسه** من نجاسات بني إسرائيل» (لا ١٦: ٢٠).
>
> « **ويكفر** عنه الكاهن **فيطهر** » (لا ١٤: ٢٠).
>
> **« ويكفر عن المتطهر من نجاسته »** (لا ١٤: ١٩).

وهناك أيضًا التكفير عن المرأة الطامث والنافس لتطهيرها. وهذا قطعًا تكفير غير مرتبط بخطية، بل التكفير هنا هو قطعًا تطهير من إفرازات طبيعية، وغالبًا كان لأسباب تتعلق بالصحة الجسمية وليس بالشر ولا بالخطية، لأن الله هو مدبر خروج هذه الإفرازات من البطن، مثل أي إفرازات أخري، بصورة طاهرة إلهية وبيد نقية، كما كتب القديس أثناسيوس الرسولي في رسالته إلى الراهب آمون (مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية - المجموعة الثانية، المجلد الرابع ص ٥٥٦). لذا يكتب لنا الوحي في سفر اللاويين عن هذا التطهير :

> « فيقدمها أمام الرب **ويكفر عنها** (أي المرأة التي جفّ نزيفها) **فتطهر... فيكفر عنها الكاهن فتطهر** » (لا ١٢: ٧- ٨).

وفي الدسقولية، تعاليم الرسل الأطهار، جزء هام عن الذبائح **وعدم إحتياج الله لها، وأن جميع نجاسات العهد القديم المتعلقة بإفرازات الجسد وغيرها، قد حلنا منها الرب يسوع المسيح تمامًا، وجعلنا أحــرارًا.** وأما نجاسة العهد الجديد فهي

الخطية، حتى ولو كانت بالفكر فقط كما قال الرب يسوع نفسه لذلك قدم لنا الدكتور وليم سليمان قلادة نص دسقولية الرسل مع تعليق وتقديم شيق :

> « نقطة البداية هي الحركة الذاتية الإختيارية التي إستشعرها البشر الأوائل نحو الله . وفي إطارها حث العبرانيين على أن يقدموا العبادة له بإختيارهم ووضع لهم ناموسها: لأن الله ليس بمحتاج للقرابين لأنه فوق كل إحتياج بطبيعته ... هكذا أعطي للعبرانيين أن يصنعوا، ولم يأمرهم ... لأجل هذا قال : إن كنت تشتهي أن تذبح لي عن هذا، فلست بمحتاج إلى ذبيحة. إني لا أحتاج إلى شىء، لي المسكونة وكل ما فيها » (خروج ٢٠: ٢٥).

إذن متي جاء الإلزام بناموس الطقوس والذبائح هذا؟

> « في الزمان الذي نسي الشعب هذه الأمور، ودعوا لهم العجل إلَهًا عوض الإله الحقيقى... فغضب الله (غضب لشعبه وليس عليهم!) لأ م لم يشكروه. **فربطهم ذا : بالذبيحة والإمتناع (لا تذق، لا تمس، لا تستعمل) والتطهير**. حتى بحفظ هذه الفرائض يدومون في ذكر الله الذي أعطاهم هذه الوصايا.
>
> أما أنتم أيها المؤمنون ... فقد حلكم من الرباطات، وجعلكم أحرارًا من العبودية ... لأن المسيح إبن الله لما جاء حقق الناموس وكمله، وحمل الأثقال التي جُعلت عليهم وبطّلها بالكمال، والناموس (الأول - الذي عاش به الآباء قبل موسي النبي - ناموس الضمير والمحبة لله والقريب) ثبته وجعل سلطان الناس حرًا.» (الطبعة الأولي ص ٧٢٦ - ٧٢٧).

والتطهير يعني وجود نجاسة. والتكفير كان برش (أي نضح) الدم.

ولكن لم يكن الرش هذا على الخاطي وحده، بل على المقدسات أيضًا. فتجد عبارات عن « كفر الكاهن عن المذبح وخيمة الاجتماع!!» كيف؟! إن كان التكفير، كما يحاول من يتمسكون بفكرة الذبيحة كتقديم فدية عادلة قانونية عن الخاطئ، هو تقديم موت بديل لله ، حتى ما يعفو عن الخاطئ، فماذا تعني عبارات كفر عن « الأشياء الجامدة » ، وهي لا تستطيع أن تخطئ؟!! هذا سؤال في غاية

الأهمية لرفض فكرة ارتباط الكفارة بالعقوبة. الكفارة ليس لها إرتباط بالعقوبة كبديل عقوبي وثمن لله . **ولكن الكفارة هي التطهير من عقوبة الموت (والتي نشبهها بالمرض) بأن نعطي المريض « دواء عدم الموت» - مثل التناول من جسد الرب ودمه = ترياق عدم الموت** **Antidote** كما سماه القديس أغناطيوس.

الكفارة إذن دواء مطهر من نجاسة الموت، وليست فدية تقدم لله كثمن كما يفسرها البعض!!! المشكلة تحل لو أدركنا أن المحتاج هو الإنسان وليس الله . والمقدم للذبيحة هو الله ، والمستلم هو الإنسان. والمفعول مفعول « علاجي » للتطهير من الموت، وليس مفهومًا قانونيًا. فبوهب الحياة التي في دم الذبيحة للخاطى، الذي فعلاً قد مات روحيًا وفرغ كيانه من الحياة، يتجدد الإنسان، ويتطهر من الموت النجس. وأما الرش على المقدسات فكان لمعنى روحي جميل ندركه من قول السيد المسيح عن جسده أنه هيكل الله: « أنقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه» (يو ٢: ١٩). فالمقدسات في العهد القديم كانت رمزًا لكيان الإنسان، الذي نقدمه لله ذبيحة حبنا له (تأمل أيها القارئ أن ذبيحة الحب هي هدية وليست فدية قانونية!!). لذلك كان الكاهن يرش وينضح بالحياة (الدم) على المقدسات أو الخاطى، ليهبه الحياة مرة ثانية، بعد أن كان قد فقدها بالخطية. هو عمل يشبه إلى حد كبير عملية « نقل الدم » في الطب الحديث. فمتي جاء المريض النازف دمه للمستشفي، تقدم الطبيب، وقد يتبرع الطبيب بدمه للمريض، وحقن المريض بالدم، أي الحياة، لكي يحيا ولا يموت - هكذا يفتدي الطبيب المريض من الموت.

ذبيحة المسيح، وهي المرموز لها بكل ذبائح الخطية والكفارة، هي دخول الرب بحياة لاهوته إلى الصليب والقبر (وهنا نشبه الصليب والقبر بحجرة العمليات) حتى ما يتمم بالكمال عملية نقل وزرع الحياة من لاهوته الذي لا يموت إلى ناسوته القابل للموت. ثم بالقيامة من القبر والموت يعلن لنا (كما يخرج الجراح من حجرة العمليات ليبشر أهل المريض) بنجاح العملية، وبأن الطبيعة البشرية فعلاً قد تحقق لها حلم غلبة الموت الروحي والجسدي ائيًا، وأصبحت طبيعة جديدة خالدة غير فاسدة. وعملية نقل وزرع الحياة هذه، من الله للإنسان، هي ما أسمته الكنيسة الفداء والخلاص. لذلك علم آباء الكنيسة أن **الفداء والخلاص قد « تما » عندما** تجسد **إبن الله واتحد بالطبيعة البشرية**. وذلك لأن أعمال الله لا ترتبط بالزمن (فهو غير زمنى) مثل

أعمال البشر. مجرد دخول الله إلى التاريخ والمادة بالتجسد، كان هذا إفتداء المادة والخليقة والإنسان والزمن : الحياة الأبدية قد أظهرت لنا (١ يو ١: ٢).

ونقول في القداس (صلاة الصلح) :

> « **والموت** الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس **هدمته بالظهور المحيي** الذي لإبنك الوحيد الجنس، وملأت الأرض (الكون) من السلام الذي من السموات ».

ولكن القضاء على الموت كان يحتاج أن يعلنه لنا تاريخيًا. وهذا لم يكن ممكنًا إلا بأن يترك جسده (أي طبيعتنا البشرية التي حملها فيه) يموت موتًا حقيقيًا، ثم يقيمه ونلمسه ونتأكد من القيامة تاريخيًا. ولذا كان لابد من موت الرب، ليحطم سلطان الموت الذي يفزعنا بالقيامة. ويؤكد أنه بتجسده قد تم التكفير عنا، أي بتجسده قد حقن في الإنسان الحياة، أي بتجسده قد طهر كياننا من طبيعة الموت - العقوبة التي ألقينا أنفسنا فيها بأيدينا نحن وليس بتدبير الله ورغبته أبدًا. هذه هي كفارة الرب وفداءه وتطهيره لنا من الموت.

الإبدال البطولي العلاجي والإبدال العقوبي:

نعم الذبيحة تحمل وتتحمل عقوبة الخاطي على كتفيها. ولكن لماذا؟!

- **الإجابة القانونية :** لكي تسدد دينًا لله مدبر حكم الموت بإرادته!!
- **إجابة الآباء البطولية العلاجية :** لكي تحمل العقوبة وتحرقها وتلاشيها، بأن تدي حياة مكان الموت، الذي هو العقوبة التي يدخل إليها المخلوق بنفسه، ومن صنعه. البطل يضحي بحياته فداء صديقه وحبيبه.

نعم هناك إبدال في العمل الكفاري: « أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، فلنسبحه » (الإبصلمودية). ولكن الإبدال هو كما يحمل الصديق البطل حِمْلَ صديقه بفرح؛ وكما تحمل الأم مسئولية تربية أولادها بحب؛ وليس كما يحمل البديل القانوني عقابًا يُحكم به من جهة قانونية على مجرم، لإسترضاء الجهة القانونية وتسديد ترضية لكرامة واضع القانون.

الإبدال والبذل في الحب يكون من الباذل للمستلم المحبوب مباشرة، وله وحده،

وليس لاسترضاء طرف ثالث؛ وإلا تحول البذل إلى إلزام قانونى، وأصبح ترضية لطرف ثالث!! و ذا ينعدم الحب تمامًا، ويصبح الطرف الثالث المطالب بالبذل ساديًا حقودًا وظالمًا لبرئ.

الله يقدم إبنه ذبيحة لأجلنا نحن وليس لأجل الله . الكتاب لم يذكر أن المسيح قُدم كذبيحه لأن الله كان هو المحتاج ، بل لأجلنا نحن « المحتاجين » . وما يذكره الكتاب عن **تقديم الذبيحة أو قبولها** في **عين الله ،** يعني رضي الله عن عمل الذبيحة وهو إحياء المائت، أي الإنسان. تمامًا كما نقول أن الله يقبل صدقات وهبات البشر : نعم يقبلها، في كو ا مقدمة لأبنائه المحتاجين للصدقة، وليس لأنه يريد شيئًا لنفسه!! فقبول الآب لذبيحة إبنه ليس قبول ثمن قانونى، بل فرح ومسرة بأن الإبن الوحيد « البكر » قد جاء بأخوته الضالين إلى حضن الآب. لهذا سُر الآب، على مضض، إذ يري سحق إبنه حبًا فينا ولنا، وليس لأنـه كان مطالبًا بسحقه لإسترضاء عدالة إلهية فقدت إتزا ا وكرامة إلهية هزها الشر، كما علم أغسطينوس وبعده أنسلم وتوما الإكويني ومارتن لوثر، وآخرون بعدهم. **« الثمن » و« الدين »** في الفداء : هو ثمن الحب لنا؛ وتسديده لديننا، أي رده الحياة لنا وفينا، بعد أن بددناها بالخطية.

المعنى **اللغوي لكلمة « كفـارة »** في **اللغات السامية :**

وفي دراسة كتابية شيقة لمعنى الكفارة في الكتاب المقدس كله، كتب LEIGHTON PULLAN اللاهوتي من جامعة أكسفورد في كتابه «الكفارة» The Atonement (1907) تعليقًا هامًا على المعنى **اللغوي لكلمة كفارة** في **اللغة العبرية والآرامية والأشورية والعربية أيضًا :**

> « الكلمة الإنجليزية كفّر Atone وكلمة الكفارة Atonement تستعملان كترجمة لكلمة Kipper العبرية. وكان المفسرون يظنون أن الكلمة تعني « التغطية على » الشىء أي إخفاءه، كما نغطي Cover اليد بمنديل مثلاً. ولكن بمقارنة، الكلمة العبرية، مع اللغات الوثيقة الصلة بالعبرية مثل الآرامية والأشورية، يتبين لنا بالتأكيد أن المعنى الأصيل للكلمة العبرية Kipper هو المحو الكامل للتنظيف to wipe clean وبالتالي إظهار البريق to make bright » ص ٦٢.

ويكمل الكاتب تفاصيل الدراسة اللغوية مع أساتذة هذه اللغات الشرقية وقواميسها في ملحق هام من ثلاثة صفحات في آخر كتابه، ويقول في ص ٢٥٥ - ٢٥٧ :

« الكلمة Kipper ، في الحقيقة تعني المحو والتنظيف حتى ما يظهر « لمعان » وبريق الشىء أو يزداد بياضه نصاعة،

To wipe so as to make bright or white

ولا تعني التغطية to cover .....

لقد أكد لي Rev. C.J Ball مدرس الأشورية بجامعة أكسفورد هو وأيض Dr. Burney ، بعد بحث دقيق، أكّدا لي أن المعنى في الأشورية هو التطهير والتنقية وإعادة البريق purity & brightness ؛ والكلمة تستعمل لشرح « تبييض وتطهير دقيق القمح » Kapâru sa qême و « تطهير الإنسان البار » ... Kuppuru sa isarum وفي قاموس

Concise Dictionary of the Assyrian Language (Berlin 1898) by W. Muss-Arnolt,

الكلمة Kaparu تعني تدمير أو إفناء أو إلغاء، أو محو

'to destroy', or 'do away with', 'the thought of wiping away'

وفي القرآن، في اللغة العربية، الكافر هو غير المؤمن، ناكر فعل الله وكرمه عليه (ناكر الجميل)، وناكر آيات الله ... إنه يحاول أن **يمحو الحق** ... [وكفر سيئاتنا، تعني أمح سيئاتنا محوًا كاملاً].

ولعل هذا يذكرنا بقول إشعياء النبي عن موقف الله من الخطية، وأن **الغفران هو محو الخطية الكامل وليس تغطيتها:**

« إن كانت خطاياكم كالقرمز **تبيض كالثلج،** إن كانت حمراء كالدود تصير **كالصوف**» (إشعياء ١: ١٨) و « **قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك.** إرجع إلي لأني فديتك» (إشعياء ٤٤: ٢٢- ٢٣)».

وفي هذا كله فإن الله لا يأخذ ثمنًا، والخاطي لا يدفع ثمنًا!! بل إن الله بمحبته يتكبد معاناة في الحب، وتكليف محبة، ليوصل لنا فعل محو الموت والتطهير من الموت بالفداء.

ولذا يكمل الكاتب PULLAN في الكتاب ذاته في ص ٦٧ - ٦٨ ويقول:

> « التكفير الذي يقدّمه الله هو بأنه **يمحو** ويعادل neutralises الخطية، لهذا هو يغفرها. كلمة Kipper كلمة غنية جدًا وتفوق أي تعبير مشابه في اللغة الإنجليزية...
>
> **ويجدر بنا أن نعي أنه لا توجد ولا حتى عبارة واحدة في العهد القديم كله بمعنى أن الله ُيسترضي بالذبيحة، أو أن الكفارة لها تأثير على الله ذاته ..** [الله لا يحتاج للخليقة كلها!!] **والغفران هو محو الخطية.**»
> [وليس الغفران تعديل وتغيير في **موقف الله** منا!!]

ويذكرنا الكاتب مرة ثانية بعبارات من الكتاب المقدس ليؤكد أن الله عندما يغفر فهو يغفر بمحو الخطية، والموت نتيجتها، مجانًا بحسب غني نعمته الفائق:

> « بالرحمة والحق ُيفتدي الإثم » (أمثال ١٦: ٦ ترجمة كاثوليكية - فرنسيسكان - بيروت طبعة ١٩٦٠).
>
> by mercy & truth iniquity is purged
>
> [وكلمة purged تعني تطهير!]
>
> « ﺑﺬا يكفر إثم يعقوب، وإنما ثمرته محو خطيئة » (إشعياء ٢٧: ٩ الترجمة الفرنسيسكانية - بيروت). [وكلمة يكفر ترجمتها الإنجليزية القديمة كما يستعملها الكاتب purge أيضً].
>
> « فطار إلى واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومس ﺑﻬا فمي وقال إن هذه قد مست شفتيك **فإنتزع إثمك وكفر عن خطيتك** » (إشعياء ٦: ٦- ٧). [والترجمة الفرنسيسكانية : فأزيل إثمك].
>
> والنص في الإنجليزية في نسخة New King James :
>
> "Your iniquity is taken away, and your sin purged" أي تطهّرت ومُحيّت.

والكنيسة الملهمة قد أخذت هذا الفهم، أن التكفير هو تطهير ومحو الموت النجس. ففي صلاة القسمة للقديس كيرلس السكندري وهو يترنم بقصة إشعياء وتطهير شفتيه بالجمرة، التي ترمز لجسد الرب ودمه:

> « وكما طهّرت شفتي عبدك إشعياء النبي إذ أخذ السيرافيم جمرة بملقط من على المذبح... وقال له: إن هذه قد لمست شفتيك، ترفع آثامك ... **تطهر** جميع **خطاياك**. هكذا نحن أيضًا الضعفاء والخطاة عبيدك **تفضل طهّر** أنفسنا وأجسادنا، وشفاهنا وقلوبنا. وإعطنا هذه الجمرة الحقيقية **المعطيّة حياة** للنفس والجسد والروح، التي هي جسدك المقدس والدم الكريم اللذين لمسيحك »

وفي صلاة قسمة أخرى :

«حِل فينا بروحك القدوس، وطهرنا من كل إثم ورياء، وإجعل لنا **جسدك ودمك كفارة وفداء وتمحيصًا** [تطهيرًا كما للمعادن] **لكل ذنوبنا**» .

ويكمل PULLAN في تأملاته ودراسته لمعنى الكفارة في العبادة اليهودية:

> **« ذبائح اللاويين** لم **تذكر أبدًا على أ ا إسترضاء** لله **Appeasing، ولكنها كانت تغيّر من حال الشعب ليستطيع أن يتقبل نعمة الله....»** ص ٧٣.
>
> **« نظام الذبائح اليهودي لا يدل على أنه نظام يقوم على الاستبدال القانوني العقوبي Penal Substitution، والذي يعني موت الذبيحة لتتميم العقوبة بدلًا من الخاطى.** [هذه نظرية أنسلم الكاثوليكى، قرن ١١، وورثها عنه مارتن لوثر، قرن ١٦، وهما قد علما أن موت المسيح كان لإسترضاء عدالة الله وغضبه، الذي سببته إهانة الخاطي لهذه العدالة والقانون، وبـذلك يكون المسيح البديل العقوبي للخاطي Theory of Penal Substitution].
>
> التفسير بالقول أن فكرة الذبيحة هي فكرة إبدال قانوني عقوبي في الذبائح اليهودية ليس فقط خطأ واضحًا، بل السبب في إنحراف معنى الكفارة كلها ... » المرجع السابق ص ٧٣.

« والجدير بالذكر أن الذبائح اليهودية لم تُقدم أبد للتكفير عن خطايا تستحق الموت، في الشريعة اليهودية، بل عن **خطايا السهو فقط**. ولو كانت الذبيحة موت بديل للإبدال العقوبي لقُدمت عن الخطايا التي لها عقوبة الموت.» المرجع السابق ص ٧٤. [راجع عدد ١٥: ٣٠].

« التعليم بأن الله كان يسر برائحة الذبيحة، لم يكتب له أية إستمرارية في العبادة اليهودية المتأخرة » المرجع السابق ص ٧٦.

[وهذا ما كتبه بولس الرسول في عب ٩: ١٢- ١٤ و ١٠: ٤- ١٠]

والترجمة الإنجليزية لكلمة « غفران الخطايا » تشرح أن الخطية مرض، وأن غفران الخطية هو التطهر والشفاء من هذا المرض. المعنى إذن معنى « علاجي » وليس « قانوني » "The remission of sins".

والكلمة remission تستخدم عندما نقول أن حمـ ـي المريض قد ذهبت عنه The remission of fever، أو أن دواء الطبيب قد أوقف تطور الحالة، وأصبح المريض في حالة « غفران » وشفاء : The patient is in remission.

الخلاصة :

الإبدال وحمل الذبيحة للعقوبة، أي موت الخطية، هو عمل علاجي لمصلحة الإنسان، الذي قد مات فعلاً ويحمل نجاسة موت الخطية، التي تعزله عن فرح الإكتشاف والتمتع بحب الله وعشرته. **بالذبيحة، الله يُقدّم للمائت « دواء عدم الموت » وينضح عليه بالحياة بدلاً من الموت** : هذه هي الكفارة، ومعنى الذبيحة، والدم واهب الحياة، بالصورة الرمزية في ذبائح العهد القديم، والدم واهب الحياة في بذل الله لأنه فدية وكفارة وهدية لنا، حتى ما نقوم من موت الخطية. **الفداء والتكفير هو بحلول وإتحاد حياة اللاهوت** في **طبيعة الناسوت المائت،** حتى ما يتلاشي الموت الروحي (والجسدى) للأبد. **الفكر القانوني فكر دخيل على التعليم الكتابي الإنجيلى، ويحتاج لمراجعة ورفض تام لخطورته.**

الفصل الخامس

كفارة المسيح هي

التطهير الكامل من الخطية والموت

(العهد الجديد)

وبدخولنا في العهد الجديد فكت أختام ورموز الذبيحة والكفارة والفداء والفدية، التي كانت مختفية في العهد القديم: « ظل الأمور العتيدة » (عب ١٠: ١- ٢). لقد كان الخاطي يضع يده على الذبيحة فتنقل حياة الذبيحة (الجوهر الحقيقى) من الذبيحة إلى الخاطي المائت. وضع يد الخاطي كان إعلان قبول الحياة بحرية، مرة ثانية، بدلا من الحياة التي بدد ا الخطية. وكان الكاهن يتمم نقل الحياة هذا، بأن ينضح ويرش هذه الحياة على المتطهر، أو المقدسات التي كانت ترمز لكيان الإنسان في العهد الجديد.

لذلك كان التعبير « السلبي » عن إنتقال الحياة من الذبيحة إلى الخاطي هو : أن خطية الخاطى، أي موته (غياب جوهر الحياة) ينتقل منه إلى الذبيحة. سواء أكان التعبير السلبي أو الإيجابى، فقد شرحت الكنيسة الإثنين في التسبحة :

> « أخذ الذي لنا (موتنا ليقضي عليه ويبيده بالتمام)
>
> وأعطانا الذي له (طُهْرَ الحياة بدلا من الموت). »

ولذلك يضع أيض الكاهن اليد على الشخص المَعَمّد (أو الميرون المقدس بدلاً من وضع اليد) ليسلّمه عطية الروح القدس المحيى، ذاك الذي يأخذ من حياة المسيح

ويعطينا، كما قال الرب. ذا ينقل الكاهن الموت من الإنسان إلى ذبيحة المسيح، بالتعبير السلبى، (وذبيحة المسيح تحرق الموت لأ ا ب الحياة!!) وتنتقل الحياة من المسيح إلى الإنسان، بعمل الروح القدس. ولذا سمي سر الميرون : «ختم لا يمحي»، لأنه يطبع ويصوّر المسيح فينا للأبد. وقد ذكرت مجازات كثيرة تشرح عمل الرب الذي لا يمكن لأي لغة أن تشرحه أو تلم به. لذلك إستعمل الوحي المقدس مجازات مثل:

التكفير - التطهير - الغسيل (بالماء والدم والروح) - المصالحة - الشراء - مرشوشين بالدم - التقديس - التبرير - الفداء - ..... الخ. ويستعمل الوحي هذه المعاني كمرادفات وينسجها مَعًا في عبارات تشكل سيمفونية رائعة، تتلون فيها الأنغام، وتنسجم بالتمام، لِتُظْهر معنى واحد هام، وهو :

إتحادنا بالله وقبولنا للحياة بدلاً من الموت - وهذا ما درسناه في **معادلة « العدم الخلود»** التي **تلخص هدف الخلق كله.**

لذلك شرح هذا المعني، الأب كاليستوس وير، أسقف الدراسات الأرثوذكسية بجامعة أكسفورد، في عظة مسجلة له بعنوان Patterns of Atonement :

> « لعل أوضح عبارة ذكرت لتصف الكفارة والفداء، بأقل رمزية هي : **«الله كان** في **المسيح مصالحًا العالم لنفسه »** (٢ كو ٥: ١٩). والله لم يكن مخاصمًا للإنسان، بل الإنسان هو الذي إحتاج أن يعود إلى الله. هذا عمل المسيح ».

ويشرح هذا المعنى أيضًا اللاهوتي الأرثوذكسي ڤلاديمير لوسكي في كتاب:

Orthodox Theology - An Introduction p. 111

> « إن ضخامة العمل الذي قام به السيد المسيح، **لا يصح لنا إختزاله وتحديده بتفسير واحد ولا بتعبير مجازي واحد.** إن فكرة الفداء في حد ذا ا تفترض وجود معنى قانوني وهو عتق العبد المشتري أو دفع دين لمن دخل السجن لأنه لم يستطع دفعه. وأيضًا في تشبيه الوسيط الذي صالح الإنسان مع الله بذبيحة الصليب. إلا أن هذه الصور والمجازات التي قد

> إستعملها بولس الرسول، وكررها الآباء أحيانًا **لا يصح لنا أن نفهمها بصورة متحجرة مطلقة [لا يصح تحويلها إلى عقيدة رسمية!]** وذلك لأن فهمًا مثل هذا سوف ينشئ **علاقة قانونية** من حقوق مكتسبة أو ضائعة في علاقة الإنسان بالله. إنما يجب علينا أن ننظر إلى هذه المجازات والصور مع بقية المجازات الأخري كما ننظر إلى السطوح اللامعة والعاكسة المختلفة التي لجوهرة واحدة. والتي كل منها على حدة لا يمكنها أن توفيها حقها في الوصف والشرح. فالبشارات تصف لنا مثل الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف الضال. ثم مثل الرجل القوي الذي غلب عدوه وأخذ منه الغنائم، والمرأة التي كنست البيت ووجدت درهمها المفقود تحت التراب الذي كان يخفي صورة الله تحته. ثم الصلوات الليتورجية التي تعلمنا خاصة في أسبوع الآلام، صورة المحارب المنتصر الذي دمر أعداءه وكسر متاريس الجحيم... أما في وصف الآباء فهناك مجازات النار المطهرة والطبيب الشافي لجروح أحبائه... ثم أخيرًا صورة الذبيحة وهي أقوي من أي مجاز آخر، فهي تعلن تقديم دم المسيح بروح أزلى... »

المجازات في الكتاب المقدس الخاصة بالخلاص:

لعل أحد أسباب استخدام المجازات والاستعارات والأمثال هو أن نعمة الله أعظم مما يتصوره الإنسان. ويريد الله في نفس الوقت أن يعلن لنا محبته وأن يصف لنا هذه المحبة بشكل يستطيع الإنسان أن يفهمه ويقبله وأن يتحدث عنه ويمارسه، ثم يرتفع إلى الحقيقة الأزلية الأعظم من كل المجازات والأمثال المستعارة من الخليقة المادية. وكمثال لما نقول نقدم هنا بعض عبارات الكتاب المقدس التي تشرح مجازات الفداء والكفارة وتصف الكفارة بالتطهير والإغتسال من نجاسة الموت، بل ومصالحة الله للإنسان. **هذه عبارات مكثفة رقيقة تصور لنا حنان الله ورقته ولا تعطي لمن يقرأها بدقة أي إشارة إلى أن الكفارة تسديد قانوني لمصلحة إله يُسترضي بدفع ثمن، أو كرامة مهانة تطلب حقها من الإنسان :**

> « **غسلوا** ثيا م وبيضوا ثيا م في **دم** الخروف » (رؤ ٧: ١٤)
>
> « وهم **غلبوه بدم** الخروف » (رؤ ١٢: ١١)

« وأن **يصالح** به الكل لنفسه عاملاً **الصلح بدم** صليبه » (كو ١: ٢٠)

« صرتم قريبين **بدم** المسيح » (أف ٢: ١٣)

« قد **صولحنا** مع الله بموت إبنه » (رو ٥: ١٠)

« الله كان في المسيح **مصالحًا** العالم لنفسه » (٢ كو ٥: ١٩)

« لكن **إغتسلتم،** بل **تقدستم،** بل **تبررتم** بإسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو ٦: ١١)

« كنيسة الله التي **إقتناها بدمه** » (أع ٢٠: ٢٨)

« الرب الذي **إشتراهم** » (٢ بط ٢: ١)

« ذبحت **وإشتريتنا** لله بدمك » (رؤ ٥: ٩)

« قد **إشتريتم** بثمن فلا تصيروا عبيدًا للناس » (١ كو ٧: ٢٣)

« هؤلاء **اشتروا** من بين الناس باكورة لله وللخروف » (رؤ ١٤: ٤)

« متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح. الذي قدمه الله **كفارة** بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة » (رو ٣: ٢٤)

« ونحن **متبررون الآن بدمه** نخلص به من الغضب » (رو ٥: ٩)

« لكي **يقدسها مطهرًا** إياها **بغسل الماء** بالكلمة » (إف ٥: ٢٦)

« فكم بالحري دم المسيح **يطهر** ضمائركم » (عب ٩: ١٤- ١٥)

« بعدما صنع **تطهيرًا** لخطايانا جلس عن يمين العظمة في الأعالي » (عب ١: ٣)

« **طهروا** أنفسكم في طاعة الحق » (١ بط ١: ٥- ٩)

« ودم يسوع إبنه **يطهرنا** من كل خطية » (١ يو ١: ٧)

« الذي أحبنا وقد **غسلنا من خطايانا بدمه** وجعلنا ملوكًا وكهنة لله أبيه » (رؤ ١: ٥)

ويؤكد لنا بولس الرسول أن الله لم يطلب ولم يحتاج هو لذبيحة أبدًا، بل إستعمل لفظ « لم ترد ولم تسر بالذبائح »!! أي لم يسر برؤية الموت. ولكنه سُر بذبيحة إبنه لأجلنا ولنا وفينا وبنا، لأن المحصلة النهائية لهذه الذبيحة، ليس فيها موت لا لحيوان ولا لإنسان بل كلها حياة ونصرة كاملة:

> « لأنه لا يمكن أن **دم** ثيران وتيوس **يرفع الخطايا** [أي يُطهر من الموت] لذلك عند دخوله إلى العالم يقول :
>
> ذبيحة وقربانًا لم ترد ولكن هيأت لي جسدًا.
>
> بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر.
>
> ثم قلت هئنذا أجيء... لأفعل مشيئتك يا الله ...
>
> فبهذه المشيئة نحن **مقدسون** بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحد. (عب ١٠: ٤- ١٠)
>
> « وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم (حياة) نفسه دخل مرّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبديًا. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوشين على المنجسين [بموت الخطية النجس] يقدّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قَدم نفسه لله [ويقول: قَدمه الله لنا كفارة!] بلا عيب **يطهر ضمائركم من أعمال ميتة** لتخدموا الله الحي » (عب ٩: ١٢- ١٤).

تؤكد هذه الكلمات بلا أدنى شك أن التكفير هو « تطهير » برش الحياة والدم (للتقديس) على المنجسين بسبب الأعمال الميتة. ولا يوجد في تعليم بولس الرسول أي إشارة إلى إرتباط الكفارة والفداء بتسديد قانوني على الإطلاق. بل هي كلها دواء يطهّر الإنسان. ودخول المسيح إلى الأقداس بدم نفسه، هو تعبير مجازي عن دخوله إلى العالم بحياته: هذا كناية عن تجسده. لأن الأقداس هي هي كيان الإنسان الذي دخله وحلّ فيه اللاهوت بحياته، وألغي منه كل نجاسة الموت الذي تنتجه الخطية. وتقديم جسد المسيح مرّة واحدة، هو تعبير عن تقديم نفسه ذبيحة تطهير لنا بتَجسده، الذي قدّس بشريتنا ببشرية الله المتجسد كما قال غريغوريوس اللاهوتي - ولذا يشرح الوحي المقدس :

> « الذي قدمه الله **كفارة بالإيمان بدمه** » (رو ٣: ٢٥)
>
> « هو **كفارة** لخطايانا » (١ يو ٢: ٢)
>
> « أحبنا وأرسل إبنه **كفارة لخطايانا** » (١ يو ٤: ١٠)
>
> « كان ينبغي أن يشبه إخوته [نحن !!] في كل شيء... **حتى يكفر خطايا الشعب** » (عب ٢: ١٧- ١٨)
>
> « **مرشوشة** قلوبنا من ضمير شرير **ومغتسلة** أجسادنا بماء نقي » (عب ١٠: ٢٢)

في هذا كله الكفارة هدّية حب لنا، لتطهرنا من موت الخطية. وليس لله أي منفعة أو إسترضاء، ولا عقوبة تتم لمصلحة الله أبدًا، لتوفي عدالته حق ضائع ، كما علم الغربيون وفسروا بحسب ظلمة فكر الإنسان المتعطش للدماء، والذي لا يعرف الحب والمغفرة المجانية والعطية المحيية. **لذلك حوّل الإنسان معنى الهدية المهداة من الله للإنسان، إلى ثمن موت لإتقاء سادية الله ، مقدّم من الإنسان لله !!**

• • •

مَنْ الذي باع وَمَنْ الذي إشترى؟ :

إذا أخذنا بما ورد في « فهرس الكتاب المقدس » ص ٣٢٢ وجدنا أن فعل «شري» و « إشتري » ورد عدة مرات في العهدين، وفي كل مرّة يشتري أحد من الناس شيئ ويدفع الثمن للآخر. فقد إشتري فوطيفار يوسف ابن يعقوب (تكوين ٣٩: ١) وعاد يوسف وإشتري كل أرض لمصر ملك لفرعون (تكوين ٤٧: ٢٠). وكما نعرف الشراء والبيع هو بين طرفين واحد يملك ويبيع والآخر يشتري ويدفع الثمن. هنا يجب أن نتوقف ونسأل ما يفرضه الإيمان الأرثوذكسي نفسه :

أولاً : مَنْ الذي يملك الخليقة كإله خالق، خلق كل الأشياء من العدم؟ ليس الآب وحده ولا الإبن وحده وإنما الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس.

ثانيًا : مَنْ الذي يملك أن يبيع الخليقة لآخر لديه الثمن، الآب الذي يملك الخليقة وهو سيدها ور ا، مع الإبن والروح القدس؟ أم الآب وحده، أم الإبن وحده؟ كل هذه أسئلة تفتح لنا باب التساؤل مع الذين يتصورون أن الإبن إشتري الخليقة **بدمه من الآب أو أن الآب إشتري الخليقة بدم الإبن من الإبن** أو .... الخ!!! هذه التصورات لا وجود لها في الكتاب المقدس نفسه.

ثالثًا : ماذا يقول العهد الجديد نفسه عن شراء المفديين؟ يقول سفر الرؤيا عن تسبحة السمائيين « مستحق أنت ... لأنك ذبحت وإشتريتنا لله بدمك ... وجعلتنا لإلهنا ملوك وكهنة فسنملك على الأرض » (٥: ٩- ١٠). وبتأمل كلمات الوحي المقدس، نعرف أن الإبن هو الحمل القائم كأنه مذبوح (رؤ ٥: ٦)، ونعرف أنه هو الذي ذُبح... ولكنه لم يدفع الثمن للآب، بل إشترانا لله أي لنفسه وللآب وللروح القدس. هل يمكن أن نتصور أن الإبن إشتري من الآب والنص يقول أنه إشترانا لله، أي ناب عن الآب في الشراء، وبالتالي لا يمكن تطبيق قواعد الشراء والبيع، ولا يجوز لنا أن نقول أن الدم هو الثمن الذي دفعه الآب لأن الوسيط هو الإبن. **هذه الأفكار لا تجوز** بالمرة لأ ا في حقيقة الأمر لا تنسجم مع كلمات التسبحة « جعلتنا لإلهنا ملوكًا وكهنة وسنملك على الأرض » لأن الإنسان يستطيع أن يشتري العبيد والمواشي ... الخ، ولكنه لا يستطيع أن يشتري ملكًا وكاهنًا!! **هنا يجب أن نفهم أن الشراء هنا هو « إقتناء » وليس عملية تجارية** والقرينة تأتي من سفر الأعمال نفسه حيث يقول الرسول بولس :

«إحترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية ... لترعوا كنيسة الله التي إقتناها بدمه » (أع ٢٠: ٢٨). هو شراء الإقتناء والمُلك، وهو كما نعرف **شراء الخليقة الجديدة من الموت،** هو إقتناء وليس شراء بالمعنى التجاري !! والقرينة الثانية في عبارة الرسول بطرس « أما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة، شعب إقتناء لكي تخبروا بفضل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعبًا، وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون»

(١ بطرس ٢: ٩- ١٠). ما أعظم هذا الإقتناء لمن صاروا « شعب الله » لمن كانوا قبلاً « غير مرحومين » . هذا هو الشراء الذي يتحدّث عنه الرسول بطرس نفسه بعد ذلك، عندما يقول عن الأنبياء الكذبة « هم ينكرون الرب الذي إشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاك سريع » (٢ بطرس ١: ١).

وقبول تعليم الأنبياء الكذبة يحرم الذين يقبلون هذا التعليم من أن يكونوا « شعب الله » . وباقي كلمات الرسول تؤكد هذا المعنى خصوصًا عندما يتوقف الرسول عند الحرية الأخلاقية التي يتحدث عنها الأنبياء الكذبة « واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد. لأن ما إنغلب منه أحد فهو له مستعبد أيض » (٢ بطرس ٢: ١٩). وَمَنْ إقتناه الرب بدمه هو عبد للرب لا يملك الإنفلات الأخلاقي الذي يحذر منه الرسول لأن عبد الرب أو عبد المسيح وهو لقب رسول الأمم. هو هروب « من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص» (٢ بطرس ٢: ٢٠)، وهو ما يجعل سفر الرؤيا يقول عن « المفديين » ، «هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللحمل، وفي أفواههم لم يوجد غـ ـش، لأ م بلا عيب قدام عرش الله » (رؤ ١٤: ١٤). فكيف قيل هنا أن الشراء تم لمصلحة الله والحمل ... **هذه كلمات تؤكد حق الإمتلاك والإقتناء وليس ما يحدث في الحياة التجارية.** وعن هذا يقول الرسول بولس **« من دعي عبد في الرب وهو عبد فهو عتيق (حر) الرب »** وهذا عكس القاعدة القانونية والتجارية في العالم القديم!! لأن العبد لا يمكن أن يتحرّر بالإيمان، بل بمن يعتقه بدفع ثمنه لسيده الذي إشتراه من سوق النخاسة (العبيد). ولكن العبد هنا هو «عتيق الرب» هو سيد حر في مجتمع الخليقة الجديدة أي الكنيسة. ويكمل الرسول كلامه « كذلك أيض الحر المدعو هو عبد للمسيح » ويعكس الرسول القاعدة مرة ثانية. فالسيد هو عبد لكي يدرك أنه ليس سيدًا في الكنيسة!! ويختم كلامه مؤكد أن كل أعضاء الكنيسة « قد إشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيدًا للناس » (١ كور ٧: ٢٢- ٢٣). وإذا لاحظ القارئ فإن صيغة المبني للمجهول قد إستخدمها الرسول مرتين : المرة الأولي في (١كور ٦: ٢٠) والمرة الثانية (١كور ٧: ٢٣). وفي المرتين يؤكد الرسول الإقتناء لأنه في المرة الأولي يقول « جسدكم هو هيكل للروح القدس .. أنتم لستم لأنفسكم » والإنسان لا يشتري هيكلاً للروح القدس بل يتطوع به والله لم يشتر منا نحن البشر

حياتنا، ودفع لنا الثمن، بل هنا يظهر لنا قوة التشبيه وجماله لأن الحقيقة أعظم من كل العبارات البشرية. حتى لم يشتر الله شيئاً منا لكي يجعلنا هيكلاً له، بل كما أن الهيكل لا يجوز إستخدامه لغير الله ولغير العبادة ... هكذا صارت حياتنا هي لله وللعبادة. وفي المرّة الثانية كما لاحظنا، العبد حر في المسيح والحر عبد في المسيح ... وهذا لا يحتاج إلى تعليق لأنه من الواضح أن قاعدة البيع والشراء هي من المجازات التي يجب أن تخضع للتعليم العقيدي الأرثوذكسي الخاص بوحدانية جوهر الثالوث.

خضوع المجاز للعقيدة الأرثوذكسية :

وحدانية جوهر الثالوث وتمايز الأقانيم وطبيعة الثالوث الواحدة وتثليث الأقانيم ليس مجازاً بل حقيقة أزليّة نقترب منها في حذر شديد. لأن الحق يعلو على كل الرموز وكل الأمثال. ومهما كانت قدرتنا على الصياغة فإن ما نقدمه من أمثال ومجازات يجب أن لا يهدم الصياغة العقائدية نفسها، ولذلك يجب أن نفهم « الشراء » على أنه مجاز لا يقود إلى فصل أقانيم الثالوث أو تقسيم الجوهر الواحد إلى بائع ومشتري لأن هذا لا يتفق مع الإيمان الأرثوذكسي نفسه. فالشراء والبيع في الحب لهما معاني تختلف بشدة عن العلاقات التجارية. فإن قلت أنني « شاري » صديقي ، هذا يعني أنني أحبه بشدة، أما من « باع » صديقه فقد جفت محبته له ونسيه وأسلمه للعزلة.

• • •

الفصل السادس

ما معنى أن المسيح:

«صار لعنة لأجلنا» (غلا٣: ١٣)

و«جُعِلَ» خطية لأجلنا (٢كو٥: ٢١)

درسنا قبلاً أن اللعنة هي الحرمان من النعمة والبركة، وهذه الحالة المؤسفة ليست من صنع الخالق الذي يبارك خليقته. فإن كان يعقوب الرسول يعلّمنا أن اللسان البشري الذي « نبارك به الله » لا يصح لنا أن « نلعن به الناس الذين قد تكوّنوا على شبه الله » ، لأنه « من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة، لا يصلح يا أخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا » (يع ٣: ٩- ١٠)، فكيف ينسب البعض لله البركة واللعنة من قلب واحد؟!! إما أن الله يبارك الخليقة، وإما أنه يلعنها، ولكن لا يصح التعليم بأنه يعمل العملين معه !! لابد أن صيرورة المسيح « لعنة لأجلنا » لها معنى مختلف عن المعنى الظاهر من العبارة، وكذلك جعله «خطية لأجلنا»!! :

- **أولاً : ما لم يذكره الكتاب المقدس :**

لم يذكر الكتاب المقدس أن الآب لعن الإبن، وبالتالي فحشر هذه الفكر الغريبة (والتي علّم ا مارتن لوثر وحركة الإصلاح البروتستانتي كما سنرى في الجزء الرابع من هذا البحث) يحتاج إلى جهد خارق لإثبا ا، نظرًا لغيا ا عن نصوص الكتاب المقدس!!! وسوف ندرس معنى «وُضِعَ إثم جميعنا عليه» (إشعياء ٥٣) بعد قليل. وأيضًا كما درسنا سابقًا لم يلعن الله آدم ولا الخليقة، بل عبارة « ملعونة الأرض بسببك» (تك ٣: ١٧) لم توضح أن الله هو الفاعل بأي حال.

الإنسان هو الذي جلب وسبب اللعنة بسبب شره (راجع أقوال الآباء عن الحرية والموت وجهنم) فكيف يمكن أن يقال أن الآب صب لعنة وغضب على إبنه ليعاقبه

بدلًا منا على الصليب (مارتن لوثر) حتى ما يقتص لحق عدالته وناموسه؟!!!

بل نحن نعلم أن الرب يسوع عند موته طلب من الآب : « مجد إبنك لكي يمجـدك إبنـك أيضًا» (يو ١٧: ١). فهل كان موت الرب تقديسًا للبشرية وزرعًا للحياة، أم كان لعنة؟!

• **ثانيًا :** لم تكن الذبائح في العهد القديم مصدر لعنة، أو تحمل لعنة، بل قيل بنص واضح عن ذبيحة الخطية أ ا **« قدس أقداس »** (لاويين ٦: ١٧). وكان كل من يلمس هـذه الذبائـ ـح كان « يتقدّس » (لا ٦: ١٨)، والإنسان لا يستطيع أن يقدم لعنة، أو ذبيحة ملعونة، لله.

• **ثالثًا :** إذا كان الرب هو كمال تحقيق الذبائح فهو لا ُيحسب « لعنة »، بل « قدس أقداس »، لأنه هو **القدوس والذي يقدّس الكلّ.**

ولكن الرسول يقول فقط « إفتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا»، أي أنه قد **طهّرنا من لعنة الناموس، أي الموت، عندما حمل على نفسه موتنا. وقد حمل موتنا ليس كمُعَاَقب من قبل الله ، بل كما تحمل النار القش لتحرقه، حمل موتنا لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، كما علّم القديس أثناسيوس الرسو**لي في كتاب تجسد الكلمة - (راجع هذا في مواضع مختلفة في هذا الكتاب).

• **رابعًا :** أما نص العهد القديم الخاص بصلب القاتل، والذي ورد في (تث ٢١: ٢٢- ٢٣) فهو خاص بتعليق القاتل على خشبة، أو الصلب، ودفن القاتل في يوم موته؛ وذلك يكون لإزالة اللعنة حسب نص سفر التثنية **« لأن المعلق ملعون من الله »** (أي محروم منه) (٢١: ٢٣) وهو **« ينجس الأرض»** (٢١: ٢٣). وهنا ينبغي تفسير « صار لعنة » من خلال كلمات الكتاب المقدس نفسها، وليس من عبارات المفسرين الذين يتبعون المنهج الغربي القانونى، والغير كتابى.

فالقاتل مستوجب الموت، ولكن المسيح لم يكن قاتلًا بل «رئيس الحياة»، (أع ٣: ١٥). ولما لعن الرب التينة التي يبست، نفهم أن وصفها بأ ا ملعونة قد كتب ليشرح لنا أ ا كانت بلا ثمر ثم يبست، أي فارقتها هبة الحياة. وهناك أيضًا « ماء

اللعنة » (عدد ٥: ٢٧) والذي كان يستخدم في كشف الزانية، لأنه كان يحمل الموت، **والموت هو مرادف للعنة.** وبالتالي تصبح كلمات بولس الرسول « إفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا » لها معنى واحد، وهو أنه « إفتدانا من موت الناموس **إذ مات لأجلنا»، لكي** يميت **الموت، ويدوس الموت، ويقدّسنا** بموته **وقيامته؛ وليس بأي حال، « لكي يصب عليه الآب لعنته وغضبه ونقمته، لكي** يوفي **العدالة الإلهية حقها» كما يعلّم** المنهج **اللوثري** البروتستانتي **القانونى.**

« صار لعنة » و « جعله خطية » في اللاهوت الشرقي :

- **وهذا تعليق كليمنضس الإسكندري علي « صـــار لعنة لأجلنـــا » ممثلاً الفكر الشرقي :**

> « لأن الله لم يظلم المسيح عندما تألم، ولكنه أعلن عن فارق هام. وذلك لأنه لو حُكم على خاطئ بالموت صلبًا على شجرة، يكون ملعونًا... لأن خطاياه هي التي تسببت في تعليقه على الشجرة. وفي الوقت ذاته نعلم أن المسيح، الذي لم يكن في فمه غش، بل أرانا كل بر وتواضع لم يتعرّض لهذا الموت ذاته (موت العقوبة) ولكنه فقط حقق **ما تنبأ به الأنبياء عما ستعملونه أنتم (اليهود) بأنفسكم فيه. »** الرسالة ضد اليهود (A Short History of the D. of A., p. 28)

- **وأيضا كتب القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب تجسد الكلمة (فقرة ٢٥) :**

> « وإذا كان هو قد جاء لكي يحمل اللعنة التي وقعت علينا، فكيف صار لعنة إلاّ بقبوله الموت الذي يتبع اللعنة؟»
>
> (On The Incarnation - St. Athanasius - Mowbray London p. 54-55)

- **ويكمل القديس أثناسيوس الرسولي تعليقه على كيف صار الرب « لعنة » و « جعله خطية»** لأجلنا، في مقالته ضد الأريوسيين:

> « وعندما نسمع « صار المسيح لعنة لأجلنا » و « جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا»، فإننا لا نفهم (بسذاجة) من كل هذا أنه هو نفسه

قد صار لعنة وخطية، بل تحمّل اللعنة الموجهة ضدنا، كما قال الرسول إفتدانا من اللعنة، ومثلما قال إشعياء: حمل خطايانا.. لكي ما نستطيع أن نتحد به ونؤله.»
(Nicene and Post Nicene Fathers, Second Series - Vol. IV, p. 374)

« صار لعنة » و « جعله خطية » في اللاهوت الغربي :

- **نقرأ أيضًا فكر الغربيين** في **قول توما الأكويني للمقارنة :**

« بتألمه حقق كل متطلبات القانون ... وعدالة القانون ... المسيح حقق بآلامه وتسميره على الصليب (متطلبات العدالة) التي كانت على الإنسان لأنه أكل الثمرة متعدي على وصية الله »
.(A Short History of D. of A., p. 153)

- وفي **قول Gerson الكاثوليكي :**

« لا يمكن لله أن يسمح أبد بأن الشر لا يعاقب، لذلك وضع كل خطايانا وآثامنا على المسيح. الخطية كريهة جد ، لأ ا ين العدالة الإلهية، لذلك انظر إلى الله يتألم، ليسدد العقوبة الواجبة بسبب الخطية».
(A Short History of the D. of A., p. 169)

- وفي **قول مارتن لوثـ ـر :**

« ولما ألقيت عليه كل الخطايا ، جاء الناموس وقال: ليمت كل خاطئ. فإذا أردت أيها المسيح، كن مذنبًا **وتحمل كل العقوبة،** تحمل كل الخطية، وتحمل **كل اللعنة... لقد ألقي الآب على المسيح كل خطايا البشر**... وقال له... **إدفع الترضية** المناسبة عن خطايا كل البشر... فيأتي الناموس... ويهجم عليه ويذبحه. ذا العمل تطهر العالم كله من الخطية **وتم التكفير** عن الخطايا »
.(A Short History of D. of A., p. 199)

- وفي **عظة للواعظ الفرنسي الشهير المطران بوسويه Bossuet عام ١٦٦٠م قال** (من كتاب الله والشر والمصير - ص ٢٢٦):

> « كان الله يخمد غضبه بتفريغه. كان يضرب إبنه البرئ الذي كان يصارع غضب الله . هذا ما كان يجري على الصليب، إلى أن قرأ إبن الله في عيني أبيه أن غضبه هدأ تمامًا، فرأي أنه حان الوقت لكي يفارق العالم.»

فالآن قد رأينا مَعًا أن « صار لعنة » أو جعله « خطية لأجلنا » ، إنما هي وصف بولس الرسول عن تحمل المسيح لظلمنا وموتنا ولعنتنا نحن له، إذ علقناه على الصليب كملعون، وليس أنه قد صُبت عليه لعنة ونقمة وعقوبة من الآب. نحن نظلم، أما الله فليس بظالم، وحتى موضوع موتنا جميعنا في موت المسيح، أو **« تمام حكم الناموس فينا »** (رو ٨: ٤) فهذا يعني أنه حمل على أكتافه نتيجة شرنا، حكم الناموس، لكي يبيد هذا الحكم إبادة تامة وهو في جسد مثلنا. لقد تشرب في جسده الممثل لنا (لحم من لحمه وعظامه - أف ٥: ٣٠) هذا الحكم وأباد سلطانه، كما لو كان الحكم قد تم فينا جميعًا وإنتهي بالتمام. وهذا العمل هو ما شبهه أثناسيوس بحمل النار للقش لكي تحرقه تمامًا.

شرح القديس كيرلس الإسكندري لعبارة

« جُعِلَ خطية » (٢كور ٥: ٢١):

كانت سعادتنا فائقة عندما نشرت الجامعة الكاثوليكية في واشنطن رسائل القديس كيرلس الإسكندري في مجلدين في سلسلة The Fathers of The Church مجلد ٧٦ - ٧٧ عام ١٩٨٧. وكانت سعادتنا أعظم عندما وجدنا الشرح الشرقي الأرثوذكسي لعبارة الرسول بولس ، التي تعثر فيها الغرب، وجعل منها مسألة شائكة وسلاحًا يطعن ا عن جهل وحسن نية عقيدة الثالوث.

يقول القديس كيرلس في الرسالة ٤١ إلى أكاكيوس أسقف Scythopolis، وموضوع الرسالة هو ذبيحة يوم الكفارة في العهد القديم (لاويين ١٦: ٥)، وبعد أن يلخص القديس كيرلس ما يذكره سفر اللاويين يعلق على شعائر يوم الكفارة بقوله :

> « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع (٢ تيمو ٣: ١٦) وما يقوله الله يؤدي للخلاص. والذين يقدرون على أن يفهموا قوة الحق، يقابل عقولهم

جمال الحق ويشرق عليه نور معرفة سر المسيح.» ويكمل كلامه قائلاً « أما الذين لم يصلوا بعد إلى إدراك وفهم الترتيب (حسب الطقس) بل لازالوا يسيرون مثل الأعرج أو يلعبون مثل الأطفال وإختاروا هذه الموضوعات للجدل والتخمين، فعلينا مراقبتهم وتحذيرهم ومنعهم.» (ص ١٧٠ من الترجمة الإنجليزية مجلد ٧٦).

فما هو الموضوع الذي يلعب به هؤلاء الأطفال؟

يقول القديس كيرلس أنه بعد الإطلاع على رسالة أكاكيوس أدرك أن البعض يظن «أن الماعز أو التيس كان يقدم لله، الكائن على كل الأشياء، تقدمة وذبيحة، بينما الآخر كان يرسل إلى الصحراء لكي يقدم إلى شيطان نجس(*)...» (المرجع السابق) ويعترض القدييس كيرلس مؤكدًا :

« كيف يسمح الله والرب خالق كل الأشياء، الذي يعلو على كل فهم وكلمة والذي هو الله والرب بالطبيعة، أن يقبل أن يقدم تقدمة للخائن (المرتد) الشيطان، كما لو كان للشيطان قوة ومجدٍ تحتاج إلى الإرضاء؟ وهو الذي سمعناه يقول لنا بكل وضوح بواسطة واحد من الأنبياء القديسين «ومجدي لا أعطيه لآخر » (إشعياء ٤٢: ٨) (المرجع السابق).

ويقدم القديس كيرلس عدة نصوص من العهد القديم مؤكدًا كيف يبغض الرب عبادة الأوثان ولا يقبل أن يشاركه في مجده آخر ثم يشرح أن التيس الأول والثاني كلاهما رمز للمسيح إبن الله وهكذا يفسر الذبيحة الثنائية في يوم الكفارة:

« يرمز كلاهما إلى الإبن الوحيد الرب يسوع المسيح. وبملاحظة كيف يجب أن نتأمل بدقة - على قدر الإمكان - سوف نشرح هذا. حسب الناموس، كان التيس الأول هو ذبيحة خطية، لأن الأسفار الموحي ا في مواضع كثيرة تشبه الصديق بالحمل ومحب الخطية بالماعز. وما هو السبب؟ لأن الصديق مملوء بمجد الفضيلة ولذلك يعتبر مثمرًا، مثل الحمل الذي يقدم الصوف. أما الماعز فإنه يشبه نفس الخاطئ عارية وغير مثمرة وبلا

(*) بني البعض حتى في العصر الحديث هذا التفسير على معنى كلمة «عزازيل» وهي لا تعني بالمرة الشيطان أو روح نجس، بل تحمل عدة معاني حسب ترجمة مقطع الكلمة العبرانية «عزا» أي «قدم» « قوة» «عزة»... الخ.

> عمل صالح، وهو كحيوان أرخص من الغنم وغير مثمر ... ولذلك السبب نفسه قال ربنا يسوع المسيح «عندما يجلس إبن الإنسان على عرش مجده سوف يجعل الخراف على يده اليمني... والجداء على يده اليسري » (متي ٢٥: ٣١- ٣٣).
>
> وحسب الناموس كان التيس الأول يذبح ذبيحة خطية.. (لا ٢٢: ٢٣) وفي **موضع آخر يقول الله** **نفسه عن ذبيحة الخطية التي** **كانت تعطي للكاهن « يأكلون خطية شعبي » (هوشع ٤: ٨) أي يأكلون ذبيحة الخطية،** لأن الجزء المخصص للكهنة هو الجزء الذي كان يخصص أصلاً للرب (تثنية ١٨: ١- ٣). وهكذا صار المسيح قربانًا « لخطايانا حسب الكتاب » (١كور ١٥: ٣). ولنفس السبب نقول أنه دُعي خطية، حسبما كتب بولس الحكيم « لأجلنا جعله خطية وهو لا يعرف خطية» (٢كور ٥: ٢١) أي الله الآب. ونحن لا نقول أن المسيح صار خاطئًا، حاشا، هو بار، بل البر ذاته (أو هو عادل أو العدل ذاته).
>
> “but being just, or rather in actuality Justice”
>
> لأنه لم يخطيء، **ولكن الله** **الآب جعله ذبيحة لخطايا العالم.** لأنه «حسب مع أثمة » (اشعياء ٥٣: ١٢) وإحتمل الحكم الذي يناسب الأشرار. ويشهد النبي الإلهي الموحي له إشعياء ويقول « كلنا مثل غنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، ولكن الرب وضع عليه إثم جميعنا » و «لكنه تألم لأجلنا» و «بجلداته شفينا » (إشعياء ٥٣: ٦، ٤، ٥). ويكتب الحكيم جدًا بطرس « حمل خطايانا في جسده على الخشبة » (١ بطرس ٢: ٢٤). (المرجع السابق ص ١٧٣ - ١٧٤).

وكما تلاحظ أيها القارئ :

أولاً : ينفي القديس كيرلس بكلمات قاطعة أن ربنا يسوع المسيح صار خطية أو خاطئًا.

ثانيًا : يؤكد أن جعله خطية تعني ذبيحة خطية.

ويبقي سؤال هام أجاب عليه القديس كيرلس الإسكندري في نفس الرسالة وهو : كيف نفهم ذبيحة موت المسيح كذبيحة خطية؟ هذه هي كلمات إجابة القديس كيرلس :

> « كان من الضروري أن يحتمل الموت الذي ساد على كل الذين على الأرض بالتعدي في آدم وبالخطية ملك الموت علينا (رو ٥: ١٢- ١٧). ولكن كلمة الله الآب الغني في الرحمة ومحبته للبشر تجسد وتأنس في شكلنا نحن الذين تحت الخطية واحتمل نصيبنا. وكما يقول المعلم الماهر بولس « بنعمة الله ذاق الموت للجميع » (عب ٢: ٩) وجعل حياته فدية لأجل حياة الجميع، مات الواحد لأجل الجميع، لكي ما نحيا لله مُقدسين وبدمه نعود إلى الحياة (رو ٢: ١٢- ٢١) متبررين بعطية نعمته (رو ٣: ٢٧) كما قال الإنجيلي المبارك يوحنا «ودم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية » (١يوحنا ١: ٧). (المرجع السابق ص ٧٤).

ويكمل القديس كيرلس شرحه بعد أن يشرح شعائر يوم الكفارة قائلاً :

> «أما المسيح فقد دخل إلى قدس الأقداس ليس بدم تيوس وعجول ولكن بدم ذاته، فوجد فداءً أبديًا» (عب ٩: ١٢) **وقدس المسيح كما قلت الخيمة الحقيقية، أي الكنيسة وكل الذين فيها.** وعن هذا كتب الرسول بولس الموحي له من الله «وهكذا يسوع لكي يقدس الشعب بدمه تألم خارج الأبواب » (عب ١٣: ١٢)، وأيضًا « كونوا متشبهين بالله كأولاد أحباء إسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضًا وأسلم ذاته لأجلنا قربانًا وذبيحة لله رائحـــة طيبة » (أفسس ٥: ١- ٢). **ومن أجل إبادة الموت والخطية نعتقد بأن عمانوئيل هو التيس الذي ذبح وبموته** في **الجسد كان « حرًا » ضمن الموتى** Free among the dead (مزمور ٨٥: ٥) أي أنه لم يتلوث بالخطية **ولم يُستعبد لعقوبة الموت معنا** » (المرجع السابق ص ١٧٥).

وكما نلاحظ هنا :

أولاً : كان موت المسيح إبادة للموت.

ثانيًا : رغم أنه حمل خطايانا فإنه لم يتلوث ا.

ثالثًا : لم يستعبد المسيح لعقوبة الموت.

not subject to the penalty of death together with us.

ويشرح القديس كيرلس التيس الحي الذي كان يطلق حيا في البرية مؤكدًا ذات الشرح السابق :

> « وهكذا نراه في التيس الحي الذي كان يرسل إلى البرية في آلامه كإنسان، ولكن ليس في ألوهيته، وفي موته بالجسد، ولكن هو أعظم من الموت وفي قبره - حسب جنون اليهود - كما نعتبر نحن، ولكن تعجز بوابات الجحيم عن أن تأسره في العالم السفلي مع الموتي، لأن تلميذه يقول « لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولن تدع قدوسك يري فسادًا» (مزمور ١٥: ١٠ وأعمال ٢: ٢٧)، لأنه قام وأباد الموت، وقال لكل الأسري «اخرجوا وللذين في الظلام اظهروا» (إشعياء ٤٩: ٩) لأنه صعد إلى السماء لأبيه وصار في مكانة لا يصل إليها إنسان، وحمل خطايانا وصار كفارة لخطايانا. وهكذا يكتب يوحنا الموحي له للذين يؤمنون به « يا أبنائي الأحباء أكتب إليكم لكي لا تخطئوا ولكن إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط ولكن لخطايا العالم كله» (المرجع السابق ص ١٧٥- ١٧٦).

هل صار المسيح على الصليب خطية؟

يبدو لنا من عبارات القديس كيرلس وغيرها عند الآباء مثل الفقرة ٤٧ من المقالة الثانية في الرد على الأريوسيين (N & PN. Fathers 2nd series vol. 4, p. 374) للقديس أثناسيوس الرسولي أن فعل « صار » و « جعل » وغيرها من الأفعال تشرح حقيقة عمل المسيح ولا تنسب إلى شخص المسيح أي تحول في كيانه القدوس الفائق الذي يعلو على كل هفوات وشرور الإنسان قبل موته وفي موته وبعد موته. وكم هو شنيع أن نتصور أن كلمة الله الآب « القدوس الذي بلا شر » (عب ٧: ٢٦) قد صار، في أقدس لحظات رسالته وعمله وهي لحظات الموت على الصليب، أنه قد تلوث بالخطايا وتحول إلى آدم الأول وصار تحت

سلطان الموت والخطية. وهنا يجب أن نرى العلاقة العضوية بين الموت والخطية. فقد دخلت الخطية إلى العالم، حسب عبارة الرسول بولس، ومع الخطية دخل الموت. ولم يتوقف الأمر عند الموت بل **جلب الموت الخطايا كلها** وصار ذلك اللحن الحزين المؤلم :

خطية آدم - موت آدم - موت البشر - خطايا البشر ... فقد تحولت الحياة في ظل الموت أو حسب تعبير الإنجيل نفسه وإشعياء النبي « الجالسون في كورة الموت وظلاله » (متي ٤: ١٦) إلى دفاع دائم عن النفس والوجود على النحو الذي نراه في الجزء الأول من الرسالة إلى الوثنيين للقديس أثناسيوس وغيره من الآباء. صار الموت هو مصدر الخطية بعد سقوط آدم، وقبل سقوط آدم كانت الخطية هي مصدر الموت. وجاء المسيح لكي يفصل هذه العلاقة العضوية بين الخطية والموت، وذلك بقبول الموت على الصليب. **وبقبول الموت تحول الموت في المسيح إلى قيامة، ولم يعد الهروب من الموت هو باب الخلود، بل صار قبول الموت هو باب القيامة!** ولذلك في كلمات قاطعة يقول رب المجد نفسه عن شرط التلمذة « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها » (متي ١٦: ٢٤- ٥). ولا يوجد برهان أفضل من هذا عن دور الموت الأساسي في غرس خطايا كثيرة في حياة البشرية. نحن جميعًا نريد أن نخلص أنفسنا من الموت ونعبر عن ذلك بعدة طرق :

أولاً : كثرة المقتنيات.

ثانيًا : الطمع في السلطان والقوة.

ثالثًا : الإعتداء على الآخرين بشتي الطرق لكي نحيا نحن على حساب ضحايانا الذين نقتلهم معنويًا أو جسديًا لكي نحيا نحن ونتمتع بكل ما يملكون.

رابعًا : تصبح «الأنا» هي مركز الكون كله، وكل الخليقة تدور حول «الأنا»، وتصبح الخليقة مجرد وسيلة لإرضاء الأنا. وقد ضرب المسيح بقوة وبحزم على هذه النقطة الخطيرة « الأنا » وقال كلماته المحيية «إن إبن الإنسان لم يأت لكي يُخدم بل ليَخدِمَ ويبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مرقس

١٠: ٤٥). وإن أغفلنا الجزء الأول من العبارة عن ضرورة البذل في خدمة الآخرين عجزنا عن فهم باقي العبارة و يبذل نفسه فدية» لأن عدم البذل هو تحول النفس إلى صنم كبير وإله آخر.

ماذا تعلمنا الطقوس الأرثوذكسية عن علاقة الموت بالخطية؟

إذا كانت الرهبنة هي قمة من قمم الحياة الروحية الأرثوذكسية فإن بداية الرهبنة هو طقس رسامة أو تكريس الراهب والراهبة، وهو طقس « الجناز » وصلاة الموتي ، وهو دعوة واضحة إلى أن « الموت في العالم » قد جعل الراهب والراهبة صورة للمسيح المصلوب ولذلك السبب وحده وصف الرهبان والراهبات بأ م « لبّاس الصليب ». فقد لبسوا الصليب حياة وممارسة بأن قبلوا الموت لكي يخلع الموت نفسه في المسيح قوة الخطية، أي الرغبة في حياة منفصلة عن الله وحياة لها القانون الخاص ا وليس وصايا الله نفسه، وهي تجربة آدم الأول الذي أراد أن يصبح شريعة لنفسه بمعرفة الخير والشر حسب تصوره.

وجاء المسيح وفصَل بين الموت والخطية بالصليب وبالقيامة. قبل الموت وجرده من قوة الدمار التي تسيطر على قلب الإنسان وفكره إلى قوة بذل وعطاء، لأن هبة الحياة التي يسميها الرسول « ناموس روح الحياة في المسيح » تلك القوة التي تحول الموت نفسه إلى قوة عطاء « قد أعتقني من ناموس الخطية والموت » (رو ٨: ٢) لأننا عندما نموت مع المسيح « يتم فينا حكم الناموس»، أي نموت. وقوة كلمات الرسول هي في أن آخر هذه العبارة « يتم فينا حكم الناموس نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » أي نحن الذين لا نخضع لسلطان الموت الذي يجعلنا نتصور أن الحياة هي من الاحتفاظ بالحياة وسيطرة الجسد، بل بالروح ندرك أن الحياة هي في بذل لحياة حسب روح الحياة الذي أعتقنا من قوة الموت بالموت مع المسيح. ومفتاح هذا التفسير هو نشيد القيامة في كل الكنائس الأرثوذكسية القبطية واليونانية والأرمنية .. « بالموت داس الموت » . ولذلك السبب عينه يقول الرسول بولس أننا قد « متنا للناموس » ومات الناموس بموت المسيح على الصليب (راجع في دقة رو ٧: ٤ و ٦) وجاء إبن الله وحررنا من حكم الناموس أي حكم الموت.

الفصل السابع

الأصحاح ٥٣ من نبوءة إشعياء

في ترجمة Good News Bible الكاثوليكية توضيح رائع ومفتاح ممتاز لفهم هذا الأصحاح. الأعداد ١- ٩ تسبقها عبارة تدل على أن هذه الأعداد هي شرح « لوجهة نظر البشر » لمعاناة هذا العبد المتألم (الرب المتجسد) والذي يبدأ الحديث عنه من العدد ١٣ إصحاح ٥٢ - كما لو كان إشعياء ينظر إلينا ويحدثنا عن الفكر الذي يدور في أفكارنا نحن : **« يقول الشعب »** The people reply**....** ثم يبدأ **الأعداد ١٠- ١٢** (لنهاية الإصحاح) بعنوان: **« ويقول الرب »** The Lord says**...** . أي أن إشعياء يشرح رد الله الآب علينا لتصحيح ما قد حسبناه نحن عن طريق الخطأ!!! ولعل هذا يفهم أيضًا في النسخة العربية عندما يبدأ الإصحاح بـ « من صدق خبرنا...»، ثم نقرأ مفتاح الإصحاح في بداية العدد ٤، الذي يؤكد أن الأعداد ١- ٩ هي رؤيتنا نحن بحسب فهمنا البشري فيقول : « **ونحن حسبناه** مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً...»، مع أن الله لا يظلم ولا يذل ولا يحتقر ولا يخذل، كما في بقية الإصحاح، بل نحن الذين رأينا مذلة الرب، «فحسبناه» مذلولاً من الله !!! إننا نقتل القتيل ونسير في جنازته، **ونسقط ونعكس أعمالنا على الله ونتهمه هو بكونه الفاعل!!**

لقد بذل الآب إبنه لأيدينا، ليرينا أنه لم يعزه علينا، ولكننا لم نحتمل قوة نور القداسة، فأردنا أن نطفئه ونميته، لأنه ينخس ضمائرنا الشريرة بكونه بار محب وقدوس!!

ولكن بالرغم من شرنا وسحقنا وظلمنا له... بالرغم من إذلالنا وضربنا وإحتقارنا له... بالرغم من هذا الشر الذي ألقيناه نحن عليه (وليس الآب كما علّم مارتن لوثر!!) لم يضن الآب علينا بإهداء إبنه : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل

إبنه الوحيد...» لأيدينا، حتى ما يوصل لنا خبز الحياة وماء الحياة وينضح علينا بالخلود بدمه، كذبيحة الخطية التي كانت تمثل المسيح « دواء عدم الموت » بحسب تعبير مار إغناطيوس الإنطاكى.

وإذا ما تشرب جسده كل شرنا وشاركنا الموت، دخل الرب إلى فم الموت كما يدخل الطُعم فم الحوت القتال، ثم فجر الرب الموت وأباده بقوة لاهوته، كما شرح القديس غريغوريوس النيسي بمجازه الشهير عن عمل ذبيحة المسيح الكفارى.

وملخص الأعداد ١ - ٩ هو وصف إشعياء عن رؤيتنا لآلام الرب: محتقر ومخذول من الناس... محتقر فلم نعتد به ... **ونحن حسبناه** مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً ... ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها... وهو مجروح لأجل معاصينا... تأديب سلامنا عليه (أي مسئولية ومعاناة الحب الذي صنع سلامنا، حملها هو وحده) ظلم ... تذلل ... سيق إلى الذبح ... (ظننا نحن أن) الرب وضع عليه إثم جميعنا (للنقمة)...

والأعداد ٤ و ٥ في Good News Bible تبدأ بكلمة But ، «ولكن». كما لو كان إشعياء النبي يريد أن يقول :

> **« نحن حسبناه مذلولاً من الله الآب بكل هذا الظلم... ولكن الحقيقة ليست هكذا... نحن حسبناه معاقبًا كبديل لنا، من الآب (مارتن لوثر) ولكن ... هذا إفتراء يرجع لقصر نظرنا ولأننا نعكس قساوة قلوبنا السادية على الله نفسه.»**

ثم يأتي بنا إشعياء إلى الأعداد ١٠ - ١٢ ليوضح لنا أن نظرة الله لهذا الظلم الموجه لإبنه، نظرة تختلف وتعلو على كل ما نحلم به أو نتخيله:

> « قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه.. **الساكن في السموات يضحك، الرب يستهزئ م** ... أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون ... طوبي لجميع المتكلين عليه» (مز ٢).

وكما شرح داوود، هكذا أيضًا إشعياء، عن موقف الآب : فإن كنتم قد تآمرتم

وسحقتم الإبن ظلمًا، فالرب يضحك عليكم، لأنه قد دبر أن ينتقم من هذا الظلم بطريقة تفوق كل ما تصورتم !!! **أنتم تسحقون والرب سيحوّل السحق والظلم إلى مسرّة ونجاح وخلاص!! أنتم تزدادون شر ، ولكنه إذ ينتقم يُحوّل الشر إلى خير، والظلم إلى عدل وصلاح، ويحول العقوبة إلى خلاص.** إنه إله الصلاح، ينتقم بأن يغلب الشر بالخير، ولا يُغلب هو ولا يُجرب بالشر أبد ، مهما عظم شركم!! فها هو الآب يقول عن إبنه : « إن جعل إبني نفسه ذبيحة حب وذبيحة شفاء، ونضح عليكم أيها البشر بحياته ودمه، المسفوك بسبب ظلمكم، فهو سوف يصنع منكم ملكوتًا ونسلاً تطول أيامه بطول الخلود الأبدى!! إن جعل إبنى، بحريته، نفسه هدية ودواء لكم سوف يمحو ويزيل عنكم عار الخطية، ويكفر عن (يطهر) البشرية من الخطية التي سيتحملها عنكم، لكي يحرق الخطية ويمحوها كسحابة، وكغيمة يلاشيها. أما مسرتي فهي لأني سأحول السحق والظلم إلى حرية وحياة» :

الأعداد ١٠- ١٢

> « أما الرب فسرّ أن يسحقه بالحزن [لأن الإبن : من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهينا بالخزي - عب ١٢: ٢].
>
> **إن جعل** (الإبن ، وليس الآب هو الفاعل هنا) نفسه ذبيحة إثم يري نسلاً تطول أيامه، ومسرّة الرب بيده تنجح.
>
> من تعب نفسه يري ويشبع ... يبرر كثيرين ... يقسم غنيمة [ربح البشرية أثناء حربه مع الشيطان والموت] من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين».

ولكني قد سمعت العبارات تُقرأ خطأ، هكذا :

« أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن إذ جعل نفسه ذبيحة إثم.»!!!

وهذا الخطأ يصور الآب كأنه سادى، وأنه هو الذي يسحق بإرادته، بأنه جعل نفس إبنه ذبيحة غضب وعقوبة وهو مسرور بذلك!!! هذا يوضح خطورة السادية

الغربية القانونية التي تشوه الحب وتحّوله إلى انتقام وتشفي تستحي اللغة أن تصف مقداره!! (**« إنْ» - أداة الشرط - تشرح أمرًا مختلف تمام) .**

ما يقوله لنا الوحي في هذا الإصحاح إذن هو : البشر ظلموا الإبن المتجسد؛ والآب على مضض وافق؛ وضحك وإستهزأ بالشر؛ ثم غلب الموت والشر بإبنه بذبيحة الحب؛ وجعلنا ملكوتًا خالدًا؛ لأن الإبن جعل نفسه بحبه وبحريته ثمن خلودنا. أما هذا الثمن فقد أهداه لنا وفينا. و ذا سُر الآب: بعودتنا في حضنه.

- الكفارة إذن هي «تطهير» من الموت النجس الذي تجلبه الخطية...
- ليست الكفارة ــ بحسب الكتاب المقدس والآباء الأرثوذكسيين ــ موتاً لتتميم «عقوبة بدل عقوبة»، كما يعلّم اللاهوت البروتستانتى، بدون سند من الكتاب المقدس.

الجزء الرابع

الكفارة والفداء

عبر تاريخ الكنيسة
بين الفكر الشرقي والفكر الغربي

الفصل الأول

العقيدة
وتفسير (شرح) العقيدة

كثفت الكنيسة الملهمة عصب الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بكلمات قانون الإيمان في القرن الرابع. وقانون الإيمان لم يذكر إلاّ ما هو في غاية الأهمية فقط، أي العقيدة المسيحية الجوهرية التي تظهر لنا مَنْ هو الله وما هو عمله وعلاقته بالخليقة، منذ الخلق وإلى الأبد!!

ولكن الكنيسة عبر العصور كان عليها أن تفسر وتشرح هذه العقيدة، وتقدمها بصورة حيّة لكل جيل، بإستعمال لغة هذا الجيل وتعبيراته اليومية، حتى ما يتلامس الإنسان مع الحقائق الإلهية ويتحسسها بقوة وفاعلية حيّة.

فكل مَنْ يؤمن بقانون الإيمان، الذي تم وضعه في مجمع نيقية المسكوني ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية ٣٨١م، يؤمن بالثالوث القدوس وعمل الخلاص والفداء والكفارة، ويؤمن بدور الكنيسة في التاريخ وبالقيامة وحياة الدهر الآتي... آمين.

وعقيدة الخلاص والفداء والكفارة ملخصها كلها في :

> « هذا الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس.. تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السموات .... »

أي أن العقيدة هي في الإيمان **« بالتجسد والموت والقيامة »** التي لمسها وتأكد من تاريخيتها الآباء الرسل الأطهار وسلّموها لنا، ويشهد لنا ا الروح القدس في حياة الكنيسة. تلك الأعمال، التي قام ا إبن الله الكلمة المتجسد، هي حقيقة « عمل واحد » لا يتجزأ ولا ينفصل، إلاّ عندما نشرحه باللغة البشرية، التي تتطلّب التحليل الفكري للتعبير عما هو فوق الزمن والتاريخ. فكما أن أجهزة الجسم البشري (الجهاز التنفسي، والهضمي، والدوري والعصبي... الخ) لا يمكن فصلها أبدًا، بل هي جسم واحد يحيا حياة واحدة بدون تجزئة، هكذا الحال مع تجسد الرب وموته وقيامته. والكنيسة الأرثوذكسية التي تعي جيد أن الله، وأعماله، لا يرتبط بالزمن وسلطان الزمن، علمت أن **الفداء قد** تم **فعلاً بتجسد ابن الله، وليس فقط على الصليب،** كما هو الحال في التعليم البروتستانتي القانونى!! فنقول في القداس أن الموت قد هدم وأعطينا الحياة بمجرّد حدوث التجسد، لأنه ذا العمل، « غير الزمني»، رأت الكنيسة تمام الإتحاد، وتلامس الحياة التي في لاهوت المسيح مع الموت الذي من خصائص الطبيعة البشرية. **أما الموت والقيامة، فهما « الوسيلة » التي ا أعلن الله المتجسد نجاح عملية « نقل الحياة » للإنسانية التي تقدّست بإتحادها بطبيعة اللاهوت الحي :** Life transfusion. فالتجسد والإتحاد هما تتميم تنازل الله وإخلاء الإبن لذاته، هما تتميم ذبح حمل الله المذبوح بحبه لنا قبل إنشاء العالم!! ولكي يعلن إتمام هذا العمل «العلاجي » للطبيعة البشرية، كان ينبغي أن يؤكده لنا بأن يرينا فرح قيامته المجيدة، **ونشهدها بالعيان،** ونشهد لها بالدم نحن أيضًا. ولكن كيف تكون القيامة من الموت بدون العبور من بوابة الموت؟! كيف يعلن لي ولنا، أن لي ولنا كلنا رجاء تام، أننا نحن أيضًا لن نبقي للأبد في قبضة الموت الأبدي بعد موتنا بالجسد؟! لذا كان ضروريًا جدًا أن يموت الرب بالجسد، بالحقيقة، ويشهد ويكتب شهادة وفاته مسئول السلطات الرومانية، قائد المئة الذي طعنه بالحربة، وشهد عن تجلط دمه، وإنفصال هذا الدم إلى جلطة دموية وسائل مائي (Blood Clot & Serum) بحسب لغة الطب الحديث.

وأيضًا شهد على موته الأكيد أعداءه، مجمع كهنة اليهود. ولذا طالبوا بحراسة قبره، لأنه قطعًا مات وتأكدوا من ذلك. هذا كله ليؤكد لنا **« الشركة الكاملة »** معنا حتى الموت، موت الصليب. وهذا كله أيضًا حتى عندما نتأكد من قيامته تاريخيًا

وبدون شك، ويشهد لها الرسل ومئات من الأشخاص (أكثر من خمسمائة شخص - ١ كو ١٥: ٦) نتأكد ونؤمن أن قيامته سوف تحدث لنا وفينا نحن أيضًا بكل يقين... نتأكد من أنه قد زرع فينا الحياة الأبدية والخلود بالحقيقة واليقين، ويتشدد إيماننا ورجاؤنا، وتتقوى محبتنا لهذا الفادي والمخلص، الذي تنازل ليرفعنا، ومات ليقيمنا، وقام ليمجدنا وتمجد ليدخلنا إلى حضن أبيه وأبينا للأبد... حين يكون الله الكل في الكل (١كو ١٥: ٢٨). آمين.

حدوث التجسد والموت وقيامة الرب هم جوهر ولب عقيدة الخلاص والفداء والكفارة. [ومن يؤمن ذه لا يمكن أن يقال عنه أنه ينكر الكفارة، إذا لم يقبل تفسير أنسلم الكاثوليكي (قرن ١١) ومارتن لوثر قائد الفكر البروتستانتي (قرن ١٦)].

أما تفسير وشرح العقيدة فهو محاولة الكنيسة عبر العصور إستعمال تشبيهات ومجازات من الحياة اليومية لوصف : « كيف » و « لماذا » قدّم الرب المتجسد هذا الخلاص عندما تجسد ومات وقام. التفسير هو خطوة ثانوية بالنسبة للمؤمن فيها يتأمل المؤمن، والكنيسة، في معاني التجسد والموت والقيامة التي لمخلّصنا الصالح، وصعوده بجسدنا وكياننا إلى يمين الآب.

فالمسيحيون يؤمنون جميع ، سواء أرثوذكس أو كاثوليك أو بروتستانت، بالتجسد والموت والقيامة، وأن بدو م ما كان خلاص الإنسان ممكنًا. **ولكن التفسير اللاهوتي عند هذه الكنائس الثلاث يختلف لأسباب كثيرة، أكثرها يرجع إلى الإختلاف الحضاري والأحداث التاريخية والسياسية التي مرّت ا هذه الكنائس عبر التاريخ.**

وهدف هذا الجزء من البحث هو تلخيص ما قد درسته في كتب عديدة عن الإختلاف في التفسير بين الشرق والغرب؛ عندما تأكدت أن النقد الموجه للفكر الغربي القانوني في تفسير الكفارة، ليس نقدًا هيّنًا. ولكن نشكر الله أن هذا الفكر القانوني بدأ في الإنقشاع. واللاهوت الكاثوليكي والأنجليكاني وحتى بعض البروتستانت آخذون بالبحث في أعماق الفكر الآبائي لإخراج جواهره، بدلاً من لاهوت العصور الوسطي المظلم.

الفصل الثانى

المجاز في اللاهوت
الشرقي والغربي

كتب اللاهوتي الكاثوليكي جبريال دالي، مدرس اللاهوت بـ Trinity College Dublin ، في كتابه « الخلق والفداء » مقدّمة هامة عن تاريخ تفسير الفداء، وأهمية المجاز واللغة البشرية في شرح العقيدة:

(Creation & Redemption p. 169-176)

« بدون التعبير المجازي، لكان نقل التقليد والتعليم اللاهوتي مستحيلاً... والمجازات هي نتاج الحضارة، والحضارة تتغيّر...

يبدو أنه لم يكن هناك من نظريات وشرح فلسفي مفصّل للمعني العالي عن « ماذا » فعل المسيح بالضبط، عندما تألم ومات على الجلجثة [أيام القرون الأولي للمسيحية، عندما كان الإهتمام الأول هو تأكيد طبيعة المسيح من جهة اللاهوت والناسوت وإتحادهما].

ولكن كان هناك إجماع [عند الآباء] على أنه مهما كان العمل الذي عمله المسيح، **فقد عمله « لأجلنا » ... لا توجد عندنا نظريات فلسفية من العصور الأولي للمسيحية عن هذا العمل.** ولكن عندنا عدة كتابات مركزة حاولت وصف آلام السيد المسيح بصورة **تشبيهات**... لم تكن هناك نظريات متضاربة بل تشبيهات ومجازات لعرض الموضوع. وقد كان كُتاب العهد الجديد هم المصادر الأولي لهذه الأمثلة...

والعمل الضخم الذي يواجه الدارسين، والكارزين، بالتعليم الخلاصي

> Soteriology في العالم المعاصر، هو عمل حقًا صعب. **فنحن لابد أن نكتشف عنصر الأصالة غير المتغير في التقليد، ونقدمه بلغة العالم الحديث،** والذي قد تغيّر بشدة في القرون الأربعة الأخيرة... نحن لن نعيد « إختراع العجلة »، ولكننا أيضًا لا يمكننا إستعمالها بصور ا البدائية... نحن نحتاج لإعادة صياغة وشرح المجازات والصور والتشبيهات الموجودة في الكتاب المقدس والتقليد بصورة مفهومة ومقبولة لعصرنا Relevant. تمامًا كما فعل المسيحيون الأوائل، بالتشبيهات والمجازات الخلاصية المذكورة في الكتاب المقدس».

ويجدر بنا هنا أن نؤكد أن مجازات « البيع والشراء » في الحب ليس لها أبدًا ذات المعني في العمل التجارى!! فإن قلت أنني إشتريت أبنائي بحبي وحياتي، لا يعني هذا إلا أنني أبذل كل مجهود ممكن حبًا فيهم، ولكن لا يوجد هنا ثمن قانوني يدفع ولا قابض مستلم، ولا إيصال إستلام بالمعني الحرفى!! وأما أن أبيع صديقًا، فهذا يعني أنني فقدت حبي له وأهملته.

فمثلاً مجاز « الفدية » ذَكَره الرب ليصف نفسه، على أنه جاء ليخدم أحباءه وليس لكي يخدموه هم (مت ٢٠: ٢٨ ومكرر في مر ١٠: ٤٥) وإستعمله بولس الرسول مرة في (١تي ٢: ٦). وقد تكرر هذا المجاز في العهد الجديد مرّة أخرى في (١ بط ١: ١٨). وأما كلمة الخلاص بمشتقا ا، فتملأ صفحات العهد الجديد، وذلك لأ ا الكلمة الأشمل لعمل الرب المتجسد. بل ولم يذكر العهـ ـد الجديـ ـد لقـ ـب « فادي » أو « الفادي »!! وفي هذا الصدد كتب George Florovsky ، اللاهوتي الأرثوذكسـ ـي وعميد معهد St. Vladimir Seminary السابـ ـق، فـ ـي كتابـ ـه Creation and Redemption ص ٢٨٢ في أحد الهوامش الهامة :

> « **لا يوجد** في **الكتاب** المقدس **دليل قوي** يحبذ **دفع فدية** بالمعني **الحرفي.**
>
> والكلمة باليونانيـ ـة λυτρον تعني حقًا « فديـ ـة ». ولكن الكلمة إستعملت في العهد الجديد مرة واحدة فقط (مت ٢٠: ٢٨) وفي تكرار نفس النص (مر ١٠: ٤٥).

> والتركيز الأساسي في هذا الاستعمال هو على فكرة التحرير والعتق في عمل المسيح، أكثر منه على فكرة الإفتداء بتقديم ثمن بالمعني الحرفي. المعني الرئيسي للفعل λυω هو التحرير والعتق to loose or set free.
>
> وإستعمال الكلمة في (١تي ٢: ٦) « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » أو لو ٢٤: ٢١ و تي ٢: ١٤ و ١بط ١: ١٨، لا تعني بالضرورة معني دفع فدية ransom كهدف»

ويكمل جبريال دالي في كتابه السابق (Creation & Redemption p. 176):

> « لا بولس الرسول ولا كُتاب العهد الجديد حاولوا التساؤل عن : «مَنْ هو الذي إستلم الفدية » . لقد كانوا مكتفين بإستعمال المجاز كمجاز، بدون التمادي في الصورة بطريقة تحملها فوق ما تحتمل ولكن هناك آباء لم يتمكنوا من ضبط أنفسهم وتمادوا في **السؤال اللاهو**تي **القاتل : «** لمن **قدمت الفدية؟!»**
>
> والبعض استنتج إ ا لابد أن تكون قد دفعت للموت أو الشيطان بصورة حرفية [كعقيدة!]. وهم ـذا فتحوا طريق من التساؤلات المنمقة، غير الإنجيلية، بل وتدخل تحت بند الأسطورة. وبذلك بدأت فكرة : **«حقوق الشيطان»** [وأشهرهم هنا : أوريجانس وغريغوريوس النيسي وأمبروسيوس]

وكما قرأنا سابق فكر غريغوريوس اللاهوتي الذي رفض هذا التعليم بشدة قائلاً في أهم أقوال الآباء عن الكفارة ومقدمها ومستلمها وكيف نفسرها :

> « لمن قدّم ذلك الدم الذي سفك لأجلنا؟ بل ولماذا سفك؟!...
>
> إن قلنا للشيطان، فهذا أمر فظيع، هل يأخذ اللص فدية، ليست فقط من الله، بل إن الفدية هي الله ذاته! وهل يطلب هذا الثمن أجرة لإستبداده حتى يطلق سراحنا؟!
>
> أما إذا كان الثمن قد دفع للآب، فأنا أسأل أولاً: كيف؟ لأن الآب لم يمسكنا كرهينة. لماذا إذن سُر الآب بدم إبنه الوحيد، وهو الذي لم يقبل

> إسحق حين قدمه إبراهيم ذبيحة محرقة كاملة، بل بدل الذبيحة البشرية بكبش؟
>
> أليس الأمر واضحًا، أن الآب قد قبل الذبيحة، **ليس لأنه طلبها أو كان** في **إحتياج إليها، ولكن لأجل تدبيره: لأن الإنسان لابد أن يُقدس بإنسانية الله،** والله نفسه يجب أن يخلّصنا بأن يغلب المستبد بقوته هو، وأن يردنا إليه بواسطة الإبن الذي يفعل هذا كله لمجد الله الذي أطاعه الإبن في كل شىء... ما تبقي من الحديث سنعبره في صمت مقدس...»
>
> (The Mystical Theology of the Eastern Church, p. 152)

اللاهوت السلبي Apophatic Theology :

حسب دراسة أستاذ اللاهوت السابق، في معهد القديس سرجيوس، ڤلاديمـير لوسكي The Mystical Theology of the Eastern Church تَميز لاهوت الشرق بما يعرف باللاهوت السلبي، وهو اللاهوت الذي **يعلو على كل الأمثلة والمجازات والرموز** مؤكدًا أن كل ما يقال يجب أن يفهم على النحو التالى:

أولاً : أنه يشير إلى السر الفائق الذي ُتعبر كل الألفاظ والكلمات والرموز عن جوانب منه **وتترك الحقيقة الفائقة لعمل الروح القدس** في **القلب.**

ثانيًا : أن لا تتحوّل الرموز والإعلانات والأمثلة والمجازات والإستعارات إلى أوثان تغلق الإدراك وتجعل الإنسان غير قادر على إستيعاب السر لأنه يريد **الإحتفاظ بالتعبيرات اللفظية ويحولها إلى أوثان يعبدها.**

اللاهوت الإيجابي Cataphatic Theology :

يشرح هذا اللاهوت إيجابيًا وبشكل واضح رد الكنيسة على الهرطقات والإنحرافات الإيمانية، فهو يرفض الخطأ ويرد عليه ويفنده ويشرح خطورته على علاقة الإنسان بالله. **ولكنه لا يشرح الحق نفسه لأن نفي الإنحراف شيء وتحديد الحق شيء آخر.**

ولذلك فإن الكنيسة، بالرغم من حر ا الشديدة ضد الهرطقات (التي كانت ترفض أو تقلل من إتحاد اللاهوت بالناسوت، مع بقاء كل منهما واضحًا قائمًا ومميزًا) لم

تشرح الكنيسة حقيقة كيف إتحد اللاهوت بالناسوت!!! لأننا لا يمكننا إدراك هذا السر الإلهي بالتمام. ولكن رفضت الكنيسة أن يكون هذا الإتحاد بصورة يتلاشي فيها اللاهوت أو الناسوت في شخص الرب، أو لا يكون الإتحاد كاملاً ودائمًا. فقالت كما علّم كيرلس الإسكندري عمود الدين، أن طبيعة اللاهوت قد إتحدت بطبيعة الناسوت هكذا:

> « أمين. أمين. أمين. أؤمن. أؤمن. أؤمن، أن هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه إبنك الوحيد... **وجعله واحد مع لاهوته،**
>
> بغير **إختلاط، و**
>
> بغير **إمتزاج ، و**
>
> **بلا** تغيير **، و...**
>
> **بلا إفتراق** ولا حتى لحظة واحدة ولا طرفة عين.... »

• • •

الفصل الثالث

أقوال الآباء الشرقيين عن الفداء والكفارة

١ - القديس إغناطيوس الأنطاكي (استشهد في ١١٠م) :

وفي حواره مع تراجان الإمبراطور قبل اسشهاده :

« تراجان : ومن هو حامل الإله Theophorus ؟

إغناطيوس : الذي يسكن المسيح في قلبه.

تراجان : وهل نبدو لك نحن أننا لا نحمل الآلهة في عقولنا، بل ونتمتع بمعونتهم لنا في الحروب ضد أعداءنا؟

إغناطيوس : أنت تخطئ إذ تسمي الشياطين آلهة الوثنيين بأ م آلهة. هناك، بالحقيقة إله واحد، خالق السموات والأرض والبحر وكل ما فيها، وإبنه الوحيد يسوع المسيح، الذي أتمتع بصداقته!

تراجان : أتعني ذلك الشخص الذي صلب أيام بيلاطس البنطى؟

إغناطيوس : نعم أعنيه هو، الذي **أباد الخطية مع مخترع الخطية** (الشيطان)، ذاك الذي أدان كل شر الشيطان، **وجعل الشيطان** تحت **أقدام أولئك** الذين يحملون شخصه (شخص الرب) في قلو م.

تراجان : هل أنت إذن تحمل المسيح بداخلك؟

إغناطيوس : بكل تأكيد، لأنه مكتوب سأسكن معهم وأسير معهم»

(The Faith of the Early Fathers, vol. 1, p. 27)

وفي هذا الحديث يعلن مار إغناطيوس أن الفداء هو إبادة الخطية وغلبة الشيطان وجعله تحت أقدام المؤمنين. ولم يتحدّث مع الإمبراطور الروماني عن عدل أهين وكرامة تطالب بموت!

وفي Patristic Doctrine of Redemption ، كتب Turner أن القديس مار إغناطيوس الأنطاكي هو معلّم التعبير الشهير، أن جسد الرب ودمه هو (p. 27) :

« ترياق، أي دواء عدم الموت » The Medicine of Immortality. وهو ذا يلخص مفهومه ولاهوت عصره، عن معني الذبيحة وعملها هو معني **علاجي** أولاً وأخيرًا. وأن الذبيحة هي هدية **حياة** من الله إلى الإنسان، وليس في الذبيحة أي معني قانوني، سوي محو العقوبة، أي التطهير من مرض الموت النجس.

٢ - القديس پوليكارپوس (القرن الثاني الميلادى) :

وقد كتب Turner في المرجع المذكور .P.D. of R في p. 33 :

> « كتب پوليكارپوس في رسالته إلى أهل فيلبي، معلقًا على نبوة إشعياء: **لقد تحمّل الرب كل هذا لأجلنا حتى ما نحيا** نحن. ليتنا إذن نتمثل بقدرته على الاحتمال، حتى إذا ما تألمنا لأجل اسمه نمجده. لأنه صنع هذا **ليكون مثالاً** نحتذيه كمؤمنين به.»

٣ - القديس يوستينوس الشهيد (١١٠ - ١٦٥م):

وقد كتب في دفاعه الأول الموجه إلى مجلس الـ Roman Senate يشرح عمل السيد المسيح لأجلنا: (Faith of the Early Fathers vol. I).

> « وظهر بالحقيقة.. بأن تجسد من العذراء وبإرادة الآب، لأجل خلاص أولئك المؤمنين به، لقد سمح لنفسه أن يعامل بكل إحتقار، **وأن يتألم لكي بموته وقيامته ينتصـــر على المـــوت ..»** (p. 55)

وفي دفاعه الثاني كتب وقال :

> « لأنه صار إنسانًا لأجلنا، حتى **بإشتراكه** في **آلامنا يستطيع أن يشفينا منها** » (p. 57)

فالموت عند يوستينوس هو مرض وألم يحتاج للشفاء، وليس عقوبة م لة من الله نفسه؛ وإلا فلماذا يقدم هو الشفاء، إن كان بإرادته قد نزل على الإنسان الداء بنفسه؟!

٤ - القديس إيريناؤس أسـقف لـيون (مولود في آسيا الصغري، ١٤٠ - ٢٠٢م):

للقديس إيريناؤس رؤية واضحة عن أن **التقديس بالإتحاد**، بين الله **والإنسان، هو عمل الفداء** في **الأساس**. وذلك لأنه بالإتحاد بين الله والإنسان حدث ما هو مشابه لعملية « نقل الدم » ، أو بلغة أواخر القرن العشرين عملية « نقل الچينات » التي تحمل صفات المتبرع ا Genetic Engineering!! لأن غير المائت هو وحده القادر بالإتحاد بالمائت (أي الإنسان) أن يعطي للمائت صفة الخلود وعدم الفساد، ولا توجد طريقة أخرى :

> « لقد جاء ليصنع خلاص الكل من خلال شخصه ذاته - أقول الكل، لأن الكل قد تجددت **خلقتهم** في **الله من خلاله** (أي الرب المتجسد) - الأطفال والرضع، الشباب والكبار أيضًا. لقد مر بكل عمر ... ليقدّس الكلّ ... ثم [ذه المشاركة] إختبر الموت ذاته، لكي يكون بكرًا قائمًا من بين الأموات، ويكون بكرًا بين كل الخلائق، فهو أصل ومنشئ الحياة (Faith of the Early Fathers. p. 87, vol. 1) «
>
> « **لقد** جمع في **نفسه الإنسان كله**، وصرنا نري الذي لا يري، الغير المدرك صار مدركًا، الغير قابل للألم ، صار قابلاً للألام. الكلمة صار إنسانًا **ليجمع كل الأشياء** في **شخصه** » (F. of E. F. p. 91).
>
> **« بالآلام صالحنا مع الله »** (F. of E. F. p. 92).
>
> « **لقد وحد الإنسان مع الله.** لأنه إن لم يغلب الإنسان العدو، لما أمكن أن **يهزم العدو حقًا**» [أي أنه بقوة الله المتحدة بالناسوت غلب الإنسان

> الشيطان - بالإتحاد] (F. of E.F. p. 92)
>
> « كلمة الله، يسوع المسيح ربنا، بسبب حبه العظيم لنا، صار مثلنا، لكي ما يصيرنا نحن مثله What He Himself is» (F. of the E. F. p. 99)

والعبارة ذا ا يذكرها العديد من اللاهوتيين بصور ا التي ذكرها القديس أثناسيوس الرسولي في القرن الرابع :

> **« لقد صار الله إنسانًا، لكي يصير الإنسان إلهًا.»**
>
> (The Mystical Theology of the Eastern Church p. 134)

٥ - كليمنضس الإسكندري (١٥٠- ٢١٦م) :

من كتاب :

(Grenstead, A Short History of the Doctrine of the Atonement - 1920, Oxford.)

ويشرح لنا هذا القديس إدراكه المصري الشرقي الصميم عن عمل الذبيحة العلاجي كتطهير للإنسان:

> « لقد شرب الرب وحده الكأس (كأس الآلام) وذلك **لكي يُطهر** (ذه الآلام) هؤلاء الذين تآمروا عليه ولم يؤمنوا به » p. 27 .
>
> « وهو كفارة عن خطايانا، كما يقول يوحنا، وذلك **لأنه يشفي** أجسادنا ونفوسنا أيضًا» (p.27).
>
> « **لقد صَلَبَ الموت بإعطاء الحياة،** وجذب بذلك الإنسان بعيدًا عن الدمار ورفعه إلى السموات» (p. 27).

وهذه عبارة رائعة تؤكد أن إعطاء الحياة [أي الجوهر الحقيقى] هو قتل الموت بل صلب الموت ذاته على الصليب!! لأن الموت [أي غياب جوهر الحياة] يتبدد بظهور الحياة : « والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لإبنك الوحيد».

> « الإنسان الذي كان حر ببساطته، أصبح مقيد بالخطايا. لذلك أراد الرب **أن يحرره من القيود [رباطات الظلم].** وبالتحافه بالجسد ... **هزم الحية وأسر الموت المستبد،** وأروع شئ عمله هو فك أسر الإنسان وتحريره بعد أن كان أسير للفساد.
>
> يا للسر العظيم! لقد تنازل الرب وإرتفع الإنسان، الذي سقط من الفردوس يربح مكافأة أعظم، إ ا السماء عينها!!»
>
> (A Short History of the D. of A., p. 28)

كليمنضس يصيح مندهش لهذا العدل الإلهي العجيب، ذلك الذي كافأ من خسر الفردوس، بحريته، بعطية السماء!! هذا هو الحب العادل لدرجة الدهش والإنبهار!! هذه روح الشرق الحية التي تري الحياة كهدف علاقة الله بالخاطي، ولا تري في الموت إلا الظلم فقط، على خلاف روح اللاهوت الغربي التي سندرسها بعد قليل!

عدالة الله هي علاقة حب وإحياء لِمَن تَغرب ومات؛ عدالة الله ليست مسألة إتزان حقوقي ومطالبة بعقوبة. الله « مالك الكل » من ذا الذي يستطيع أن يسرق حقوقه!؟

ويعلق أيض على كيف « صار المسيح لعنة »، عندما عُلِقَ على شجرة الصليب :

> « لأن الله لم يظلم المسيح عندما تألم، ولكنه أعلن عن فارق هام. وذلك لأنه لو حُكم على خاطئ بالموت صلبًا على شجرة، يكون ملعون ... لأن خطاياه هي التي تسببت في تعليقه على الشجرة. وفي الوقت ذاته نعلم أن المسيح، الذي لم يكن في فمه غش، بل أرانا كل بر وتواضع، لم يتعرض لهذا الموت ذاته، ولكنه فقط حقق ما تنبأ به الأنبياء **عما ستعملونه أنتم (اليهود) بأنفسكم فيه** » (الرسالة ضد اليهود).. (p. 28) .

وكليمنضس بذلك يؤكد أمر هام جد ، كنا قد ناقشناه قبلاً. وذلك أن العبارات المذكورة في إشعياء ٥٣ أو ما ذكره بولس الرسول عن صيرورة المسيح « لعنة » أو « خطية » لأجلنا، لا يجب تفسيرها أبد ، حتى وإن بدا هذا من الظاهر، بأن الله كان يصب غضب ولعنة ونقمة على الإبن، ليكون ذبيحة تقوم بتحمل العقوبة

للإبدال القانوني للعقاب، ولإسترضاء العدل والكرامة، كما علم أنسلم ومارتن لوثر. الشرق يري أن كل هذه العبارات إنما تشرح **كيف نظر الإنسان، من وجهة نظر الإنسان ، إلى المسيح** في **آلامه،** وأن الظلم واللعنة كانت حقيقة في فكر الإنسان الظالم للمسيح وليس في تدبير الآب ليأخذ حقه من ذبيحة إبنه.

٦ - أوريجانس، العلامة الإسكندري (١٨٥ - ٢٥٤م) :

وكما ذكرنا لعل أهم ما يربط فكر أوريجانس بالفداء والكفارة هي نظرته لكون الرب قد سفك دمه ليعطه كفدية للشيطان. وكان بذلك أوريجانس هو أهم من علموا بفكرة « حقوق الشيطان». ولكن الكنيسة رفضت هذه الفكرة، كما قرأنا في الإقتباس الهام لغريغوريوس اللاهوتي (النيزي ى) من آباء القرن الرابع. وما يهمنا، إذن، هو أن **فكر أوريجانس يبعد كل البعد عن فكر الغرب القانوني :**

> « إن كنا قد إشترينا بثمن، كما يؤكد بولس الرسول، فلابد أننا قد إشترينا من الذي كنا عبيدًا له، والذي حدد بنفسه ثمن من قبض عليهم بقوته. إنه الشيطان، ذلك الذي كان ممسكًا بنا، وكنا تابعين له بخطايانا. وقد طالب، إذن، بثمننا : دم المسيح.»

(A Short History of the D. of A. p. 37)

ولأوريجانس قول طريف، عن كون **عذاب الإنسان الخاطي هو من صنع الخاطي نفسه، وليس من تدبير الله الخالق أبدًا.** وأردت عرض هذا القول هنا، وإن كان لا يتعلق بالضرورة بموضوع الفداء، لأنه يعكس لنا صورة هامة عن رؤية اللاهوت الشرقي لموقف الله من عقوبة الشر: أ ا ليست من إرادة الله، بل هي بسبب الخروج عن تدبير الله الخيّر للإنسان :

> « لننظر مع الآن معني التحذير بالنار الأبدية. نجد في نبؤة إشعياء أن النار التي يتعذب فيها كل واحد [كل خاطئ غير تائب] **هي نار من صنع هذا الذي يتعذب.** وذلك لأن إشعياء يقول : سيروا في نيرانكم واللهيب الذي أوقدتموه لأنفسكم (إش ٥٠: ١١).
>
> يبدو من هذه الكلمات أن كل خاطئ يشعل لنفسه بنفسه نيران عذابه،

وأنه لا يُلقي في نيران كانت قد أعدت بمعرفة شخص آخر، أو أ ا كانت موجودة قبلاً. أما وقود هذه النيران فهي خطايانا...

عندما تجمع النفس في داخلها أعمالاً شريرة كثيرة وخطايا عديدة، يأتي وقت تغلي فيه هذه الشرور لتجازي بنار العقوبة.

عندما يسمح الله (المواجهة مع النور كما في يوحنا ٣) بأن تتذكر النفس أو الضمير كل هذه الشرور المدخرة في الذاكرة، والتي شكلت صورة مطبوعة للخطية، **سوف ترى أعين النفس تاريخ ما صنعت هذه النفس من فظائع، وأعمال شريرة مخزية...**

عندما تجد النفس أ ا قد خرجت بإراد ا من الترتيب والتدبير الكامل الإنسجام، الذي كانت قد خلقت لتتمتع به، وأ ا لا يمكنها بعد الإنسجام مع ذا ا، سوف تتحمل النفس آلام العقوبة التي جبلتها على ذا ا بخروجها الحر، **وسوف تشعر بعقوبة تغر ا وتشتتها خارج هذا التدبير...** »

(The Faith of the Early Fathers, vol. I, p. 196)

٧ - القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٥-٣٩٤م)

(وهو شقيق القديس باسيليوس الكبير):

(A Short History of the D. of A. p. 40)

« ولكي يتأكد من أن الفدية التي سيقدمها عنا، سوف تكون مقبولة من قِبَلِ طالبها (الشيطان)، أخفي الإله طبيعته تحت حجاب طبيعتنا، البشري؛ حتى عندما يحاول (الشيطان) مثل السمكة الجائعة أن يبتلع طُعْمَ الجسد (الطبيعة البشرية) يبتلع أيضًا **خطاف السنارة الإلهيــ ــة....** »

« ويكون في هذه الحالة، بحسب قانون العدالة، أن ذاك الذي حاول أن يخدعنا قبلاً، قد تلقي بدوره ذات العمل الذي كان قد ألقي بذاره بنفسه. ذاك الذي خدع الإنسان... قد خُدع بتقديم (طُعم) الطبيعة البشرية... لقد إستعمل (الله) العادل، الصالح، والحكيم، إستعمل خطته (سنارته)، ليخدع الشيطان ليخلص ذاك الذي قد هلك (أي الإنسان)....»

وهذا التصوير والمجاز قد إشتهر به القديس غريغوريوس النيسي. فهو يري أن صنع الخلاص بإرادة الله العادل والصالح والحكيم ليس بتقديم فدية للعدو الضعيف، بل بأن يضرب الشيطان بالقوة، لأن هذا صلاح وعدل من قبل الله نحونا. ومما يذكر أن القديس أغسطينوس كان يري أن الله لم يستعمل القوة ضد إبليس، بل إستعمل العدل - المشابه لعدل البشر - لأنه، في رأي القديس أغسطينوس : الله قدم إبنه ليتحمل العقوبة كبديل قانوني عنا؛ و ـذا يكون الله مستعملاً العدل وليس القوة!! هذا الرأي، للقديس أغسطينوس، يعترض عليه اللاهوتيون الأرثوذكس لأنه يضع الله أمام إبليس بصورة أضعف مما صوره الشرقيون في تفسيرا ـم - كما هو الحال مع غريغوريوس النيسي مثلاً.

ومن الملاحظ أن إستعمال الفدية المجازي عند القديس غريغوريوس النيسي لم يذكر فيه أبدًا أن الفدية تقدم للآب، لا عن إحتياج ولا لترضية قانونية. ولم يذكر أيضًا أن الإبدال القانوني هو جزء من عمل الفداء والكفارة.

٨ - القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠- ٣٧٩م) :

ويعلق John Karmiris اللاهوتي الأرثوذكسي في كتابه :

(A Synopsis of the Dogmatic Theology of the Orthodox Catholic Church - p. 56 + 73)

مستشهد بتعليم القديس باسيليوس الكبير في باب الفداء :

> « تعليم العقيدة الأرثوذكسي يؤكد لنا أن الخلاص هو في تجسّد الفادي الذي إتحد لاهوته مع ناسوته وفي تعليمه لنا وفي حياته كلها منذ التجسد ثم بموته على الصليب وقيامته من الأموات، كما قال باسيليوس :
>
> « لأن هذا هو سبب مجىء المسيح في الجسد، وحياته كما شرحتها لنا البشارات، وآلامه، وصلبه، وقيامته : لكي يخّلص الإنسان، الذي يتشبه بالمسيح، ويحصل على نعمة التبني.
>
> على وجه العموم، لقد أكد الآباء الشرقيون - على عكس الغربيين الذين ركزوا على موت الصليب وحده - أن الخلاص قدّمه الرب في أعمال أربعة:

التجسّد، التعليم، الصليب، والقيامة كختم مصداقية الفداء..»

« بحسب تعليم القديس باسيليوس الكبير : الموت الذي دخل إلينا... غلبه الرب بلاهوته.»

« فأين كان يمكن للإنسان أن يجد شخصًا يدفع ثمن فداء نفوسنا، لقد اشُترينا بثمن: ذلك هو الدّم المقدس الغالي الذي لربنا يسوع المسيح. إنه لم يحتاج لأي تطهير هو نفسه ولذلك كان هو **مطهر لنـا**»
وبالتالى نستطيع ان نؤكد ان الآب لم يستلم الثمن، بل نحن هم المحتاجين للحياة والحب المبذول لنا.

والقديس باسيليوس يري الفداء في : التشبه بالمسيح والتبني على مثاله ويري الفداء كتطهير من الموت، وغلبة الموت بإتحاد اللاهوت بالطبيعة البشرية. ولذا كتب في صلوات القداس الذي وضعه تلك المفاهيم، والتي نصلي ونسبح ا يوميًا في الكنيسة القبطية، ولا نجد فيها أي رائحة للمعاني القانونية أو الإبدال العقوبي أو استرضاء العدالة والكرامة الإلهية المهانة بالشر كما علم الغربيون، فيقول القديس باسيليوس في القداس :

« يا الله العظيم الأبدي، الذي جبل الإنسان على غير فساد **والموت الذي دخل إلى العالم** بحسد **إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لإبنك الوحيد.....**

قدوس قدوس قدوس بالحقيقية أيها الرب إلهنا. الذي جبلنا وخلقنا ووضعـنا في فـردوس النعيـم .

وعندما خالفنا وصيتك بغواية الحية وسقطنا من الحياة الأبدية، ونفينا من فردوس النعيم، لم تتركنا عنك أيضًا إلى الإنقضاء بل تعهدتنا دائمًا بأنبيائك القديسين. وفي آخـ ـر الأيـام **ظهرت لنـا** نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت بابنك الوحيد....

تجسد وتأنس **وعلمنا طرق الخلاص... وصيرنا أطهارًا** بروحك القدوس... **وأسلم ذاته فداء عـنا إلى المـوت** الذي تملك علينا هذا الذي كنا ممسكين به، مبيعين من قبل خطايانا...

> وفيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم ...
>
> واجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن **نتناول من قدساتك طهارة** (كفارة التطهير) لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا..»

وللقداسات الإلهية أهمية عظمي في الحفاظ على العقيدة الأرثوذكسية. فبالرغم من دخول الكثير من أفكار أنسلم ومارتن لوثر في المؤلفات العربية التي بين أيدينا، إلا أن عموم الشعب القبطي لا يشعر في داخله بالعلاقة القانونية، والعدالة التي تستوفي حقها بالموت (بدلاً من الحياة!!) لأن روح صلوات القداسات قد غذت نفوس الأقباط الأرثوذكس بأن الكفارة والفداء هما في التطهير الذي يحدثه التناول من الجسد المقدس والدم الكريم، وليس في إبدال عقوبي أو إسترضاء قانوني. أما الذين دخل إلى قلوبهم فكر مارتن لوثر وأنسلم هم من إضطروا للقراءة لتحضير دروس مدارس الأحد واجتماعات الشباب وبذلك درسوا روح اللاهوت الغربي المدرسي Scholastic Theology للشرح المنطقي المنمق، الذي لم تعرفه ولم تعلمه لنا صلوات الليتورجيات المملوءة حبًا وشفاءً ونغمًا روحيًا. فنحن نصلي **ونسبح العدل الإلهي والصلاح بقولنا :**

> « الذي لا يشاء موت الخاطي مثل ما يرجع ويحيا، الداعي الكل إلى الخلاص لأجل الموعد بالخيرات المنتظرة» (الأجبية)
>
> « نسجد لشخصك غير الفاسد، **أيها الصالح**، طالبين مغفرة خطايانا. لأنك بمشيئتك سررت أن تصعد على الصليب لتنجي الذين خلقتهم **من عبودية العدو.** لأنك ملأت الكل فرحًا لما أتيت **لتعين العالم...** لأن من قبل الصليب ... إهبط الجحيم **وبطل الموت**. أمواتًا كنا **فنهضنا وإستحققنا** الحياة الأبدية!» (صلاة الساعة السادسة - ساعة الصلب).

٩ - القديس غريغوريوس النيزينزي (اللاهوتى) (٣٣٠- ٣٨٩م)

والقديس غريغوريوس اللاهوتي هو من أوضح الآباء في تفسير الفداء كما رأينا وقرأنا الجزء الذي يبدأ بـ « لمن قدم ذلك الدم الذي سفك لأجلنا؟» وفيما يلي

مقتطفات من أقواله وردت فى كتاب بعنوان :

(The Faith of the Early Fathers - vol. 2.)

> « ولذلك سمي إنسانًا [أو إبن الإنسان] لكي يقدّس هو بنفسه كل جنس البشر، لأنه قد صار خميرة **للعجين كله،** وذلك تمّ بأنه قد وحّد نفسه بالكل، الذىن سقطوا تحت الدينونة، حتى ما **يحررهم من الدينونة.** لقد صار لكل البشر شريكًا في كل شىء ما خلا الخطية: الجسد والنفس والعقل، كل ما يمكن أن يصيبه الموت؛ لقد صار إنسانًا، أي مجموع هذه كلها ... إن المسحة التي أخذ ا بشريته لم تكن بعمل خارج [عن كيانه] مثل بقية الممسوحين، ولكنها **تقديسًا بالحضور** المقدس لذاك الذي يمسح الكل.... » (p. 32)
>
> « سوف ترون يسوع : مصلوبًا وصالبًا لخطيتي، حملاً مُقدَّمًا؛ وكاهن مقدم ؛ إنسان قُبر؛ وإله قائم ثم صاعد ... كم عيد نعيد في أسرار المسيح؟! وكل هذه الأعياد لها هدف واحد: **التجديد والكمال** الذي يهبه لي ، **والعودة لرتبة الإنسان الأولى** » (p. 35)

وعن تجلي الكون كله قال غريغوريوس النيزنيزي :

> « آمنوا أن الكون كله، ما يري وما لا يري، قد خلقه الله من العدم، وهو مضبوط بعناية الخالق وسوف يتجلّي لحالة أفضل.....» (p. 37)

وأما أروع ما قاله عن الفداء والكفارة والدم المسفوك لأجلنا :

> « يجب أن نفحص الآن السؤال والعقيدة التي طالما نعبر عليها في صمت، ولكني أعتقد أ ا تستحق الدراسة العميقة. لِمَنْ قَدّم ذلك الدم الذي سفك لأجلنا؟ بل ولماذا سفك؟!
>
> إن قلنا للشيطان [مثل أوريجانس وغريغوريوس النيسي وباسيليوس الذي كان يري أن المسيح قد أسلم نفسه فدية للموت، ولكن بمعني مجازي فقط] فهذا أمر فظيع، هل يأخذ اللص فدية، ليست فقط من الله، بل إن الفدية هي الله ذاته! وهل يطلب هذا الثمن أجرة لاستبداده حتى يطلق سراحنا؟!

أما إذا كان الثمن قد دفع للآب، فأنا أسأل أولاً: كيف؟ لأن الآب لم **يمسكنا كرهينة.** لماذا سُر الآب بدم إبنه الوحيد، وهو الذي لم يقبل إسحق حين قدمه إبراهيم ذبيحة محرقة كاملة، بل بدّل الذبيحة بكبش؟

أليس الأمر واضحًا، أن الآب قد قبل الذبيحة **ليس لأنه طلبها أو كان** في **إحتياج إليها، ولكن لأجل تدبيره: لأن الإنسان لابد أن يُقدّس بإنسانية الله؛** والله نفسه يجب أن يخلصنا بأن يغلب المستبد بقوته هو، وأن يردنا إليه بواسطة الإبن الذي يفعل هذا كله لمجد الله الذي أطاعه (الابن) في كل شيء...

ما قد تبقي من الحديث سنعبره في صمت مقدس»

(The Mystical Theology of the Eastern Church, p. 152)

فالفداء والكفارة والخلاص هو **«بالإتحاد والتقديس».** إتحاد اللاهوت بالطبيعة البشرية يميت الموت ويهب القداسة والحياة الأبدية. وليس موت المسيح لإحتياج عند الآب ولا لترضية بل ولم يطلب الآب أبدًا لنفسه لا ذبيحة ولا جسدًا يأخذه الإبن ليموت فيه، أو بواسطة إتحاده به، ليكون ذبيحة غضب وكفارة إسترضائية كما يعلم الغربيون!!

وها هو غريغوريوس يقول أن عمل الكفارة النارية هو بالإتحاد وليس بالإبدال القانونى:

« لأن الكلمة أخذ صفات العبد الذي أخذ صورته وتنازل عن مجده، لكي يأخذ ما يخصني كله، **حتى يبيد الفساد مثلما تذيب النار الشمع، وكما تبدد الشمس الضباب** من على وجه الأرض. كل هذا تم لكي **أشترك** في **طبيعته التي إتحدت بطبيعتنا»** [تأله الإنسان].

N. & P. N. Fathers (المقالة اللاهوتية الرابعة : ٢٦ ص ٣١١)

« جاء لكي **يجدّدنا بتجسده** بعد أن سقطنا »

N. & P. N. Fathers (المقالة ٣٨ على عيد الميلاد: ٣ ص ٣٤٥)

« لأن المخلّص لم يصر يهوديًا فقط، بل أخذ الأسماء والأتعاب الشنيعة،

وهل يوجد أكثر من الخطية شناعة وهل يوجد أشر من اللعنة؟ ليس لأنه هو خطية أو لعنة، وإنما « دعي » [من شعبه] خطية ولعنة فكيف يمكن أن يكون هو خطية وهو الذي يحرّر الكلّ من الخطايا؟! وكيف يمكن أن يكون هو لعنة وهو الذي فدانا من لعنة الناموس؟!»

[وكيف يعلّم البعض أن الله هو مصدر اللعنة كعقوبة وهو الذي يشفينا من اللعنة؟!!]

N. & P. N. Fathers (المقالة ٣٧ : ١ ص ٣٣٨)

« الراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف، ولذلك جاء يطلب الضال... وعندما وجد الضال حمله على كتفيه، اللتين حمل عليهما خشبة الصليب - **وجاء بالضال إلى حياة أعظم.** وعندما حمل الضال وأعاده حسبه ضمن الذين لم يضلوا بالمرّة. لقد أشعل شمعة - أي جسده - وكنس المنزل - **طهر العالم من الخطية** - حتى يعثر على الدرهم المفقود. وجدّد الصورة الملوكية (التي ترسم على الدرهم) والتي غطاها الصدأ - (الشهوات) - وهو هنا يدعو أصدقاءه الملائكة عندما يجد الدرهم المفقود لكي يفرحوا معه، وهو قد شارك الملائكة من قبل سر تجسده... لقد شد وسطه بمنشفة لكي يغسل أقدام تلاميذه، ولكي يعلن لهم أن التواضع هو الطريق الأفضل إلى المجد، لأنه كالنفس التي إنحنت إلى التراب، إنحني هو أيضًا وتواضع لكي يقوم ويرفعها معه بعد أن كانت ساقطة تحت حمل الخطية...»

N. & P. N. Fathers (مقالة ٣٨ على عيد الميلاد ١٤) ص ٣٤٩.

« ولكن الشرور احتاجت إلى **دواء أقوى**... أخذ جسدًا لنفسه من أجل أجسادنا، ومزج بحياته نفسًا عاقلة من أجل نفسي لكي **يطهر المثيل بالمثيل** «to purify like with like»

N. & P. N. Fathers (العظة الثانية على عيد الفصح : ٢٩) ص ٤٢٦.

« لنصبح مثل المسيح، لأن المسيح صار مثلنا. لنصبح مثل الله من أجل الذي صار إنسانًا» - تأله الإنسان.

N. & P. N. Fathers (المقالة ٣٧ : ١(ص ٣٣٨)

١٠ - القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٤- ٤٠٧م)

«يقول ذهبى الفم إن الخطية لا تتساوي بالنعمة، لأن الموت والحياة لا يتشا ان.» N. & P. N. Fathers (عظة ١٠ على رومية ٥: ٢٠ ص ٤٠٢)

وهنا نتسأل كيف يعّلم أنسلم أن الخطية « غير محدودة » مع أن غير المحدود هو الله فقط - والخطية لا تتساوي بالله؟!!

« وفى موضع آخر يذكر ذهبى الفم أن الرسول لا يتكلم فقط عن النعمة، بل عن فيض النعمة. لأنه لم يكن للقضاء فقط على الخطية أخذنا نحن نعمة منه، ولكن لِما هو أعظم من ذلك. لقد تحّررنا من العقوبة، وخلعنا الطبيعة الفاسدة، وولدنا مّرة ثانية من فوق. وبالقيامة ُدفن الإنسان العتيق. لقد إفتُدينا وتبرّرنا، ونُلنا التبني وتَقدّسنا وصرنا أخوة الإبن الوحيد، وشركاء وورثة في الجسد الواحد معه وعلى نفس القياس **إتحدنا بــه.** كل هذا يدعوه الرسول فيض النعمة، معلنا أننا لم نأخذ دواء للشفاء من جرح، بل الصحة نفسها، والمجد والكرامة التي تفوق حالتنا الطبيعية. وكل واحد من هذه العطايا كان يكفي **للقضاء على الموت،** ولكن ما أخذناه كله لا ُيبِقي على أي شىء آخر أو إمتياز آخر لم نحصل عليه... كما لو كان إنسان قد ألقي به في السجن بسبب عشرة قروش (فلس) وليس الإنسان وحده فقط، بل وزوجته وأولاده وخدمه، بسبب الدين، وجاء آخر لكي يدفع لا العشرة قروش فقط، بل لكي يقّدم عشرة آلاف وزنة من الذهب، بل ليطلق سراح السجين ويقوده إلى قصر الملك وإلى عرش القوات العليا، ويعطي له أعظم كرامة وأكبر العطايا.

هنا لا يمكن للمدين (بعشرة قروش) أن يتّذكر الدين.

هكذا كانت قضيتنا. **لأن المسيح دفع أكثر مما كنا مديونين به** بما لا يقاس، مثل المحيط الذي لا يقاس بقطرة ماء. لا تتأخر أيها الإنسان عندما تري هذا الفيض من البركات، ولا تسأل كيف ُغفرت الخطّية والموت، وهي مجرد ذرة عندما أغدق علينا بحر العطايا ».

N. & P. N. Fathers (عظة ١٠ ص ٤٠٣)

« لأننا يمكن أن نقول أنه لم **يخلّص المريض من الحمى** فقط، بل أعطاه الجمال والقوة ورتبة. وأيضًا أنه لم يقدّم فقط الطعام للجائع، بل قدم له غني كثير، وأقامه ليكون رئيسًا عظيمًا...

النعمة جاءت لا لكي ت ع سلاح الموت فقط، بل لكي تبيد هذا السلاح وتدمره، وبالتالي تدمر سطوته (سيادته).... »

N. & P. N. Fathers (عظة ١٠ على رومية ٥: ٢٠ ص ٤٠٤- ٤٠٥)

« إنه لم يكن خاضعًا لموت (الطبيعة البشرية) ولكنه مات لأجل خطايانا، **لكي يبيد الخطية ويقطع رباطا ا وكل قو ا»**

N. & P. N. Fathers (عظة ١١ على رومية ٥: ٩) ص ٤١٠

« وحيث النعمة، توجد المغفرة، وحيث المغفرة، لا توجد عقوبة. **لقد أزيلت العقوبة،** والبر يتبع الإيمان » [وعنوان هذا البحث كله مأخوذ من هذه العبارة].

N. & P. N. Fathers (عظة ٨ على رومية ٦ : ١٥ ص ٣٨٩)

« لأن سبب موته ليس لكي نكون تحت العقوبة والدينونة، وإنما لكي يفعل ما هو صالح لنا، لذلك مات وقام لكي يجعلنا أبرارًا »

N. & P. N. Fathers (عظة ٩ على رومية ص ٣٩٥)

تعا ـ يق :

وعندما يتكلم يوحنا ذهبي الفم عن « الدين » فهو لم **يسأل السؤال القاتل** : لمن دفع الثمن؟! ولكنه إستعمل المجاز **بدون أن يحدد مستلمًا لهذا الثمن أو الدين.** فهو قطعًا مثل غريغوريوس النيزي ي لا يري أننا مديونون للشيطان ولسنا بأسري عند الآب الذي يحبنا ولا يمكن أن يحتاج أو يطلب ثمنًا لمصلحته أو لمصلحة عدالته... حاشا. لذلك إستعمل ذهبي الفم مجازات أخـ ـري، بالـ ـروح الشـ ـرقية Apophatic Theology التي لا تقيد التفسير بمجاز واحد وتحوله إلى عقيدة مطلقة، مثلما فعل أنسلم بمجاز «الإسترضاء »، ومارتن لوثر بفكرة

«الإبدال القانونى» Penal Substitution. ولذلك إستعمل ذهبي الفم، خلاف مجاز «الدين»، مجاز «الشفاء» و عمل **«الطبيب الشافى»**، و عمل **«التطهير»** في عظاته على الرسالة للعبرانيين:

> « وأيضًا يقول بكل صواب «يذوق الموت لأجل كل واحد» وهو لم يقل: «يموت». لأنه كان قد ذاق حقًا لأنه قد مات لمدة قصيرة وقام فورًا. وبقوله «تألم بالموت» كان يشير إلى موته فعلاً. أما قوله «أعظم من الملائكة» فكان إعلان عن القيامة. لأن **الطبيب لا يحتاج** لأن يذوق الطعام الذي يقدمه للمريض، ولكن بسبب عنايته وإهتمامه بالمريض يذوق الطعام أولاً بنفسه لكي ما يغري المريض بأن يكون له ثقة ويشجعه على تناول الطعام، ولأن كل الناس كانوا يخافون الموت، شجعنا الرب على أن نواجه الموت بشجاعة، ولذلك **ذاق هو أولاً، رغم أنه** لم **يكن** محتا**جًا إلى هذا بالمرّة** »
>
> N & P.N Fathers (عظة ٤ : ص ٣٨٣- ٣٨٤)
>
> « والمسكن أيضًا وجميع آنية الخدمة رشمها كذلك بالدم، وكل شئ تقريبًا يتطهر حسب الناموس بالدم» (عب ٩: ٢١- ٢٢).
>
> ولماذا قال تقريبًا، ولماذا حدد كلماته؟ لأن هذه الممارسات لم تكن **التطهير الكامل** ولا المغفرة الكاملة، بل شبه كاملة، وبدرجة ضئيلة. أما في العهد الجديد فهو يقول: هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي يسفك عنكم لمغفرة الخطايا. أين إذن كتاب العهد؟ لقد طهر عقولهم (الرسل) وكانوا هم أنفسهم كتاب العهد الجديد. وأين هي آنية الخدمة، وأين المسكن؟ ومرة ثانية، كانوا هم كل هذه، لأنه قال: سوف أسكن فيهم وأسير معهم - ٢ كو ٦: ١٦. ولكنهم لم يرشوا بصوف قرمزي ولا بزوفا (حسب شريعة موسي). **لأن هذا التطهير ليس جسدانيًا بل روحانيًا، لأن الدم نفسه روحى!!** كيف؟! لقد نبع ليس من حيوان غير عاقل، وإنما من الجسد الذي هيأه الروح القدس. ذا الدم رشنا يسوع وليس موسى، ورشنا بواسطة الكلمة التي نطق ا: «هذا هو دم العهد الجديد لمغفرة الخطايا» وهنا حلت الكلمة محل الزوفا. لأن الكلمة غمست في الدم وترش الكل... ولأن المطهر

> روحاني فهو يدخل النفس ويطهّرها، وليس فقط يُرش عليها بل يتدفق في داخل نفوسنا...»
>
> N. & P. N. Fathers (عظة ١٦ على العبرانيين ٩) ص ٤٤٤

وفي هذا القول الأخير يبدو جليًا أن الذبيحة كانت تشفي من الخطيّة وَتهبُ المغفرة، ليس باسترضاء عدالة الله ودفع ثمن له، بل بأ ا كانت بحيا ا تقوم بتطهير الموت، وهذا هو مغفرة الخطيّة عند اللاهوت الشرقى: إبادة الموت بوهب الحياة. هذا هو التطهير العلاجي، وليس فيه رائحة الدين والثمن القانوني ولا رائحة الإبدال العقوبي بالمرة. هذا هو معني الكفارة كتطهير وليس كثمن يسدد!!

١١ - القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥- ٣٨٦م)

وبالرغم من أن القديس كيرلس الأورشليمي يتكلم عن العقوبة، وأن موت الخاطي هو ناموس الله، أي يأتي تباعًا لو تعدي الإنسان ورفض ناموس الله، إلاّ أنه مثل بقية الآباء الشرقيين لم **يتكلّم بالصورة القانونية الغربية،** بل بالصورة العلاجية التي إنما تسعي إلى الشفاء، وليس لإسترداد حقوق وكرامة تحتاج لترضية لمصلحة الله:

> « إحتمل المخلّص كل هذه (الآلام) وصنع سلامًا بدم صليبه مع الذين في السماء والذين على الأرض. لقد كنا أعداء لله [هذا من جهتنا نحن وليس من جهة الله فهو لا يعادي خليقته!] بسبب الخطية. وموت الخاطئ هو ناموس الله. هذا يعني أن يحدث شئ من إثنين: إما أن الله، الذي هو الحق، يهلك كل البشر، وإما في محبته **يمحو العقوبة**. ولكن أنظروا إلى حكمة الله: لقد أبقي على (نظام) العقوبة وهي حق، وأبقي على محبته.
>
> لقد حمل المسيح خطايانا في جسده على الخشبة، **حتى بموته نموت نحن عن الخطية فنحيا للبر** (١بط ٢: ٢٤). وَمَنْ هذا الذي مات لأجلنا؟
>
> لم يكن حَمَلاً أُخذ من قطيع غنم ولا مجرّد إنسان، بل هو أعظم من الملائكة، لأنه الله المتأنس. ولم يكن تعدي الخطاة أعظم من بر مَنْ مات لأجلنا،

حتى الخطايا التي ارتكبت لم تكن أعظم من بره الذي حققه عندما قدم حياته لأجلنا بإرادته وإستردها ثانية عندما شاء، حتى لا نظن أن حياته قد أخذت منه بالقوة، أو أنه أسلم الروح بدون إرادته... أسلم الروح ليس لفترة طويلة، لأنه سريعًا قام من الموت.»

N. & P. N. Fathers (عظة ١٣: ٣٣) ص ٩١.

« ولكي تعرف أن الصليب هو مجده الحقيقي.... فالآن يتمجد إبن الإنسان (يو ١٣: ٣١). لقد جاء بإرادته وبعزم لكي يتألم متهللاً ذا العمل الكريم، يبتسم لهذا التاج فرحًا بخلاص البشر. ولم يخجل من الصليب لأن به خلاص العالم»

N.& P. N. Fathers (عظة ١٣: ٢٦) ص. ٨٣- ٨٤.

« يدعي (يسوع) «الطريق»... لأنه الطريق الذي يقود إلى الآب.

ويدعي أيضًا «الحمل» ليس لأنه حيوان غير عاقل مثل حمل، وإنما الحمل الواحد الذي بدمه **طهّر العالم كله من خطاياه»** [الكفارة = تطهير]

N. & P. N. Fathers (عظة ١٠: ٣) ص ٥٧.

١٢ - القديس كيرلس الإسكندري (القرن الخامس - تنيح ٤٤٤م)

(The Faith of the Early Fathers, vol. III)

« الله بسابق معرفته بإبنه وبأننا قد خلقنا به، قرر أن قيامتنا من الفساد - نحن الذين بالتعدي سقطنا صرعي للفساد - تكون بواسطة (إبنه) أيضًا. لأنه كان يعلم أننا نموت بسبب الخطية.» p. 210

فالقديس كيرلس كان يري الفداء أساسًا في «قيامتنا من الفساد» في قيامة الرب الذي حملنا واتحد بطبيعتنا. وله قول آخر عن أن سبب الفداء بالتجسّد هو تقديس الطبيعة البشرية، وذلك حدث مباشرة بتقديس طبيعة الناسوت التي حملتنا كلنا :

« عندما صار الإبن (الوحيد) إنسانًا، تقدس هو وقدس (الإنسان) أيضًا both sanctifies and is sanctified بالطبيعة وبالحق. لأن بولس الرسول قال: «لأن المقدس والمقدسين جميعهم واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم أخوة، قائلاً أخبر بإسمك أخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك». لأنه هو نفسه يقدس لأنه قدوس بحسب طبيعته لأنه الله؛ وهو أيضًا تقدس معنا بحسب بشريته». p. 215.

« المسيح يتشكل فينا، **ليحمل لنا بالروح القدس شيئًا من الألوهة،** وذلك من خلال التبرير والتقديس. هذا هو «ختم» imprint طبيعة الله الآب الذي يظهر جليًا في نفوسنا، **لكي يصيّرنا على شبهه** conforming us to Him ، بالروح القدس بالتقديس.» p. 219 (تفسير إنجيل متى)

« نصير شركاء (طبيعة) الله بالروح القدس، لقد ختمنا على شبهه، ونسمو لأعلى نحو تلك الصورة التي خلقنا عليها...

نحن إذن نصعد لهذا المجد العالي من خلال المسيح، لا يعني هذا أننا سنكون تمامًا مثله بلا أي فرق كأبناء (بالطبيعة) لله، ولكننا سنصبح مثله بالتشبه، بالنعمة. لأنه هو إبن الله الحقيقي والوحيد في الجوهر مع الآب، أما نحن فأبناء محبته بالتبني، **نتقبل نصيبنا بالنعمة بحسب قولـه:**

« أنا قلت أنكم آلهة وأبناء العلى» (يو ١٠)

المخلوق خُلق عبدًا، ولكنه دُعي للأمور الفائقة للطبيعة بحسب مسرة الآب.» p. 221 (تفسير إنجيل يوحنا)

ويكمل عمود الإيمان، والذي مع أثناسيوس الرسولي قد علـم العالم كله كيف يفسر الكتاب بروح النعمة والمحبة، يكمل حديثه عن نعمة «تأله الإنسان» وأن هذا هو هدف الخلق والتجسد وعمل الله كله:

« نحن قد خلقنا مستحقين للشركة فيه in Him بالإيمان بالمسيح، **يأتي بنا للكمال كشركاء للطبيعة الإلهية،** ويقول أننا مولودون من الله، ولهذا السبب نعطي لقب آلهة!!! ليس لنحلق في العلا للمجد بالنعمة فقط، ولكن

لأن الله يسكن ويستريح في داخلنا، كما قال النبى: وسأسكن فيما بينهم وأسير في وسطهم.» p. 222 (تفسير إنجيل يوحنا)

« إنه واضح، على ما أعتقد، وجلي لكل أحد أن لهذه الأسباب، وقبل كل شىء، أن الإبن الوحيد الإله الواحد في الجوهر مع الله بحسب الطبيعة، صار إنسانًا:

أولاً ليدين الخطية في الجسد، وثانيًا ليميت الموت بموته، وثالثًا ليصيرنا أبناء لله مجددة خلقتنا من حالتنا الأرضية للحالة الفائقة للطبيعة المجيدة في الروح القدس.

بكل تأكيد وبلا أدني شك كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي أمكن ا أن يعيد الله خلقتنا، نحن الجنس الساقط، لحالتنا الأصيلة الأصلية pristine condition.» p.233 (تفسير إنجيل يوحنا)

ولعل هذا من أروع وأقوي ما كتب القديس كيرلس شارحًا الروح الشرقّية بصورة تمحو وتزيل وتطرد أي روح قانونية غربية، تدّعي مثل أنسلم ومارتن لوثر، أن الفداء هو بدفع الموت كثمن خطية يسدد لمصلحة الله الغاضب ذو العدالة المهانة!!!

وُيكمل القديس كيرلس شارحًا أن الشركة في طبيعة الله هي شركة حقيقية جدًا:

« المخّلص بنفسه يعلن : «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فّى وأنا فيه». ذا التصريح نري المسيح يقول أنه لن يكون فينا، بحسب علاقة فكرية (غير مادية) فقط، بل وأيضًا من خلال **مشاركة حقيقية بحسب الطبيعة** but also through a participation truly according to nature.

تمامًا كما يوحــد شخصًا قطعتين من الشمع بأن يلفهم حول بعض ويذيبهم في النار لكي ما يتحدا.

هكذا أيضًا بالشركة في جسد المسيح ودمه الكريم، يتحد بنا ونحن أيضًا به. لأنه لا توجد طريقة أخري يمكن ا للطبيعة القابلة للفساد أن تصير حيّة (خالدة) إلا بالإتحاد الجسدي بجسد ذاك الذي هو بطبيعته ذا ا: الحياة، أي الإبن الوحيد.» p. 223-224 (تفسير إنجيل يوحنا)

١٣ - القديس يوحنا الدمشقي (٦٤٥- ٧٤٩م)

(The Faith of the Early Fathers vol. III)

يؤكد يوحنا الدمشقي أن تدبير الله لنا هو أن نشترك معه في صلاحه، أو كما كتب بطرس الرسول أن نصير **«شـركاء الطبيعـة الإلهيـة»**. ولكن هناك أيضًا مشكلة عقوبة الشر العادلة: هذه يشرحها بمهارة نادرة القديس يوحنا الدمشقي على أ ا ليست من إرادة وتدبير الله، بل هي «بسماح» منه فقط وذلك لإحترامه «للحرية الإنسانية». ويؤكد أن نتائج الشر - أي عقوبة الشر - مصدرهـا الإنسـان : having its origin in us

> « يهمنا أن نتذكر أن إرادة الله هي أن الجميع يخلصون وإلى ملكوته يقبلون. وذلك لأنه إله الصلاح، ولهذا لم يخلقنا للعقوبة، بل لكي نشترك معه في صلاحه وخيره. وبما أنه أيضًا عادل، فهو يوافق على عقاب الأشرار [ليس هذا للنقمة ولكن العقوبة هنا مرادف للتأديب الذي يهدف للعودة للحياة وليست العقوبة للتدمير أو الإنتقام].
>
> الهدف الأول، (الإشتراك في صلاحه) إذن هو تدبير نابع من الله ذاته، وندعوه إرادة الله الأصيلة antecedent ومسرّة الله.
>
> أما الأمر الثاني (الموافقة على عقاب الأشرار) فمصدرها هو نحن أنفسنا، ونسميها سماحه الإرادي ... consequent will and permission
>
> فالأعمال الصالحة التي هي في طاقتنا in our hands ، هي من تدبير الله الأصيل وبحسب مسرته. أما أعمال الشر فهو لا يريدها بأي حال، [ولا نتائجها] إنما **يسمح ا لاحترامه لحرية إرادتنا**.» p. 335.
>
> « لأن **هدف** تجسد **كلمة الله وتأنسه** هو أن الطبيعة ذا ا التي قد أخطأت (طبيعة الإنسانية) وسقطت وأصبحت فاسدة، هي ذا ا يمكنها **الغلبة على المستبد الماكر** (إبليس والموت) وبالتالي **تتحرر من الفساد**» p. 337 .
>
> « وبما أن الخالق قد وهبنا صورته وروحه، ولم نحتفظ ذه الوديعة بأمانة، إشترك هو أيضًا معنا في هذه الطبيعة الضعيفة الفقيرة، حتى ما يطهرنا (من

> الضعف والموت) ويصيّرنا خالدين (بغير فساد)؛ **ولكي يردنا إلى شركاء في طبيعته الإلهية»** p. 339 .

و ـذا القول يؤكد القديس يوحنا الدمشقي أن الفداء هو التطهير (أي التكفير من نجاسة الموت) وتكون النتيجة إذن هي خلود الإنسان بالشركة في طبيعة الله أى: تأله الإنسان. واضح أن لاهوت هذا القديس يؤكد لنا الروح الشرقية التي يمكنها تلخيص هدف التجسد والخلاص في كلمتين: التطهير من الموت (الكفارة) وتأله الإنسان.

ولا تظهر هذه الروح في **اللاهوت الغربي، الذي يرى أن استرضاء عدالة الله المهانة، وتقديم ذبيحة لإتقاء غضبه، هي هدف التجسد والصليب الأول!!!**

وها هو يوحنا الدمشقي يردد صدي تعليم تأله الطبيعة البشرية الذي لكل الآباء الشرقيين:

> « لأن اللاهوت (طبيعة الألوهة التي في الربّ المتجسد) يوصل للناسوت (طبيعة الجسد البشرى) ما يخص اللاهوت من مجد و ـاء. ولكن الناسوت لا ُيشرك اللاهوت في قابليته للآلام. لذلك تتأله طبيعة الجسد، ولكن لا تتحول الطبيعة الجسدية إلى داخل طبيعة الكلمة. **الطبيعة الإلهية تؤله الطبيعة المتحدة معها** ولكن الطبيعة الإلهية لا تتأثر ولا تتحول إلى ما تتحد معه. الطبيعة الأقل تأخذ إمتياز الطبيعة الأعظم، أما الأعظم فلا تضعف مثل الضعيفة.
>
> فكما أن الحديد يتأثر بالنار ولكن لا تتحول النار إلى حديد، هكذا... **الطبيعة الإلهية تؤله الجسد ولكنها لا تتحول إلى طبيعة الجسد.»** p. 346.

ومرّة ثانية يؤكد أن حرية الإنسان هي سبب شعوره بالغضب الذي ينشئه الشر عند المواجهة مع نور الله، وليس الله هو مسبب العذاب:

> « لقد خلق الله الإنسان، خلقه قطعًا في حالة الصلاح. ولكن الإنسان صنع الشر بإختياره الحر، **ولذلك فإن الإنسان نفسه هو سبب النقمة والغضب الذي يلتهمه.»** p. 346.

وعن عمل الصليب كتب القديس يوحنا الدمشقى:

(George Florovsky, Creation & Redemption, p. 139)

> « وأجمل ما يدهشنا في عظمة الصليب هو أنه قد **قتل الموت،** وطهّرنا من الخطية...، **وحطم الجحيم،** ووهبنا القيامة، وأعطانا القدرة على إدانة وغلبة الموت ذاته. لقد أعاد لنا البراءة الأولي، وفتح أبواب الفردوس، وأعطي لطبيعتنا جلوسًا عن يمين الله، وصيّرنا أبناء لله. لم يصنع هذا كله سوي صليب (أي تجسد وآلام وقيامة) ربنا يسوع المسيح.»

وفي هذا كله لا توجد رائحة لأي هدف قانوني أو إسترضاء لكرامة وعدالة مهانة، ولا طلب أو إحتياج من قبل الله الآب من ذبيحة الصليب، وإنما **الهدية كلها هدية مجانية منه لنا وحدنا. وليس للآب أي انتفاع أو مصلحة** سوي عودة الخليقة للخلود في حضنه... لأن «مجد الله حياة الإنسان» كما قال القديس إيريناؤس أسقف ليون.

١٤ - القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٥- ٣٧٣م)

يُعدّ القديس أثناسيوس الرسولي بحق أبو التفسير الأرثوذكسي للعقيدة في تاريخ الكنيسة. وهذا التقدير لا يرجع أبدًا لمصرّيته، ولا لكونه أحد بطاركة الإسكندرية، فنكرّمه كمصريين. ولكنها شهادة الأرثوذكس، والكاثوليك والأنجليكان وكثيرين من البروتستانت أيضًا بذلك.

وإننا لا نجد كتابًا أرثوذكسيًا مما يكتب أخوتنا الروم Greek الأرثوذكس أو الروس الأرثوذكس إلا وبه إسم أثناسيوس الرسولى!!

وقد أسماه الأب چورچ فلوروفسكي عميد معهد القديس ڤلاديمير السابق «المعلّم التقليدي للتجسد». وفي كتاب The Early Faith of the Fathers وهو مرجع من ثلاث مجلدات سّمي أثناسيوس بحق: **«بطل مجمع نيقية»،** في المقدمة لأعماله المقتبسة. وفي مجموعة آباء نيقية وبعد نيقية الشهيرة هناك مجلد كامل يحوي الكثير من أعمال هذا القديس فيما يزيد عن ٦٠٠ صفحة من النسخ الصغير ذو العمودين

في الصفحة الواحدة. وهناك مقدّمة رائعة عن حياته، وخلاصة تعاليمه اللاهوتية، يعتز ا كل مسيحي، ويتعلّم منها أن إستنارة هذا القديس لم تفسر الكتاب فقط بما يناسب عصره، ولكن **نظرته لهدف خلقة الإنسان وطبيعته وأسباب معاناته تتفق** في **الكثير مع الفلاسفة والمفكرين المعاصرين، حتى** غير **المؤمنين منهم!!! فهو** لم **يكتب عن الإيمان إلا بارتباطه بنظرة** تمتاز **بالواقعية والعمق الفلسفي الملم بكل أبعاد الكائن البشري والكون أيضًا!!**

وقد عبرنا معًا خلال هذا البحث على جواهر ولآلئ مضيئة من أقواله، ومنها ما جعل الكاتب Constantine Tsirpanlis يكرس باب التجسد والخلاص كله (وهو من أهم ما جاء في كتابه المذكور

(An Introduction to Eastern Patristic Thought and Orthodox, Theology, 1991)

لأقوال القديس أثناسيوس حيث إنه من أول من قدّموا تفسيرًا متكاملاً لأسباب التجسد وكيف أن **الخلاص كله يكثف** في :

١- **القضاء على الموت الأبدي،** الذي دخلناه بإرادتنا، بموت المسيح المتجسد. وذلك يتم عن طريق:

٢- إتحاد الله بطبيعة الإنسان : **« لقد صار الله إنسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا»** (أثناسيوس ومن جاءوا بعده)

لذلك كتب هذا المفكر المعاصر واللاهوتي الأرثوذكسي في كتابه ص ٦٣و ٦٥ و ٢٠٩:

> **« التعليم عن تأله الإنسان يشكل الفكرة والبؤرة الأساسية والرئيسية لكل لاهوت القديس أثناسيوس. وهذا التعليم له جذوره** في **فكر القديس إيريناؤس بالتأكيد»** (ص ٦٥)
>
> « ولكن القديس أثناسيوس الرسولي يدخل إلى الأعماق ويجد موضعه الحقيقي في التقليد الآبائي لتعليم الخلاص،
>
> ذلك الذي يري أن أهم سبب، بل **والسبب الوحيد الكافي لتجسد كلمة**

> الله في **بشرية الإنسان، والموت الذي جازه المسيح،** لم **يكن لإسترضاء العدالة الإلهية، كما هو الحال** في **التعليم القانوني للكنيسة الكاثوليكية بروما، والذي** يجد **جذوره** في **تعليم أغسطينوس وأنسلم،**
>
> بل كما كتب القديس أثناسيوس: « في موت المسيح **قد** تم **القضاء النهائي مرة واحدة على الموت** حتى يستطيع أن ينعم الإنسان بتجدد الصورة (صورة الله) التي فيه...» (ص ٦٣)
>
> « إن تعبير الترضية satisfaction (للعدالة الإلهية أو توفية العدل الإلهي حقه) بالروح التي شرحها أنسلم وفهمها، وتعليم وراثه الخطية الأصلية، أو وراثة حالة خاطئة، كما قال أغسطينوس عن طبيعة الإنسان، **هما تعبيرات غريبة كل الغرابة (وأجنبية) على الفكر الآبائي الشرقى!!!**
>
> فتركيز الفكر الشرقي كله (خاصة أثناسيوس) مرتبط على الدوام بالتضاد بين الحياة والموت [الخلود والعدم]، بين فساد الموت وإعادة الخلقة، بين الفساد وعدم الفساد.
>
> **نظرية الفداء بموت المسيح لترضية العدالة الإلهية تشكل قطعًا إغراء واضحًا للعقلية العملية التي للغربيين»** ص ٢٠٩.

وبالرغم من هذا الوصف الرائع لتعليم اللاهوت الشرقي عند أثناسيوس الرسولي من قبل الأخوة اليونانيين (الأروام) والروس، عندنا للأسف مَنْ يتهمون أثناسيوس الرسولي بأنه قد علم بنظرية ترضية العدالة الإلهية كما علم ا الغربيون!!! ولكن المعروف جيدًا أن لفظة **«ترضية العدالة الإلهية» بالموت على الصليب** لم **تذكر هكذا إلاّ بعد القديس أثناسيوس بسبعة قرون كاملة!!!**

ويؤكد هذا الحديث ويدافع عن القديس أثناسيوس، الجل الأعظم من اللاهوتيين الأرثوذكس. **وها هو الأب چون مايندورف يؤكد الكلام ذاته عن أثناسيوس :**

> « الفداء هو بضم وإتحاد الطبيعة البشرية في المسيح المقام، هذا يلخص عموم الروحانية والنسك المسيحي الشرقي. **لقد حدثت بسبب التسرع** في **الحكم، أخطاء** في **شرح هذه الروحانية من مؤلفين [ومنهم أقباط أرثوذكس]**

تناولوها من منظار اللاهوت الغربي مثل أغسطينوس وأنسلم...

الفداء للطبيعة البشرية ... هو أساسًا أن شخصًا ذو طبيعة غير خاطئة... أخذ بحرّية الطبيعة البشرية في حالتها الفاسدة (المائتة) وبالقيامة أعاد لها علاقتها بالله. في المسيح إشترك الإنسان مرّة أخري في الحياة الأبدية المعدة له عند الله. لقد تحرّر من عبودية الشيطان المفروضة بالموت.

وكما فهم الآباء الشرقيون الفساد كمرض جلبه الإنسان بإرادته، وليس كعقوبة مفروضة من العدالة الإلهية، كذلك فهموا أن الموت والقيامة في المسيح المتجسد هو :

مشاركة وإتمام للمصير المشترك [هام جدًا إستيضاح هذه العبارة لأن الموت الجسمي ليس عقوبة بل «انتقال» من حالة إلى حالة أخري] ثم خليقة جديدة، لم يكن من الممكن تحقيقها إلاّ بعد أن أصبحت طبيعة المسيح البشرية من نصيبنا نحن في الموت ذاته (أي أن الموت يؤكد تاريخية وحقيقة حمل المسيح لطبيعتنا فعلاً وليس شكلا).

ولهذا يكتب أثناسيوس الرسولي :

« جسد المسيح كان من نفس طبيعة البشر كلهم ... وقد مات **بحسب مصير رفقائه**... موت الجميع كان يتحقق في جسد الرب، وفي الوقت ذاته قضي الكلمة الحال في الجسد على الموت والفساد».

(John Meyendorff, Christ in the Eastern Christian Thought, p.118)

القديس أثناسيوس والموت البيولوچي الطبيعى:

وفي هذا القول لا يدافع مايندورف فقط عن التعليم الأرثوذكسي، وعن القديس أثناسيوس ضد الفكر الغربي القانوني، ولكنه أيضًا يؤكد نقطة في غاية الأهمية كنت قد ذكر ا سابقًا وأكررها، وهي: **ليس الموت الجسمي هو عقوبة الشر (بل هو يشبه عَرَضْ المرض) ولكن عقوبة الشر هي الموت الروحي - أي الإنفصال عن الله. هذا الموت الروحي (المرض ذاته) هو الذي يحرم الجسد من القدرة على**

القيامة من الموت البيولوچي إلى «قيامة الحياة» (يو ٥: ٢٩). إن قيامة الجسد الذي مات صاحبة موتًا روحيًا تقيم الإنسان ليبقي في حالة « قيامة الدينونة » (يو ٥: ٢٩) بسبب عدم قدرة هذا الشخص أن يتناغم ويقترب من النور: «فلا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله» (يو ٣: ٢٠).

لذلك يري مايندورف أن مشاركة المسيح لنا في الموت البيولوچي هو « مشاركة في المصير المشترك». فبموت الرب الجسدي قضي على سلطان الموت الروحي، الذي هو نتيجة الشر الأولي والأساسية، وبذلك قضي على الموت الجسدي ووهبنا إمكانية الخلود الروحي والجسمي. **والقديس أثناسيوس** لم **ينظر للموت البيولوچي (كما درسنا سابقًا** في **موضع آخر) على أنه هو عقوبة الخطيئة.** بل سمي القديس أثناسيوس الموت الروحي أنه «البقاء في الموت والفساد» وليس مجرد الموت الجسدى:

(On The Incarnation p. 29, 30)

> « لأن هذا ما يقوله لنا الكتاب عن وصية الله ... «لأنك موتًا تموت» وليس فقط أنك تموت، ولكنه قال **سوف تبقي دائمًا** في **حالة الموت والفساد.»**
>
> «وعندما حدث هذا بدأ الإنسان يموت، وإنتشر وساد وتملك الفساد (الموت) **بصورة أكثر من الصورة الطبيعية** [الموت البيولوچى]. لأن هذه هي النتيجة التي حذرهم منها الله سابقًا لو تعدوا الوصية».

ويؤكد القديس أثناسيوس أيضًا في موضع آخر من كتابه تجسد الكلمة، أن **الإنسان قد خلق قابلاً للموت الجسمي** حتى **بدون الخطية!! فهو يري أن الموت البيولوچي حالة «طبيعية»** في **تكوين الإنسان.** وهذا ما نعرفه جميعًا، وما قاله بولس الرسول: أجسادنا التي خلقت لم تخلق خالدة، ولكنها تحتاج لعملية «تحول» إلى حالة عدم الفساد، لكي ترث عدم الفساد. وعملية التحول هذه يذكرها بولس الرسول ويقول أ ا ستحدث، عند قيامة أجسامنا من الموت البيولوچي، عندما **«نتغير** في **لحظة** في **طرفة عين»** عند مجيء الرب الثاني. ومن الهام جدًا أن نتذكر أن الجسد الذي أخذه السيد المسيح كان « بغير خطية» (عب ٤: ١٥)، ولم يكن تحت

سلطان الموت الروحي الأبدي، ولم يكن لإبليس عليه أية قوّة أو سلطان «ليبقيه في الموت دائمًا». ومع ذلك لم **يكن جسد الرب هذا منيعًا ضد الموت البيولوجى!!** ولكنه كان جسدًا قابلاً للموت البيولوجي مثلنا جميعًا. أو بحسب تعبيرات القديس أثناسيوس كان موتًا «بحسب مصير رفقاءه»، ولم يقل أن هذا المصير هو عقوبة الشر. لأن عقوبة الشر كما في قول القديس أثناسيوس هي **«البقاء** في **الموت والفساد دائمًا»**، كما قرأنا، **«بصورة أكثر من الصورة الطبيعية».**

وهذه أقوال بولس الرسول ثم بعدها ما كتب أثناسيوس الرسولي :

> « هكذا أيضًا قيامة الأموات. يزرع في فساد ويقام في عدم فساد ... يزرع جسمًا حيوانيًا ويقام جسمًا روحانيًا. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني. هكذا مكتوب أيضًا : صار آدم الإنسان الأول نفسًا حية وآدم الأخير روحًا محييًا. ولكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني، وبعد ذلك الروحاني. **الإنسان الأول من الأرض ترابي [حتى بدون الخطيئة نحن تراب وإلى التراب نعود، يجب أن نشيخ، والشيخوخة علامة بداية الموت البيولوجي - لو لم يكن هناك موتًا بيولوجيًا لما كنا نتقدم في السن والشيخوخة] الإنسان الثاني الرب من السماء ... إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله [هذا بسبب طبيعة الجسد وليس بسبب الشر] ولا يرث الفساد عدم الفساد.** هوذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقوم الأموات عديمي فساد ونحن نتغير [كان بولس ينتظر المجىء الثاني وهو على الأرض]. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت.» (١كو ١٥: ٤٢- ٥٣)

ومن كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس :

(On the Incarnation p. 29, 30, 31)

> « **فالإنسان بالطبيعة قطعًا قابل للموت، حيث إنه مخلوق من العدم.** ولكنه يحمل في نفسه شبه ذاك (الله الكلمة) الذي لو حافظ على شبهه بالتأمل الدائم لكانت طبيعته تفقد قو ا ويبقي في حالة عدم الموت والفساد.

> ثم بتحوّل الإنسان عن الأمور غير الزائلة إلى الأشياء القابلة للزوال (الفساد) بمشورة الشيطان، **أصبح الإنسان نفسه السبب** في **فساده بالموت. بإختراعهم الشر** في البداية أصبحوا متورطين في الموت والفساد.» أي «البقاء دائمًا في حالة الموت والفساد»... « بصورة أكثر من الصورة الطبيعية» (أثناسيوس الرسولى).

وعن جسد السيد المسيح كتب القديس أثناسيوس الرسولي :

(On the Incarnation, p. 49)

> « جسد الكلمة، كان جسدًا بشرًيا حقيقيًا، بالرغم من أنه قد تكوّن بطريقة فريدة من عذراء، لقد **كان جسدًا قابلاً للموت** مثل بقية الأجساد القابلة للموت. ولكن بسكني الكلمة حرّره من القابلية الطبيعية لكي لا يدب فيه الفساد.»

وهذا يعني **أن القابلية للموت البيولوچي هي أمر « طبيعي »، أما « البقاء** في **الفساد دائمًا»** في **فكر القديس أثناسيوس فهو أمر « غير طبيعي».** لقد مات جسد الرب بيولوچيًا، وشهد بذلك الروماني الذي طعنه، ويؤكد القديس يوحنا ذلك. وقد تأكد أعداء الرب المتجسّد من موته ولذا طلب اليهود حراسة قبره. لقد مات بيولوچيا و ذا تشهد الكنيسة ولكن لم يدب فيه الفساد ولم يبق في الموت بصورة «أكثر من الصورة الطبيعية» بحسب تعبير القديس أثناسيوس.

وقد يتساءل القارئ: لماذا هذا الاهتمام بموضوع الفارق بين «الموت البيولوچى» (كموت ومرحلة طبيعية بحسب الطبيعة التي خلقنا عليها) وبين «البقاء في الموت الفساد»؟!

الإجابة :

> التعليم بأن الموت البيولوچي هو عقوبة للشر، يعني أنه لم يكن موجودًا في المملكة الحيوانية في يوم من الأيام قبل ظهور الإنسان على الأرض!!! هذه الفكرة تشكل **عثرة فكرية شديدة لكثير من المفكرين والعلماء المعاصرين** الذين لا يجدون أي علامة أو دليل تاريخي لترجيح هذا التعليم وهذا بدوره

> يشكل **أحد أسلحة الإلحاد العلمي القاسية** الموجهة ضد الإيمان. فلو كان تعليم آباء الكنيسة العظام وتفسيرهم لم يلتزم بفكرة: الموت الجسدي كعقوبة للشر؛ لحلت مشاكل فكرية وعلمية كثيرة نحن في غني عنها. ولهذا يهمنا رأي القديس أثناسيوس.
>
> ولتأكيد هذا الكلام وانطباقه على البشرية كلها - قبل التجسد أيضًا وليس فقط بعده - يكفينا مراجعة إستعمال السيد المسيح نفسه وبولس الرسول لكلمات « الموت » ، « الرقاد » ، و «النوم» ؛ وأن «الله إله أحياء وليس إله أموات».

كان السيد المسيح يتكّلم عن موت كريه واحد : الموت الروحي الأبدي. أما الموت البيولوچي فلم يعره إهتمامًا إلا لكونه «علامة » ورمزًا للموت الأبدي؛ تذكرة لنا على احتمال « البقاء الدائم في الموت والفساد » في حالة لو « متنا في خطيئتنا » بدون توبة (يو ٨: ٢١).

ولعل أقوي ما قال الرب عن هذا :

> « الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل **قد إنتقل من الموت إلى الحياة.** الحق الحق أقول لكم تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » (يو ٥: ٢٤- ٢٥).
>
> « لعازر حبيبنا **قد نام** وأنا أذهب لأوقظه ... فقال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيًا وآمن بي **فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين ذا؟**!!» (يو ١١: ١١و ٢٥- ٢٦)

والرب ذا يؤكد أنه بحسب تقييمه هو فإن الموت البيولوچي ليس هو الموت الذي يشغل باله إطلاقًا!! «أتؤمنون ذا»؟!! ولذلك أيضًا لم يلغ الرب الموت البيولوچي من نظام الكون لا على جسد الابن المتجسد ولا على المؤمنين بـه، ومع ذلك يؤكد أن المؤمن به «لن يموت.. إلى الأبد»... أتؤمنون ذا؟!!

تعليق المعاصرين على الموت البيولوچي الطبيعي ومعنى الكمال الفردوسي:

في مقدمة المجلد الخاص بالقديس أثناسيوس، في الجزء المتعلق بخلاصة فكره اللاهوتي في سلسلة آباء نيقية وبعد نيقية كتب في ص IXXI

> « بالنسبة لأوريجانس، أمل الإنسان هو في العودة إلى حالة مثلي وكاملة كان قد خُلِقَ عليها أولاً (تاريخيًا). أما بالنسبة إلى إيريناؤس والآباء الشرقيين فإن الإنسان قد خلق غير كامل ولهدف مستقبلي لم يستطع أبدًا أن يحققه (تاريخيًا). هذا التعثر في النمو في تاريخ ورجاء البشرية، بالخطيئة، تم إصلاحه بالتجسد الإلهي...
>
> بالنسبة لأوريجانس التجسد كان **« عودة للماضي التاريخى»** أما بالنسبة لإريناؤس والشرقيين فإنه **«تقدّما للمستقبل»** : الحالة الأصيلة التي خلق الإنسان ليحققها ولم يحققها بعد.
>
> وهذا الإستنتاج يقودنا إلى فكر أثناسيوس... إنه لم يُعلّم بوجود فارق كبير بين حالة الإنسان الساقط و حالته بدون السقوط، كما يظن ويفسر الكثيرون!!... في رأي أثناسيوس التغّير هو تغّير مضطرد ويختلف في الزيادة والنقصان [أي لم يحدث تاريخيًا وجود إنسان كامل لا يموت وبسبب حادثة معينة تغّيرت طبيعة الإنسان من صورة إلى أخري].
>
> « لقد إزدادوا في الخطيئة وتعدوا كل الحدود، **لأنه بإختراعهم الشر** في **البداية أصبحوا متورطين** في **الموت والفساد بإراد م،** ومع مرور الزمن **صاروا من سيئ إلى أسوأ** ولم يتوقفوا عن إقتراف أي شر، ولم يهدأ جوعهم وسعيهم لإختراع شرور جديدة».
>
> (N & P.N. vol. IV 2nd series, pp. 38-39)
>
> الفارق الوحيد عند أثناسيوس إذن، بين الإنسان الساقط وغير الساقط، هو سيادة الموت والفساد بصورة قوية. لأن البقاء في الفردوس لم يكن غير محدود (وأبدى) بل كان معه وعد بتحوّل آخر نحو السماء، (نحو الخلود). أي أن الموت [البيولوچى] كان سيحدث ولكن ليس الموت كما يعرفه

الإنسان الذي لم يذق الخلاص.

بمعني **آخر** لم **يُخلق الإنسان - بحسب فكر وتعليم أثناسيوس - بصورة خالدة وحالة كاملة، ولكنه خلق وفيه «إمكانية»** تحقيق **الكمال. وللوصول** إلى **تلك الغاية والهدف، بالرغم من فشل الإنسان، كان لابد من التجسد.**

هذا التقديم للاهوت أثناسيوس، عن إحتياج الإنسان للفداء وكيف أتمه الله، يظهر لنا فكرًا ومنهجًا يخلو من شوائب كثيرة (في الفكر اللاهوتي الحديث) مما يسبب عثرات كثيرة للمفكرين المعاصرين عند قراء م لتعليم اللاهوتيين عن «حالة تاريخية كاملة» كان الإنسان قد عاشها وقتًا ما وولـّت خلفنا!!!

الفكر الإنساني المعاصر يعتقد أن الإنسان لم يبدأ وجوده على الأرض (منذ ظهر عليها) في حالة الكمال، ولكنه صارع وإخترق طريقه بالكفاح من حالته المتخلّفة عبر مراحل كثيرة من النضوج المتوالي والتطور؛ وهذا التطور كان ولا يزال معقدًا، بسبب أخطاء الإنسان (خطاياه) ونتائجها الملازمة لها، تلك التي لها نتائج مَرَضية وأخري إجتماعية. هذا الفكر المعاصر يجد التعليم اللاهوتي الذي يعتقد بحالة كاملة تاريخية، مضت وولت، مشكلة تصعب المصالحة الفكرية معها.

أما شرح وتفسير القديس أثناسيوس فيترك مكانًا فسيحًا للحركة الفكرية المعاصرة وإستنتاجا ا، للتلاقي مع الفكر اللاهوتي. فكر القديس أثناسيوس لا يتعارض بصورة قاسية (مثل فكر الكثير من اللاهوتيين المعاصرين) مع التقدم الحضاري والفكر الإنساني المعاصر».

وهذه المعاني الهامة جدًا في دراسة طبيعة الإنسان كما يشرحها اللاهوت الشرقي يؤكدها كل من المفكرين الأرثوذكسيين المعاصرين.

فها هو الأسقف الأرثوذكسي كاليستوس وير وهو أستاذ الدراسات الأرثوذكسية بجامعة أكسفورد، يؤكد موقف وتعليم القديس أثناسيوس بعبارات تكاد تكون نقلاً للإقتباس السابق!!

يقول الأب كاليستوس وير في **كتابه « الكنيسة الأرثوذكسية »** ص ٢٢٥-٢٢٩:

> « **صورة آدم** قبل **السقوط** تختلف **عن تلك** التي **وصفها أغسطينوس وعلّمها الغربيون منذ ذلك** الحين (القرن الخامس).
>
> حسب تعليم أغسطينوس ، كان الإنسان في الفردوس ممتلئًا من كل حكمة ممكنة ومن كل معرفة ممكنة : كان كماله واقعًا محققًا تاريخيًا، ولم يكن إمكانية كامنة فقط. تعليم القديس إيريناؤس الديناميكي [أن آدم خلق في حالة غير كاملة مدعوة للنمو] **يتفق بسهولة أكثر مع التعليم الحديث لنظرية التطور** [من الناحية الجسمية والنفسية من مخلوقات سابقة له] عن تعليم أغسطينوس.
>
> ولكن إيريناؤس وأغسطينوس، على أية الأحوال، كانا يتكلمان كلاهوتيين وليس كعلماء بيولوچيين حينئذ.
>
> [ملحوظة : العلم يشرح لنا كيف ظهر الإنسان وتطور الكون، How؛ واللاهوت يشرح لنا لماذا ظهر الإنسان وإلى أين ... Why].
>
> يُولَد الإنسان الجديد في عالم مملوء بالشر ويجد صعوبة في عمل الخير. إرادة الإنسان ضعفت، نحن جميعًا معرضين لآثار الخطيئة الأصلية (بمعنى الأصالة النوعية، لا الأولوية التاريخية).... الأرثوذكسية تتمسك بحالة أقل كمالاً للإنسان قبل السقوط، وهي قطعًا أقل تشددًا من الغرب في نظرها لسقوط الإنسان. **آدم** لم **يسقط من إرتفاع عال** في **المعرفة والكمال، ولكنه سقط من حالة البساطة الساذجة**. لذلك لا يحكم عليه بشدة لخطأه...
>
> الأرثوذكسية لا تعلم مثل كالفن أن الإنسان بعد السقوط حرم تمامًا من أي رغبة جيدة. **الأرثوذكس لا يوافقون أغسطينوس** عندما يكتب أن الإنسان تحت « ضرورة حتمية» لارتكاب الخطيئة، وأن : « طبيعة الإنسان قد تغيّرت وغُلبت تمامًا بالخطأ الذي سقط فيه، و بهذا فقدت منه الحرية». لقد اختلت صورة الله بالخطية، ولكنها لم تدمر أبدًا...
>
> الأرثوذكسية ترفض تمامًا أي تفسير للسقوط لا يترك مكانًا لحرية الإنسان.

معظم اللاهوتيين الأرثوذكس يرفضون فكرة وراثة الذنب Original Guilt التي **علم ا أغسطينوس - ولازالت مقبولة لدي الكنيسة الكاثوليكية.** الانسان يرث الفساد من آدم، وليس ذنبه، الإنسان مذنب بالقدر الذي يختار به بحريته مجاراة آدم...

الأرثوذكس لم يعلّموا أبدًا، كما علّم أغسطينوس وكثيرون في الغرب أن **الأطفال غير المعمدين،** لأ م ملوثون بالخطية والذنب الأصلي، سوف يلقي م الإله العادل إلى نار جهنم الأبدية! النظرة الأرثوذكسية لصورة الإنسان الخاطي أكثر إتزانًا من نظرة أغسطينوس وكالڤن.»

ويكتب أيضًا المفكر الأرثوذكسي كوستي بندلي من لبنان الكلام ذاته في كتاب له بعنوان «كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء » منشورات النور ١٩٩١، ص ٦٠، ٧٣، ٧٤:

« **الحالة الفردوسية الكاملة هذه،** لم **تتحقق بعد حتى الآن بالفعل** في **التاريخ الإنساني.** وما تصويرها في بداية الخلقة إلا للدلالة على أ ا غاية الإنسان مسجلة في أعماق كيانه (فأعماق الزمن تشير شعريًا - أي بلغة الشعر الرمزي - إلى أعماق الإنسان كما أشرنا)، وأن الله قد أعدها له منذ أن أوجده في هذا الكون. وكأن الكتاب يقول لنا إن رغبة الإنسان في الفردوس، تلك الرغبة التي توجه كامل سعيه، ليست مجرد حلم وهمي يخدر به بؤسه، إنما هي نابعة من شعور مبهم بما أعده له الله من سعادة وإكتمال منذ أن أوجده على وجه الأرض. **ولكن هذا المصير ليس بالحقيقة ورائنا، إنما هو أمامنا،** تحقيقه لم يحصل في الماضي، وإن كان تصويره في الماضي السحيق يعبر رمزيًا عن عمق التوق إليه من جهة، وعن ُبعد مناله من جهة أخري (فالماضي إنما هو مجال الحنين)، **ولكنه سوف يكون تتويجًا ُيكلّل به الله مسيرة البشرية ومعانا ا.**

فلو كان الله قد خلق الإنسان كاملاً، لما كان له من دور في صنع مصيره، ولكان نوعًا من البرمجة الآلية. ولكن شاء الله أن يكون للخليقة دور في تكوين ذا ا بتوجيه وعناية منه.

ومن هنا التطور : تطور المادة حتى بلغت حيز الحياة، ثم تطور الحياة حتى برز منها الإنسان، ثم صيرورة الإنسان عبر معاناة التاريخ حتى يحقق ذاته بالتآزر بين جهده ونعمة الله، ملء قامته، الفردية والجماعية، كإبن الله...

ولكن لماذا صور الكتاب الكمال أولا ثم المعاناة؟ الجواب هو أن هذا الترتيب الزمني هو إشارة بالنمط الشعري، إلى أولوية كيانية. وكأن الكتاب بذلك يقول: الأصل في الإنسان - بمعني الأصالة Originality وليس الأصل التاريخي، بمعني الهوية الحقيقية للإنسان كما رسمها خالقه - إنما هو الكمال. أما الضعف والمعاناة والشر والموت، فينبغي أن لا ينظر إليها إلاّ بالقياس على هذا الأساس، بحيث أ ا تعتبر إنتقاصًا منه، وبعبارة أخري «سقوطًا»...

معنى السقوط: برأيي لا يجوز لنا أن نفهم النص بمعناه الحرفي فنتصور أن الإنسان كان في مرحلة سبقت في حالة من الكمال والسعادة والخلود، وأنه سقط منها فيما بعد. هذا تأويل إنتشر في الكنيسة، وخاصة الغربية منها، بدءًا من أغسطينوس (القرن الخامس)، حتى يومنا هذا. ولكنه لم يكن موقف العهد الجديد ولا الآباء الأقدمين...

أي أن «الصورة» الإلهية (طاقة التشبه بالله) بقيت مجرد إمكانية كامنة ولم تنتقل إلى حيز الفعل.» [إلا في الرب القائم من الأموات فقط].

ويؤكد هذا التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي فلاديمير لوسكي معلقًا على تعليم القديس مكسيموس المعترف، وذلك في كتاب (The Mystical Theology of the Eastern Church, p. 97, 98.) :

« الحالة البدائية للكون المخلوق كانت حالة **«كمال غير مستقر»** ، ولم يكن الإتحاد الكامل (بين الله والخليقة - التأله Theosis) قد تحقق بعد. وكانت المخلوقات لازالت تحتاج للنمو في الحب لكي تحقق بالتمام الإرادة الفكرية لله.

> هذا التعليم أظهره وطوره القديس مكسيموس المعترف، الذي عّلم أن المخلوقات أساسًا هي «محدودة»، بمعني... أن غايتها النهائية مازالت خارجها، وأ ا في **سعي** نحو **هذه الغاية،** في **حالة** نمو **مضطرد».**

ويكتب أيضًا اللاهوتي الأرثوذكسي كريستوس يناراس في كتابه
: (Elements of Faith, T & T. Clark, p. 85)

> « **مغامرة الخليقة، تلك التي بدأت** في **الفردوس رمزيًا، ليست أبدًا فشلاً** في **خطة الله.** هذا العالم الممتلئ بالكوارث الطبيعية، والحروب والأوبئة، والظلم والجريمة؛
>
> العالم الممتلئ بتأوهات الأبرياء المعذبين، وصرخات الأطفال المتألمين، والسكران بشرب الدماء والدموع،
>
> هذا العالم وإن لم يكن يشكل إنتصارًا للحق والعدالة، فإنه مازال في **أ**عين المؤمنين **يشكل إنتصارًا للحرية!!**
>
> تلك الحرية التي تكسب خطوة خطوة، وبوصة بوصة، رحلتها نحو التأله الذي تقوده يد الله المحبة...
>
> **إن تأله الإنسان والخليقة، إن** لم **يكن واقعًا ناتجًا من الحرية، فإنه يصبح الفشل، كل الفشل،** لخطة الله **وتدبيره!!**
>
> التأله بدون الحرية يشكل تعارضًا منطقيًا، كمن يدعو لوجود إله فاقد للحرية، تناقض غريب، بل وحياة بلا معني ولا قيمة.»

الخلاصـــة :

نستنتج مما سبق، عن لاهوت القديس أثناسيوس، كتعبير عن لاهوت الشرق الأرثوذكسي كله، الآتي :

١- الإنسان لم **يخلق كاملاً،** بل خلق **قابلاً للموت** البيولوچي.

٢- الموت البيولوچي « **طبيعي** » ويختلف عن «البقاء في الموت والفساد دائمًا»، الذي هو الموت الروحي والحرمان من الله.

٣- **خرج الإنسان باختياره الحر من تدبير الله** وإهتم بالأكثر بالأمور الزائلة، فتشوهت نعمة الصورة، وفشل الإنسان في تحقيق إمكانية غلبة طبيعته التي جُبل عليها وهي الموت البيولوچي، وذلك بسبب موته روحيًا « بإختراعه » الشر بحريته.

٤- الإنسان إذن هو « عشماوي » نفسه، وهو الذي تسبب في تورطه في الموت والفساد بحريته، وليس بإرادة الله وتدبيره أبدًا. الله لم **يخلق الموت ولم يحكم بتدبيره على الإنسان بالبقاء** في **الموت والفساد**. هذا يخالف تعليم أغسطينوس والغربيين الذين يرون الموت الأبدي كعقوبة أرادها وينفذها الله بكامل حريته وتدبيره - هذا في الحقيقة فكر ينسب للخالق رغبة تدمير ما قد خلق. هذا الفكر الغربي ووراثة الخطية مخالف لكل تعليم الآباء الشرقيين، وأثناسيوس واضح كل الوضوح أن الإنسان هو المتسبب الأول والأخير في معاناته الناتجة عن شره.

٥- لاهوت أثناسيوس والآباء الشرقيين يتفق بصورة **أوقع مع الفكر المعاصر** من جهة تطور الإنسان من حالة بدائية صعودًا نحو غاية عليا في النهاية ... وهي التأله كهدف الخلاص كله. وهنا يبدأ الحديث عن الحاجة للتجسد.

• • •

القديس أثناسيوس والتجسد والفداء:

درسنا موقف القديس أثناسيوس من موت الرب يسوع المسيح وضرورته. وتأكدنا أنه لم يمت لأي هدف قانوني كما في تعليم أنسلم ومارتن لوثر والغربيين. بل كان موت الرب لأجلنا هو لكي يقابل الموت كبطل ويقضي عليه ائيًا، وذلك : **كما تلامس النار القش وتحرقه**، أو كما قال غريغوريوس اللاهوتي في تشبيه مثيل : **كما تلامس النار الشمع وتذيبه!!**

ورأينا أيضًا أن هناك **خطأ** في **الترجمة العربية** التي بين **أيدينا لكتاب** تجسد **الكلمة،** والتي قام ا القس مرقس داوود منذ عشرات السنين وأن هذا الخطأ جعل البعض يفسر موقف القديس أثناسيوس على أنه شبيه بموقف أنسلم، الذي علم بأن : موت السيد المسيح كان لكي يسترضي العدل الإلهي بتقديم ذبيحة إسترضائية، تسدد ما على الإنسان من دين (بما أن أجرة الخطية موت) لله واضع قانون الموت، والراغب في إستلام وإتمام العقوبة بكاملها، إما في الخاطي أو في السيد المسيح كنائب عن الخطاة. **المهم أن الله، عند أنسلم، لابد وأن** يميت **ذبيحة توفي العدل الإلهي حقه بالتمام، وإلا فيستحيل على الله غفران الخطية والعفو عن الخطاة بدون** ثمن**!!**

الخطأ في الترجمة سببه وجود عبارة : Just claims of God في الترجمة الإنجليزية التي استعملها القس مرقس داوود من كتاب آباء نيقية وبعد نيقية (غالبًا). ولكن الهامش في ص ٣٩ من هذا المرجع كان قد ذكر أن العبارة التي ترجمت Just claims of God في اللغة اليونانية الأصلية لم تعن هذا المعني بالضبط، بل المعني الأدق هو - كما في الترجمة التي قدمها C.S. Lewis وآخرين بعده لكتاب تجسد الكلمة -

Divine Consistency of Character

What is reasonable with respect to God.

i.e. what is involved in His attributes and His relation to us.

وعند ترجمة Just Claims of God كتبها القس مرقس داوود : **«مطالب الله العادلة ».**

ولكن الترجمة الأدق إذن هي : **« ما يليق بصدق الله وثباته على المبدأ** في **تعامله مع الخليقة »** وهذا هو المعني الذي يفهم من الترجمات الحديثة لأثناسيوس، ومن الهامش الهام جدًا في مرجع آباء نيقية الخاص بالقديس أثناسيوس وحده ص ٣٩- ٤٠.

فالقديس أثناسيوس كان يتكلّم عن أن الله لم يُرِدْ أن يلغي الحقيقة التي سبق وحذر منها الإنسان: إنه يوم يختار الشر بحريته، سوف يموت بسبب سم الخطيئة المهلك؛ وذلك لاحترام الله لحرية الإنسان، ونتائجها.

فإذا قلنا أن الله لم يُرِدْ إلغاء الموت بقرار منه، بل بأن يتجسد الإبن ويدخل للموت في عقر داره ويدمره، لا ينبغي تفسير ذلك، بحسب فكر أنسلم القانوني، بأن الله يريد ويطالب بموت إبنه لتحقيق حكم عادل صارم كان قد أصدره برغبته وتدبيره. هذا ظلم!! فإننا لو إعتبرنا أن النص اليوناني الأصلي الذي كتب به القديس أثناسيوس كان يعني أن الموت كان حكمًا عادلاً على الإنسان بإرادة الله، فبقية كتاب تجسد الكلمة كله **يكون مناقضًا بشدة وبصورة غير منطقية لهذه العبارة!! فكيف يدبر الله الموت،** ثم **يعمل كل ما عنده ليبيده؟!!!** لقد تم تحليل كتاب تجسد الكلمة وأقوال أثناسيوس الرسولي في كتاباته الأخرى كلمة كلمة، من قِبَل العلماء الأرثوذكس اليونان والروس وغيرهم. وكما قرأنا كلهم يؤكدون أن خلاصة تعليم أثناسيوس هي في **«إبادة الموت»، و «القضاء على الموت» ، و «صلب الموت»، و «إعادة الصورة»** الإلهية في الإنسان، حتى ما يتأله الإنسان، وليس عند أثناسيوس أي رائحة لفكر قانوني بالمرة. بل كما قال قسطنطين تسيرپانليس، أن الفكرة القانونية لتفسير الفداء هي **« غريبة كل الغرابة، وأجنبية عن اللاهوت الشرقي كله »** وقد ذكرت الإقتباس أكثر من مرة.

وهذه أقوال القديس أثناسيوس الهامة بشأن ضرورة موت الكلمة المتجسّد لكي يبيد ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، وليس لإسترضاء عدالة غاضبة ومهانة أو لأي إحتياج أو مصلحة يطالب بها الله الآب : On the Incarnation p. 32, 33, 49. .

> « بتسليمه هيكله هو للموت لأجل الجميع، **لكي يصفي حساب الإنسان مع الموت،** ويحرره من التعدي الأول... [وليس ليصفي حسابًا مع الله الآب!] ولما كان جسد الكلمة جسدًا حقيقيًا، كان ... قابلاً للموت مثل الأجساد الأخرى ... ولكن لأن الكلمة قد حلّ فيه حدث أن الموت والفساد قد أبطلا بالتمام.
>
> كان لابد من الموت والموت للجميع، حتى ما يتم تسديد ما على الجميع، [للموت كعدو]. لذلك أخذ الكلمة، كما قلت، جسدًا قابلاً للموت، لكي يقدمه مكان الجميع [أي ليدخل مكان الجميع إلى سجن الموت حتى ما ينفذ خطته وليس لهدف قانوني].

وبتألمه لأجل الجميع [بدافع الحب لا الإلتزام القانوني والسادية الإلهية] **مـ ـن خـلال إتحاده به (الجسد) يمكنه أن يبيد ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس،** لكي ينجي أولئك الذين إستعبدوا طيلة حيا م للخوف من الموت »

« لم **يكن يليق بصلاح الله** أن تعود المخلوقات التي خلقها إلى العدم بسبب خداع الشيطان، **ولم يكن يليق أو يناسب الله** أن يتلاشي عمله في الإنسان، سواء بسبب إهمال الإنسان أو خداع الأرواح الشريرة ... **كان من المستحيل أن يترك الله الإنسان للفساد، لأن هذا لا يليق بالله.»**

« إلا أن هذا لا يشكل الموضوع بأكمله. كما رأينـا لم **يكن من المعقول أن الله أبو الحق يتراجع** في **كلمته** [أي تحذيره للإنسان من خطورة سم الخطية لو شربه الإنسان بإرادته] بشأن الموت، لكي يؤكد بقائنا في الوجود. **إنه لا يكذب نفسه**. ماذا كان يمكن لله أن يفعل؟ هل كان عليه أن يطلب التوبة من الإنسان بسبب التعدى؟ قد تقـ ـول أن هـ ـذا **كان يليق بالله،** بل وقد تحاجج أنه بما أ م بسبب التعدي قد أصبحوا تحت سلطان الفساد فيمكنهم بالتوبة أن يعودوا لعدم الفساد مرة أخرى.

ولكن التوبة لا يمكنها تأكيد الصدق الإلهي Divine consistency، لأنه لو لم يتملك الموت على الإنسان لكان الله غير صادق [ليس لرغبة الله في موت الخاطي، لأنه إنما يرغب في أن الخاطي يرجع ويحيا، ولكن الصدق يرجع لأن إختيار الإنسان للإنفصال عن الله للأبد، إختيار يجب أن يحترمه الله واضع هذه الحرية، وليس المتشدد هو عدل الله، بل ضرورة ترك الإختيار الحر ليحصد نتيجة الإختيار، وإلا إنعدمت الحرية].

والتوبة أيضًا لا يمكنها أن تغير من طبيعة الإنسان، كل ما يمكن للتوبة أن تفعله هو أن تجعلهم يكفّون عن الخطية.

لو كانت المشكلة هي التعدي فقط [وهذا ما يخص واضع الوصية على أية الأحوال] **ولم يتبعه فساد** [وهذا ما يخص الخاطي وحده وهو ما يشغل بال أثناسيوس والله فعلاً!!] **لكانت التوبة وحدها تكفي جدًا!!!** [هذا

> تأكيد أن هدف التجسد والموت هو ما يختص بالقضاء على الفساد وليس بأي صورة ما يختص « بالكرامة المهانة» بالتعدي على الوصية أو واضع الوصية - هذا تأكيد هام جدًا].
>
> ولكن بمجرد بدء التعدي سقط الإنسان تحت سلطان الفساد، الذي هو من طبيعته، وتغرب عن نعمة صورة الله التي له. لا ... التوبة وحدها لم تكن كافية [لسبب الفساد وليس التعدى!!] ماذا - أو بالأحري من - الذي كان عليه إعادة النعمة؟ من سوي كلمة الله ذاته، الذي كان قد خلق كل الأشياء من العدم.
>
> كان هذا عمله وعمله وحده أن يحقق هدفين : أن يرجع الفاسد إلى عدم الفساد، وأن يحفظ للآب صدقه الشخصي عند الكل
>
> to maintain for the Father His consistency of character with all.
>
> لأنه هو وحده، لأنه كلمة الآب وفوق الكل، **كان يمكنه أن يعيد خلقة الكل،** وكان يليق به أن يتألم لأجل الكل وأن يكون ممثلاً للكل عند الآب».

من الهام جدًا أن ندرك، كما درسنا سابقًا أن **عقوبة الشر بالموت الأبدي ليست أبدًا حكمًا من الله على الإنسان، وليست من تدبير الخالق. لأن الخالق لا يمكنه أن يدمر ما يخلق** أو كما يقول أثناسيوس:

> « لم يكن يليق بصلاح الله أن تعود المخلوقات التي خلقها إلى العدم بسبب خداع الشيطان... [أو] بسبب إهمال الإنسان... **كان من المستحيل أن يترك الله الإنسان للفساد لأن هذا لا يليق بالله ».**

هذه العبارة ترد بمنتهي القوة على كل من يقول أن « عدم تراجع الله بشأن الموت» هو أساسًا لأن الله قد أصدرحكمًا بتدبيره وبحسب إرادته العادلة على الخاطئ، وأن هذا الحكم يجب تنفيذه حتى تتحقق «مطالب الله العادلة»!!! إن هذا الحديث يكاد يدخل تحت بند التجديف!! لأن الله يُصوّر هنا بأنه يهتم أولاً وقبل أي شيء بكرامته، وضرورة تحقيق الناموس، بصورة أهم بكثير من بقاء خليقته في الوجود!! **الله محبة، والمحبة لا تطلب ما لنفسها.** أيضًا يجب أن نتذكر مبدأ هامًا جدًا في

تعامل الله مع الخليقة: **الله يعلو على أي قانون حتى قانونه هو،** هذا إن اعتبرنا - لهدف الحوار هنا - أن الله هو فعلاً الحاكم بموت الخاطئ (وهذا ليس هو الحال بأي حال من الأحوال!!). وحتى إذا قلنا أن **«الموت هو حُكْم الله على الخاطي»**، فهذا يعني أن الموت هو **«تشخيص»** و **«تقييم»** و **«إعلان»** الله للخاطئ، عما فعلته **«الخطية التي تنتج الموت»** (يعقوب ١: ١٥). لذلك فعبارة **«حُكْم الله»** لا تعني **«تدبير الله»** ولا تعني **«إرادة الله»** بحسب التعليم الكتابي والآبائي الشرقي.

أيضًا السيد المسيح أكد أن القانون قد وضع لكي يخدم الإنسان (كخادم) ويساعده على إستعمال حريته في الإختيار، ولم يوضع القانون (كسيد) لتقييد الإنسان ولا لكي يرتفع القانون فوق الإنسان...

أي أن كرامة الإنسان ومحبة الله له، هما أعلى من القانون :

> **« ثم قال لهم : السبت (أي الناموس) إنما جعل من أجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت، إذا ابن الإنسان هو رب السبت أيضًا»** (مر ٢: ٢٧).

كنا يومًا ما نتحدث عن أهمية هذا المبدأ في الحياة عمومًا، وحتى في النظم الإدارية الحديثة، أن النظام والقواعد هي « معين » لخدمة العمل والعاملين، في أي هيئة، وليست سلاحًا لقطع الرقاب والإرهاب، وإلا ضاع كل هدف لوجود النظام، وهو زيادة الإنتاج وسعادة العاملين!! ثم قال أحد الأخوة، وهو طبيب :

حقًا لقد وضعنا إشارات المرور في الطريق حتى ما ننظم حركة المرور، ونسعد بالقيادة المريحة والوصول بالسلامة، ولكن عندما تمر سيارة الإسعاف نسمح كلنا لها بكسر كل الإشارات، ونطبق معًا قانونًا أعلى من قانون الإشارات : هو قانون **« الصلاح وحب الحياة »** الذي يعلو على كل قانون آخر. فكسر الإشارات هذا يسعي للحفاظ على حياة إنسان، وهذا أعلى من رغبات كل السائقين، وأعلى من حقوقهم التي وضعت الإشارات لتنظيمها - « السبت من أجل الإنسان » . لذلك كان السيد المسيح يكسر قانون راحة السبت، لأن تقديس كرامة وحياة الإنسان وبقاءه في الصحة والوجود هما أعلى بما لا يقاس من أي قانون. فكان لذلك يشفي في السبت.

وما قاله المسيح أنه « هو رب السبت » تعني أن الله أعلى من أي قانون، أو بعبارة أصح لم يوجد بعد القانون الذي يعلو على صلاح الخالق، « لأن الصلاح قانونه الأوحد »... فصلاح الله وبره هو عدله المماثل لعدلنا الناقص والمشوه، كما درسنا في الباب الخاص بعدالة وصلاح الله.

لذلك فالقول، أو التفسير الذي يضع أثناسيوس الرسولي في وضع أنسلم ومارتن لوثر، كمفسر يري: أن عدالة الخالق لا تسمح بالغفران المجاني، هو قول لا يدرك أعماق روح المسيح، ولا حتى السطح الخارجي لهدف « الأخبار المفرحة » - الإنجيل!! فالإله الذي يحتاج أن يقبض ثمن الغفران من ذبيحة غير محدودة لكي يغفر خطية غير محدودة، ليس هو إله - بل وليس حتى على مستوي الخاطئ الرحيم!!! ثم، كما درسنا، « عمل ووظيفة » الخالق الصالح هو إبقاء الخليقة في الوجود لأن هذا هو مجده كما قال إيريناؤس: « مجد الله حياة الإنسان ».

- **فكيف نعلّم أن عدل الخالق هو المُطالِب بموت الخاطى؟!**
- **كيف يكون الله خالق الحياة ومدّبر الموت؟!**
- **كيف يكون « الصالح بخيلاً» بالغفران المجانى؟! وهو يملكه!!**
- **كيف يطالبنا بغفران خطايانا لبعض مجانًا، ويطالب هو « بثمن » الغفران لمصلحة عدالته؟! حتى ولو كان الثمن من إبنه الوحيد؟!**
- **بل كيف نُعلم أن الله « يحتاج » لترضيّة أو لذبيحة لتدفع له ثمن الخطية بموت أي شيء في الخليقة،** ناهيك أن يكون هذا الذبيح هو حبيب الله (محب البشر) أو الإبن الوحيد؟!

يتحدث القديس أثناسيوس عن عدم رغبة الله في التراجع بشأن الموت؛ إنما يجب أن يكون ذلك لسبب يتعلق بصلاحه نحو الخليقة، وليس لخوف الله على كرامته أبدًا!!!

« صِدْق الله » ، أو « ما يليق بثباته على المبدأ في تعامله مع الخليقة»، (والتي كانت قد ترجمت خطأ بـ : مطالب الله العادلة) ذكرها القديس أثناسيوس من وجهة نظر صلاح الله وصدقه نحو البشر ومحبته للخليقة، وليس لمحبة الله لذاته

ولصدقه وكرامة عدالته!!! فَمَن هو الإنسان، وما هي الخليقة كلها وهي عدم، حتى يخشي منها الله على عدالته أو صدقه أو كرامته لو قدّم الغفران مجانًا بدون ثمن يدفع له؟!!

مَنْ الذي سيحاسب الخالق؟! ولماذا يخافون على العدالة الإلهية ذا القدر، ويدافعون عنها بالسيف، كما فعل بطرس في بستان جسثيماني؟

أين العدل الإلهي، بحسب مقياس البشر - في غفرانه للزانية - وكسر وصية السبت - ومثل أصحاب الساعة الحادية عشر - والابن الضال - والمغفرة ٤٩٠ مرة لأخي يوميًا - والموعظة على الجبل؟! لماذا لم **يغر الربّ على عدالته** في **هذه القصص وإهتم بالأكثر بالخاطئ وأنصفه على القانون «العادل »؟!!**

ثم **إن القديس أثناسيوس كان يعرض فكرة « الصدق الإلهي »** لهدفين **هامين :**

(١) إن كان موت الخاطي هو إختياره الحرّ بالإنفصال عن الله، فيجب على واهب الحرية **إحترام قرار الخاطئ بالإنفصال،** لذلك فإن الله لا يستطيع التراجع، وإلغاء قاعدة الموت الحر، باختيار المخلوق.

(٢) الصدق الإلهي يجب رؤيته من منظار أن الله قد **« حذّر »** الإنسان، وليس أنه قد **« هدّد »** الإنسان. التحذير من الموت يعني أن **المحذر يُحب من يحذره، وهو** يحذّره **من شيء ليس من صنع ولا تدبير مقدّم التحذير أبدًا.** فإن أراد أحد أن يقتل عدوًا، لا يحذره من الرصاصة!! هذا ينافي المنطق!!

وأما التهديد فهو يعني أن الذي يهدد شخصًا، واقفًا له، مترصدًا أعماله، ولن يتنازل عن **إتمام العقوبة** التي **هدد ا للنقمة.**

في **التهديد ينعدم الحب.**

« صدق الله وثباته على المبدأ » في حديث أثناسيوس، والذي جعل الربّ « لا يتراجع في شأن الموت»، كان بسبب أن الحقيقة الأكيدة التي تتبع تعدي الوصيّة هي : أن المخلوق يموت بحريته.

وهذا شرحه السيد المسيح عندما شبه نفسه بالكرمة ونحن الأغصان. فعندما

أوصانا أن نثبت فيه، وإلاّ فسنسقط ونذبل ونموت، لم **يكن يعني ـديدنا بالقتل...** حاشا؛ بل كان يحذّرنا. لقد كان يشرح لنا كما نشرح لأبنائنا: « إن لم تأكلوا وتشربوا سوف تموتون»!! ولكن لا يمكن لإنسان عاقل أن يقول أن هذا ـديد من الوالدين للأبناء : « إن لم تأكلوا وتشربوا سوف نقتلكم؛ لأننا صادقون ولن يمكننا التراجع في هذا الحكم لأنه حقيقة علمية، لابد وأن ننفذها فيكم!!!» هذا حديث ينافي المنطق، ولا يناسب الحب والصلاح أبدًا... فكيف نفسر حديث القديس أثناسيوس عن « عدم تراجع الله بشأن الموت لصدقه وثباته على المبدأ»، بصورة أنه « ـديد » من الله ولا يمكنه التراجع فيه؟!!

ثم إذا أخذنا مثل الوالدين وتحذيرهم لأبنائهم من الموت جوعًا وعطشًا، إن لم يأكلوا ويشربوا، ومع علمنا بأن التحذير صادق، ونتيجة الجوع والعطش العلمية هي الموت حقيقة وبصدق؛ فهل يعني هذا أن احترام الأهل للصدق والحق العلمي سيجعلهم يقتلون أبناءهم أو حتى يتركو ـم للموت؟!!

كذلك إذا نظرنا لقصد القديس أثناسيوس في حديثه عن «عدم تراجع الله بشأن الموت، لثباته على المبدأ في تعامله مع الخليقة» **يجب أن نقرأ بقية الحديث بروح أثناسيوس الداعية للصلاح.** يجب أن نقرأ ونحن نعلم أنه - بروح المفسّر والكاتب الأديب الشاعر - يحاول صنع «العقدة» الفنية ، والمشكلة، لكي يظهر «الصلاح» في حل هذه العقدة، وليس أبدًا ليؤكد تشدد عدالة الله لثباته على المبدأ. ولم يقصد أبدًا أن الله يطالب بالموت، إطلاقًا!! بل الله يحذر الإنسان عندما يقول له :

> « وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت .You shall surely die » (تك ٢٥: ١٧) (ولم يقل الله: يوم تأكل منها سوف أقتلك قتلاً!!)

تمامًا كما أقول لإبنى: « أما سُمّ هذه الزجاجة فلا تشرب منه. لأنك يوم تشرب منه موتًا تموت». أنا أحذره بحب وأرجوه أن يبتعد. فماذا لوشرب السم ورفض مشورتي وتحذيرى؟! مهما حدث منه سوف أعالجه حتى ولو تبرعت له بدمي وحياتي. **ومع هذا فأنا صادق ولم أتراجع بشأن الموت، ولازلت ثابتًا على المبدأ،** لأن المبدأ والصدق هو في حقيقة أن شارب السم منتحر يحاول قتل نفسه بإرادته،

وأنني مهما عملت وحتى لو أنقذت إبني، **فصدق حقيقة موت شارب السمّ لايزال باقيًا... أنا لا يمكنني التراجع بشأن هذه الحقيقة!!** ولكن موقفي هذا لا يعني بأي حال أن إبني لابد أن يموت، أو لابد من موت شخص بديل لإنقاذه، ولا يعني أنه عليّ أن أستسلم لحقيقة وصدق « موت شارب السم » ولذلك (لإحترامي للعدالة والحق العلمى) يجب أن أترك إبني - أو بديل له - يموت لكي أظهر أنني ثابت على المبدأ!!

صدقوني كل من يفسر عبارات أثناسيوس (مستعملاً الترجمة الخاطئة، حتى ولو كانت ترجمة صحيحة!!!) على أن الله واقع تحت سطوة عدالة تطالب بموت، هو إنسان يستعمل المنطق الخاطئ الذي شرحته في مثل «إبني شارب السم»، والذي يظهر خطؤه جليًا لكل قارئ ذو منطق بسيط.

وكتاب تجسد الكلمة، بل وروح الإنجيل كله يعلم شيئًا جوهريًا واحدًا: **أن الموت شر، ونتيجة للشر، وهذا كريه** في **عين الله جدًا،** ولذا كان الموت أنجس شئ في العهد القديم، وأكثر أعدائنا عداوة. أما الله فلا يهدأ له بال إلا بزرع الحياة الأبدية، وإبادة الموت ائيًا. أليس هذا هو الكتاب المقدس كله من أوله لآخره؟!! فكيف - أسألك أيها القارئ وكل من يدافع عن فكرة تدبير الله وحكمه بالموت على الإنسان - **كيف يعقل أن يكون الله ، بعد هذا كله، هو مدبر الموت والحاكم به على الإنسان؟! كيف نجدف على حبه هكذا؟!! كيف يرتكب الله الشر؟!!**

هل سمعتم أبدًا عن طبيب حَلَفَ قَسَم أبوقراط (أن يشفي المرض ولا يقدم سًما أو شيئًا مؤذيًا لإنسان) ويتسبب بإرادته في مرض إنسان بيديه، لأنه يوما ما كان قد حذره من المرض؟!!

كيف يسبب المرض بيد، ويدّعي أنه راغب في علاج المريض باليد الأخرى؟!

كيف نصلي إلى الله ونقول: « أزلت لعنة الناموس (أي الموت) عنى» في نَفَس ثم في النَفَسِ التالي نفسر أثناسيوس أنه يقول «أنت يا الله الذي لعنتني بالموت لأنك لم تكن تريد التراجع في شأن الموت الذي حذرتني منه، وذلك لتثبت أنك صادق وثابت على المبدأ»!!!؟

هدف القديس أثناسيوس في حديثه عن عدم تراجع الله بشأن الموت، بقرار منه أو بتقديم توبة منا، إنما هو مقدمة حتى ما يدخل بنا إلى صلاح الله الذي قرر أن يقدم عملاً أعظم بما لا يقاس من مجرد قرار شفاهي، أو قبول توبة من الإنسان. **والهدف هو نحن، وليس الله!!**

القديس أثناسيوس يتكلم ويكتب بروح الأديب والواعظ الذي يحاول أن يقول :

- الله فكرّ في **الفكرة (أ)** ولكن وجد أ ا ضعيفة،
- ثم فكر في **الفكرة (ب)** ولكن وجد أ ا غير كافية،
- ثم ليحقق **معجزة** لم **تكن لتخطر على قلب بشر،** الفكرة (ج) ، قرر أن يتجسد ليقدم أجمل وأقوي الحلول التي تناسب صلاحه كمحب البشر الذي لذته في بني البشر!!

(أ) **كان يمكنه أن يتراجع ويلغي نظام الحرية الذي أوجده** في **الكون وبقرار يلغي موضوع موت الخاطي،** ويجبره على العودة بالقسر، ولكن الله صادق وقد خلق الكون هكذا، وأعطي الإنسان الحرية... لا، إنه لا يمكنه التراجع وإلغاء الحرية كنظام جيد، حتى ولو كانت نتيجته إنتحار الخاطئ!!!

(ب) **كان يمكنه أن يقبل توبة من الخاطي وهذا يكفي،** إنه صالح ولا يريد شيئًا لنفسه. نعم، هو واضع نظام الحرية التي قد تؤدي للموت، ولكنه رب السبت، ولا يمكن أن يجبره قانون ولا نظام، لو تعارض هذا النظام مع صلاحه... إن الصلاح هو قانون الله الأول والأهم، وحبه للبشر يعلو على أي قانون... حتى الناموس قد أعطاه للإنسان عونًا (أعطيتني الناموس عونًا - القداس) ولم يُمِله كحمل على الخليقة، ولذا كسر السبت لأجل الإنسان. وهكذا يمكنه قطعًا قبول التوبة من جهته الشخصية هو كإله... هذا لا يضيره : **تعدي الإنسان لا يقلق كرامة وعدل الله. ولكن المشكلة تحتاج لحل أهم وأعظم يليق بالحب والصلاح** الأكبر، الذي لله ذاته... إلغاء نظام الموت

بقرار، أو قبول التوبة والله بعيدًا عن البشر وعن الخليقة، يجعله لا يشعر ولا يحس بمشاعرنا، وذلك لأنه لم يختبرها بنفسه. صلاح الله لا يقبل على الإنسـان لا (أ) ولا (ب).

لا ، لا إلغاء الموت بقرار، ولا التوبة يليقان بحب وصلاح الذي لذته في بني البشر... خاصة وأن الإنسان (حتى لو تاب وحتى لو ألغي الله موضوع الموت بقرار) يعاني من مشكلة عدم الخلود لأنه كائن ضعيف هش وفاني... كيف يقتلع الله هذا الضعف ويهدي نفسه - أغلي هدية حب - لهذه العروس المتمردة : البشرية الزانية؟!

(جـ) **التجسد والاتحاد الكامل بالبشرية والخليقة هو الحل الوحيد الذي يحقق الصلاح والحب.** ومع هذا سوف يترك الله نظام الموت الحر كائنًا، حتى إذا رفض الإنسان حب الله في هذه الزيجة (التجسد) والإتحاد، يبقي الله صادقًا ويبقي ثابتًا على مبدأه في التعامل مع الخليقة، لأنه يعلم أن الإجبار في الحب كراهية، والقسر في الحب عبودية. سوف تبقي الحرية مهما كانت نتيجتها... ولكن سيعطي الله مع الحرية إمكانية الشفاء من الموت، إن أراد الخاطئ المنتحر. **هنا الحكمة مع الحب المحترم للحرية: هذا هو العدل مع الرحمة!!** العدل هو في إحترام حق الحرية؛ والرحمة في وهب إمكانية الشفاء الحر أيضًا!! **بالتجسد والإتحاد مع البشرية المائتة، سوف يقتل الله الموت.** فكما بتلامس النار مع القش ينتهي ويحترق، وبتلامس النار مع الشمع يذوب، هكذا بتلامس الله مع طبيعة الموت عندما يدخل إلى سجن الموت في عقر داره، سوف يلغي الله سلطان «البقاء الدائم في الموت» الأبدي، الذي هو ألد أعداء الإنسان. سوف يبطل عز الموت، سوف يبيد الموت، وذاك الذي له سلطان الموت؛ بالإتحاد بالطبيعة البشرية سوف يفتدي الطبيعة البشرية التي سيتزوجها في طبيعته ويجلسها في حضن الآب عن يمين عظمته للأبد... هذا هو تمام الكفارة والفداء والخلاص.

إن لم يتجسد الله فكيف نلمس الحياة الأبدية ونتأكد منها؟!

إن مجرد ظهوره المحيي يكفي للقضاء على الموت:

« الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لإبنك الوحيد» (القداس)... ولكن بالرغم من هذه الحقيقة سوف يشاركنا الله المتجسد في كل شيء.. ما خلا الخطية وحدها. ولكن إذا كان من الممكن أن يتم الفداء بمجرد التجسد وزرع طبيعة الله في طبيعة البشر المخلوقة، **فلماذا موت الإبن المتجسد؟!**

نعم، البشرية إفتديت وهدم الموت بظهوره المحيي، ولكن كيف نتأكد من هذه الحقيقة تاريخيًا؟! يجب على الله المتجسد أن «يشترك معنا في مصيرنا المشترك» وهو الموت البيولوچي - لكي **«يقدّس الموت»** البيولوچي ويلغي سلطان الموت الأبدي (ڤلاديمير لوسكي) كتاب :

Orthodox Theology - p. 116 : sanctifying death!!)

فكما أن أهل المريض لا يمكنهم التأكد من نجاح العملية إلا بخروج الجراح والمريض بالفرح والنجاح والتبشري الطيبة، هكذا كان من الواجب أن يدخل الله المتجسد القبر مائتًا بالجسد، ويخرج حاملاً إيانا أحياء في جسده الحي والخالد للأبد. لابد من موت المسيح معلنا أمام الجميع على الصليب لكي يؤكد تاريخيًا إشتراكه الفعلى والعملي الحقيقي والكامل في طبيعتنا، ثم يقيمنا معه.

موت المسيح ضرورة كخطوة أولي لتأكيد خلاصنا وخلودنا بالقيامة، وأننا نحن أيضًا سنقوم من الأموات على صورته كمثاله. فإن لم يكن المسيح قد قام من الأموات، ما كان لنا رجاء القيامة. **نعم الفداء والقضاء على الموت تما بالتجسد وحقن الحياة الأبدية في الطبيعة المائتة. والموت والقبر والقيامة هم ختم مصداقية الحب الإلهي، ونجاح التكفير الكامل - أي محو الموت نتيجة الخطية - وميراثنا للشركة في الطبيعة الإلهية الخالدة.**

١٥- القديـس إسحـق السـريانى:
(أسقف نينوي في أواخر القرن السادس):

والإقتباس الآتي لقول هذا الأب، المملوء رقة وحكمة روحية ثاقبة، يلخص الكثير من روح الشرقيين الذين سبقوه، بل وبجسارة غير معتادة، كما رأينا في أقواله الأخرى في مقدمة الكتاب عن عدالة الله، وعن كيف يُفسّر الكتاب المقدس ومجازات الغضب والعقوبة وجهنم.

يتحدث القديس مار إسحق عن لماذا تَجسد ومات السيد المسيح :

> « لماذا إتخذ كلمة الله جسدًا ليصالح العالم ويجذبه نحو الآب بكل تواضع ووداعة؟ ولماذا تمدد ورُفع على الصليب لأجل الخطاة؟ ولماذا سلم جسده للآلام لأجل العالم؟
>
> أقول لكم الحق، لم يفعل الله كل هذا إلاّ لكي يعلن ويظهر للعالم مقدار حبه. وذلك لكي بحبه لنا، والذي يبدو جليًا كم هو عظيم، يستطيع الله أن يأسر ويجذب العالم بالحب نحوه. ذا تتضح لنا قوّة هذا الملك الذي يحيا بالحب، عندما يرينا قوة حبه في موت إبنه لأجلنا.
>
> **ولا يمكننا (القول) أن الرب قد مات ليفدينا من الخطايا، أو مات لأي سبب مهما كان، بل موته كان لكي يهبنا حقيقة وصدق إختبارنا لحبه نحو الخليقة.** [الفكر القانوني عن الموت لتحقيق العدل يختفي تمامًا!!] لو كان كل ما عمله الرب، بكل ما فيه من عجب، يهدف فقط لغفران الخطايا، لكان ممكنا أن يفدينا بأي طريقة أخري.
>
> مَنْ كان سيمنعه لو كان قد فدانا بموت بسيط؟ إنه لم يمت موتًا هيّنًا، ولكن بآلام الصليب العنيفة، لكي ندرك نحن هذا السّر، سّر الحب....
>
> **إنه لحري بنا أن نخجل من أنفسنا : لأنه كيف نرضي أن نحمل أفكارًا تقلّل وتُصغّر من شأن موت المسيح، ومجيئه إلى العالم، بقولنا أنه قد جاء لهدف فدائنا من الخطية (أساسًا)؟! هل كانت قوّة الخطية أعظم من قوّة الله، عندما أراد أن يقضي عليها، ولذلك لم يقدر أن يبيدها إلاّ بموت المسيح؟!**

لو كان هذا هو سرّ تدبير الربّ (إلهنا)، أن يفدينا من عبودية الخطية، فإذن لو كنا لم نخطئ لما كان هناك أي داع أو سبب لمجيء المسيح، ولما كان موت المسيح ضروريًا... **هذا لو أخذنا الكتاب المقدس بصورة سطحية.**

لنكمل، (فإذا أكملنا الحديث على هذا المنطق) يمكننا إذن أن نقول أنه لو لم يكن الموت قد تملك علينا بسيادة الخطية، لما كان ممكنا أن يعلن لنا سرّ حب الله بالتجسد، ولكان البشر والملائكة قد حرموا من كل هذا النور والمعرفة!

و بهذا المنطق لأصبح من الواجب أن نقدم الشكر للخطية، لأننا قد إستلمنا كل هذه البركات بسبب الخطية!! فهل يمكننا، إذن، أن نظن أن سبب كل هذه البركات المدهشة ... هو الخطية؟ يبدو أنه بدون ارتكاب الخطية ما كان يمكن للملائكة أو البشر التمتع بأي رجاء في حياة الدهر الآتي، حيث نجد سعادتنا هناك!!

إذن لماذا نلوم الخطية، التي جاءت لنا بكل هذه النعم (البركات)، إذا كان موت المسيح وآلامه وسر مجيئه للأرض هو الفداء من الخطية، وخلاصنا من جهنم، خاصة (وأنه بهذا المنطق) القاضي ذاته هو الذي تألم وسدد الديون؟!

ولكن هذا (المنطق واستنتاجاته) لا يمثل الحقيقة. لا يصح بنا أن نصبح كالأطفال، عندما نتأمل تدبير الرب، بأن نتمسك بسطحية الكتاب المقدس (في التفسير). [الفكر القانوني فكر طفولي عن الله!].

حتى وإن لم يعط لكل إنسان أن يفتح هذا الباب، وأن يزيل ويرفع حدود ما هو (للإنسان) الطبيعي... فإنه من الممكن لأبناء هذه الأسرار أن يفحصوا بكل خشوع ويتعجبوا من تدبير الله وغني أسراره **المختفية وراء التعبيرات المباشرة في الكتاب المقدس.**

هؤلاء (المنعم عليهم بإدراك التدبير الإلهى) يدركون تدبير المسيح، المتعجب منه، ليس فقط في الأقوال الظاهرة (والسطحية).

هؤلاء قد وهبوا المعرفة بالنعمة وأعطوا موهبة إدراك بواطن أسرار المسيح، التي قد ذكرت (في الكتاب المقدس) بصورة إجمالية على السطح الخارجي. وللثالوث، السر المتعجب منه، الحامل لسر التميز بين الأقانيم والمشع لنا بالحب، الذي أعلن لنا في الجسد، لعزاء الكل: المجد والسجود والشكر منذ البدء، والآن، وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

(A.J. Wensinck, Mystic Treatises of Isaac of Nineve, 1923. p. 318)

خلاصة تعليم الآباء الشرقيين

في هذه الصفحات السابقة تلخيص كتاب تجسد الكلمة، كما شرحه وحلله كل اللاهوتيين الأرثوذكس. هذا خلاصة لاهوت التجسد والفداء والكفارة - بمحو الموت النجس وتطهير الإنسان منه، وكمال فهم عقيدة الخلاص بحسب الآباء الشرقيين:

القضاء على : الموت ومحدودية الإنسان وفشله الذريع في **التناغم الكامل مع إرادة الخالق.** ذا ينمو الإنسان جديدًا نحو التشبه بالله، الوجود المطلق. وبالنعمة يهبنا الآب كل إنتصار انتصره لأجلنا، أي الكنيسة، ذلك المخلص البطل، الذي شاركنا حياتنا وموتنا البيولوجي، حتى ما يعتقنا من الفناء الذي نخشاه، كلما نظرنا لموت إنسان حبيب، وشككنا في أن حب الخالق سوف يهبنا الخلود. وروح الله القدوس هو الروح المحيي الذي يطبع فينا ما قد حققه الإبن المتجسد في بشريته، حتى ما يهبنا ملء الحياة والشركة مع الله، تلك التي يصعب علينا تفهمها عندما نقرأ عبارة : تأله الإنسان والخليقة!

ولكن هل يمكننا، ونحن في شديد العطش إلى الخلود والتشبه بالله، أن نقبل مصيرًا أقل من مشاركتنا لله في ملء وجوده وحبه وحريته وخلوده؟!

الإنسان طماع. هذه حقيقة!! لقد خلقنا الله بعطش نحوه، **ولا نرضي ميراثًا أبديًا**

أقل من الخلود في **حضن الحبيب.** ولا يمكننا أن نراه كما هو إلا إذا صرنا مثله على شبهه، كما يعلمنا سفر التكوين.

سمي الله نفسه « أبا » ؛ لماذا؟ لأن الأب (أو الأم) يهدي نفسه بالكامل، بلا أي بُخل، وبلا أي تحفظ لأبنائه. أنا أحمل صفات أبي وأمي بكاملها في لحمي ودمي. **نحن أبناء الله، أي شهوة قلبه أن نكون : شركاء طبيعته الإلهية!!!** هذه ليست هدية، أو تشبيه، أو مجاملة مجازية!!

هذه حقيقة الحياة الأبدية كلها ولذا جهنم أمر مخيف: الحرمان من كل ما خُلق الإنسان ليسعد به، الله ذاته في قلبي وأنا في حضنه للأبد.

• • •

الفصل الرابع

أقوال اللاهوتيين الغربيين عن الموت والفداء والكفارة

لقد عبرنا معًا في رحلة تاريخية وتنسمنا فيها عبير اللاهوت الشرقي المبني على روح الكنيسة الرسولية: عمود الحق وقاعدته (١تي ٣: ١٥). وقد رأينا بكل وضوح أن الروح الشرقية يمكن تلخيصها في عبارة: **« علاقة الله كأب بأبنائه، القائمة على الحب والنعمة والصلاح»**.

أما اللاهوت الغربي كما سنري في أقوال : ترتليانوس (القرن ٢)، وأغسطينوس (القرن ٥) وأنسلم (القرن ١١) وتوما الأكويني (القرن ١٣) ثم أخيرًا أقطاب حركة الإصلاح البروتستانتى: مارتن لوثر وكالڤن (القرن ١٦)، هذا اللاهوت والفكر يمثل مدرسة تختلف إختلافًا جذريًا عن الفكر الشرقي - وللأسف فإن عناصر هذا الفكر الغربي. قد غزت تعاليم كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، كما سنري، في القرن العشرين لأسباب سنذكرها.

واللاهوت الغربي يمكن تلخيصه في عبارة (مقابلة للعبارة التي إستعملناها لوصف اللاهوت الشرقى) وهي أن اللاهوت الغربي يحكي لنا :

« علاقة الله كإمبراطور وقاضي صارم العدالة برعايا كلهم زاغوا وأخطأوا، وأثاروا نقمته وغضبه، وأهانوا عدالته كواضع لقانون لم يحترموه؛ إ ا علاقة قائمة على العدل الصارم، والقانون (الناموس) والعقوبة كضرورة حتمية، وإلا إهتز نظام الكون وكرامة الإمبراطور العادل!!!»

وعلى القارئ مراجعة أقوال الغربيين، مع محاولة مقارنتها على الدوام مع ما قد

سبق من أقوال الشرقيين، حتى تتضح الصورة، وهذا هو هدف هذا الكتاب كله. ثم يتلو هذا الفصل نماذج من كتابات بعض الأقباط الأرثوذكس ليتضح الشبه (أو الخلاف) مع روح الآباء الشرقيين واللاهوتيين الغربيين. وأخيرًا سندرس معًا آراء اللاهوتيين الأرثوذكس المعاصرين والغربيين أيضًا الذين ينتقدون بشدة الفكر الغربي مع إبداء أسباب النقد الهامة.

(١) ترتليانوس (١٦٠- ٢٤٠م) :

في بحث شيق عن الخلق والفداء كتبه الأب الكاثوليكي جبريال دالي اللاهوتي الأيرلندي (١٩٨٩) بدأ سرد تاريخ عقيدة الفداء عند الغربيين على هذا النحو :

(G. Daly, Creation & Redemption - Pub. Michael Glazier, p. 187)

> « يقول ترتليانوس : **« كل خطية لابد من محوها، إما بالعفو أو بالعقوبة، العفو يكون بعد تأديب، والعقوبة كنتيجة للإدانة». «الخاطي لابد أن يسترضي الله Satisfy God ».**
>
> وكان ترتليانوس محاميًا (رجل قانون) وهو أول من أدخل الألفاظ القانونية مثل **«إستحقاقات» و « إسترضاء»** إلى اللغة اللاهوتية. إلا أنه كان يستعملها في مجال الأخلاق الشخصية فقط، وليس في التعليم الخاص بالفداء والخلاص...
>
> ولكن الغرب ورث تلك الصورة عن الله، إنه قاضٍ قاسٍ ومعطٍ للقانون.
>
> وهذه الصورة تطورت مؤخرًا وخرج منها التعليم المماثل عن الفداء والخلاص بقلم أنسلم أسقف كانتربرى».

(٢) القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م) :

أرجو أن لا يسيء القارئ فهم عبارات النقد المذكورة عن القديس أغسطينوس والتي أذكرها «إقتباسًا» عن اللاهوتيين. **النقد ليس نقدًا لقداسة هذا الأب العظيم**

الذي نتشفع به. ولكن القداسة لا تعني العصمة من الخطأ. ولم يجد الإنجيليين من غضاضة في إنتقاد موقف بطرس الرسول من محاكمة الرب، وإختلاف بولس وبطرس عندما وجد بولس الرسول أن بطرس كان «ملومًا» (غلاطية ٢: ١١) لا يقلل من قداسة أي منهما. وخطية داوود النبي لم تمنع الله أن يقول، فتشت قلب داوود فوجدته «حسب قلبى» (١صم ١٣: ١٤).

النقد الفكري، بدافع الحفاظ على الحق، لا يعني بأي حال إمتهان كرامة الشخص الموجه نحوه النقد، ولا أي إنقاص من انسانيته وقداسته.

ولكن إحتفاظ الكنيسة بروح التفسير الأرثوذكسي أهم بكثير من أي شخص مهما كان مركزه، ومهما كانت قداسته. ويجب أن ندرك أن رؤيـة كل مسيحي وإدراكه لمعاني الإنجيل وتفسيره يتأثر بلا شك بالبيئة، والحضارة والعرف السائد في الحقبة التي يحيا فيها هذا المسيحي. والقديس أغسطينوس كان فيلسوفًا عظيمًا، وتعلم القانون الروماني بدراسته لشيشرون Cicero ، ولذلك **كان فكره القانو**ني مع ذكريات حياته قبل توبته من العوامل المؤثرة بشدة على نظرته وتفسيره للكتاب المقدس، **ونظرته للدافع الجنسي** في **الإنسان بصورة تأثرت كثيرًا بالفكر المانوي Manichaeism ، وذلك لأنه عاشر المانويين** لمدة **عشر سنوات** من حياته قبل توبته الشهيرة، والتي تتحدانا جميعًا!!

ويكتب هنري تشادويك (أستاذ اللاهوت بجامعة **كامبريدچ)** في **كتابه « أغسطينوس » :**

> « ولد أغسطينوس بشمال أفريقيا (وكانت منطقة تونس والجزائر والمغرب تتبع الإمبراطورية الرومانية كأ ا جزء من أوربا) وعاش الـ ٣٤ عامًا الأخيرة من حياته أسقفًا لمدينة Hippo والتي هي الآن ميناء عنابة في الجزائر.
>
> وفي مدينة Hippo كان أغسطينوس فقط هو الذي يمتلك كتبًا!!! وكان غزير الدراسة والكتابة. وكتاباته التي تبقت لنا تفوق كل الكتاب القدامي. ولم يؤثر أغسطينوس فقط على معاصريه، بل على كل ما حدث في الغرب من بعده (فلسفة ولاهوت وسياسة...إلخ!!)

وكان أغسطينوس هو أول مَنْ علّم لفظة « الخطية الأصلية » Original Sin!! وأن طبيعة الإنسان قد إختلفت بصورة جذرية بسبب الخطية...

كان أغسطينوس أشد الكتاب المسيحيين في التأثر بالفكر الأفلاطوني Platonism ... وفكر أرسطو Aristotle .

أنسلم، توما الأكويني، بيترارك (وكان دائمًا يحمل في جيبه نسخة من كتاب أغسطينوس - الإعترافات) لوثر، باسكال وكيير كجارد (الفيلسوف الوجودى) كلهم يقفون في ظل هذا العملاق اغسطينوس... وكذلك نيتشه (الفيلسوف الملحد) وفرويد (العالم النفسى). وكان أغسطينوس قد كتب عن العقل الباطن sub-conscious قبل سيجموند فرويد!!!... وكان لأغسطينوس **أثره** في **تقدّم الفكر والعلم الحديث**» (3-p. 1)

« وقد تربي أغسطينوس على مؤلفات شيشرون الفيلسوف الرومانى» (10-p. 9).

« **ولمدة عشر سنوات إرتبط أغسطينوس بالمانويين** (الذين يؤمنون بأن المادة والجسد، خاصة الجانب الجنسي، هم شر في شر ولا يمكن إصلاحهم، وأن الشر يورث بالسائل المنوي من الأب لأبنائه، وأن خالق العالم المادي إله شرير، بخلاف الإله الخير خالق الأرواح والأمور المجردة من المادة). وكان ذلك في مدينة قرطاجة، كما في روما أيضًا حيث كان أغسطينوس معلّمًا وفيلسوفًا مانويًا!!» (p. 14).

« وقد عاش أغسطينوس حياة متقشفة زاهدة بعد توبته (على يد القديس أمبروسيوس) وكان لا يحتفل بعيد ميلاده وكان كما يقول : **يخجل من وجوده** في **جسد مادى**!!» (p. 17).

« وقد درس أغسطينوس الكثير عن الفلسفة والهندسة والموسيقي والرياضة والفلك والكون» (p. 33) .

« كان أغسطينوس أولاً مترددًا في إجابة السؤال الخاص بحرية الإرادة (وهل الإنسان مسيّر أم مخيّر)، وهل خلقنا الله في صورتنا الحالية، أي أقل في المعرفة

لكي ننمو ونتقدم... أم أن حالة الإنسان الحالية هي حالة عقوبة بسبب سقوط الإنسان، أنزلها الله منذ خطيئة آدم وحواء الأولي...ولكنه مؤخرًا كان يميل إلى أ ا حالة عقوبة إلهية» (39 .40-p).

« كان أغسطينوس حساسًا بشدة بسبب لغة الإنجيل الرمزية وغير المباشرة. كان يري أن الكثير من المؤمنين غير المفكرين يقرأون ويفسرون ما هو أكوامًا من المجازات واللغة الرمزية للتأمل، على أ ا أمور حرفية كاملة الواقعية!!» (p. 47).

«هناك فقرات كثيرة لأغسطينوس تصف الخلاص بكل جرأة على أنه «تأله» الإنسان. مع أن هذه اللغة تنتمي للآباء الشرقيين وليس للاتين (Greek & not Latin) و قد شرح بدقة ما كان يعنيه بقوله : إنه أمر مختلف: أن تكون الله، ليس هو ذات المعني أن تكون مشاركًا في الله ....

"It is one thing to be God, another to participate in God ..

(p. 54)

« الفلاسفة عمومًا لم يأخذوا بمأخذ الجدّية فكرة الخلق اللحظي المباشر (أي حرفية الخلق في ستة أيام). **كان أغسطينوس يعتقد أن الكون هو** في **حالة من التطور والنمو الدائم.** لم يعتقد أن كل ما هو موجود الآن كان موجودًا في البدء. كان يؤمن بأن الله قـ ـد خلـ ـق « المبادئ الأولية Seminal principles » أو المسببات « Causal reasons » لكل شيء مما ظهر مؤخرًا...

كان أغسطينوس يعتقد أن للمرأة وظيفة واحدة ، وهي الإنجاب!! وقد قال: « لو أن آدم كان قد إحتاج لمعين نظيره لإجراء حوار ذكي وصداقة، لكان قد خلق له رجلًا آخرا [!!!]، وبما أنه قد خلق حواء لابد وأن الهدف كان **للتناسل فقط للحفاظ على النوع**» (p. 89).

« كان أغسطينوس يؤمن بوراثة الخطية. وجهة نظره وحدت العوامل الوراثية البيولوچية مع مسئولية الإنسان الجنائية في إقتراف الخطيئة. لقد أقحم أغسطينوس نفسه في عاصفة (كان في غني عنها!!)...

لقد هاجمه يوليانوس (أحد خصومه) بسبب تعليم أغسطينوس عن **وراثة الشر من خلال العلاقة الجنسية،** من الآباء إلى الأبناء. بالنسبة ليوليانوس،كان تعليم أغسطينوس يمثل فكرًا مانويًا لا غش فيه!! ولابد أنه كان بسبب تأثر أغسطينوس بفلسفة ماني Mani » (p. 111-112) .

« قال أغسطينوس : **« المتعة الجنسية تطيح بالعقل»** ... لم يكن أغسطينوس يعلم بحقيقة الأفعال العاكسة للجهاز العصبي الطبيعي. ولذلك وصف، بصورة غير طبيعية، الحياة الجنسية لآدم وحواء على أ ا : كانت هادئة، وتحت تصرف العقل بالتمام كما نحرك أيدينا وأرجلنا» (p. 112) .

« الأثر الأفلاطوني (والمانوي) على أغسطينوس جعله يحاول تعريف جوهر الطبيعة الإنسانية بصورة حاول فيها **إلغاء الجانب البيولوچي** إن أمكن » (p. 115) .

ومن كتاب الكفارة والتجسد للقس الأنجليكاني ڤيرنون وايت من جامعة كامبريدچ أُقدّم هذا الإقتباس الهام، الذي يتحدّث فيه أغسطينوس بعبارات شبيهة بحديث ترتليانوس، شارحًا روح القانون الروماني التي قد تأثرا ا، وأثرت على من جاءوا بعدهم في تفسير علاقة الله بالخاطي. وكما رأينا، في الفكر الشرقي الخطيئة هي مرض يحتاج لطبيب وأب حنون يقدم الحب والعلاج، أما في الفكر الغربي فالخطيئة تحولت إلى جريمة، والخاطي إلى مجرم، وقلب الله إلى ساحة قضاء، يُسدد فيها الخطاة ثمن جريمتهم عقابًا، ليوفوا ما عليهم من ديون إسترضاء للكرامة والحق الإلهي المهان :

« قال أغسطينوس: لو كانت هناك خطايا دون أن تتبعها تعاسة وعذاب، فهذا حال... غير شريف لأنه لا يشكل عدلاً... إن حالة العقوبة تفرض لكي تسترجع الخليقة إتزا ا. ا ا قطعًا تجبر حالة الخاطئ التعيسة **dishonourable** بأن تنسجم مع كرامة وعدالة الوجود، **honour of the Universe** حتى تتمكن العقوبة بذلك من تعديل حالة التعاسة التي تسببت فيها الخطيئة»

(V. White, Atonement and Incarnation, p. 94)

ويلاحظ القارئ عدم إتفاق هذه الرؤية مع الآباء الشرقيين، بل ولا تتفق مع الكتاب المقدس الذي يعلّمنا :

> « فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي (ناموس الحب) و فعل حقًا وعدلًا (بسيره نحو الوجود والحياة بدلًا من العدم) **يحيا ولا يموت. كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه.** في بره الذي عمل يحيا. هل مسرة أسر بموت الشرير؟ يقول السيد الرب، الا برجوعه عن طرقه فيحيا؟» (حزقيال ١٨: ٢١- ٢٣).

عقوبة الشر، ليست هدف الله ولا قانون الله. بل هدفه رجوع الخاطئ. ومتي رجع الخاطئ وندم على شرّه، يشفيه الله من موت الخطية، الذي كان الخاطي قد شربه بإرادته ... الله طبيب وأب، وليس بعشماوي يترقب ويتصيد الخاطئ لكي يؤكد العدالة بالعقوبة، مثل عدل البشر الناقص.

ومن كتاب «الكتاب المقدس والآباء» The Bible and the Holy Fathers وهو عظات للآباء بحسب المناسبات الليتورجية، هناك قول هام للقديس أغسطينوس يشرح فكره عن الكفارة والفداء:

> « هل الحقيقة هي أن الله الآب كان غاضبًا علينا، وعندما رأي موت إبنه إستراح ورضي appeased ؟
>
> **وهل يمكننا أن نتصور أن الآب يمكنه أن يعطينا إبنه بدون نقمة وغضب إلا بعد أن يكون قد رضي وإستراح؟...**
>
> لذلك قرّر الله أن ينقذ الإنسان من قوّة الشيطان، ولكن لابد أن يقهر الشيطان بالعدل وليس بالقوة...
>
> لقد دخل الرب إلى آلامه، لكي يسدّد عنا نحن المديونون، ما لم يستدن به هو ...
>
> هل هناك عدالة أعظم من أن يذهب حتى الموت على الصليب لأجل العدالة؟»
>
> (From The Bible and the Holy Fathers, p. 903)

والعظة تبدو فيها الروح التي ترى الله **كإله غضوب منتقم «يحتاج» إلى راحة وإسترضاء قبل أن يهبنا إبنه، أو قل قبل أن يغفر لنا خطايانا!!** ويظهر أيضًا أن «الدّين» هنا لا يستعمل بصورة مجازية «كدّين الإنسان للموت»، كما في أقوال الشرقيين، بل الدين هو دّين مادي وحسب المعنى الحرفي يسدد للعدالة على الصليب... وهذه الروح ستزداد حدة كلما تقدّمنا نحو مارتن لوثر الذي سيستعمل عبارات «الغضب» و «الدّين» بصورة أقسى؛ لأن أغسطينوس كان يستعمل العبارات هذه بروح التساؤل أكثر منها بروح التأكيد. أيضًا يتحدّث أغسطينوس عن قهر الشيطان بالعدل وليس بالقوة. وإذا عدنا إلى قول غريغوريوس النيزي ي نجد أن الروح الشرقية لا تعطي للشيطان أي حق، وأن المحارب القوي، كما قال السيد المسيح، يدخل للعدو ويقيّده بالقوّة ولا يتعامل معه إلاّ بالقوّة. فأي عدل هذا الذي يتعامل به المخلّص مع الشيطان؟!

ويجدر القول أيضًا أن القديس أغسطينوس لم يكن قاسيًا في تصوير الله، على أية الأحوال، كما في حالة أنسلم ومارتن لوثر. ولكن أهمية آراء أغسطينوس أ ا كانت المادة الخام التي أخذها وشكلّها من جاءوا بعده بصورة أقسى بسبب التباعد عن الروح الشرقية بعد انفصال الشرق عن الغرب في القرن ١١ تمامًا.

(٣) أنسـلم - أسقف كانتربري Anselm (القرن الحادي عشر)

وُيعرَف تعليم أنسلم عن الفداء والكفارة باسم « نظرية الترّضية لأنسلم »

(The Satisfaction Theory of Anselm)

وقبل الدخول إلى أقواله أقدم مقطتفات مما كتبه عنه L.W. GRENSTED اللاهوتي الأنجليكاني وكاتب أحد أهم مراجع دراسة تاريخ عقيدة الكفارة، من جامعة مانشستر - انجلترا. و الكتاب تجميع رائع لآراء الغرب والشرق منذ القرن الثاني وحتى العشرين!! وقد طبع الكتاب عام ١٩٢٠ وأعيدت طباعته عدة مرات:

L.W. GRENSTED, A SHORT HISTORY OF THE DOCTRINE OF THE ATONEMENT , 1920.

« كان أنسلم أكثر المفكرين ثورية في أيامه وكان رجلاً قديسًا ويهتم بشدة بموضوع السلطان الكنسي، وقد عاني كثيرًا لدفاعه عن بابا روما ...

ويندر أن يوجد كاتب قد أثر في تاريخ الفكر كما فعل أنسلم بكتابه الصغير Cur Deus Homo? ، « **لماذا تجسد الله »؟** .... (p. 120)

لقد وصف أغسطينوس و غريغوريوس الكبير (أحد باباوات روما) الله بصورة القاضي الذي ينفذ القانون بصورته الرومانية. كان يهم أغسطينوس إظهار أن هذا القاضي كان عادلاً تجاه الشيطان!

أما غريغوريوس الكبير (بابا روما، وليس غريغوريوس النيزي ي اللاهوتى) فكان يهتم بالأكثر بأن **هذا القاضي لا يمكنه أن يقلل من شأن جريمة الخطية**... (121-p. 120)

و من المبادئ الهامة في القانون الروماني أيام أنسلم مبدأ تقديم **الترضية** satisfaction **كبديل للعقوبة (كتعويض أو ما نسميه رد الشرف)** في حالات الجرائم الشخصية. فإما العقوبة أو التعويض بالترضية... وكان ترتليانوس صاحب رأي مماثل في الماضي. **ونظام العقوبات الكنسية كله كان يرتكز على فكرة تقديم ترضية لله** في **هذه الحياة،** لعله، بواسطة شفاعة الكنيسة، يقبل هذا الحل البديل للموت الأبدي... لقد إستخدم أنسلم هذه الفكرة ذا ا ليشرح الكفارة ... (p. 122)

وبظهور نظام الاقطاع والاقطاعيين في **هذه العصور الوسطى،** ظهرت تطبيقات جديدة للقانون الروماني (الإقطاع = Feudalism) و ذا أصبحت أي جريمة هي جريمة شخصية، أي موجهة إلى شخص الاقطاعي صاحب الأرض والكرامة التي يجب أن تحترم. و ذا إرتبطت فكرة الترّضية بنظام حقوق الاقطاعيين العظماء - أي أن الجريمة تقاس بمقدار كرامة الشخص الذي أهين أو أعتدي عليه وليس بحجم الجريمة ذا ا فقط!!

ونحن نعلم من التاريخ أن تفسير عقيدة الفداء كان دائمًا يتأثر بالظروف السياسية المحيطة بالمفسر، فيستعمل ما عنده من مجازات دارجة في الحياة للشرح والتبسيط لعامة الشعب.

> فبدأ أنسلم بدوره يقيم ويصف الله **على أنه أحد الإقطاعيين أكثر منه القاضي** (مثل ما فعل غريغوريوس الكبير مثلاً). وكان أهم ما يشغل بال أنسلم هو حفظ الكرامة العظيمة بترضية مناسبة. لقد كانت فكرة الترضية عميقة الجذور أيام أنسلم» (p. 123).

وها هي عبارات أنسلم ذا ا :

> **« الخطية ليست إلا عدم تسديد ما علينا من مستحقات لله » !!**
>
> **« الإنسان الذي لا يقدّم لله ما يخصه من كرامة، يأخذ من الله مستحقاته وهو بذلك يهين الله، و هذه هي الخطيئة»!!!**
>
> « ليس كافيًا ردّ ما قد أخذ (من الله من كرامة) و لكن يجب تسديد أكثر مما أخذ للتعويض عن خسارة الأذي الذي حدث. لأنه كما أنه إذا أصاب إنسان، إنسانا آخر لا يكفي شفاء الأذي بل يجب دفع تعويض مناسب، هكذا عندما يتعدي إنسان على كرامة إنسان، لا يكفي لإستعادة ورّد الشرف المُهان إلاّ دفع وتسديد شئ ما يَسُر الذي قد أهينت كرامته...
>
> هذه هي الترضية التي يجب تسديدها من قبل كل إنسان نحو الله»
>
> « أن تُغفر الخطية هذا لا يعني ببساطة ألاّ تتم العقوبة، وبما أن الخطية لا يمكن إصلاحها (غفرا ا) بدون ترضية ولا عقوبة، **فلابد من عقوبة الخطية حتى تستقيم الأمور**» (p.131).

واضح جدًا أن منطق أنسلم هو منطق منظم ويبدو عادلاً جدًا!! ولكنه لا يمت بأي صلة لإله الكتاب المقدس، ولا لتفسير الآباء الشرقيين، ولا لتعريفهم للخطية، و الشر ونتائجها. مرض الشر، أو بالأحري «جريمة» الشرّ، بلغة الغربيين، **يصيب الله ذاته، وليس الإنسان. هذا تجديف!** عند الشرقيين رأينا أن نتيجة الشر الوحيدة هي فساد الخليقة، وسقوطها الكياني تحت سلطان الهوان... فشتان هو الفارق بين هذه الروح وتلك... لنكمل:

> **« لا يوجد شئ أشنع من أن يأخذ المخلوق ويخطف ما يخص الله من الكرامة، ولا يوفي الله حقه ويسدد له ما قد أخذ... فإما أن يسدد ما قد أخذ من كرامة، وإما تنفذ العقوبة، هذا وإلا فإن الله لا يكون عادلاً لشخصه، أو غير قادر أن يحفظ حقوقه - وهذا شىء لا يمكن تصوره»** (p.132)

ثم يكمل Grensted مُلَخِّصًا أجزاء أخرى من كتاب أنسـ ـلم «لماذا تجسد الله » بقوله:

> « و لكي يؤكد أنسلم ضرورة خلاص ولو بعض البشر يستخدم حجة ورأي أغسطينوس عن أن الله لابد وأن يعوض عدد الملائكة الذين سقطوا (مع الشيطان) بعدد مماثل من البشر [هذا الفكر يؤكد أن **كرامة الإنسان ليس لها مكان** في لاهوت القرون الوسطي، وأن أغسطينوس كان ينظر لخلاص البشر كمجرد إرضاء لكرامة الخالق الذي يحتاج لكمال طغمة الملائكة لتسبيحه!!] وبما أن الإنسان لا يقدر أن يقدم هذه الترضية المستحقة لأنه، حتى لو عوقب كل البشر فهذا لا يكفي لإيفاء العدل والكرامة الإلهية المهانة حقها، كان لابد من حل آخر غير العقوبة.
>
> فأي نظرة خاطئة من إنسان، هي جريمة موجهة ضد إرادة الله، وهي «غير محدودة» [لاحظ بدء إستعمال هذه العبارة عن الخطية لأن الله - كالإقطاعيين الكرام - له كرامة غير محدودة، وقد دخلت إلى كتبنا القبطية بكل أسف]. ا ا جريمة أكبر من أي كمية غير محدودة من الأكوان بكل ما فيها من حياة، كما يقول أنسلم!!! لأن الإنسان قد أهان كرامة الله إهانةخاصة جدًا... **ولذلك فالترّضية المطلوبة يجب أن تَرُدَ هـ ـذا الشرف الضائـ ـع.»** (133-p.132)

ويكمل أنسلم بقوله :

> « والذي عليه تقديم الترّضية يجب أن يكون مثيلاً مطابقًا identical للخاطئ، أو من جنسه» (p. 135)

> « وليست هناك طريقة يعطي ا إنسان نفسه لله بصورة كاملة أفضل من أن **يسلم نفسه للموت من أجل الكرامة الإلهية** (المهانة) ... إنه ضروري إذن، أن الذي يقدّم هذه الترضّية عن خطية الإنسان، يقدم نفسه للموت بإرادته» (p. 136)

ثم يختم Grensted هذا الفصل عن نظرية أنسلم مؤكدًا عدة نقاط هامة:

> « هذا الوصف لتعليم أنسـلم من كتابه Cur Deus Homo? يكفي لكي يرينا **الهوة العميقة** التي **تفصل فكره عن اللاهوتيين الذين سبقوه** ... أنسلم لم يستبق شيئًا مما سبق وقاله الآخرون...... (p. 139)
>
> نظرية أنسلم ضعيفة جدًا في موقفها من جهة الإنسان. [الإنسان كمية مهملة في القضية كلها]. تعريف أنسلم للخطية، بأ ا عدم إعطاء الله مستحقاته من الكرامة، لا تقارن مع تعليم أثناسيوس ... إهتمام أنسلم بالخطية هو من جهة الكمية فقط. الترضّية عنده مجرّد قياس كمية تسدد مقابل كمية من الخطية!!!
>
> [ليلاحظ القارئ أهمية إختيار أثناسيوس للمقارنة]
>
> هذه النظرة قطعًا لها علاقة وثيقة بتعليم الكنيسة عن تقديم أعمال التوبة Penance ، للتكفير عن الخطايا، وموضوع زوائد القديسين واستحقاقا م merits ، والتي لعبت دورًا هامًا في حياة الكنيسة آنذاك، وكانت بالضرورة ذات أثر على لاهوت التفسير، فكرة أنسلم عن الكفارة بالترضّية تؤكد أنه أدرك الكفارة على أ ا لا تمتّ بصلة لحياة الإنسان وتجديدها، بل مسألة قانونية لرد الكرامة والشرف الذي أهين. وبما أنه - لمجرّد عامل الصدفة - لم تكن هناك من مكافأة يمكن إعطاءها للمسيح المتألم، لأن النظرية لا تضع هذا في الإعتبار، وهب الله غفران الخطية!!!» (p. 143)

(٤) توما الأكويني (القرن ١٣) :

من كتاب:

(Grensted, A Short History of the Doctrine of the Atonement - 1920)

ويكمل توما الأكويني التقليد الغربي ذاته، والمنعزل عن الروح الشرقية:

> « بمحبته وطاعته، قدّم المسيح المتألم لله شيئًا أكثر من المطلوب لتعويض الله عن جريمة الإنسانية:
>
> recompense to all the offence of mankind
>
> أولا لعظم الحب الذي جعله يتألم، وثانيًا بسبب قيمة هذه الحياة التي قدّمها كترضية ... لذلك فإن آلام المسيح لم تكن فقط كافية بل كانت **ترضّية فائضة عن الحاجة** عن خطايا البشرية super abundant satisfaction وعن استحقاقهم للعقوبة. **لقد كانت آلامه هي الثمن الذي حررّنا من (تقديم الترضّية أو تنفيذ العقوبة)**» (p. 152-153).
>
> **« بتألمه حقق كل متطلّبات القانون ... وعدالة القانون ، التي كانت قد وضعت لتطالب بحقوق المتضررّين. المسيح حقق بآلامه وتسميره على الصليب (متطلبات العدالة) التي كانت على الإنسان لأنه أكل الثمرة متعديًا على وصية الله.»** (p. 153)

واضح جدًا أن الفكر الغربي لا يهتم بأي صورة بما تنتجه الخطيئة في الإنسان، **الإنسان كمية مهملة** في المعادلة تمامًا. كل ما يهم هو الموقف القانوني لرّد حقوق الإله المهان الكرامة والمتضرّر بالخطية...!! ألم يقرأ هؤلاء ما قاله الله عن نفسه لأيوب :

> « **إن أخطأت فماذا فعلت به** (أي بالله) و **إن كثرت معاصيك فماذا عملت له**. إن كنت بارًا فماذا أعطيته، أو ماذا يأخذ من يدك. **لرجل مثلك شرك** ولإبن آدم برك» (أيوب ٣٥: ٦- ٨).

ولم يقرأوا ما كتبه يعقوب الرسول عن أن الله لا يهزه ولا يُجربه شر الإنسان أبدًا :

> « لا يقل أحد إذا جرب أني أجرب من قبل الله. لأن الله **غير مُجرب بالشرور،** وهو لا يجرب أحدًا» (يع ١: ١٣- ١٧)

ويقدم توما الأكويني تعريفًا للذبيحة على أ ا استرضاء لله، كما لو كان الله « محتاجًا » لشىء من الخليقة يُقدم له كمحتاج!!

> **« الذبيحة هي أي عمل يُقدم** لله **مستحقاته من الكرامة لكي يسترضي الله...»** (p. 154)
>
> [مثل الإمبراطور أو الدكتاتور!!]

وأحيانًا يتحوّل الحديث من فكرة الترضّية إلى العقوبة :

> **«** في **هذا تظهر صرامة الله، الذي يريد ألاّ يغفر الخطية بدون عقوبة»** (p. 154)

وأيضًا يري توما الأكويني أن الله **يكره الخطاة** بسبب الخطية، وليس أن الله يكره الخطية فقط كما في تعليم الشرقيين، ويحب الخطاة. وأيضًا يعّلم أن «المصالحة» بين الله والبشر هي في أن المسيح قد صالح الله - بما أنه هو المتضرر الأساسي بالخطية - بالمجرم الذي أخطأ!! مع أن التعليم الشرقي هو أن الله صحيح المحبة، لم يكره خليقته، ولكن الخليقة هي التي خانته، و «زنت وراء آلهة الشعوب» (خر ٣٤: ١٥). ولذلك فإن «المصالحة» التي يذكرها بولس الرسول هي عودة الخاطئ والضال إلى أبيه، وليس العكس!!

> « آلام المسيح صالحتنا مع الله، بمعني أن الله **بدأ** يحبنا **من جديد** لأنه بآلام المسيح أزيلت أسباب الكراهية، وذلك بمحو الخطية **وبتسديد ترضّية مقبولة (لله)**» ... (p. 155)
>
> «لقد إسترضى الله appeased من جهة جريمة الإنسانية offence of man kind» (p. 155)

وهذا قول للاهوتي آخر من كاثوليك العصور الوسطي إسمه Gerson:

> « **لا يمكن لله أن يسمح أبدًا بأن الشر لا يعاقب،** ولذلك وضع كل خطايانا وآثامنا على المسيح يسوع.
>
> الخطيئة كريهة جدًا لأ ا ين العدالة الإلهية، لذلك أنظر إلى الله يتألم (أي المسيح) **ليسدد العقوبة الواجبة بسبب الخطية...**» (p. 169)

لاهوت الغرب في القرون الوسطي هو لاهوت النقمة والظلمة والتشفي، والغضب المصبوب من قلب الله على الخليقة، لاهوت الكراهية للخاطئ مثل الكراهية للخطيئة... ليرحمنا الله من هذا الفكر!!

(٥) مارتن لوثـ ـر و كالفـ ـن (عصر الإصلاح البروتستانتى) :

ويقدم Grensted في ذات المرجع عن تاريخ عقيدة الكفارة لأفكار لوثر و المصلحين والتي تعرف **«بنظرية الإبدال العقوبى»** Penal Substitution :

> « لوثر نفسه يهمنا لأنه هو واضع الأسس اللاهوتية التي بني عليها الآخرون، وهو لم يقدّم عملاً متكاملاً عن موضوع الكفارة، وأهم ما قاله، قاله في تعليقه على كيف صار المسيح لعنة ليفتدينا من لعنة الناموس (غلاطية ٣: ١٣).
>
> **يتحدث لوثر من وجهة النظر القانونية البحتة عن الكفارة. موت المسيح هو عقوبة الخطيئة القانونية،** وتنعدم عنده فكرة الترضّية كبديل للعقوبة. بما أن القانون يطالب بالعقوبة، إذن لابد من تنفيذ العقوبة وتحمّلها». (p. 199)

ويقتبس من أقوال لوثر من تعليقه على غلاطية ٣: ١٣ :

> « ولما ألقيت عليه كل الخطايا، جاء الناموس وقال: ليمت كل خاطئ. فإذا أردت أيها المسيح، كن مذنبًا **وتحمّل كل العقوبة،** تحمّل كل الخطية **وتحمّل كل اللعنة...**
>
> لقد صب الآب على المسيح كل خطايا البشر... وقال له .. **إدفع الترضّية**

> **المناسبة عن خطايا كل البشر** ... فيأتي الناموس ... ويهجم عليه ويذبحه. بهذا العمل تَطهّر العالم كله من الخطية وتم التكفير عن الخطايا.» (p. 199)
>
> « إذا أصبح المسيح ذاته مذنبًا بكل الخطايا التي ارتكبناها، نتحرر من الخطايا» (p. 200)

ويعلق Grensted منتقدًا فكر لوثر قائلاً :

> « العدالة التي يصفها لوثر هي قطعًا عمياء! نظرية لوثر، أي نظرية الإبدال العقوبي (أو الجزائى) Penal Substitution تقوم على مبدأ أن **الخطأ يمكنه تصحيح خطأ آخر!! كيف أننا بمعاقبة البرئ نصنع مسرة الله!**
>
> أم كيف يسترضي عملاً مثل هذا العدالة إذا كانت حقًا غاضبة؟ هذه النظرية، مثل فكرة أنسلم **تلقي الإنسان جانبًا على أنه كمية مهملة** في **القصة!!!**» (p. 201)

ويتكلم لوثر عن الخطية الأصلية مثل أغسطينوس [ملحوظة : الشرقيون يؤمنون **بوراثة الطبيعة الإنسانية القابلة للموت فقط**. وهذه هي التي تحتاج للمعمودية والميرون ليسكن فينا الروح القدس المحيّي - وليس لأن الأسرار تعطي تبريرًا من **«ذنب موروث»** - هذا تعليم أغسطينوس الغربى] ويقسّم الخطية إلى ما هو موروث وما هو فعلي :

> « لقد تألم (المسيح) وصلب ومات وقُبر لكي ما يصالح الآب معنا[!] ولكي **يقدم ذبيحة لأجل الذنب الأصلي** Original guilt (الموروث من آدم وحواء) ولأجل خطايانا الفعلية» (p. 205)
>
> **« وهذه خطة الله، إنه عادل وهو شديد الغضب على الخطية، ولكنه أخيرًا يقبل أن غضبه العادل جدًا يمكن استرضاءه، لأن ابنه قَبِلَ أن يكون بديلاً لنا وأن تـ ل عليه (تصب عليه) اللعنة، وبذلك يكون كفارة وذبيحة لأجلنا »** (p. 206)

وهذه العبارة تظهر كيف أن لوثر يري أن موت المسيح كان لتقديم ذبيحة إسترضائية

للإبدال القانوني بتحمل الغضب المصبوب من الآب على الإبن حتى ما يستريح الآب ويسترضى!!! كيف، أسألك أيها القارئ، تشعر في قلبك نحو إله يظلم البرئ هكذا، لا لشيء سوي مصلحته المحضة، وحبه لذاته وكرامته وعدالته؟! سوف تقرأ النقد الرهيب لهذه الأفكار من اللاهوتيين الغربيين المعاصرين الذين رفضوا هذا الفكر. وأذكرك بنقاء التعليم الشرقي الذي قرأته قبلاً.

وها هو كالفن يتحدّث عن إيمانه بأن اختيار الله يعني أن الإنسان مسيّر، وأن إرادة الله هي السبب في هلاك مَنْ سيهلكون!! وهذا ضد فكر الآباء الشرقيين تمامًا، عن حرية الإرادة التي تجعل خلاص الإنسان مسألة تتوقف أولاً وأخيرًا على القبول الحرّ والإختيار الحرّ من جهتنا نحن، ثم يشرح الكفارة بحسب فكره الغربي:

> « لا يقدر مَنْ يظن أنه تقي، أن ينكر حقيقة أن الإنسان مسير، بمعنى أن الله يختار البعض لرجاء الحياة و **البعض الآخر للموت الأبدي**... كون الإنسان مسيرًا يعني أن الله قد أصدر قراره الأبدي الذي بحسب مشيئته عن مصير كل إنسان لأن الله لم يخلق الكل متساويين not created in like condition ولكن للبعض قد اختار الحياة الأبدية وللآخرين إختار الهلاك الأبدى» (p. 211)
>
> « لقد قدم ذبيحته من الجسد الذي أخذه منا، حتى بتكفيره عنا يلغي ذنبنا **ويسترضي غضب الآب العادل**» (p. 212)
>
> « لأن الله هو العدالة المطلقة [بحسب الفكر والعدل البشري لا بحسب الصلاح في المفهوم الشرقي] هو يكره الخطيئة التي يراها فينا.
>
> نحن **إذن** نحمل **فينا كل ما يستحق كراهية الله**. أولاً بسبب فساد طبيعتنا، وثانيًا بسبب حياتنا الشريرة، نحن حقًا كريهون في عين الله، مذنبون أمامه، **ومولودون لهـلاك جهـنم**» (p. 214)
>
> « الذنب الذي جعلنا مستحقين العقوبة نُقل كله على رأس ابن الله... **حتى ما تستقر عليه نقمة الله العادلة**» (p. 216)

ويختم Grensted هذا الفصل من كتابه معلقًا على نظرية الإبدال العقوبي هكذا :

> « نظرية الإبدال العقوبي لم تحدث صدفة، لقد كان لها جذورًا عميقة في زمن ظهورها. لقد نمت في بيئة تقدّر العدالة والنظام الاجتماعي، ولها اتجاهات تقوية تتمركز كلها حول الله صاحب الحقوق... ولهذه النظرية الآن ما يزيد عن ثلاثة قرون من البقاء والثبات في الوسط البروتستانتي، بل وقد غزت روما نفسها [ومما لا شك فيه وصولها مع الإرساليات الأجنبية لمصر والشرق الأوسط بقوة!!].
>
> وإذا كنا نري أنه من الصعب الموافقة على هذا التشدد والصرامة... فنحن الآن [في الغرب قطعًا] نبني التفسيرات والنظريات من جديد....» (p. 221)

وقد يتساءل القارئ : أليست العقيدة واحدة وثابتة؟! لماذا هذا الحديث عن «النظريات» كما لو كان الله يتغيّر بحسب الزمان والمكان؟!

أود توجيه القارئ إلى الجزء الخاص **«بالعقيدة وتفسير العقيدة»** في بداية هذا الجزء الرابع من البحث، حيث إن العقيدة نفسها هي إيمان الإنسان المسيحي «بالتجسد والصلب والقيامة». وأن هذه الأحداث التي مرّ بها السيد المسيح مخلّصنا قد قَدَمَت لنا الحياة الأبدية وقضت على سلطان الموت الأبدي. أما تفسير العقيدة فهو حقًا يشبه النظريات لأنه التأمل في «الكيفّية» التي بها تحوّل «التجسد والصلب والقيامة» إلى خلاصنا، أي محاولة اجتهادنا كبشر لتعقل كيف أن مجىء الربّ وموته وقيامته له مفعول أكيد في الخليقة. وسوف يستمر الشرح والتفسير في اختيار نماذج ومجازات وتعبيرات وتشبيهات مختلفة من عصر إلى عصر لكي نقربّ إلى أذهاننا بالتأمل والتسبيح كيف خلصّنا الله بتجسد وموت وقيامة إبنه بنا وفينا ولنا نحن - « المحتاجين ».

فنحن نرى أن عصور الآباء الشرقيين كانت تخلو من السياسة كعنصر هام في العلاقات الكنسية وبين الكنيسة والدولة، لذلك أبقوا لنا على الرّقة والحب في التفسير والعبارات الشاعرية مثل قتل الموت، وزرع الحياة، وإبادة الخطية وتطعيم طبيعة الله في الخليقة، بل واستعمال لفظة «التأله» المحيّرة بجمالها!!

ثم في عصور تحولّ الكنيسة إلى «إمبراطورية» داخلية، في العصور الوسطي وظهور

الإقطاع، لم تعد المحبة والحياة هي صاحبة الجلالة الأولي في فكر البشر، بل حقوق الإقطاعيين والقانون وتشدد السلطات، سواء المدنية أو الكنسية. لذلك ظهرت فكرة الترضّية والكرامة والعدالة المهانة لتصف مشاعر الإنسان التقوية. وفي هذا لكل عصر عذر!!

ولكن تحول هذه التأملات القاسية إلى عقيدة ثابتة مطلقة الصحة ولا تقبل النقاش والحوار، وتصبح تفسيرات أنسلم ومارتن لوثر مسلّمات مطلقة ومـ ـّلة من الله، هذا أمر غير مقبول لأسباب كثيرة: منها أن هذه التفسيرات المتشدّدة قد شوّهت صورة الآب المحب والباذل، وحوّلته إلى قاضٍ سادي لا يهدأ غضبه!! ثم أيضًا تُظهر لنا بشدة مشكلة الروح المغايرة لروح التفسير الأولي في الشرق المسيحي، والتي بسبب ظهور الله بمظهر المتشدّد في حقوقه، أدت إلى إنفجار الإلحاد المعاصر لرفض هذه الإله الغريب على النفس الإنسانية الظمآنة للحب.

وهذا يدخل بنا إلى الفصل التالي، لنقرأ نماذج مما كتب الأقباط الأرثوذكس المعاصرين، حتى ما يحدد القارئ معالم التعليم الحالي في كنيستنا.

• • •

نماذج من الكتب الموجودة حاليًا في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أولاً : كتاب علم اللاهوت بحسب **معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، تأليف القمص ميخائيل مينا:**

هذا الكتاب قيل عنه أنه منقول عن كتاب كاثوليكي لبناني كتبه الأب الماروني البرديوط إلياس الجميل في القرن الـ ١٩. ولما قامت حركة النهضة التعليمية عندنا في القرن ٢٠، استعان المتنيح القمص ميخائيل مينا بهذا الكتاب الكاثوليكي وأضاف عليه ما يناسب كنيستنا. ويعتبر هذا الكتاب أحد المراجع الأساسية التي تتلمذ عليها الجيل الحالي من المعلمين والوعاظ. ليس فقط أن فيه الكثير مما يحتاج إلى المراجعة وإعادة الصياغة، بل هو ينقل لنا نظريتي الترضّية لأنسلم والإبدال العقوبي لمارتن لوثر على أنهما تعليم الكنيسة الأرثوذكسية**!!**

لقد إنقطعت عنا أقوال الآباء حتى الخمسينيات من القرن العشرين**!** وكانت هذه هي النتيجة**!!**

الجزء الأول ص ٣٤٨ إلى **ص ٣٥٨:**

> « لتبرير الجنس الإنساني من الخطية الجدية والفعلية ...
>
> غير أن آدم لم يطع الوصية ... جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته المتناسلين منه، لأنهم كانوا في صلبه وكان هو نائبًا عنهم فآلت الخطية إليهم بحق **الوراثة** عنه [هذا فكر أغسطينوس وليس أثناسيوس].

أما وراثة الأبناء ما في طبيعة آبائهم فهي حقيقة ثابتة لا ينكرها أحد [هذا في الوراثة البيولوچية فقط وليس في وراثة الذنب] ...

ومن المحقق أنه لم يكن سبيل للإستغفار عن هذه **الخطية... المصنوعة** في **حق جلال الله غير المتناهي** [لفظة غير المحدود أدخلها أنسلم في شرح الفداء]...

إن السيئة تقاس بقياس شرف ورتبة المصنوعة في **حقه.** [عصر الإقطاع عند أنسلم!] فالإهانة اللاحقة بأدنياء الناس ليست كالإهانة اللاصقة بالملك، لأ ا تحوز قدرًا مساويًا لقدر الملك نفسه.

فالسيئة إذن تكسب قو ا وضعفها من جهة الشخص المصنوعة في حقه [الأطفال في مدارس الأحد يرفضون ضعف وقلة العدل في هذه الفكرة، خاصة في الغرب حيث يتساوي الكل في الحقوق!!] وعلى هذا القياس نقول حيث **أن الخالق جل شأنه ذو شرف** غير **متناه، فإذن تكون الخطية التي صنعت** في **حق جلاله ذات شر غير متناه أيضًا.** [الخطية غير المحدودة، تعبير يؤله الشر والخطية!!] ومن ثم أصبح غير ممكن للخليقة كلها، الناس والملائكة معًا أن يكفروا عن هذه الخطية... وأما الخطية ففعل غير متناهي (غير محدود) ...

وحيث إنه لم يكن ممكنًا للإنسان أن يقدّم كفارة عن هذه الخطية لعجزه... دبّرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبة ا يخلّص الإنسان، **ويستوفي العدل الإلهي حقه**... [كما لو كان الله في حالة إحتياج..!!]

ولترضية العدل الإلهي في الفترة الكائنة بين المخالفة (خطية آدم) والتجسد كانت تقدم الذبائح الدموية مؤقتًا...

فلأجل إتمام (العدل الإلهي) أخذ السيد له المجد طبيعة الإنسان **لكي** يحمل **قصاص الخطاة فيها...ليوضح لنا صرامة العدل الإلهي وشدة انتقام الله من الخطاة** في العقوبات الأبدية...

والرحمة لم تزل رحمة عندما **إستوفى العدل حقه** كما أ ا أعطت الناموس حقه والخطية عقا ا.»

الجزء الثالث ص ٨٠ :

> « **الكفارة لغة :** هي ما يكفر أي يغطي به الإثم [راجع معني الكفارة والذبيحة **«كتطهير»** ومحو كامل للموت نتيجة الشر، في الجزء الثالث من هذا الكتاب وأقوال سفر اللاويين «فيكفر عنكم الكاهن فتطهرون»، والمعني اللغوي لكلمة كفارة، والذي **يخلو من معنى الإسترضاء** والتغطية بتاتًا كما كتب Pullan وأساتذة اللغات وقواميس اللغات الأشورية!!].
>
> **الكفارة إصلاحًا :** هي الترضية العظمي ذات **القيمة غير المحدودة** التي قدمها ربنا يسوع المسيح **للعدل والشريعة** باحتماله عن البشرية جمعاء **القصاص** الذي استحقته عن خطاياها.»

ولعل القارئ والخادم القبطي قد أدرك خطورة إستعمال هذا الكتاب غير الأرثوذكسي، في شرحه لمعني الكفارة، بل والذي تنتفي منه محبة الله للبشر. للأسف الشديد أن روح مارتن لوثر العنيفة، وإله الصرامة والسادية، وإله كثلكة العصور الوسطي، كلها تظهر بشدة وقسوة، لم يعهدها شعبنا القبطي في روح صلوات القداسات التي درسناها، بل وإرتوينا منها في كنيستنا المملوءة حبًا في صلوا ا وأقوال آباءها. لأجل الحق الكنسي ولأجل حبنا للمخلص، ولأجل تعليم أبناءنا الحب الشرقي الأرثوذكسي الأصيل، أدعوكم جميعًا لمراجعة موقفنا من هذه التعاليم الغريبة علينا.

ثانيًا : كتاب القديس بولس الرسول - حياته، لاهوته، أعماله؛ للأب متي **المسكين، من دير القديس أنبا مقار:**

وفي باب هام جدًا عن **« النظريات اللاهوتية عن سر الفداء »** في ص ٢٧٨ - ٢٩٥ كتب الأب متي المسكين :

> « **أولاً : نظرية الفدية بدفع الثمن :** ..... المسيح إشترانا ، فإمتلكنا لنفسه ودفع ثمن شرائنا وهو الدم، دم ابن الله ...
>
> ولكن إن كان الله باعهم «فلم يبعهم لأحد»، و «لا باعهم بثمن»، وإن

كان إستردهم فلم يستردهم أو يفكهم من العبودية بثمن أيضًا كقول الله على لسان إشعياء :

« هكذا قال الرب : مجانًا بُعتُم، وبلا فضة (ثمن) تفكون» (إش ٥٢: ٣) بمعني أن الله باعهم دون أن يغرم نفسه شيئًا، فأعمالهم الشريرة هي التي غربتهم عن الله...

عودتنا إلى الله **كلفته نقلنا من طبيعتنا إلى طبيعة جديدة متحدة بطبيعته،** ومن وضعنا كعبيد إلى أبناء له محبوبين ومقدسين، مما استلزم الفدية، وتنازلاً من جهة طبيعة الله حتى إلى مستوى عبودية الإنسان وتغريم الصليب حتى الدم **وهذا** ثمن **فادح**!!! ص ٢٧٨- ٢٧٩».

« الوضع الصحيح لنظرية الفدية : الثمن مدفوع لنا :

واضح إذن أن الفداء أكمل لحساب الله، والدم الذي قدمه المسيح ثمنًا وفدية لم يسلمه لأحد غيرنا. فدم إبن الله أعطاه الله والمسيح لنا، للكنيسة... نحن نشربه ولكن **بلا** ثمن **كدواء عدم الموت»** ص ٢٨١.

« **ثانيًا : نظرية التكفير بالإحلال** - عقوبة بدل عقوبة - المسيح مات عنا :

الكنيسة البروتستانتية تتمسك بشدة بنظرية «التكفير بالإحلال»، أي أن المسيح مات عنا بمعني نائبًا عنا، ومع أننا لا نريد ولا نرتاح للمجادلات في أمر اللاهوت، ولكن اضطررنا إضطرارًا أن نوضح موقفنا من هذا الموضوع لما فيه من أهمية روحية سيرتاح لها القارئ أشد الإرتياح.

ذبيحة المسيح هي موت الخاطي بالفعل ... **نحن متنا فيه ... فأبطل حكم الموت عني...**

وليلاحظ القارئ كيف دخل مفهوم «عني» في لغتنا العربية أيضًا بسبب **خطأ** في **الترجمة قلب** المعني **وأضر** بمفهوم **الفداء أشد الضرر،** وذلك في ترجمة نص الإفخارستيا الذي جاء في انجيل لوقا وحده [التعبير هو موت

المسيح **«لأجلنا»** فقط For us في كل ما جاء في العهد الجديد لم تذكر «عنا» بمعني بدلاً منا بل لأجلنا For us] ...

تصحيح نظرية التكفير : **التكفير بالإتحاد وليس بالإحلال** [أثناسيوس والشرقيين] بذبيحة الحب **وليس بذبيحة عقاب.**» ص ٢٨٥- ٢٨٩.

« ليس جيدًا أن يقال مات عنا، بل مات لأجلنا. لأن الإحلال هنا، أي المسيح حل محلنا بأخذ عقوبة الموت عنا [مارتن لوثر]، يضعف قوة الاتصال، لأننا بالإتصال والإتحاد فقط، ننال قوة موت المسيح وقيامته...

فلو كان الموت هو عقوبة الخطية ... لكان الابن قد تحمّل عقوبة الموت من يد الآب عوضًا عنا لإستيفاء عدل الله، وهذا غريب عن روح العهد الجديد وغير جائز، وإلاّ صار عمل الإبن - اي البذل - عقوبة، مع أن البذل حب، حب في دافعه وحب في نتيجته ...

يستحيل أن يجمع الله في قلبه نقمة العقوبة ليصبها في إبنه ليموت عنا أو بدلاً منا ... الآلام العنيفة التي تحمّلها الإبن المتجسّد مع عذاب الصليب والتشهير به حتى الموت لم تكن لتنفيذ عقوبة فرضها الآب عليه عوضًا عنا، بل لتنفيذ **تكليف محبة** أكملها الابن في جسم بشريتنا... الآلام لم تكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة، والموت لم يكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة: الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي...

فلا الآب عاقب إبنه، بل بذله عن حب، ولا الإبن عاقب نفسه، بل أحبنا وأسلم ذاته من أجلنا، ولا وقع علينا نحن عقاب في الحقيقة، بل فزنا بالبراءة والمحبة والتبني... العقاب لا ينشيء حبًا، ولكن الحب يلغي العقاب.» ص ٢٩٠- ٢٩١.

« **ثالثًا : نظرية إسترضاء وجه الله** [أنسلم] :

وهنا للأسف نجد كثيرًا من الآباء القدامي وحتى آباء العصور الوسطي، بل **وبعض المحدثين ساروا على هذا النمط اللاهوتى!!**

وتقوم (هذه النظرية) على أساس تصادم العدل عند الله في مواجهة الخطية. فالله قدوس. والخطية إساءة مباشرة لقداسته، وهنا تنبري العدالة الإلهية للخاطئ، الذي أساء إلى قداسة الله وكرامته فلا تتركه دون عقاب. و هكذا يقف الخاطئ أمام عدل الله مدانًا إلى أن ترفع الإساءة ويكفر عنها...

صورة الله في هذه النظرية (وهو طالب من يسترضي عدله وكرامته) لا تتناسب الآن مع: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦) حيث **الله هنا هو الذي يطلب استرضاء الإنسان المظلوم المخذول المهان والمطرود، ساعيًا أن يرده** إلى **كرامته الأو**لى...

كما أننا نجد في نظرية استرضاء الله، الحوار قائمًا بين الآب والإبن... **وكأن الإنسان كمية مهملة لا دخل لها** في **الحوار.**» ص ٢٩٤- ٢٩٥.

الفصل السادس

نقد اللاهوتيين المعاصرين للتفسيرات الغربية للفداء

• نبذة تاريخية عن الفكر الغربي وتطوره :

يكتب لنا Christos Yannaras اللاهوتي الأرثوذكسي في كتابه «مبادئ الإيمان» Elements of Faith. p. 154-162 :

> « الإختلافات الأولى... قد حوّلت بصورة جذرّية مسار تاريخ البشرية... هذه الاختلافات قد وُلدَت في الغرب الأوربي ونتج عنها فكر غريب وجديد بل ونظام جديد للمعرفة. وقد أدي هذا إلى ظهور الإنقسام التاريخي (في الكنيسة) وتغيّر أسلوب الحياة إلى حضارة أخرى، غير قادرة على التفاعل مع ديناميكية الحق الكنسي الأرثوذكسي.
>
> ولعل السبب هو **وجود البذرة القانونية كأساس للعقلية الرومانية،** بل والتقليد الغربي بكلّيته. فروما هي مهد العلوم القانونية وأرضها الخصبة للنمو ... **ويشكّل القديس أغسطينوس بالتأكيد أول من أرسي قواعد رفض الفكر الشرقي.** فهو لم يتلق أي تعليم بيزنطي، ولم يعرف اليونانية. لقد كان دارسًا لشيشرون Cicero رجل القانون، وترتليانوس وأمبروسيوس. لذلك نقل أغسطينوس العقلية القانونية إلى نطاق تفسير الحق وتقنينه...
>
> إن الفكر الأخلاقي والسياسي وليد الحضارة الغربية يدين بجذوره، وبكل تأكيد، لفكر أغسطينوس. **يصح القول أن أغسطينوس وهو أساس الإنحراف الفكري الغربي،** كان يمكنه أن يبقي مجهولاً ومتخفّيًا وراء توبته الشهيرة، لولا أن أهل الفرنجة قد اكتشفوا معني وأهمية تعاليمه.

وقد إستغل شارلمان هذه التعاليم ليؤسس الامبراطورية الرومانية الثانية في الغرب، بصورة منفصلة كلية عن الشرق البيزنطي في القرن التاسع. ويؤكد المؤرخون بصورة قاطعة أن أغسطينوس كان الأساس لهذه الامبراطورية اللاتينية، بدون أي أثر يوناني شرقي. منذ زمن أغسطينوس وبدأ الغربيون يستنتجون مفاهيمًا وشروحات دينية مختلفة، أدت إلى الإنقسام الكبير، بين الشرق والغرب (الأرثوذكس والكاثوليك) في عام ١٠٥٤م.

الموضوع ليس فقط الاختلاف الحرفي لهذا الإنحراف أو ظهور العقلية القانونية.. بل الأمر أكثر خطورة في الفكر الأغسطيني :

إنه ظهور وتغلب الفكر الديني الشكلي على الحق والفكر الكنسي.

«الشركة» في الفكر والحق الكنسي تعني رفض الذات، وتحوّل الحياة إلى شركة بحسب النموذج الثالوثي للحياة. وأما التّدين الشكلي piety فله دائمًا صفة الفردية، إنه يعلّي ويريح ويرضي ويؤكد الغرور الفردي. أغسطينوس أدرك وعلم هذا النوع من التّدين، أي ما يشبع ويقنع الإنسان العقلاني... ويؤكد له الأمان والاستقرار في أحضان سلطة عليا تحميه...

ثم جاء **«اللاهوت المدرسي»** Scholastic Theology **وهو تطوّر فكر أغسطينوس الموروث بصورة قوية.** في القرنين ١٢ و ١٣ أكمل المدرسيون التغيّر الجذري للحق الكنسي واللاهوت بأكمله، بعد أن رفضوا الأصل اليوناني الشرقي. **اللاهوت المدرسي العقلاني** في **عصور عظمته** لم **يكن فقط نظامًا فكريًا، بل وعقيدة منغلقة، تفسرّها الكنيسة الكاثوليكية وحدها على أ ا المفسّر الرسمي الوحيد... و ذا الموقف السياسي** نما **الفكر الحاكم بأمر الله (الثيوقراطي) والحكم البابوي المسكوني، الذي كثفّ وركّز كل سلطان روحي وقانوني وسياسي** في **يد بابا روما.**

ثم جاء توما الإكويني وأكد الفلسفة الميتافيزيقية لهذه السلطة في كتابه Summa Theolgiae (١٢٧٢ - ١٢٦٦). وعلم توما الأكويني بعصمة البابا من الخطأ!!

و ذا أرسي قواعد **عصمة قيادة الكنيسة،** والتي لها وحدها الحق المطلق

لتعلّيم الحق، ذلك الذي لا يمكن الإعتراض عليه.

وكان البابا غريغوريوس التاسع عام ١٢٣٣ قد أسس محاكم التفتيش Holy Inquisitions (وكانت تحاكم المخالفين وتحرقهم أحياء حتى بعقاب الجسد تنجو الروح في الآخرة... وكانت غالبًا ظالمة وسياسية في أحكامها بدون أخطاء عقيدية). **وذلك كان لتأكيد عصمة البابا!!**

وكان البابا إنوسنت الرابع في **بيان له قد وافق على التعذيب الجسدي كطريقة لاستجواب الهراطقة... لمجرّد القضاء على كل من يختلف معه** في **الرأي!!**

وبعد ثلاثة قرون من الزمان تحدت **حركة الإصلاح،** التي تكبّدت الكثير من المشقة، الجلّ الأعظم من الإنحراف الذي أصاب الرسالة المسيحية عن الخلاص. ولكن (مع الأسف الشديد) لم تلمس هذه الحركة جوهر المشكلة الكاثوليكية الرومانية، **بل إستمرت** في **الإنقياد الأعمي لفكر أغسطينوس بعد أن حلّ الكتاب المقدس كنص مطلق مكان البابا وعصمته.** فصار الإنسان عبدًا للحرف والنص حسب قول بولس الرسول.

منذ أغسطينوس حتى توما الإكويني ثم كالفن تغيّر مفهوم الأرثوذكسية الكنسيّة في الغرب تغيّرًا كاملاً، **فأصبحت الأرثوذكسية تعني التكيف والتوافق مع فكر السلطة الحاكمة،** لأ ا إجبارية بحسب الإثبات الفلسفى**!!!** في الواقع إختار الغرب تعبير الكاثوليكية (الجامعة الشاملة)... وترك تعبير الأرثوذكسية ليصف الكنائس الشرقية التي استمرت أمينة للتقليد الآبائي واللاهوت والإختبار الكنسي الحي...

ويمكننا القول بدون مبالغة أن الغرب قد ولّد عالمًا جديدًا بالكلّية في الأربعة قرون اللاحقة لهذه الأحداث، **منذ أن صمت الشرق.** فبتطوّر العلوم الطبيعية والتكنولوچيا، واكتشاف الأراضي الجديدة، وعودة الثروة لأوربا، تأكدت الفلسفات المتطرّفة والسياسات الإشتراكية والمتحررة، ثم ظهر عصر الآلة والتصنيع... لقد أزهرت الفلسفة التي أرساها أغسطينوس واللاهوت المدرسي بأن تأكد مفهوم الفرد القائم بذاته، **حتى ظهر الرجل**

> **الأوربي الذي يرفض كل مرجع غير مادي للحياة...**
>
> و ذا أصبح الفارق ظاهرًا بعد عصر النهضة بين ما هو مقدس وروحي وما هو علماني ودنيوي، بين الإيمان والمعرفة، بين السلطان والبحث بين الإعلان والخبرة، بين التسليم والتساؤل.
>
> وقد وصل صدي هذه التغيرات التاريخية من الغرب إلى الشرق عن طريق العلماء الذين خرجوا من الشرق ودرسوا في الغرب...
>
> لم يكن موقف العلماء الشرقيين من الغرب مجرّد موقف المعجب، بل تعدي ذلك إلى تبني الفكر الغربي بلا نقد أو إختيار مدروس إلى تبني العقلية الغربية ذا ا... **إ ا حركة « تغريب الفكر الشرقي »** Westernisation ... حتى في القيادات الروحية أيضًا!!!
>
> حتى في البلاد المسّماه أرثوذكسية الحضارة الآن غربية. الحياة اليومية جذورها أصبحت غربية وتغوص إلى الأعماق حتى أغسطينوس وتوما الإكويني. لذا أصبحت الأرثوذكسية عقيدة «فردية» تاركة الأنشطة اليومية ملقاة جانبًا، مع أن الأخيرة تشكل تجسيد الحق الإيماني إلى الواقع المعاش.»

• النقد الموجه للفكر اللاهوتي الغربي :

(١) الأب چون مايندورف : Fr. John Meyendorff.

وقد تنيح هذا الأب الأرثوذكسي قريبًا. وكان رئيس تحرير مجلة The Orthodox Church وأحد قيادات الكنيسة الأرثوذكسية الأمريكية، ومجلس الكنائس العالمي. وله مؤلفات عديدة عن الإيمان والكنيسة الأرثوذكسية:

> **« الفداء هو بضم واتحاد الطبيعة البشرّية في المسيح المقام. هذا يلخص عموم الروحانية الأرثوذكسية والنسك المسيحي الشرقي.**
>
> **لقد حدث بسبب التسرع في الحكم، أخطاء في تفسير وشرح هذه الروحانية والعقيدة، من قبل مؤلفين تناولوها من منظار اللاهوت الغربي مثل أغسطينوس وأنسلم...**

الفداء للطبيعة البشرّية هو أساسًا أن شخصًا ذو طبيعة غير خاطئة... أخذ بحرية الطبيعة البشرية في حالتها الفاسدة المائتة، و بالقيامة أعاد لها علاقتها بالله. في المسيح إشترك الإنسان مرّة أخري في الحياة الأبدية المعدة له عند الله. لقد تحرّر من عبودية الشيطان المفروضة بالموت.

وكما فهم الآباء الشرقيون الفساد **«كمرض»** في **الإنسان بإرادته الحرة، وليس كعقوبة مفروضة من العدالة الإلهية،** كذلك فهموا أن الموت والقيامة في المسيح المتجسد هي:

مشاركة وإتمام للمصير المشترك (بين الإنسان والمسيح)، ثم خليقة جديدة، لم يكن من الممكن تحقيقها إلاّ بعد أن أصبحت طبيعة المسيح البشرّية من نصيبنا نحن في الموت ذاته (أي بالموت الجسدي الحقيقي أكد لنا اشتراكه الكامل والحقيقي معنا وبالتالي اشتراكنا معه وفيه).

ولهذا يكتب أثناسيوس :

« جسد المسيح كان من نفس طبيعة البشر كلهم ... وقد مات بحسب مصير رفقاءه... موت الجميع كان يتحقق في جسد الربّ، وفي الوقت ذاته، قضي الكلمة الحال في الجسد على الموت والفساد **(هذا هو الفداء)**»

(Christ in the Eastern Christian Thought, p. 118)

(٢) الأب كاليستوس وير : Bishop Kallistos Ware.

وهو من الآباء والكتاب الأرثوذكس المشهود لهم في العالم المسيحي. هو الآن أسقف وأستاذ الدراسات الأرثوذكسية بجامعة أكسفورد. وفي أحد أهم مؤلفاته كتاب «الكنيسة الأرثوذكسية» **The Orthodox Church** كتب عن معني وهدف الخلاص الأرثوذكسي عند الآباء مع نقد في غاية اللطف والرقة للفكر الغربي حيث إنه من العاملين في الحقل المسكوني :

« هدف الحياة المسيحية كله، كما شرحه القديس سيرافيم ساروفسكي هو إقتناء الروح القدس، وهذا هو ما تعبّر عنه الكنيسة بلفظة «تأله الإنسان» Deificiation or Theosis

القديس باسيليوس الكبير وصف الإنسان على أنه الكائن الذي قُدّمت له الدعوة لكي يصير إلهًا!! والقديس أثناسيوس كما نعلم جميعنا قد قال: **لقد صار الله انسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا.** وتقول التسبحة (عند الأروام) «في ملكوتي، يقول المسيح سأكون إلهًا معكم كآلهة».

هذا هو تعليم الكنيسة الأرثوذكسية عن هدف وجودنا كله: أن نتحوّل إلى آلهة بالنعمة (بالتبني لله).

الفداء والخلاص في **الأرثوذكسية هو تأله الخليقة»** (p. 236)

« ولكن هناك أمور في الفهم الغربي تجعلنا نحن الأرثوذكس نشعر بعدم الإرتياح! **الغرب يركز أنظاره دائمًا على الصلب والصليب** بـ**معزل عن فرح القيامة والنصرة.**

المسيحي في الغرب تعلّم التأمل في الصليب بروح الرثاء المريض نحو ذلك الشخص المتألم، بدلًا من عبادة الملك المنتصر ...

الأرثوذكسية تري المسيح كملك منتصر أساسًا. أما في العصور الوسطي وما بعدها فالغرب ينظر للمصلوب كجريح محطم Victim.

الأرثوذكسية تري الصلب كحادثة انتصار (للبشرية) على قوي الشر، أما الغرب منذ أيام أنسلم أسقف كانتربري (١٠٣٣- ١١٠٩) فقد نظر إلى الصليب بروح **العقوبة والتسديد القانوني،** نظرة الغرب تري الصليب أنه مجرد ترضية تدفع لكي تدفع ثمنًا كفاريًا لإتقاء غضب الآب الغاضب، وتحولت إلى إبدال عقوبي...

ولكن الحالة اليوم في تغيّر، لقد بدأ الغرب مؤخرًا إظهار الروح الآبائية... روح المسيح الغالب في اللاهوت الحديث وفي الروحانية والفن، والأرثوذكس

> هم قطعًا سعداء ذا جدًا».
>
> (Kallistos Ware, The Orthodox Church, p. 236, 233-234)

(٣) كريستوس يناراس اللاهوتي الأرثوذكسي :

وقد كتب الأسقف الأب كاليستوس وير مقدمة أهم كتب هذا المفكر، والذي سأقتبس منه في هذا الفصل، The Freedom of Morality كتب يصف كريستوس بأنه : « من أكثر المفكرين الأرثوذكس ذوي الرؤية النبوية في اليونان اليوم»!!

كتب كريستوس يناراس Christos Yannaras تحت عنوان : « الإغتراب القانوني للتوبة» :

> « في الغرب الكاثوليكي الروماني وفي العصور الوسطي نشأ لاهوت كامل خلق ليدعم الإتجاه الفردي والديني الذي يحتاج إلى «التبرير» و «الفدية» التي يجب أن تدفع كثمن يقدم إلى الله.
>
> وكانت غاية هذا اللاهوت هو أن يقدم كل دعم ممكن للشريعة الأخلاقية، التي تقوم على فكرة إستقلال الإنسان، وأن يقدم هذا اللاهوت الدعم أيضًا للوضع الاجتماعي نفسه. وهكذا تمت صياغة نظرية استرضاء العدل الإلهي بموت المسيح على الصليب.
>
> هذه النظرية نقلت إلى البروتستانتية، ومنها إلى مؤلفين شرقيين أرثوذكس في مناخ التغريب Europeanizing الذي نشأ مع الحركات التقوية (الإرساليات) في الشرق في القرون الأخيرة.
>
> وهكذا تّم تعريف صورة الله بصورة تامة أو مثال **للآب السادي، الذي يتوق إلى إرضاء عدالته المهانة بصورة العطشان الذي لا يهدأ.** وإمتداد هذا المنطق أنه أيضًا يسعد بتعذيب الخطاة في الجحيم.
>
> هذه الصيغة تجعل من الخلاص عملاً ينتهي من الخطية بصورة موضوعية،

تتم على أساس ما يدفع ثمنًا أو أموالاً - كما حدث في كنيسة العصور الوسطي الكاثوليكية، عندما دفعت الأموال في صكوك الغفران والتي أدت إلى نشوء البروتستانتية المسيحية التي أنكرت سرّ التوبة بالتمام.

والأدلة التي اعتمد عليها يناراس أوردها في نفس الصفحات في هوامش في غاية الأهمية التاريخية:

« **أولاً : القوانين الخاصة بعقيدة التبرير :**

كما صاغها مجمع ترنت Trent ١٥٤٥ - ١٥٦٣م، وهي كافية لأن تؤكد للقارئ أن الثمن الذي يحدده القانون، أو الترضّية البديلة، كما في التعليم الرسمي للكنيسة الكاثوليكية الخاص بخلاص الإنسان وبعلاقة الله مع الإنسان لم يكن شيئًا جديدًا إخترعه مجمع ترنت؛ وإنما كان ملخصًا للتقليد الغربي الذي بدأ بأغسطينوس (ينبوع كل تشويه وتحريف للحق في الكنيسة في الغرب) حتى توما الأكويني في الجزء الثالث الخاص بالتعليم العقيدي، وهو جزء هام لا يقدر بثمن. وذلك لأنه يقدم التعليم والتقليد اللاهوتي الغربي بدون تحريف، وهو التعليم الذي تقبله الكنيسة الكاثوليكية في العصر الحديث أيضًا.

يقول توما الأكويني : **«الأعمال الخيّرة والأعمال الشريرة تؤدي** إلى **نوع من عدم المساواة** في **النظام الأخلاقي، ولكن المساواة سوف تعاد من جديد من خلال الجزاء الخاص بالأعمال** الخيرة، **والعقاب عن الأعمال الشريرة »** [مثل ما قال ترتليانوس وأغسطينوس وآخرين].

ثانيًا : نظرية الترضية :

أول من صاغ هذه النظرية كان أنسلم أسقف كانتربري (١٠٣٣- ١١٠٩م) والذي استخدم عبارات ترتليانوس لكي يؤكد أن خطية الإنسان هي إحداث فوضي في النظام الخاص بالعدل والكرامة والعظمة الإلهية.

وضخامة حجم الذنب الذي يسئ إلى نظام العدل، يمكن حسا ا بمقدار كرامة الإنسان الذي وقعت عليه الإهانة. ولما كانت كرامة الله وعظمته

غير محدودة، وكانت **العدالة تقتضي دفع ترضية غير محدودة،** وكان الإنسان محدودًا وعاجزًا عن دفع هذه الترضية - حتى لو ذبح البشر جميعًا - فهم جميعًا عاجزون عن إرضاء العدل الإلهي. لذلك قرر الله **أن يدفع** في **شخص إبنه الفدية غير المحدودة لإرضاء عدالته،**

وبالتالي **عوقب المسيح** بالموت على الصليب لكي يفتدي الإنسانية الخاطئة (المرجع...).

وتطوّرت هذه النظرية بعد ذلك بواسطة توما الأكويني حتى صارت **«التعليم الرسمي» للكنيسة الكاثوليكية** في **مجمع ترنت،** الذي قدّم هذه الصيغة في الجلسة السادسة. نقلاً عن المجمع وردت هذه العبارة :

« ربنا يسوع المسيح الذي بآلامه المقدسة على الصليب برّرنا جميعًا باستحقاقاته وقدم عنا الترضية لله الآب (المراجع الأوروبية.....).

والعلاقة بين نظرية إسترضاء العدالة الإلهية بموت المسيح على الصليب وسّر التوبة والإعتراف تظهر واضحة في مؤلف اللاهوتي الكاثوليكي شماوز Schmaus (اللاهوت العقيدي الكاثوليكي) حيث يقول في المجلد الرابع، الجزء الأول: «أدين المسيح على الصليب. أخذ عقوبة الموت التي وضعها عليه الآب. وهكذا كل من يخطئ بعد المعمودية **يجب عليه أن يتشّبه بالمسيح** المتألم **من خلال التأديبات والعقوبات** التي **يقبلها** ».

ثالثًا : قبول فكرة الترّضية في **الشرق :**

حسب تعليم مارتن لوثر وكالفن، لا تظهر فقط فكرة إرضاء العدل الإلهي، بل أيضًا **الغضب الإلهي** الذي حلّ على المسيح على الصليب. وبكل يقين لا يترك لوثر أي مجال للشك في أن إرضاء الغضب الإلهي كان ضروريًا (يذكر المراجع الألمانية...).

ويظهر لنا الفرق بين قادة الإصلاح والكنيسة الكاثوليكية في نقطة واحدة، وهي كيف يُفسّر كلا الطرفين حصول الإنسان على نتائج ذبيحة الترّضية التي قدّمها المسيح. وحسب تعليم لوثر ليست الأعمال الصالحة هي التي توصل نتائج موت المسيح بل الإيمان وحده، لأن الإنسان يتبرّر بالإيمان

وحده بدون أعمال. ولكن تبرير الإنسان وحده بدون أعمال بسبب موت المسيح الكفاري على الصليب، **لا يعني أن الخطايا قد مسحت** تمامًا، بل يعني أ ا لا تحسب على الإنسان!! وبالتالي يظلّ الإنسان فعلاً خاطئًا (المراجع الرسمية...).

وقد دخلت هذه الأفكار مع الإرساليات الغربية للشرق المسيحي.

رابعًا : عذاب الجحيم :

حسب تعليم أغسطينوس - وهو جزء من التعليم الغربي - عذاب الهالكين يساهم في غبطة المختارين. وهنا يجب أن نلاحظ أن فكرة أغسطينوس هذه، هي أحد أسباب الحاد أشخاص مثل البير كامو Camus . **وهكذا صارت ديانة الخلاص من الجحيم هي ديانة الجحيم ذاتـ ـه..** وتطوّرت فكرة الخلاص من الجحيم في القرن الرابع عشر في أوربا مع فكرة الخلاص الفردي من العذاب الأبدي، حتى وصلت إلى عصر الإصلاح، الذي أبطل الصلاة لأجل الأموات، لأنه لا توجد فرصة للخلاص من العذاب الأبدي. ألا يجدر بنا أن نسأل: ألا يعتبر الملحد أحيانًا شخصًا يحرّر الآخرين من العذاب، بل هو شخص يحطم وثن الطفولة، أي فكرة الإله السادي التي هاجمها سيجموند فرويد S. Freud وسماها **الآب السادى**؟!

خامسًا : صكوك الغفران وسر التوبة والإعتراف :

[يعرض يناراس المراجع الأوربية] ... التي تؤكد تطوّر فكرة الخلاص من الخطية بدفع الأموال، وظهور فكرة صكوك الغفران في أوربا حتى كتابات توما الأكويني، الذي جعل صكوك الغفران فكرة مرتبطة بثلاثة مبادئ:

(١) أسباب التبرير (٢) كرامة الله (٣) فائدة الممارسة للفرد والكنيسة. وكان بيع الغفران هو أحد الأسباب التي جعلت كالفن يرفض سر التوبة والإعتراف منذ بداية حركته (المراجع....) بينما كان رفض سر التوبة والاعتراف ينمو ببطء شديد في الحركة اللوثرية حتى تجاهلته هذه الحركة تمامًا واختفي حوالي عام ١٨٠٠ (المراجع...).

(The Freedom of Morality, P. 150-154)

(٤) الأب جبريال دالي الكاثوليكي :

كتاب Creation and Redemption

وبالرغم من كونه كاثوليكيًا إلاّ أنه ينتقد الفكر الغربي بأشد العبارات التي قرأ ا!!

« **إن أسوأ التفسيرات التي قُدمت لشرح الفداء والخلاص هي تلك التي تتخيل الله بصورة المهان الذي يحتاج لكفارة بمعاناة البشر حتى يهدأ غضبه!!!** وقد فسروا (أنسلم وتوما الأكويني ومارتن لوثر ومجمع ترنت) موت المسيح على أن عمله الكفاري هو بالتخصيص لأنه استطاع أن يسترضي غضب هذا الإله الغضوب.

هؤلاء الذين علّموا هذه النظرة عند الله هم ببساطة عميان عن حقيقة التجديف الواضحة في هذا التعليم!!!

لقد أخذوا من تأملا م عن الإنسان في شره مثالاً، ثم غاصوا في تلك المتاهات الفكرية لشرح علاقة الله بالإنسان.

لقد أسقطوا على الله أكثر عواطف الإنسان ابتذالاً وخسة وأخرجوا لنا منها تعاليمًا، وقدّموا ذبيحة، عن غير وعي، **لإسترضاء ظلمة أهوائهم المخفية عن أنظارهم**» ص ١٨١...

« النظريات الغربية عن الفداء إستلهمت فكرها من الحضارة القائمة على صراع الإقطاعيين، والذي كانت تُقدّر فيه الجريمة بقيمة المجني عليه.

ليس معنى هذا أن الإقطاع هو الذي أنشأ التفسير الجديد، ولكنه أمَدَ التعليم بتعبيرات ونماذج غيّرت ما كان الآباء قد شرحوه قبلاً، إعتمادًا على تعليم ومجازات الكتاب المقدس»... ص ١٩٠.

«فبدلاً من نظرية دفع الفدية للشيطان [حقوق الشيطان؛ أوريجانوس وغريغوريوس النيسي] جاء أنسلم ووضع نظريته كبديل للنظرية السابقة وصاغها بأفضل ما أمدته به بيئته وحضارته. فجاءت منطقّية إلى أقصي درجة ولأبعد الحدود!!

لقد حلّت ساحة القضاء مكان صراع الله مع الشيطان.

تعليم أنسلم تغلب عليه **فكرة الضرر الذي ألحقته الخطيه بعظمه وكرامه الله.** وكان هذا التعليم شديدًا غاية الشدة ضد أي محاولة للتقليل من شأن الخطية أو حدة العدالة الإلهية، أو الإهانة التي تسببّت فيها الخطية. كل محاولة تهدف إلى التخفيف من حدة الفكرة، كان يقابلها بكلماته الشديدة: **«أنت** لم **تدرك بعد خطورة الخطية».**

والخطوط العريضة لنظرية أنسلم معروفة جيدًا :

١- خَلَقَ الله الإنسان ليتمتّع بالسعادة التي تنبع من الخضوع الكامل لإرادة الله. ولكن الإنسان عصي وَتمرّد، وبذلك قدّم **إهانة غير محدودة ضد العدالة والكرامة الإلهية.**

٢- لا يمكن حل هذه المشكلة إلاّ **بتقديم ترضّية أكـبر** من العصيان.

٣- ولكن **لا يملك الإنسان** ما يُقدم لاسترضاء الله!

٤- الله وحده هو الذي كان يمكنه تقديم هذه الترضية المطلوبة.

٥- ولكن الله غير مضطر لهذا العمل!! **وبذلك إحتار الله!!!** الإنسان لابد أن يدفع الثمن بالعقوبة ولكنه غير قادر.

الله هو الوحيد القادر على الدفع والتسديد ولكنه غير مضطر.

٦- **تُحَل المعضلة إذن بتقديم الإنسان - الإله كذبيحة للترضّية،** وهنا يحل السؤال الذي بدأ به أنسلم: لماذا تجسد الله؟

تعليم أنسلم كان مناسبًا جدًا لعصره» ص ١٩١...

« ولكن لو كان الخلاص متوقّفًا على دفع دين قانوني، يصبح إحتمال تقديم لاهوت وتعليم مبني على **الإيمان والنعمة المجانية مستحيلاً!!!** إن منطق النظريات الغربّية عن الفداء لا يعبأ، إلا بالقيل جدًا بالخبرة المعاشة للإنسان المحتاج لهذا الخلاص» ص ١٩٢.

« **التحليل المنطقي المتّمق والمفصّل للمجازات، يشبه النظر إلى صورة في جريدة إخبارية بعدسة مكبرة قوية: إنك لا ترى تفاصيلاً أدق، إنما ترى بقعًا سوداء أكبر!!!»** ص ١٨٠.

(Gabriel Daly, Creation and Redemption, 1989)

(٥) قسطنطين تسيرپانليس : Constantine Tsirpanlis

وهو لاهوتي أرثوذكسي. وقد كتب في كتابه Introduction to Eastern Patristic Thought and Orthodox Theology ما يثبت أن اللاهوت الغربي يختلف كلّية في تفسير الإنجيل، وأن القديس أثناسيوس قد قدّم فكرًا أرثوذكسيًا لا يقترب منه بأي حال الفكر القانوني الغربي :

« ولكن القديس أثناسيوس يدخل إلى الأعماق ويجد موضعه الحقيقي في التقليد الآبائي لتعليم الخلاص، ذلك الذي يرى أن أهم سبب، بل والسبب الوحيد الكافي، لتجسد الكلمة في بشرية الإنسان والموت الذي جازه المسيح، لم **يكن لإسترضاء العدالة الإلهية، كما** في **تعليم الكنيسة الكاثوليكية** في **روما - والذي** يجد **جذوره** في **تعليم أغسطينوس وأنسلم.**

في موت المسيح **قد تّم القضاء النهائي مرّة واحدة على الموت،** حتى يستطيع أن ينعم الإنسان **بتجدد الصورة الإلهية فيه.**» ص ٦٣

« إن تعبير الترضّية للعدالة الإلهية، بالروح التي شرحها أنسلم وأدركها، وتعليم وراثة الخطية الأصلية أو وراثة حالة خاطئة، كما قال أغسطينوس عن طبيعة الإنسان، هما تعبيرات **غريبة كل الغرابة وأجنبية على الفكر الآبائي الشرقي.**

فتركيز الفكر الشرقي كله مرتبط على الدوام بالتضاد بين فساد الموت وإعادة الخلقة، بين الفساد وعدم الفساد، بين الموت والحياة...

نظرية الفداء بموت المسيح لترضّية العدالة الإلهية تشكل قطعًا إغراءًا واضحًا **للعقلية القانونية العملية التي للغربيين**» ص ٢٠٩.

(٦) الأب رومانيديس : Rev. J. S. Romanides

وقد كتب هذا الأب واللاهوتي الأرثوذكسي مقالة هامة في الجريدة اللاهوتيـة لكلية اللاهوت St. Vladimir Seminary في عام ١٩٥٦ بعنوان « الخطية الأصلية كما علمها بولس الرسول» Original Sin According to St. Paul وفي هذه المقالة كتب : (p. 9-10)

> « **إنه لخطأ جسيم أن نعلم أن عدالة الله هي التي سببت الموت والفساد للإنسان.** لم يكتب بولس الرسول في أي من أعماله ما ينسب الموت والفساد للعدل الإلهي، أي برغبة الله...» ص ٩.
>
> « ولا يمكن القول بأن موت الإنسان (آدم) هو بحسب قرار أو تدبير الله أن يعاقب. لم يكتب بولس الرسول شيئًا من هذا القبيل. **لكي نفهم الكتاب المقدس علينا أن نتخلي عن أي نظام قانوني كلّية، لأن هذا ليس من الإنجيل.** القانون والعدالة البشرّية فقط هما اللذان يقودان إلى العقوبة أو الثواب بحسب النظم الاجتماعية... ص ١٠.
>
> علاقة الله ونظرته نحو الشر لا يحكمها قانون ولا نظم، بل تحكمها الحرية الشخصيّة (لله)...
>
> خلاص الإنسان والخليقة لا يتأتي بقرار عفو، ولا بحسب أي فكر قانوني تزال بمقتضاه الخطية، ولا بدفع أي ترضّية للشيطان ولا حتى لله، كما في تعليم الكنيسة الكاثوليكية.. **الخلاص يأتي ويتم بالقضاء على إبليس الذي له سلطان الموت...**
>
> بالنسبة للقديس بولس عدل الله وحب الله لا يمكننا النظر إليهما كلّ على حدة بسبب أي تفسير قانوني للكفارة!! عدل الله ومحبته أعلنا في المسيح كشئ واحد (الصلاح المُعطيَ).»

(٧) الأب چورچ فلوروفسكي : Fr. George Florovsky

وهو من أعظم اللاهوتيين الأرثوذكس في هذا القرن، وله عدة كتابات قد تُرجمت للعربية بواسطة منشورات النور - لبنان. وكان أستاذًا للتاريخ الكنسي بجامعـة هارڤارد بأمريكا، وعميد معهد St. Vladimir Seminary بنيويورك. وقد كتب في أحد المجلدات التي ألفها بعنوان Creation and Redemption هذه المقالة الرائعة الجمال والعمق : (p .100- 104)

> « تفوق ضرورة الموت على الصليب الذي جازه الرب، كل وصف وقدرة على الإدراك بحق. والكنيسة لم تحاول أبدًا تعريف وتحديد هذا السر غير المدرك. إن الألفاظ والمجازات التي ذكرت في الكتاب المقدس يبدو أ ا كافية جدًا. أما الشرح بحسب الفكر الأخلاقي فلن يفيد. **وأما الفكر القانوني الحقوقي فهو لا يزيد عن كونه نوع من اللغو البشري الباهت اللون!!** وحتى فكرة الذبيحة ليست بكافية لوصف سر موت المسيح على الصليب. ذبيحة المسيح ليست بأي حال نوعًا من العطاء أو التسليم: هذا لا يمكنه شرح سبب وضرورة الموت. إن حياة الإبن المتجسد كانت كلها عبارة عن ذبيحة متكاملة ومتواصلة. لماذا إذن لم تكفي حياته الطاهرة؟ لماذا كان ينبغي القضاء على الموت بالموت... لم يكن المسيح ذبيحة مستسلمة وسلبية، **بل كان منتصرًا غالبًا حتى** في **أحلك أوقات المذلّـة!!**
>
> لا، **ولا حتى فكرة العدل الإلهي يمكنها شرح معنى ذبيحة الصليب.** فكرة التسديد ودفع الثمن، أو الإعفاء أو الفدية، لا يمكنها وصف سرّ الصليب. وأخيرًا فكرة العدل المعاقب بالألم والموت: لا يمكن أن نتصوّر أو نقبل وجود أي قصاص أو عقوبة في آلام وموت الربّ، لأن هذا لم يكن تألم وموت إنسان عادي...
>
> ولذلك لا يمكننا أيضًا شرح الفداء عن طريق نظرية الإبدال القانوني ولا الترضّية البديلة كما عند المَدرسيّين Scholastics . ليس لأن هذا مستحيل؛ لقد أخذ المسيح عليه مسئولية خطايا العالم. ولكن لأنه **من المستحيل أن نقبل أن الله يسعى لأذّية أي إنسان!!**

إن الله يتألّم ويحزن لآلامنا، فكيف يؤلمنا هو؟ كيف يلقي الله بإبنه المتجسد لموت جزائي (عقوبي)، وهو الطاهر؟

وكيف إذا كان الموت نتيجة الشرّ وأجرة الخطيّة وموجود فقط في عالم ونطاق الشر يكون الله هو مدبره؟

هل حقًا أن العدل يقيّد الحب والرحمة، وهل كان الصلب ضروريًا لإعلان الحب الإلهي الغافر؟!! **إنما العدل يُعلن** في **الخلاص أى** في **مسألة إخلاء الذات** Kenosis **وليس بإستعراض القوة والقدرة!**

ربما كان تجديد وإعادة خلقة الإنسان الساقط، باستعمال القدرة الإلهية، يبدو أبسط وأكثر رحمة. ولكن الغرابة أن ملء الحب الإلهي يريد أن يحفظ لنا حرّية الإرادة الإنسانية، مما نظنه عادة حملاً مؤلمًا لأنه إنما يطالبنا بمسئولية تعاون حريتنا مع الله!

الخلاص لابد وأن يحدث بمشاركة الحرّية الإنسانية، وإستجابة الإنسان. صورة الله لا تتحقق إلاّ من خلال الحرّية، والتي عادة تبدو لنا حِملاً ومسئولية ثقيلة. إ ا ضرورة للصعود نحو غاية وجودنا: تأله الإنسان!! ألا ترون أن هذا التأله هو فعلاً حملاً على الإنسان الأناني سجين ذاته والمكتفي بما هو عليه؟! ولكن هذا الحمل هو عطية الله، وعلامة حبه العظمي نحو الإنسان. لا، الصليب ليس رمزًا للعدل، بل رمز للحب.

القديس غريغوريوس اللاهوتي يلخص كل هذه التساؤلات في **هذه الفقرة التالية :**

> « لمَنْ سفك الدم الذي سفك لأجلنا، بل ولماذا سُفكَ؟!
> إن قلنا للشيطان فهذا أمر فظيع، هل يأخذ اللص فَدية؟!...
>
> أما إذا كان الثمن قد دُفِعَ للآب، فأنا أسأل أولاً: كيف؟ لأن الآب لم يمسكنا كرهينة. ولماذا سُر الآب بدم إبنه الوحيد وهو الذي لم يقبل ذبح إسحق حينما قدّمه إبراهيم ذبيحة محرقة كاملة، بل بدّل الذبيحة بكبش؟

أليس الأمر واضحًا، **أن الآب قد قبل الذبيحة ليس لأنه طلبها، أو كان** في **إحتياج إليها، ولكن لأجل تدبيره: لأن الإنسان لابد أن يُقدس بإنسانية الله** (ناسوت المسيح)؛ والله نفسه يجب أن يخلصنا بأن يغلب المستبد بقوّته هو، وأن يردنا إليه بواسطة الإبن.»

بكل هذه الأسئلة يؤكد غريغوريوس أن الصليب لا يمكن تفسيره بأي أسلوب يقوم على فكرة العدالة، بل بفكرة **«تقدّيسنا ببشرّيته»** (بإتحاد طبيعة الله ببشرّية المسيح، وبشرّيته هي بشريتنا**!**)

الفداء ليس غفران الخطية فقط، ولا مجرّد المصالحة مع الله. **الفداء هو محو الخطية كلّية هي والموت نتيجتها**... لذلك الغلبة والنتيجة النهائية ليست في الآلام وتحملها بل **بالقيامة بعد الموت**. هنا ندخل إلى عمق وجود الإنسان وكيانه. موت الرب كان الغلبة على الموت والفساد، وليس فقط مغفرة الخطايا، ولا مجرد تبرير الإنسان، ولا ترضية لعدالة مبهمة غير مفهومة. **مفتاح السـر** يدرك فقط بالتعليم الصحيح عن موت الإنسان (وقيامته)»

(٨) الأب چون كارميريس : Fr. John Karmiris

وقد كتب هذا اللاهوتي الأرثوذكسي في كتابه الذي يعد مرجعًا أساسيًا عند الروم الأرثوذكس

(A Synopsis of the Dogmatic Theology of the Orthodox Catholic Church, p. 55–56)

« المسيح فدي الإنسان **بإتحاده بطبيعتنا** يوم أن تجسد تجسد. لقد ألـّـه الطبيعة البشرية بواسطة تعليمه الإلهي، وحياته كنموذج نسعي نحوه، وموته وقيامته. إننا إذًا نخلص بظهوره وبكل عمل عمله...

ويجب علينا أن ندرك أننا في الكنيسة الأرثوذكسية نحتفظ تحت قيادة أناس مثل إيريناؤس وأثناسيوس بالتعليم السرّي Mystical للخلاص [أي الذي

لا يمكن تحديده بالكمال والإلمام والإدراك الكامل له مهما حاولنا] وذلك كما تعلّمناه من الرسل وبولس الرسول؛

وذلك بخ**لاف التعليم الغربي القائم على التفسير القانوني للخلاص، كما شرحه أنسلم أسقف كانتربري، والذي مازال موجودًا معنا كتعليم معاصر** - [للأسف].

لقد حافظنا على هذا التعليم بتقوي المؤمنين في العبادة الكنسية... في موسيقانا وترانيم الكنيسة خاصة في أسبوع البصخة المقدسة».

(٩) اللاهوتي الأنجليكاني تيرنر : H.E.W. TURNER

وقد كتب تيرنر أحد المراجع الهامة عن الفكر الآبائي في تعليم الفداء

The Patristic Doctrine of Redemption

وتيرنر كان أستاذًا للاهوت في جامعة درهام Durham ، وقد عبّر في كتابه عن فكر الآباء الشرقيين والغربيين في رحلة تبدأ من مار إغناطيوس وبوليكارپوس وحتى العصور الوسطي. وهذه خلاصة رحلته إلى الأعماق:

« إن خبرة الكنيسة عن الفداء الذي قدّمه السيد المسيح هي أغنى بكثير من أي عبارات وأغنى من كل ما قد كتب عنها لمحاولة شرحها» (p. 13)

« في الفكر الشرقي لم تكن هناك واقعة محددة في حياة المسيح المتجسّد تسترعي الإنتباه دون غيرها، كانت حياة المسيح كلها واقعة واحدة متكاملة الأهمية (من أولها لآخرها). **أما** في **الغرب فيبدو أن التركيز دائمًا هو على الموت والآلام كما لو كانا هما خلاصة الفداء كلـه ....**» (p. 20)

«المعنى السري Mystical في **إدراك وتعليم التقليد الآبائي عن الفداء يظهر جليًا** في **كتاب** تجسد **الكلمة للقديس أثناسيوس.... الذي أثبت بلا شك وأكد ثباته وجذريته وأصالته** في **التقليد، بتعليم التأله** Theosis **: «لقد صار الكلمة جسدًا لكي ما يؤلهنا».** وكانت تعاليمه عن التأله

لها أثر قاتل (ومطّهر) لتعليم الآريوسيين، لأنه بما أن َتجسد الكلمة يقدّم نعمة التأله، فالكلمة لا يمكن أن يكون من نفس الطبيعة التي يقدم لها هذا التأله.... » (p. 87).

« **التأله يعني أن الفداء هو إهداء الثالوث لنفسه،** بلا تحفظ للإنسان المسيحي... الفداء بتأله الإنسان، كما في التعليم الشرقي هو من أهم علامات التقليد الآبائي كله. بل وكما يظهر لنا في كتاب المسيح المنتصر Christus Victor للكاتب أولان Aullan التأله هو هو «التقليد الأصيل» ذاته «Classic tradition».

بالرغم من هذا كله فإنه لأمر عسير على الغرب المسيحي إدراك حقيقة (وجمال) تعليم التأله!! الغربيون لا يستسيغون بسهولة التعاليم التي تقوم على الإحساس السري الروحي، غير الواضح المعالم بالتمام. نحن **الغربيون نريد لاهوتًا حاد الملامح ومنطقي منمق،** [يُعرَف اللاهوت الغربي **باللاهوت التأكيدي** Cataphatic حتى ولو كان هذا على حساب فقدان العمق والبقاء على السطح فقط!!، وأما اللاهوت الشرقي فهو يترك الباب مفتوحًا للتأمل وزيادة تفهم الحق مع الزمن، و يعرف باللاهوت السلبي Apophatic]

هناك أمرٌ واحدٌ أكيدٌ عن الفداء، عند الآباء الشرقيين، وهو أن اجابة سؤالCur Deus Homo? أى لماذا تجسد الله ؟(والذي سأله أنسلم أيضًا) يجاب عليه بصوت متناغم واحد وصريح : «لقد صار الله انسانًا، لكيما يصير الإنسان إلهًا» ...

تعليم أنسلم (نظرية الترضّية للعدالة والكرامة الإلهية) ... لا ينتمي بالحقيقة للتعليم الشرقي... إنه قطعًا فكر غربي بحت» (p. 94-96)

« التعليم القائم على فكرة المقايضة القانونية (ودفع الترضية كثمن) هو تعليم غربي. سواء أكانت مصادفة أن ترتليانوس كان محاميًا ورجل قانون، أم لا، فنحن غير متأكدين من كونه من أهم القوي الدافعة والمحرّكة للاهوت الغربي. على أية الأحوال الفداء بتقديم ذبيحة للتكفير (بدفع الثمن والمعاناة) هو فكرة لها جاذبيتها للعقلية الغربية القانونية.» (p. 99)

« الخلاص ليس خلاصًا «من» أمر ما، بقدر ما هو الخلاص والحركة «نحو وإلى » أمر ما:

We are saved not merely **FROM** something,

but also saved **INTO** something.

ليس الخلاص نجاة من هزيمة، و لكنه الدخول إلى حياة أفضل. لعل هذا هو أهم ما نلمسه في تعليم التأله، الذي ينتمي للتقليد الشرقي - وإن كان **هذا أمرًا عسير الفهم** في **الفكر الغربي.** نحن **الغربيون غير معتادين على الإختبار الغني بأننا** جميعنا **متحدين** في **الكيان والوجود الإلهي (شركاء الطبيعةالإلهية!!)، والذي هو محور عقيدة التأله!!! ... الفداء جوهريًا هو حقيقة تجلي ورفع الطبيعة البشرية، من الهزيمة والهوان من خلال المسيح التاريخي (المتجسد والقائم من الموت)، إلى شركة طبيعة الثالوث ذا ا»** (p. 121-122).

(١٠) اللاهوتي الكاثوليكي چين - نويل بيزانكون:

Jean - Noël Bezancon

وقد كتب نقدًا قويًا للفكر الغربي القانوني القائم على الإبدال العقوبي، إلاّ أنه ينسب الإنحراف للبروتستانت فقط، وليس لكاثوليك العصور الوسطي!! على أية الأحوال هو يتحرك من موقف الفكر الغربي، نحو لاهوت التجديد والشركة في طبيعة الله، كهدف الفداء :

« على عكس ما تصوّر بعض اللاهوتيين في عصر الإصلاح، لم يأخذ يسوع على نفسه آلام الجحيم (الموت) **بدلاً منا كعقوبة أنزلها الآب عليه**...

إنه من الصعب جدًا أن نري كيف يمكننا أن نخلص ذا العمل!! ولكن من السهل جدًا أن نري في هذا التفسير **الإله الغير مسيحي الذي يظهر بوضوح.**

> أما مفهوم التجسد والفداء والنـزول إلى الجحيم (الموت) فكان إرادةالله في المسيح لكي يحقق إعادة خلقة الإنسان ويحيه. هذا هو ملء تحقيق الوجود والشركة (مع الله) التي لمشروع الخلاص والقيامة.»
> (How to Understand the Creed - S.C.M. Press Ltd. p. 93)

(١١) ڤيرنون وايت اللاهوتي والقس الأنجليكاني : Vernon White

وفي بحث شيق عن الكفارة والتجسد :

(Atonement and Incarnation, Cambridge University, p. 18, 27, 101, 102, 1031991-)

كتب ينتقد الفكر الغربي أيضًا، مظهرًا الحق الكنسي الذي للتقليد:

> « **لقد علم أنسلم فكرته معتمدًا على حضارة مبنية على الصراع الإقطاعي، وإستمر هذا الفكر** في **التعليم القانوني، الذي يؤكد فكرة الإبـــدال العقـــــوبي** Penal Substitution، **والذي** تحبذه **البروتستانتية (فكرة مارتن لوثر).**» p. 18
>
> «فكرة العقوبة المحددة من القانون الإلهي والتي يجب دفعها لترضّية متطلّبات العدل، **تظهر لنا قانونًا أعلى من الله ذاته،** بل يظهر الله كما لو كان هو نفسه خاضعًا لهذا القانون الملزم» p.27 .
>
> «مبدأ العقوبة، بحسب فكر أغسطينوس، لإتزان الحق والعدل الإلهي، قد تعرض لنقد شديد... فكر أنسلم، عن استرضاء العدالة والكرامة الإلهية المهانة، أيضًا تعرض لنقد عنيف لكونه **وليد صراع الكرامة** التي ي**مكن أن تشتري،وهو لا** يبدو **منطقيًا.**» (p. 27)
>
> « **منطق العقوبة يقدم حلاً رخيصًا وسطحيًا** ل**مشكلة الشرّ،** إذا قارناه بمبدأ التجديد وإعادة الخلقة (في المسيح).» (p. 101).
>
> « إذا استبدلنا منطق العقوبة بفكرة وتعليم التجديد وإعادة الخلقـة فسوف

يوفّي الانجيل [والعدل والصلاح الإلهي!] حقه بصورة أفضل .. لأن غضب الله كما يقـول C.S. Lewis هو رغبته في إبادة الخطية وأن يجعل الخاطي يكره الخطية. ولا يمكن، في الحقيقة إسترضاء هذا الغضب الإلهي بما هو أقل!!..

لا بد لنا، إذن، أن نحذر من الفكر الخاطئ، والذي طال وجوده، والذي يعلم أن منطق العقوبة يمكنه أن يُفسّر فكرة الكفارة كما يصفها الإنجيل...

فكرة التجديد وإعادة الخلقة تؤدي إلى نتيجة أفضل... وهي التي تردد بصدق صدي التقليد (الآبائي)، هـذا بخلاف أ ـا تفسر الكفارة بصورة أقوي (من منطق العقوبة)» (p. 102-105)

(١٢) كولين جانتون اللاهوتي البروتستانتي : Colin Gunton :

ويعمل أستاذًا للاهوت في جامعة لندن حاليًا. وقد كتب بحثه عن الكفارة، كدراسة لتاريخ العقيدة ومعاني المجاز والعدل الإلهي بتركيز خاص عبر تاريخ الكنيسة. و هذه أجزاء مما كتب في بحثه :

(The Actuality of Atonement - 1988, T & T Clark)

« **الكتاب المقدس بعهديه لا يهتم بفكرة القانون المجرد (النظري) ... في ناموس العهد القديم، كان الاهتمام خاصًا بعلاقات شعب إسرائيل مع بعضه البعض لتنظيم الحياة، وليس بأي حال لتنظيم علاقة حقوقية عن العهد** بين **الله وشعب إسرائيل**... [هام جدًا] ونحن نلاحظ أن أكثر الآباء الغربيين كانوا رجال قانون مما عقّد الأمور بخصوص التفسير وجعله قانونيًا. فظهرت بالتالي التفسيرات القانونية عن علاقة الله بالإنسان، وفي نظرية الترضية عند شرح الكفارة ». (p. 85)

« **نظرية أنسلم لشرح الكفارة أصبحت الآن مرفوضة من عموم الدارسين...»** (p. 87)

> « الخروج عن لغة الكتاب المقدس (العهد الجديد) في تفسير الكفارة يحول الشرح إلى أسطورة، خاصة لو حاولنا تحميل أي مجاز أكثر مما يحتمل.»

المعروف في إستعمال اللغة المجازية أن اللفظ يستعمل في الشرح لوجود تشابه بين الصورة المجازية والأمر المشروح. ولكن الشبه يكون في نقطة واحدة عادة وليس في كل صفات المجاز والموصوف. فإذا قلت أن إرادة هذا الرجل فولاذية، فالشبه هو بين صلابة الفولاذ والصلابة في الإرادة. أما إذا حاولنا دراسة هذا الرجل بعمل مقارنة كاملة بينه وبين الفولاذ، فإن الأمر يخرج عن حدود المنطق!!

لذلك فتشبيه السيد المسيح لنفسه «بالفدية» كان ليشرح أنه يهب نفسه ويضحي بنفسه لأجل فائدة ستعود علينا؛ ولكن محاولة أخذ المجاز لأقصاه بالتساؤل: و لمَنْ دفعت الفدّية؟ ومَنْ المستلم؟ ولماذا؟ وماذا صنع بما استلم؟ وأين إيصال التسليم؟..... الخ، هذا يحول المجاز إلى أسطورة!! وهذا هو **أحد أخطاء اللاهوت الغربى: تحويل المجاز إلى عقيدة، فتصبح العقيدة أسطورة... وهنا ينبري الملحدون!!**

ويعطي كولين چانتون مثلاً، باستعمال أنسلم للمجاز في تعريف الخطية، على أ ا «عدم تسليم الله كل مستحقاته»، وبذلك يبدأ في استعمال نظام الترضية في عصر الإقطاع لشرح معني الكفارة على أ ا دفع هذه المستحقات بصورة ذبيحة لله. و ذا يظن أنسلم أن المجاز عن «مستحقات الإقطاعي» التي تصنع الترضية، هو أفضل وصف يشرح «لماذا تجسد الله»!!! التمادي في إستعمال فكرة الترضية جعل الله يظهر بصورة «الدكتاتور السادي» كما يقول چانتون (p. 89)

ويعيد چانتون ذات النقد الذي قرأناه سابقًا؛ أن نظريات «الترضّية» أو «الإبدال العقوبي» قاصرة جدًا على شرح كيف أن عمل المسيح يمكنه أن يُغيّر من حال الإنسان الخاطي...**« الإنسان كمية مهملة »** في هذه النظريات (p. 95)

أما تفسير التبرير، الذي شرحه لوثر (بموت بديل عقوبي لتبرير الخاطي المذنب) فهو فعلاً يركز على التبرئة بمعناها الفردي الأناني المتقوقع، ويتجاهل عمل الخلاص بآثاره على الحياة والكون كله. أي يعترض چانتون على النظرة الضيقة لهذه النظريات. ويؤكد أيضًا :

> « التركيز الزائد على الفكرة القانونية لشرح التبرير والإبدال العقوبي يظهر الله بصورة العطشان إلى القصاص بأي صورة!!» (p. 101)

ويعود چانتون مثل كل مَنْ قرأنا أعمالهم ليمتدح روح أثناسيوس في التفسير القائم على التجديد الكياني للإنسان والخليقة، والذي وحده يعطي المعنى والجمال لحب المخلص للإنسان.

> « ولكن شرح أثناسيوس له البُعد الكوني عندما يقول: «لم يكن يليق بالله وصلاحه أن يترك صنعة يديه للهوان والفساد». (p. 103)
>
> « العدل الإلهي ليس مسألة حقوقية أو **«حالة إتزان »**، ولكنه **«عمل وعلاقة»** بين الله والخليقة والإنسان» (p. 104)

وهذا يردد صدى ما ذكرته في الجزء الخاص بالعدل الإلهي، أنه في عمقه: صلاح الله الذي يسعى لبقاء الخليقة ونموها نحو التأله، وليس هو مجرّد مسألة رياضية، أو معضلة منطقية تحل كمعادلة حسابية بين الله والإنسان. ويذكر چانتون أيضًا تعبيرًا لاهوتي حديث ينقد فكرة دفع الثمن بالترضية على أنه يحوّل الله إلى ما أسماه: **« إله بورصة النقد والأوراق المالية»!!** Stock-Exchange Divinity.

ويردد چانتون أيضًا المعنى الذي درسناه في الجزء الخاص بمعنى الذبيحة والكفارة كعلاج مطهر للإنسان من نجاسة الموت، وليس كدفع ثمن وترضية للإله المهان:

> « الخطية والشر هما وسخ وقذارة. الإنسان أصبح متسخًا، في عالم ملوث فقد صوابه واتجاه مسيرته. هذا يدعونا لرؤية الفداء على أنه «وهب الحياة»، أعظم عطية من الخالق، تلك التي تزيل حواجز النجاسة (المتسبب فيها موت الخطية) لكي يعيد مرّة ثانية العلاقة مع الله. هنا نصل إلى **قلب معنى الكفارة**». (p. 138)

وهذا الإدراك في غاية الأهمية: **الكفارة ليست عطاء من الإنسان لله، إ ا عطاء من الله للإنسان!! الكفارة ليست ثمنًا يُسدّد لاسترضاء إله متضرر وغاضب بالشر؛ الكفارة «دواء عدم الموت»** Antidote يقدّمه قلب الله الصالح للإنسان المنتحر بالشر، والكون الملوث بالخطية، حتى يقيم المنتحر ويهب التجلي للملوث بالنجاسة.

(١٣) كريستوس يناراس :

وأترك هذا اللاهوتي والمفكر الأرثوذكسي مرّة ثانية ليلخص الكثير مما قرأنا في هذا الفصل عن نقد وتحليل اللاهوتيين المعاصرين للفكر الغربي، ومدح نور ورقة وعمق الفكر الشرقي الذي يهتم **«بخلاص الإنسان والعالم» من الموت، على خلاف إهتمام الغربيين «بخلاص الله وعدله وكرامته» من الإهانة!!!**

« ولكن الله عادل » يقول المدافعون عن التقوي الظاهرية، « فيجب عليه أن يحقق العدل ويعاقب التعدي» !!

ولكن من أين جاءوا بهذه العبارة «يجب عليه» He must ؟

كيف يخضعون الله نفسه؟ وهل توجد إذن تلك الضرورة الملزمة التي تحد الله وحبه، بل وتحدد حريته؟!!!

لو كان هذا صحيحًا لأصبح الله شيئًا آخرًا وليس بإله، أو على الأقل ليس الإله الذي تعرفه الكنيسة.

هذا الإله العادل، **«ضابط البوليس السمائي»** ، الذي تلزمه تلك العدالة هو مجرّد وَهْمٍ من خيال البشرية الساقطة!

إنه مجرد انعكاس واسقاط لإحتياج القيادات المتسلطة للحماية بقوة فائقة للطبيعة، تحميهم من إرتداد الخيانة عليهم ممن حولهم!!!

أي ألاعيب وحجج صوفية قد أتي بها هؤلاء المدافعون عن التقوي السطحية، لمجرد إخضاع الله ومحبته لقانون البشر؟

هذه الألاعيب هي دليل عدم سلامة منطقهم

يقول القديس مار إسحق السرياني :

« كما أن حَبة الرمل لا تستطيع أن تتساوي في الميزان مع كمية كبيرة من الذهب، هكذا المقارنة بين إستعمال الله للعدالة التي لا تستطيع التوازن أمام الرحمة»!!!

إله الإعلان الإنجيلي والخبرة الكنسية، ليس عادلاً.....

فيكمل مار إسحق :

« **لا تَدعُ الله عادلا،** لأن عدالته لا تعلن في الأمور المتعلقة بك... أين إذن عدالة الله؟!... **هو صالح** ، يقول المسيح، للأشرار وغير الأتقياء» (مار إسحق).

إن الكنيسة تفصل بين المجازات المستعملة (في الكتاب المقدس وأقوال الآباء) في وصف العذابات، من الحق الذي تحاول هذه المجازات أن تعلنه. سقوط الإنسان حقيقة، **ولا يشكل هذا السقوط مشكلة قانونية، ولكنه أساسًا وقبل كل شئ تشويه للحياة.** هذا التشويه أسقطت به حرية الإنسان الخليقة كلها، لأن حرية الإنسان هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها لكل خليقة أن تحقق هدف وجودها. تشويه الحياة يعني التغرّب والفساد في كل القواعد والأساليب التي تستمر ا الحياة.

في كل أمثلة العقوبة التي في الكتاب المقدس تنظر الكنيسة نتائج **التغرب، والتباعد عن الحياة الحقيقية للخليقة؛ تنظر إنشقاق وتمرّد الإنسان على الحياة الذي به يشق ويحفر بنفسه تلك الهوة** بين **الخالق والخليقة.**

إن اللغة التعليمية التي يحدّثنا ا العهد القديم والموجهة إلى شعب غليظ الرقبة وعنيد، تشرح نتائج الشرّ بأسلوب وصور يمكن أن يتفهمها الإنسان الساقط. **لذلك يشرح الكتاب مستعملاً صورة الإله الغضوب الذي يسعي لعقوبة التعدي.**

ولكن الله ليس بمنتقم، **إنه فقط يشرح إحترامه المطلق للحرية الإنسانية،** ونتائجها. إنه لا يحاول التدخل لإزالة الثمار المُرة لحرّية الإنسان. لأنه إن فعل هذا فسوف يزيل الحق نفسه من الإنسان، بما يحمله هذا من إزالة الحق من الخليقة أيضًا.

إن محبة الله تتدخل فقط لتحوّل عقوبة الإنسان، لنفسه بإرادته، إلى تعليم خلاصي (حوّلت لي العقوبة خلاصًا).

وقمة هذا التدخل هو تجسد الرب نفسه، وقبوله في **بشريته المؤلهة كل نتائج**

تمرد الإنسان هذا، حتى موت الصليب، وذلك ليحوّل هذه النتائج ذا ا إلى شركة حب بيننا وبين الآب السماوي... هذه هي الحياة الأبدية بعينها.»
(C. Yannaras, Elements of Faith, p. 8385-).

(١٤) الأب ديمتري ستانيلوي : (١٩٠٣ - ١٩٩٣)

ويعتبر هذا الأب، من الكنيسة الأرثوذكسية في رومانيا، من أكثر علماء اللاهوت العقيدي الأرثوذكسي شهرة. وكان متزوجًا وأبًا لإثنين من الأطفال. وكان مؤخرًا عميدًا للمعهد اللاهوتي الكبير في بوخارست. وأثناء الحكم الشيوعي قبض عليه وسجن عام ١٩٥٨ لعدة سنوات بتهمة الترويج للمستيكية، أي الحياة الروحانية الباطنية .. ويعتبر الأب ستانيلوي أن علم اللاهوت ليس مجرّد مشغولية عقلانية، بل هو موهبة حقة في الكنيسة... كما أسهم في التعرّف على تعليم الآباء عن إختبار النعمة وسر الخلاص. **فالتعليم الآبائي عن الخلاص ليس مجرد التبرير أو فداء الإنسان، بل هو يشمل... الوعـد بالثيئوسيس Theosis ، أي تأله الإنسان** في **المسيح بالنعمة [وليس بالطبيعة] وشركة الإنسان** في **الطبيعة الإلهية** في **المسيح** في **نور التجلي الذي من الروح القدس.**

ومن كتابه «علم اللاهوت والكنيسة» Theology and The Church، والذي قدم له الأب الأرثوذكسي چون مايندورف (S.V.S., New York, 1980) أُقدّم للقارئ بعض من تأملات هذا العالم الروحي عن «مفهوم الخلاص الأرثوذكسي، وآثاره على الخدمة المسيحية Diakonia في العالم» :

« لم تستخدم الكنيسة الأرثوذكسية بكثرة تعبير **«المصالحة»** لشرح العمل الخلاصي بصورته الكاملة... ولكن حبّذت البروتستانتية هذا التعبير والذي ذكره بولس الرسول أربعة مرات فقط (رو ٥: ١٠ ؛ ٢كو ٥: ١٨- ٢٠؛ كو ١: ١٩- ٢٣؛ إف ٢: ١٤- ١٨).

والكنيسة الكاثوليكية أيضًا قد إستعملت تعبير **«المصالحة»** ولكن كإصطلاح ثانوي بعد تعبير «الفداء». ولكنها أضافت أيضًا أن هذا الفداء، أو المصالحة، لا يتم إلا «بالترضية» satisfaction التي قدمها المسيح يسوع إلى الله [نظرية أنسلم كما ذكرنا]. (p. 181)

وإذا كانت الكنيسة الأرثوذكسية قد استعملت تعبيرات المصالحة والفداء، إلا أ ا قد أدركتهم بصورة أكثر اتساعًا مما عند الكاثوليك أو البروتستانت. وذلك لأن تعبير **«الخلاص» هو التعبير الأشمل الذي تفضله الكنيسة الأرثوذكسية لأسباب كثيرة:**

أولاً: تعبير «الخلاص» هو أكثر التعبيرات المستعملة في العهد الجديد لوصف العمل الذي قام به الرب يسوع المسيح (حوالي ٤٠ مرة) أو كلقب للسيد المسيح كمخلص (حوالي ٢٠ مرة).

ثانيًا : لأن تعبير «الخلاص» هو الأكثر إستعمالاً في التقليد الكنسي والعبادة الليتورچية. مثل ما هو الحال في قانون الإيمان مثلاً (هذا الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا.....).

وأخيرًا لأن «الخلاص» يشرح بأكثر عمق وشمولية عمل السيد المسيح المتعدّد الوجوه، والذي أروع ما فيه هو: **إبادة الموت** الذي يصيب الإنسان، بكل ما تعنيه كلمة الموت من معان، **وتأكيد الحياة الأبدية؛** وتخلق كلمة الخلاص أيضًا شعورًا روحيًا بالإمتنان والاعتراف بالجميل نحو المسيح في قلب المؤمنين .... (p. 182)

الخلاص هو سرّ لا يمكن لنا إدراك أبعاده ولا تحديدها والإلمام الكامل ا....

ويكتب لنا ڤلاديمير لوسكى، تعليقًا على قول القديس غريغوريوس النيزي ي [القول الهام عن لِمَنْ سُفك الدم، ولماذا سفك، والذي قد ذكرته عدة مرات في هذا الكتاب لكونه من أهم أقوال الآباء الشرقيين عن ذبيحة الصليب] :

> **« بعد الاختناق الروحي وضيق الأفق [الذي علّمته العصور الوسطي] بصورة اللاهوت القانونى،** نحن **الآن نعيد اكتشاف الآباء ونجد** في **تعليمهم روح الفداء الغنية التي تؤكد الغلبة على الموت، وباكورة القيامة ورجاءها، وخلاص طبيعتنا من أسر الشيطان، وليس بالحديث عن التبرير** [بالترضّية والإبدال العقوبي القانونى] **بل عن** تجديد **وإعادة خلقة الخليقة** في **المسيح»** (p. 183)

لابد لنا من ذكر حقيقة أخري حدثت في القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة هذه الحقيقة هي أن **اللاهوت الأرثوذكسي أيضًا قد عاني من آثار اللاهوت المدرسي** [أي اللاهوت الغربي التحليلى، بدلا من اللاهوت السري الشرقى، والذي نشأ في الغرب لمحاولة تحليل وشرح كل حقائق الإيمان منطقيًا، بصورة تدّعي الإلمام والإحاطة الكاملة وادراك عمل الله بتمامه من خلال المنطق، وبالتالي أصبح «التفسير» يُشكّل حقائق مطلقة لا يصح مناقشته وإلاّ تعرضّ المؤمن لمحاكم التفتيش والحرمان والحرق حيًا للمخالفة الفكرية مع الإكليروس].

وقد أثر اللاهوت المدرسي الغربي على تفسير الخلاص، بحيث أصبح الخلاص أمرًا قد تممه، بل وأنجزه بالكامل، السيد المسيح على الصليب فقط. هكذا شُرح الخلاص على أنه تقديم الذبيحة الكفارية لاسترضاء Satisfaction الله من قبل المسيح.

ولكن حدث في القرن الماضى، خاصة في اللاهوت الأرثوذكسي عند الروس، نهضة وعودة، تكاد تكون تحوّلاً كاملاً، إلى التعليم والإدراك الآبائي الشرقي عن معني الخلاص المتسع الأفق والمعنى. و قد كان سبب هذه العودة للآباء هو انفتاح الكنيسة على العالم، وإدراكها لأهمية الخدمة Diakonia المقدمة للعالم الذي تسعي الكنيسة لأن تحتضنه (لتوجيهه إلى الله). اللاهوت الأرثوذكسي في السنوات الأخيرة يتحرك قدمًا ليعايش، بصورة معاصرة، الإنسان بكل أبعاد شخصيته **ويقدّم الخلاص بكل معانيه للإنسان، بل وللخليقة كلها - لأن هذا أيضًا هو جزء من التراث الآبائى.** (p. 187)

عقيدة تأله الإنسان، هي تعليم عزيز جدًا على قلب الآباء الشرقيين، وهي قطعًا تعليم القديس كيرلس الإسكندري..... (p. 191)

القديس كيرلس الإسكندري أكد معني الذبيحة والموت (الذي جازه الإبن) كحُب وطاعة نحو الآب السماوى. و القديس أثناسيوس والقديس مكسيموس المعترف أكدا عمل الذبيحة في الطبيعة الإنسانية، بمعني قو ا

على الشفاء (من الموت النجس) وإعادة القوة والغلبة للإنسان على الموت والخطية. (p. 197)

القديسان أثناسيوس ومكسيموس المعترف، وبقية الآباء، عّلموا أن عمل المسيح (الخلاص والفداء والكفارة) هو في أن الخالد غير المائت (كلمة الله) قد قبل الموت في جسده لكي يغلب ويبيد الموت. لذا قال أثناسيوس :

« لذلك حدثت معجزتين دفعة واحدة : موت الجميع قد ضمه وَتشرّبه الرب في جسده، ولكن لكون كلمة الله كان قد حلّ فيه، أبيد الموت والفساد كلّية »

لقد تَقبل المسيح الموت لكي يبيده بالقيامة [وليس ليسترضي عدالة الله الغاضبة والمهانة بتحقيق عقوبة الموت كبديل قانوني كما عند أنسلم ومارتن لوثر!!]... **الآباء** لم **يعلّموا أن موت الربّ كان هو العمل الخلاصي** بمعزل **عن التجسد والقيامة** (p. 198)

المسيح لم يَتجسّد لمجرّد صنع مصالحة شكلية وسطحية، لكيما نقف مبررين أمام الله. هدف التجسد هو الخلاص من الموت الأبدي باتحادنا فيه .... (p. 198)

تدبير الله، الخلاصى، كله والمحقق من خلال إبنه هو إتحادنا الكامل : **اتحادنا كلنا معًا، ومع الله.**

في قيامة المسيح قامت البشرية كلها نفسًا وجسدًا إلى كيان مقدس ومتحد مع الله بصورة كاملة. هذا هو « الخضوع » لله الآب. في صعود المسيح أصبح بر الله، **أي كل** مجد **الآب، مزروعا ومنقولاً بكامله إلى الإنسان.** (p. 199)

بتجسد كلمة الله، وموته وقيامته، صعد الإبن المتجسد (بطبيعتنا البشرية) إلى درجات عليا لكيما يزداد إشعاع الروح القدس قوّة من خلاله. و بواسطة الروح القدس ذاته يوحد الله الكلمة كل الخلائق التي خُلقت ، و التي كانت قد تشتتت خارجًا، يوحدها في نفسه (إف ١: ١٠، كو ١! : ١٦).

> الخلاص في غايته الإسخاتولوچية، أي النهائية عند منتهي الزمن، بحسب تعليم بولس الرسول، هو **اتحاد كل الأشياء** في **المسيح** فكما أن الخطيّة هي التشتت والإنقسام والغربة بين الإنسان والله، والإنسان وأخيه الإنسان؛ فهكذا أيضًا نري الخلاص على أنه الحب المتبادل الذي يجمع ويوحّد كل البشر (والخليقة) في الله» (p. 201).
>
> وبذلك تكون القوّة المشعة من اتحاد الله و الطبيعة البشرية (المخلوقة) هي ذا ا التي تحقق الإتحاد والوحدة في الخليقة كلها ....
>
> لقد حقق المسيح إنسجام الخليقة كلها ... ومن خلال موته قد طهّر الكون كله .. وملأ كل شئ بالقيمة والمعني بنوره. (p. 202)
>
> **إن الكون المادي ذاته (كما هو الحال** في **التدبير للإنسان) هو الآخر مُعَد ومهيأ للتجلّي من خلال قوة جسد المسيح القائم من الأموات،** ومن خلال القوة الروحية التي لحبه، ذلك الذي يحثنا على إعادة الكون المادي إلى ا ءه الذي يعكس حب الله ...
>
> يجب علينا إذن بالخبرة الحية أن نحول كل ما هو مادي إلى هدية حب يتبادلها الإنسان مع أخيه الإنسان. الكون كله ينتمي إلى المسيح، **الكون بصورة سّرية روحية هو ملتصق بالجسد المصلوب والمقام من الأموات.** و لكن الكون أيضًا ملتصق بكل البشر، المسيحيين وغير المسيحيين أيضًا، الذين يعانون ويتألمون سعيًا نحو الخلاص. يقول القديس نيقولاس كاباسيلاس:
>
> « الدم النازف من جروح المسيح قد أطفأ نور الشمس، وزلزل الأرض، وقدّس الهواء وطهّر الكون كله من آثار الخطية» (p. 211)

ويكمل الأب ديمتري ستانيلوي حديثه **مُترجمًا عمل المسيح الخلاصي إلى واقع العلاقات البشرية، من سلوك اجتماعي وسياسي وإقتصادى،** لكي يؤكد أن اللاهوت الأرثوذكسي لا يحيا برأس َتَسبح فوق السحاب، إنما يخطو بأرجل من يعانون ويتألمون، لكي يستقطبوا ويستدعوا ويتعجلوا ملكوت السموات، على الأرض. بصنع عالم تسكنه العدالة والمساواة كما ينبغي على الأرض، **نكون محاولين رسم أيقونة الملكوت السماوي الكامل** بقدر ما يمكن للإنسان من نجاح بمؤازرة النعمة الإلهية في هذا الزمان:

« إنه المسيح ذاته الذي نخدمه في كل إنسان يحتاج للخدمة والعون في هذا العالم. المسيح قد وحد نفسه مع أولئك.

الآباء يعلّموننا أن العالم الحالي هو مثل سوق كبير نشتري ونربح فيه ملكوت السموات. كل من لا يتاجر، بصنع الخير، مع أخوته البشر، وكل من ليس له ثمر من أعمال يستثمر فيها مواهبه ووزناته سوف يمضي من هذه الحياة بنفس خاوية وفارغة المعني [تعلمنا الكنيسة هكذا عن معني «الزيت» في تفسيرات الكنسية لمثل العذاري الحكيمات، الذين أخذن زيتًا مع آنيتهن ودخلن بنوره إلى العُرس السماوى]. إن الحياة أو الموت (بالمعني الأبدى) إنما نتقبلهم من خلال إخوتنا البشر!! فإذا ربحنا إخوتنا فنحن نربح الله؛ والعكس صحيح: إذا آذينا إخوتنا فنحن نخطي في حق المسيح. هذا السوق نتاجر فيه مع كل البشر، المؤمنين وغير المؤمنين. بل ويمكننا القول أن ربح الملكوت من خلال خدمتنا لغير المؤمنين هو أقوي!! وذلك لأن خدمتنا لهم تتطلب كرَمًا ومجهودًا وتضحية أغلى، (وهي بذلك عمل محبة أثمن في أعين الله!).

إننا حقًا نتسّلم الملكوت السماوي من المسيح، ولكنه يعطيه لنا من خلال اخوتنا البشر، وخدمتنا إياهم...

أما أولئك الذين يرغبون في ربح الملكوت ربحًا سريعًا ورخيصًا، بدون مجهود، فيقول لهم المسيح: «إن أحببتم الذين يحبونكم، فأي فضل لكم، لأن الخطاة يصنعون هكذا» (لو ٦: ٣٢- ٣٣). هؤلاء هم الذين لا يقدمون للحياة أي شئ ُيزيد التقدم الروحي الإنساني في هذا العالم... [هؤلاء هم المتقوقعون في الأجواء الدينية هربًا من المشاركة في معـ ـاناة العالم]. **إن كل عمل مُضَحٍ، يقوم به إنسان نحو آخر في هذا العالم، إنما ينبع من ضمير المسيح، المذبوح بالحب، و من قوة المسيح التي ا أخلي ذاته** Kenosis **. ويجب علينا أيضًا أن ندرك أن كل رجاء خارج من انسان نحو آخر على هذه الأرض، سواء كان مسموعًا أو صامتًا، هو رجاء خارج من قلب المسيح ذاته.** كل تضحية، كل ضيقة، كل عمل، كل حب، كل استجابة هي مدفوعة ونابعة من ذبيحة المسيح.

كل طلب واستجابة، لأي عمل أو خدمة من انسان لآخر، هي الطريقة التي ا يربطنا حب المسيح، نحو التقدم الإنسانى. **لذلك كل طلب واستجابة، وكل احتياج إنساني وسد حاجة، ينتمون في الحقيقة للمسيح ذاته، ويضيفون عمقًا لذبيحته وصرخته هو طالبًا العون. في المسيح كل طلباتنا واحتياجاتنا، كل صرخاتنا واستجاباتنا، تجد صداها في طلباته وإحتياجاته وإستجاباته.** الإنسان كيان يصرخ ويستجيب ولهذا هو كيان مرتبط ببعضه البعض. الإنسان يشعر بالإلتزام متي سمع صرخة إستغانة من إنسان آخر. قوة الترابط هذه، التي تلزم الإنسان بمساعدة أخيه المستغيث، مصدرها العميق هو الله ذاته، ولذا هي ملزمة على مستوي الضمير. الله إذن قد أخذ موضعه في وسط البشر، بل في داخلهم، من خلال قوة إلزام هذه الإستغاثة والإستجابة التابعة...

إذا كان على المسيحي أن يري المسيح في كل إنسان وأن يسمع صرخة إستغاثة المسيح في صرخة كل إنسان، فلن يستطيع المسيحي أن يهدأ أو يتهاون متي رأي أخاه الإنسان في حالة أدني من حالته. إ ا طبيعة الحب، أنه لا يطيق ولا يحتمل إنعدام المساواة بين البشر، لأن إنعدام المساواة يزيد الهوة بيننا - وهذا ضد الحب. الذي يحب لا يمكنه أن يترفع أو يرتفع على من يحبه. لذا يدفعنا الحب للسعي نحو تحقيق المساواة والعدالة بين البشر. ولذلك قال سمعان اللاهوتي الحديث: **«من يحب أخاه مثل نفسه، لا يستريح إن كان ما عنده أكثر مما عند قريبه. فإن كان غني ولا يعطي بسخاء حتى يشارك حال قريبه الفقير، فهو لم يحقق وصية المعلم بعد. وإن خدم وسدد إحتياج الكثيرين ولكنه يحتقر أو يتجاهل ولو حتى واحد منهم فقط، فهو قد إحتقر وتجاهل المسيح الإله ذاته في جوعه وعطشه»**... [كل إنسان في الوجود، له كرامة ومجد ومحبة المسيح ذاته في عين الله - يو ١٧].

أما المصالحة فهي لا تعني مجرّد السلام الشكلى، مجرّد التعايش بدون حرب بالرغم من عدم الإتفاق. **الصلح الدائم لا ينفصل عن الحب الذي يسعي لاهثًا لتحقيق المساواة والعدالة بين البشر وبين الدول والنظم أيضًا** [هنا البُعد السياسي لمعني الخلاص والحب والعدل الإلهي المحيي].

فقط من خلال هذا الإدراك لمعني المصالحة بين الله و الإنسان، و اتحادنا معه وشركتنا في كل خيرات المسيح، يمكننا أن نصير أبناء لله متألهين بحسب غني نعمته.» (p. 207- 212) .

• • •

صليب الثالوث القدوس
أزلي أبدي، في قلب
الآب والإبن والروح مغروس

لو كان الخلاص والفداء والكفارة هم حق في إتمام **«عقوبة بدل عقوبة»**، أي عقوبة الخطية في إبن الله المتجسد بدلاً من الإنسان، كما يعلم اللاهوت الغربي، **لكان هدف تجسد الرب** وإرساليته للعالم **«الرئيسي والجوهري»** هو تحقيق «عقوبة بدل عقوبة»، لاسترضاء العدل والكرامة والغضب الإلهي، **تمت فقط على صليب الجلجثة وإختُزِلَ بذل الخلاص كله إلى ثلاث ساعات** (أو على الأكثر إثنى عشرة ساعة) من الآلام العنيفة، دفع فيها الرب ثمن الخطية القانوني للآب، الذي أهين بخطية الإنسان... ولن يغفر إلا بعد إستلام الثمن.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فترى أن هدف التجسد وموت الرب على الصليب وقيامته، بصورة واسعة ومتسعة جد تمتد جذورها في قلب الآب والإبن والروح القدس مع ، من الأزل وإلى الأبد. **إنه صليب بذل وحب وفرح وإتحاد** بين الله **والخليقة كلها بطول وعرض وعمق المحبة الإلهية ذا ا**... وإليك الدليل من الكتاب المقدس والتقليد الكنسي المعبر عن أعماق حياة وفهم الكنيسة، وكيفية تفسيرها لمعنى الخلاص والفداء والكفارة.

لو كانت الكنيسة الأرثوذكسية تتفق مع التفسير الغربي أن الخلاص والفداء والكفارة تم تحقيقهم «كعقوبة بدل عقوبة» يوم جمعة الصلبوت، لكانت تقيم أعظم أعيادها قاطبة، وأقواها تركيز وإحتفالاً يوم الجمعة العظيمة: **«جمعة العقوبة المخلصة»** والفادية والمكفرة، بدفع ثمن الخطية للآب العادل الغاضب، لأ ا يوم **إسترضاء غضبه وخلاص البشرية... عيد الأعياد كلها**... أهم يوم في تاريخ البشرية... **أليس كذلك؟!**

إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية ترى الخلاص والفداء والكفارة **«كعمل إتحادي»** بين الله، الثالوث القدس معً، والإنسان، بل والخليقة كلها أيضً (رو ٨: ٢١ ـ ٢٢ و رؤ ٢١: ١ و ١٠ ـ ١١) لتطهير الخليقة من الموت. **لذلك تُعيد الكنيسة لخلاصنا وفدائنا والكفارة ليس** في **يوم جمعة الصلبوت، بل** في **سبعة أعياد سيدية كبرى**، وللعجب العجاب أن الجمعة العظيمة ليست من السبعة!!!

الأعياد السبع هي: البشارة ـ الميلاد ـ الظهور الإلهي ـ دخول أورشليم (أحد السعف) ـ القيامة ـ الصعود ـ حلول الروح القدس يوم الخمسين. **أين إذن جمعة الصلبوت؟!!!** قد يظن القارئ لأول وهلة أن الكنيسة الأرثوذكسية قد أهملت الصليب! على العكس تمامً... إنها تحتفل بالصليب كصليب إنتصار وليس صليب عقوبة، صليب غلبة لا إنكسار، صليب محبة الآب والإبن والروح القدس، الذي فيه أتم الرب تأكيده المطلق أنه قد تجسد وتأنس فعلاً بالحقيقة، لأنه ذاق معنا كل معاناتنا وشاركنا في كل شيء، من خلال السبع مراحل (الأعياد السبع) منذ حُبل به في بطن العذراء وحتى موته وقيامته وصعوده وإتحاد الروح القدس، بسكناه فينا كهيكل الله الغير مصنوع بيد بشرية. **الكنيسة الأرثوذكسية** تحتفل **بالصليب** في **كل عيد من أعيادها، بل** في **كل صلاة** حيث علمتنا أن ندخل إلى حضرة الله برشم الصليب وصلاة الشكر وأن ندعوه أبانا الذي في السموات... ثم نكمل حديث ولقاء الحب، ونشترك معه في فرح ونصرة صليبه لنا ومعنا وبنا.

أما عن سرمدية الصليب وشركة الآب والروح القدس مع الإبن في هذا الصليب الباذل والمنتصر بفرح ومسرة، فيحدثنا عنها الروح القدس في الكتاب المقدس أيضً. يقول لنا بطرس الرسول عن أزلية الصليب (أي كل أعمال الخلاص التي تُجسدها الكنيسة في الأعياد السبع):

«عالمين أنكم إفتُديتم... بدم كريم... دم المسيح، **معروفً سابقً قبل تأسيس العالم**، ولكن أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بط ١: ١٨ ـ ٢٠). أي أن تدبير تجسد وتأنس الإبن كان في قلب الثالوث معً منذ الأزل، **ولم يكن نتيجة خطية الإنسان، بل نتاج محبة الثالوث محب البشر الصالح لنا وللخليقة كلها** التي تجسد فيها ووحدها مع أقنومه الإلهي.. زواجً أبديً لا طلاق فيه بين العريس السماوي والبشرية

عروسه وموضوع حبه وغرامه وآلامه وموته وقيامته وسكناه بروحه حب وهيام ذه العروس المتمردة الجميلة والمحيرة له...!!!

دم المسيح، كما درسنا، ليس هو السائل الأحمر فقط بل جسده ودمه، هم «حياته وشخصه وكيانه» الذي زوجه ووحده بطبيعة البشر والمادة ليهبها الخلود، أي الحياة الأبدية. **الصليب هو كل ما عاناه الآب** الباذل لإبنه بفرح من أجلنا **وكل ما عاناه الإبن** من شدة حبه فينا من إخلاء لذاته بالنية وتقديم حياته كلها لنا (أي جسده ودمه وكيانه كله) **منذ الأزل** عندما قرر أن يأخذ طبيعتنا بكليتها (ما عدا الخطية والتي هي ليست من طبيعتنا!) بما فيها إحتمال أن يُظلم ويُقتل ويُرفض من حبيبته عروسه التي أدمته بل قتلته عمد !!!

أما الروح القدس فشارك في **خلاصنا** كما نؤكد في قانون الإيمان ونقول «وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء. وتأنس». ويقول الكتاب أيض عن تضحية الآب العظمى عندما قبل أن يبذل إبنه الحبيب ويزوجه بطبيعة البشر الظالمين، أن الآب لم يبخل علينا بإبنه الغالي، **ولم يمسك إبنه وحيده عنا بل أهداه لنا** (نحن الغير مستحقين لأي حب) كما فعل إبراهيم بإسحق في تك ٢٢: ١٦، كهدية لله حبيبه. والروح القدس الأزلي، شارك أزلي في تقديم دم وحياة الرب لنا عندما يقدس الخبز والخمر على المذبح وعندما قال «دم المسيح الذي **بروح أزلي قدم نفسه لله**... يطهر ضمائركم من أعمال ميتة، لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٤).

والتعبير بالعربية: «**الذي** لم **يشفق على** إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيض معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢)، يظنه من يحبذون تفسير الصليب «كعقوبة بدل عقوبة» أنه دليل إثبات على أن موت الرب على الصليب كان عقوبة وإلاّ فلماذا **«إنعدام الشفقة»** من الآب نحو الإبن ونحن نعلم أن غضب الآب لا يسترضى إلا بإتمام العقوبة، كما يعلم لاهوت القرون الوسطى في الغرب، في الإنسان أو من ينوب عنه كمعاقب (Penal Substitution) وهو الرب المتجسد. ولكن الترجمة الإنجليزية لهذه العبارة ولعمل إبراهيم مع إسحق في القديم **تنفي التفسير العقابي** وتؤكد هدية الحب لا القتل:

«He who **did not spare His Son**, but delivered Him up for us all...» (Rom 8: 32).

«Because you have done this thing, and **have not withheld your son, your only son**» (Gen 22: 16).

والآن يتضح لنا بالأكثر معنى «أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣: ١٠). أن مسرة الآب لم تكن لاسترضاء غضب من الله نحو الإنسان، ولذا **«سر أن يسحقه بالحزن»**، بل هي مسرة تفهم فقط عندما نقرأها في ومع مسرة الإبن وفرحه الذي «**من أجل السرور الموضوع أمامه** إحتمل الصليب مستهينا بالخزي. فجلس في يمين عرش الله» (عب ١٢: ٢) وأجلسنا معه في السماويات (أف ٢: ٦) وأجلسنا معه في عرشه هذا (رؤ ٣: ٢١). والروح القدس بعمله في الأسرار المقدسة وفي قلوبنا وكياننا يأخذ كل إنتصارات وأمجاد الرب المسيح ويهبها ويعطيها لنا (يو ١٦: ١٤). لذلك هو يشارك مع الآب والابن في البذل والعطاء والإحياء المهدى لنا منذ الأزل وللأبد كما سنرى تعليم الكتاب.

أما عن أبدية الصليب، أي إهداء الله لنفسه لنا وزرع حياة الآب من خلال الإبن وبعمل الروح القدس فينا لاتحاد وزيجة روحية أبدية، فهذا أعلنه الله ليوحنا الرائي عندما رأى الرؤية والمنظر الأبدي في وسط عرش الله ورأى الرب المصلوب والقائم من الأموات **«حي ومذبوح»** في آن واحد وللأبد بلا نهاية... (هدية زواجه الأبدي من البشرية) حاملاً ذبيحة صليبه وحبه الذي لا ينتهي بجراح مجده للأبد: **«ورأيت** في **وسط العرش... خروف قائم كأنه مذبوح»** (رؤ ٥: ٦) وقد يكون هذا الجرح الأبدي أبدياً لأن البعض لم يردوا له صدى محبته وتقدمته، بحب مساوٍ... للأبد.

وبعد أن رأينا تعليم الكتاب المقدس وترتيب الكنيسة في أعياد خلاصنا السبعة، وكيف نحتفل بصليب الرب في كل صلاة وكل رشم للصليب، وكيف أن الصليب بمعناه المتسع جداً يحوي الأزل ولا ينتهي للأبد، وكيف أن الأب والروح القدس الأزلي قد شاركا وبذلا ذات البذل مع الإبن المتجسد لنا، أسأل كل من يعلم أن الخلاص والفداء والكفارة هم في الأساس «عقوبة بدل عقوبة» سؤالاً قد يساعد في تطهير أفكارنا من لاهوت القرون الوسطى في الغرب ويوسع مدى أفق رؤيتنا معه:

أيهما أكثر تضحية وأعظم بذلاً وحباً وألماً:

١ ـ أن الإبن قد «أخلى ذاته صائراً في **صورة عبد» للأبد فينا؟** أم

٢ـ **أنه بعدما صار** في **صورة العبد إرتضى أن «يقتل ظلم» يوم** جمعة **الصلبوت؟**

أعتقد أن إخلاء ذاته وإتحاده بنا وإتحادنا به بكل ما يتبع هذا الإتحاد والوحدة من آلام عنيفة، تفوق آلام الجسد والنفس مهما تصورناها وإلى الأبد، **وبما فيها آلام صليب الجلجثة**، إنما هو صليب لا يمكن أن يقارن بمبدأ الـ «عقوبة بدل عقوبة» لضيق أفق هذا التفسير الغربي، وإختزاله الشديد لمعنى المحبة الإلهية، المعلنة لنا في الإحتفال بخلاص الرب وفداءه وكفارته لنا، في الأعياد السيدية الكبرى التي لخلاصنا، كما فسرت الكنيسة الأرثوذكسية في **بلاغة التقليد والطقس** الذي يروي لنا صدى رسالة الكتاب المقدس عن صليب الثالوث السرمدي، ومحبة الثالوث محب البشر التي لا يحدها يوم الصلبوت وحده أبد ، ولا حتى الأعياد السبع، ولا الأزل ولا الأبدية كلها... آمين،

• • •

الخاتمة

(وهي خلاصة هذه الدراسة)

كانت هذه المسيرة الطويلة التي تمتد من العهد القديم حتى اية القرن العشرين ضرورية لكي نصل إلى رؤية واضحة لجوانب المحبة الإلهية، وإعلا ا الأخير الكامل والمطلق، في يسوع المسيح ربنا ومخلصنا بذبيحة الحب المطهر والشافي. هذه المحبة قد أعلنت على مراحل، يسميها الرسول بولس: «بأنواع شتى» (عب ١:١)، أو حسب الترجمة القبطية القديمة «بطرق مختلفة». ولكن في آخر زمان الإعلانـ ـ ـات: **جاء الإبن لكي «يكمل» كل الإعلانات وينقل الإنسانية من مراحل الطفولة الروحية إلى مرحلة الكمال الروحي بما قدمه من:**

- تعليم ومثال
- حياة وعطايا ومواهب
- زرع الحياة والخلود في الطبيعة الإنسانية والخليقة أيضًا.

وعندما آمن شاول الطرسوسي ذه الحقيقة، وصف نفسه قبل المسيح بحالة وعقل وإدراك الطفل (١كو ١٣: ١١) ولكن بعد الإيمان بالمسيح صار في المسيح قادرًا على تجاوز الطفولة: «أبطلت ما للطفل» (١كو ١٣: ١١). والطفولة الروحية التي عاشتها الإنسانية كانت قائمة حسب كلمات بولس الرسول بصورة:

« أطعمة، وأشربة، وغسلات مختلفة
وفرائض جسّدية فقط
موضوعة إلى وقت الإصلاح» (عب ٩: ١٠).

ولكن الرسول بولس لم يَنْقَضّ على طفولته لكي يهدمها، بل حَسَبَ حياته السابقة في اليهودية بأ ا كانت «ربحًا» (فيلبي ٣: ٧). ولكنه بعد أن قارن ما ربحه في اليهودية بما ربحه في المسيح قال:

> « لكن ما كان لي ربحًا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة
> بل إني أحسب كل شئ أيضًا خسارة
> من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى
> الذي من أجله خسرت كل الأشياء
> وأنا أحسبها نفاية (زبالة)
> لكي أربح المسيح وأوجد فيه» (فيلبي ٣: ٧- ٩)

الطفولة الروحية لا تفرض نفسها على الرجولة:

كانت مرحلة الطفولة التي يقول عنها الرسول بولس «كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح» (غلاطية ٣: ٢٤) مرحلة مؤقتة، فهل نتوقف عند ذلك؟ ويجيب الرسول:

«لكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب، لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع» (غلا ٣: ٢٥). وهذا يعني أن:

- المجازات
- الإستعارات
- الطقوس القديمة
- الرموز والظلال،

لا يجب أن تصبح هي الحقيقة بل العلامات التي تشير إلى الحقيقة، أو حسب لغة الإيمان المسيحي نفسه: أن يشرح لنا المسيح هذه الأمور، دون أن تشرح المجازات والإستعارات والطقوس والرموز والظلال، المسيح نفسه!! أو حسب كلمات الرسول بولس:

لا يشرح العهد القديم المسيح، بل يشرح المسيح العهد القديم.

وهذه هي كلمات الرسول بولس:

> « فإذا قال جديدًا (العهد الجديد)
> عتق الأول (جعل العهد الأول قديمًا)
> وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال» (عب ٨: ١٣).

وهكذا كانت المسيرة التاريخية في الغرب مثقلة بتركة ثقيلة، وهي خضوع العقيدة المسيحية للمجازات؛ بل وتحوّلت المجازات الطفولية إلى حقائق أبدية تمس طبيعة وجوهر الثالوث القدوس نفسه، وتجعل العدل الإلهى، بصورته القانونية، يقسم الأقانيم إلى إله يُعاقِبُ، وإله يسدد العقوبة ثمنًا لعدالة الإله الأول!!!

القديم لا يشرح الجديد:

وعجزْ القديم ليس فقط في أنه « شاخ »، بل أيضًا لأنه لا يملك قوة حياة المسيح. وهذا يفرض علينا أن نميّز بين :

« العهد الأفضل » (عب ٧: ٢٢)

« العهد القديم ، **خدمة الموت ، خدمة الدينونة** » (٢ كو ٣: ٧- ٩).

وكم هو مؤلم جدًا لضمير المسيحي أن يري المسيح مؤسس العهد الأفضل، عهد «المجد وخدمة الروح» (٢كو ٣: ٧)، قد صار هو نفسه تحت سيطرة الشريعة والرموز، لا يملك أن يتحرك بالجود والعطاء والمحبة وبقدرته الإلهية التي ـب الحياة مجانًا؛ بل صوره مَنْ يحوّلون الرموز والمجازات إلى عقيدة مطلقة، إلى المسيح ثمن الخطية للعدالة المهانة!!!

وهكذا حاولت هذه الدراسة أن **تفصل بين المجاز والحقيقة؛** بين رموز العهد القديم والتعليم العقيدي في العهد الجديد الخاص بطبيعة الله؛ بين العدل بصورته البشرية الناقصة والعدل الإلهى، أي البرّ والصلاح الواهب الحياة مجانًا، من قلب الثالوث للإنسان حبيب الثالوث!

• • •

المراجع References

أولاً : المراجع العربية :

١ - الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس بمصر)
٢ - الكتاب المقدس (المطبعة الكاثوليكية - فرنسيسكان - بيروت) سفر الحكمة- طبعة ١٩٦٠.
٣ - فهرس الكتاب المقدس للدكتور چورچ بوست.
٤ - الأجبية - مكتبة المحبة.
٥ - الخولاجي المقدس - مكتبة المحبة.
٦ - الأبصلمودية المقدسة السنوية - الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.
٧ - قداسة البابا شنودة الثالث، طبيعة المسيح - مترجم The Nature of Christ ، St. Mary's Church - Ottawa.
٨ - قداسة البابا شنودة الثالث، رسامة المرأة - عظة إنجليزية، لندن نوفمبر ١٩٩٠ - بكنيسة مارمرقس كنسنجتون.
٩ - د. موريس تاوضروس - الوحي والتقليد - مكتبة الشباب بطريركية الأقباط الأرثوذكس.
١٠ - د. موريس تاوضروس - حول صفات الله - مكتبة الشباب بطريركية الأقباط الأرثوذكس.
١١ - د. وليم سليمان قلادة، تقديم الدسقولية - طبعة أولى. (الطبعة الثانية، مختلفة الترقيم، الناشر دار الثقافة).
١٢ - القديس أثناسيوس الرسولي - تجسد الكلمة - ترجمة القس مرقس داوود. الطبعة السابعة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.
١٣ - القمص ميخائيل مينا، علم اللاهوت، بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : ثلاثة أجزاء.
١٤ - الأب متي المسكين، القديس بولس الرسول؛ حياته، لاهوته، أعماله، بدير القديس أبو مقار بوادي النطرون.

١٥ - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - المسيحية والجسد . مطرانية ملوى.
١٦ - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم. مطرانية ملوى.
١٧ - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - التجسد الإلهى. مطرانية ملوى.
١٨ - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - معرفة الله من خلال العالم. شريط مسجل لعظة. بمكتبة كنيسة مارمرقس، لندن، برقم p. 49.
١٩ - د. عدنان طرابلسي - الرؤية الأرثوذكسية للإنسان. منشورات النور - لبنان.
٢٠ - كوستي بندلي - إله الإلحاد المعاصر - منشورات النور، لبنان.
٢١ - كوستي بندلي - الجنس ومعناه الإنساني - منشورات النور، لبنان.
٢٢ - كوستي بندلي - السبل إلى الله - والله والتطور - منشورات النور، لبنان.
٢٣ - الأب تيار دي شاردين - نشيد الكون. منشورات النور، لبنان (مترجم).
٢٤ - كوستي بندلي - كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء. منشورات النور، لبنان.
٢٥ - د. هاني مينا ميخائيل - الله والإنسان والكون - لندن.
٢٦ - كوستي بندلي - الله والشر والمصير - منشورات النور، لبنان - ١٩٩٣.

ثانيًا : مراجع باللغة الإنجليزية :

1 - Holy Bible: New King James Version.
2 - Good News Bible - Catholic.
3 - Nicene and Post - Nicene Fathers Series:
1st series: St. John Chrysostone vol. 10,11 & 14.
2nd series : St. Athanasius vol. 4.
St. Cyril of Jerusalem vol. 7.
St. Gregory of Naziansum vol. 7.
Pub.: T & T. Clark, Edinburgh, 1991.
4 - The Faith of The Early Fathers, vol. 1, 2 & 3. Pub. The Liturgical Press. Minne sota, U.S.A., 1979.

5 - The Bible and The Holy Fathers, for Orthodox, Pub. Monastery Books, Menlo Park - C.A. 940 25-2579 - U.S.A.
6 - St. Athansius, On the Incarnation, Introduction by C.S. Lewis, Pub. Mowbray, London. (main ref.), 1982.
7 - Isaac of Nineve, Mystic Treatises, translation by A.J. Wensinck, 1923.
8 - Henry Chadwick, Augustine, Pub. Oxford Univ. Press, 1986.
9 - H. Chadwick, The Early Church, Pub. Penguin Book. U.K., 1967.
10 - Timothy Ware (Bishop Kallistos Ware), The Orthodox Church, Pub. Penguin Book. U.K., 1993.
11 - P. Davies & J. Gribbin, The Matter Myth, Pub. Penguin Book, 1991.
12 - Stephen Hawking, A Brief History of Time, Pub. Bantam - N. Y.
13 - Montenat, Plateaux and Roux, How to Read the World: Creation in Evolution, Pub. SCM Press Ltd., London, 1985.
14 - J. N. Bezancon, How to Understand the Creed, Pub. SCM Press Ltd., London, 1987.
15 - E. Charpentier, How to Read the Old Testament, Pub. SCM Press Ltd., London, 1981.
16 - Forster and Marston, Reason & Faith, Pub. Monarch Publications. U.K., 1989.
17 - The World's Religions, A Lion's Handbook. U.K., 1988.
18 - Schwartz, The Search for God, Pub. SPCK - U.K., 1975.
19 - Popkin & Stroll., Philosophy, Pub. Heinmann - U.K., 1990.
20 - Peter Brown, The Body and Society, Pub. Faber & Faber. London, 1988.
21 - H. Jonas, The Gnostic Religion, Pub. Routledge, U.K., 1992.
22 - Elaine Pagels, Adam, Eve, and the Serpent, Penguin Book, U.K., 1988.
23 - P. Vardy, The Puzzle of Evil, Pub. Harper Collins, U.K., 1992.
24 - Teilhard De Chardin, Man's Place in Nature, Pub. Collins, Fontana Books, U.K., 1973.
25 - T. De Chardin, The Future of Man, Pub. Collins, U.K.

26 - Pullan, The Atonement, Pub. Longmans, London - 1907.
27 - Grensted, A Short History of the Doctrine of the Atonement, Pub. Manchester Univ. Press, 1920.
28 - Turner, The Patristic Doctrine of Redemption, Pub. Mowbray, London, 1952.
29 - Georges Florovsky, Creation and Redemption, Pub. Norland Publishing Company, Belmont, U.K.
30 - J.S. Romanides, Original Sin According to St. Paul, St. Vladimir Seminary Quarterly, vol. iv 195556/. (S.V.S. - New York).
31 - John Karmiris, A Synopsis of the Dogmatic Theology of the Orthodox Catholic Church, Pub. Christian Orthodox Edition, U.S.A. 1973.
32 - Vernon White, Atonement and Incarnation, Pub. Cambridge University Press. 1991.
33 - C. Gunton, The Actuality of Atonement, Pub. T & T. Clark Ltd., U.K1988.
34 - Gabriel Daly, Creation and Redemption, 1989, Pub. The Liturgical Press. Minnesota, U.S.A.
35 - Constantine N. Tsirpanlis, Introduction to Eastern Patristic Thought and Orthodox Theology, Pub. The Liturgical Press. Minnesota. U.S.A. 1991.
36 - Bishop Kallistos Ware, Patterns of Atonement, Oxford. (A recorded Sermon).
37 - C. Yannaras, Elements of Faith, Pub. T & T. Clark, 1991.
38 - C. Yannaras, The Freedom of Morality, Pub. St. Vladimir Seminary - New York, 1984.
39 - John Meyendorff, Christ in the Eastern Christian Thought, S.V.S. - N.Y., 1975.
40 - Vladimir Lossky, The Mystical Theology of the Eastern Church, S.V.S. - N.Y., & T & T. Cark, U.S.A. 1991.
41 - V. Lossky, Orthodox Theology - An Introduction, S.V.S. - N.Y., 1989.
42 - V. Lossky, The Vision of God, S.V.S - N.Y., 1984.
43 - Mantzarides, The Deification of Man, (St. Gregory Palamas and the Orthodox Tradition.) S.V.S. - N.Y., 1984.

44 - Thumberg, Man and the Cosmos, (The Vision of St. Maximus the Confessor) S.V.S. - N.Y., 1985.
45 - Philip Sherard, Human Image: World Image, Pub. Golgonooza Press, U.K., 1992.
46 - Raymond Moody, Life after Life, U.S.A., 1975.
47 - S. Rathus, Psychology, Pub. Robert Woodbury - U.K., 1987.
48 - Dimitri Staniloae, Theology and the Church, S.V.S. Grestwood, New York.
49 - Olivier Clément, The Roots of Christian Mysticism - Pub. New City - London, 1993.
50 - Schmemann, For the life of the world, Pub. S.V.S. - N.Y., 1988.
51 - The Philokalia, Compiled by St. Nikodimos of the Holy Mountain and St. Makarios of Corinth, 1984, Pub. Faber & Faber, London. Vol. 1.

• • •

من تعليق نيافة الأنبا أثناسيوس على الكتاب:

* إطلعت على هذا البحث الكبير... البحث متسع وشامل وعن موضوع هام جد ، ويوفي هدفه بدرجة جيدة جد .
* البحث يدل على الجهد الكبير والإيمان القلبي بما ورد فيه من حجج وأفكار.
* وهكذا لا نرفض كل ما يخالفنا في الرأي، بل نقبل الآراء، لأنه قد إنقضي عصر الحروم لكل من يخالف رأينا...
* إني مغتبط باطلاعي على هذا البحث المبارك والمدقق، وكان شريط سريع عرض أمامي أمور كثيرة مركزة كثير ما أنساها.
* الله يبارك في الباحث وينميه في المعرفة.

أثناسيوس
مطران بني سويف
١٩٩٨/٧/٩

أيقونة الغلاف

تصور هذه الأيقونة الأرثوذكسية روح هذا البحث بكل دقة !
الرب المتجسد والقائم من الموت سبى الجحيم سبيا ،
وفى الجحيم داس الرب الموت، وأباده بموته
وقيامته المجيدة! إلا أنه لم يقم لذاته وهو رئيس الحياة،
بل قام وبيديه آدم وحواء وبنيهم. لذا نصرخ تمجيد
وتسبيح فى نشيد القيامة قائلين :

• «ياكل الصفوف السمائيين رتلوا لإلهنا بنغمات التسبيح، وإبتهجوا معنا اليوم فرحين بقيامة السيد المسيح ...

قد قام الرب مثل النائم .... وعتقنا من العبودية المرة. وسبى الجحيم سبيا ، وحطم أبوابه النحاسية وكسر متاريسه الحديدية كسر . وأبدل لنا العقوبة خلاص . وأعاد آدم وبنيه إلى الفردوس، بفرح و بهجة ومسرة. هو وبنيه الذين كانوا فى الفردوس» (الهاوية والموت الروحى الأبدى).

• «وإهدنا يارب إلى ملكوتك، لكى هذا ... يتمجد ويتبارك ويرتفع إسمك العظيم، العادل والبار، والقدوس فى كل شئ مع أبيك الصالح والروح القدس».

آمين، أيها العادل، محب البشر
صانع الخيرات، رئيس الحياة ...
«مجد الله، وعدله حياة الإنسان»